

الإعلام





والحرب

العراق نموذجاً

الدكتور عبد الكريم العلوجي

الدار الثقافية للنشر

الإعلام والحرب

العراق نموذجًا

الدكتور

عبد الكريم العلوجي

الدار الثقافية للنشر

العلوجي، عبد الكريم
الإعلام والحرب - العراق نموذجًا .
عبد الكريم العلوجي - ط١ ـ القاهرة : الدار الثقافية للنشر، ٢٠١٠ .
٣٠٤ ص ، ٢٤ سم
تدمك ٩ ـ ٢٧٩ ـ ٣٣٩ ـ ٩٧٧ـ ٩٧٨
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٣٦٤٢/ ٢٠١٠
١ ـ الإعلام
الإعلام والحرب - العراق نموذجًا .
٣٠٦,٤٢

الطبعـــة الأولـــى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م

صندوق بريد ١٣٤ بانوراما ١١٨١١
تليفاكس ٢٤٠٢٠٥١٥ ـ ٢٤١٧٢٧٦٩
Email: info@dar– althakafia.com

مُقَدِّمَة

الإعلام والحرب والسياسية

يعبر الصراع الأمريكي ـ العراقي عن واقع سياسي عالمي جديد نسبياً وعبر عنه الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب في خطابه الذي ألقاه في قاعدة ماكسويل الجوية بعد انتهاء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ، إلا إن تلك الحرب هي الاختبار الحقيقي الأول للنظام العالمي الجديد .

إستطاعت الولايات المتحدة من خلال تأسيس قيادة نظام دولي جديد تنفرد فيه هي بمقاليد الحكم والسيطرة، مما يعبر عن نهاية عصر الثنائية القطبية بين الولايات المتحدة وروسيا ، لتنفرد بزمام السيطرة على النظام الدولي .

وفي هذا السياق نجد، أنه إذا كان عام ١٩٨٦ يؤرخ بأنه العام الذي أسدل فيه الستار على نظام القطبين في المسرح العالمي ، فإن عام ١٩٩١ ، الذي شهد حرب الخليج الثانية ، سيؤرخ له بأنه العام الذي رفع فيه الستار عن نظام عالمي جديد في المسرح الدولي ، جديد في التفاعلات بين أطرافه ، جديد في أدوات فرض الهيمنة ، جديد في إدارة الحروب والأزمات الدولية .

يبدو أن الاستراتيجية الأمريكية اتجهت إلى السعي لاستثمار الانهيار السوفيتي لتحقيق مصالحها ، باستخدام القوى العسكرية الهائلة التي تمتلكها إذ تعد الولايات المتحدة أقوى دولة عسكرياً في العالم بل أيضا الدولة الوحيدة التي تستطيع تحريك جيوشها إلى أي منطقة في غضون بضعة أشهر (ليستر ثارو ، ١٩٩٥) .

في حين كرست القوى الكبرى مثل الصين وروسيا واليابان والإتحاد الأوروبي جهدها لتحقيق التفوق الاقتصادي في الخريطة الدولية ، مما نتج عن أزمة اقتصادية أمريكية ولاسيما في مواجهة تلك المنافسة الاقتصادية القوية من جانب أوروبا واليابان .

وهذه المنافسة الاقتصادية تفسر سبب الاختلال في توازن هذ النظام الدولي الجديد ، لعدم الأتساق بين هيكلة العسكري القائمة على هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبين بنائه الاقتصادي القائم على تعدد الأقطاب ، مما نتج عنه تقزيم لدور تلك القوى

الاقتصادية في الساحة السياسية الدولية، فقد تم تحديد دورها في مساعدة الدور الأمريكي فيما يتعلق بالمنطقة العربية، أو الحد النسبي في اندفاع القرار الأمريكي تجاه أي قضية عربية.

وهذا الوضع غير المتوازن يؤثر في سرعة تحقيق القرار الصادر من الولايات المتحدة تجاه القضايا العربية، دون ان يغير من جوهره إذا كان ثمة إصرار أمريكي على ذلك، وهو بذلك قادر على أن يذيق دول العالم العربي مرارة غياب أحد قطبي النظام الدولي السابق، ويجعلها في هامش الخريطة السياسية الدولية (قنان، ١٩٩٤).

وتكشفت في هذا النظام الجديد أبعاد سيطرة وقوى أطراف هذا المجتمع الدولي، وظهرت بوضوح أهم خصائصه، وهو أن الدول الغربية الراسمالية لم تعد في حاجة إلى أن تغلف سياستها الاستعمارية الإمبريالية تجاه دول العالم الثالث أو العالم العربي بقفازات حريرية، بل أصبحت تتدخل مباشرة وباللجوء إلى الوسائل الاستعمارية التقليدية باستخدام قدراتها التكنولوجية والعسكرية الفائقة رغماً عن الشعوب والحكومات بل ورغماً عن القوانين والشرعيه الدولية التي كانت سائدة فيما سبق .

أي "التهديد الأخضر(ويقصد به الأصولية الإسلامية) بدلا من التهديد الأحمر" ، أو عدو مصطنع يمكن استخدامة لتعبئة الرأي العام الأمريكي، وكسب التأييد العالمي من بعده تحت شعار مكافحة الإرهاب الدولي، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وتتلخص أجندة أولويات السياسة الخارجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط في بعدي، "النفط وأمن إسرائيل" .

وتمثل العراق هدفاً إستراتيجياً للولايات المتحدة، حيث كانت أكبر قوة عسكرية عربية تخيف إسرائيل، فكان العراق بالتحديد موضع خوف إسرائيلي لأسباب عدة، حيث لم يوقع اتفاقية هدنة مع إسرائيل .

كما منح الموقع الجغرافي غير المجاور لإسرائيل العراق حرية في ممارسة سياسية غير مقيدة تجاة الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وهذا الموقع كان يسمح له بأن يكون طرفاً عنيفاً، ومغالياً أكثر من غيره، وكان يستطيع من خلال موقعه الجغرافي أن يضغط على الدول العربية لمنعها من أي تسويات ممكنة مع إسرائيل.

ولما كان العراق يحكم من قبل حزب البعث العربي الاشتراكي، وهوحزب له أفكاره والتزاماته القومية ومهما اختلف الآراء حوله، فإن الحزب له نواة صلبة وله قاعدة واسعة

يسعى إلى توسيعها وله برنامج يريد تنفيذه وهو في سبيل ذلك كله، واصل عملية تعبئة عقائدية وسياسية وجماهيرية لا يستطيع أحد أن يقدر سلفاً إلى أين تصل، وإلى أي النتائج تؤدي؟ .

هذا بخلاف ما يمتلكة العراق من ثروات هائلة في مواد البترول والمياه ومعنى هذا أنه قوة محتملة اقتصادياً وعسكرياً .

وإذا كان العراق قد حقق بالفعل تقدماً في مجال القدرة العسكرية الشاملة، ويحسب له حساب. وكانت إسرائيل تتابع ما يحدث وتراقبه عن كثب، وفي نفس الوقت فإن العراق كان قد بدأ يسعى إلى دور إقليمي أكبر، ولكي يعبئ الرأي العام العربي لقبول هذا الدور، فإن بغداد بدأت تأخذ دوراً أكثر وضوحاً في أزمة الشرق الأوسط .

لذا كان من الضروري التصدي لهذا التقدم التكنولوجي الهائل الذي وصل إليه العراق لضمان تحقيق المصالح الأمريكية، وتحجيم تلك القوة العربية المخيفة من المحيط السياسي والتي كان من الممكن أن تؤثر على مسيرة القضية الفلسطينية نحو اتجاه لا ترضاه الحكومة الأمريكية .

وتكشف الدراسات التي تناولت الأزمة العراقية بداية من عام ١٩٩٠، أن الولايات المتحدة لم تسع لتجنب احتلال العراق للكويت في أغسطس١٩٩٠ .

أما وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، فكانت تسجل في تقاريرها منذ ٢٥يوليو ١٩٩٠ أن الرئيس العراقي صدام حسين لا يحشد جيشة قرب الحدود الكويتية لمجرد الخداع، فقد كانت مقتنعة بأن الهجوم سيبدأ .

وفي الخامس والعشرين من يونيو ١٩٩٠، استدعى الرئيس صدام حسين السفيرة الأمريكية في بغداد "أيريل جلاسبي" لمقابلته وطبقاً لصور "محضر الاجتماع" الذي نشره العراقيون فيما بعد فإن السفيرة إبريل جلاسبي أبلغت صدام حسين بأنه "ليس للولايات المتحدة رأي في المنازعات العربية ـ العربية، مثل خلافكم مع الكويت حول الحدود" فيما كان يبدوا أنه إعطاء ضوء أخضر للعراق للاحتلال .

وعقبت على ذلك جلاسبي حينما أدلت بشهأدتها أمام الكونجرس في مارس١٩٩١، وقالت "إن ما يسمى محضر الاجتماع قد أعيدت صياغته"، وأنها في الوقت الذي أبلغت به الرئيس صدام حسين بأن الولايات المتحدة لا تعير منازعات الحدود شأناً من شئونها، فإنها أوضحت إن ما يخصنا بكل تأكيد هو أن يتم التوصل إلى تسوية بإسلوب غير عنيف.

وتشير أحد التوجهات الفكرية إلى الدور الذي قامت به السفيرة الأمريكية في بغداد في هـذا الشأن حيث أعطت للرئيس العراقي ما أطلق عليه وقتئذ (الضوء الأخضر) للتحرك العسكري ضد الكويت .

وهـو الأمـر الذي فسره الأمريكيون فيما بعد باعتباره لم يكن أكثر من سوء فهم وإن سـوء الفهم هذا كان هو السبب الرئيسي في الصراع وذلك في مسعى من جانب الولايات المتحدة لإخفاء أسباب الصراع الحقيقي وأهدافه .

ومـع تعـدد التوجهات الفكرية في هذا الصدد يبدو أن التدخل العسكري الأمريكي في مـنطقة الخلـيج عـام ١٩٩١ كـان هـدفاً مـتوافقاً تماماً مع الاستراتيجية الأمريكية، والتي سـعت أيـضا إلى ضـمان إلـزام حلفائها ـ لاسيما اليابان وألمانيا بتحمل القسط الأكبر من نفقات الحرب لتحقيق الهدفين الرئيسيين التاليين وهما :

١- تـوفير الغطـاء لتحـركها العـسكري في مواجهة الرأي العام الأمريكي الذي لم يكن ليقبل إن يموت أمريكيون دفاعاً عن احتياجات ألمانيا واليابان .

٢- فـرض منطق القوة العسكرية وإقناع حلفائها بأنه لا بديل عن الحماية العسكرية الأمريكية حتى إذا تمتع هؤلاء الحلفاء بتفوق اقتصادي .

لـذت يمكـن القـول أن كلا الحربين على العراق ـ حربا الخليج (الثانية١٩٩١ والثالثة ٢٠٠٣) كانـت نتـيجة الـتحولات الجذريـة الـتي أصابت النظام العالمي والتي انعكست آثارها بعنف على المجتمع العربي .

والجديـر بالملاحظـة أن هـذا الـنظام الدولي الذي رسخ قواعده الرئيس جورج بوش الأب عـام١٩٩١، هـو نظـام لا يحتمل "الحلول الوسطى" كما جاء على لسان الرئيس جورج بوش الابن بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر :

"إما أن تكون مع أمريكا وإما مع الإرهاب، وعلى الأطراف الدولية الاختيار"

معنـى ذلـك إدانة الحلول الوسطى من حيث المبدأ، ومعنى ذلك ـ بالتبعية ـ إدانة عدم الإنحياز كموقف، وهي تعبير عن فلسفة الجهود السياسية والدبلوماسية في تحقيق أهدافها

وتكمـن أهمـية اسـتعراض الخلفـية السياسية للصراع في أهميتها السياسية، كما إنها تمـثل القاعـدة الرئيـسية الـتي تسبق دراسة وتحليل التناول الإعلامي للصراع الأمريكي ـ العراقـي، والـتي نـتوقع أن تنعكس على الإعلام، وفقاً للتوجه السياسي الذي تعبر عنه الوسيلة الإعلامية .

وقـد برز هذا التسييس في كافة مراحل الصراع العراقي ـ الأمريكي في الفترة من يناير ١٩٩١ ـ مـارس ٢٠٠٣، بداية من حشد القوات الدولية لتحرير الكويت من الاحتلال العراقـي، ونهايـة بالحـرب علـى العـراق في ٢٠٠٣ والتي شهدت الغياب الأمل والدور الضعيف للمنظمة العربية الإقليمية الأساسية (منظمة الدول العربية) .

فـإذا كـان الـبعض قـد صور حرب الخليج الثانية ١٩٩١ بأنها تنفيذ للقوانين الدولية والمـنظمات الدولـية وكـذلك تـصوير حـرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣ بأنها لتحرير الشعب العراقي ونزع أسلحة الدمار الشامل، فإن البعض الآخر صورها بانها أقرب ما تكون إلى استعمار جديد للوطن العربي .

والمواقف العربية الرسمية من القضايا العربية سواء (الصراع العربي ـ الإسرائيلي) أو (الـصراع الأمريكـي ـ العراقـي) ومراحلة المختلفة في الفترة ما بين "حربي الخليج الثانية ١٩٩١ والثالـثة ٢٠٠٣"، تـشوبها العديـد مـن الانقـسامات وعـدم الـتوحد، وتتـسم بالقطـرية في تـناول الـصراع بمـا يحقق مصالح الأقطار العربية أولاً، والمتمثل في استمرار تدفـق المعـونات والحفـاظ علـى الأمـن القومي لتلك الأقطار، حيث لم تتجاوز المواقف العـربية مـرحلة اتخاذ القرارات، إدلاء التصريحات، التعبير عن الشجب والرفض، ولـم تصل إلى مرحلة اتخاذ السلوك .

وفي ضـوء مـا تقـدم ولتحلـيل الموقف الأمريكي من الحرب على العراق والتداعيات الإعلامـية المهمـة في تلـك المـرحلة التي أدار الإعلام الأمريكي الحرب قبل وقوعها مهيئاً الرأي العام الأمريكي والدولي على الخطر الذي يهدد العالم بما يمتلكة العراق من أسلحة دمـار شـامل وغيرهـا، مما هيأ الأجواء النفسية للحرب وتداعياتها المأساوية على العراق والعـالم وهكـذا أدى الإعـلام الأمريكـي والعربي والصهيوني دوره في تهيئة الرأي العام العالمـي لتقـبل الحـرب علـى العراق، وكانت الكارثة التي أدت إلى تدمير وطن وتفكيك دولـة واسـتـشهاد أكثـر مـن ملـيون ونـصف عراقـي عـدى الجرحـى والمعـاقين وملايين المهاجرين وكانت النتيجة كارثة على الجميع .

د. عبد الكريم العلوجي

القاهرة في ٢٤/ ٠١/ ٢٠١٠م
الموافق ١٠ من صفر ١٤٣١ هـ

الفصل الأول

تاريخ العلاقات العراقية الأمريكية في ٤٨ عام

(دراسة تحليلية في ثلاث مراحل تاريخية لطبيعة العلاقات والصراع الأمريكي العراقي منذ ١٩٥٥ وحتى ٢٠٠٣)

المبحث الأول

من حلف ١٩٥٥ إلى ١٩٦٨

البداية من (حلف بغداد)

تأسس هذا الحلف في ٢٤ ـ ٢ ـ ١٩٥٥ على هيئة اتفاق عسكري في بداية أمره بين العراق وتركيا، ثم انضمت إليه كل من بريطانيا والباكستان وإيران في نفس العام. بالإضافة إلى الولايات المتحدة التي لم تكن عضويتها كاملة في سنواته الأولى.

وكان الدافع الأكبر وراء إنشاء هذا الحلف الذي جاء بتخطيط من الولايات المتحدة، هو الموقع الإستراتيجي المتميز لمنطقة الحلف، إذ إن هذا الموقع يمتلك العديد من العناصر المهمة:

تعتبر دول الحلف منطقة نفوذ مهمة للقوى الاستكبارية، حيث تتركز فيها مصالحها الاقتصادية بشكل كبير بفضل المخزون الهائل من البترول في أراضيها.

إن هذه المنطقة متاخمة للحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي، وعلى هذا الأساس فإنها تمثل البوابة التي يمكن من خلالها التوغل إلى منطقة الشرق الإسلامي بأسرها.

وهذا ما يحتم على الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة أن تسعى لغلقها بوجه التوسع السوفيتي، وبذلك سوف تستكمل الولايات المتحدة حلقات حصارها الإستراتيجي للمعسكر الشيوعي، بعد أن حاصرته من قبل بحلف شمال الأطلسي غربا، وبحلف جنوب شرق آسيا شرقا.

إن منطقة الشرق الإسلامي بدأت تشهد أوضاعا سياسية قلقة، وهذا ما يستدعي من الدوائر الغربية تقوية الأنظمة التابعة من خلال تحالف عسكري يربطها بها أكثر ويوفر الحماية الكافية للأنظمة الحاكمة.

هـذه الأسـباب دفعـت الـولايات المـتحدة إلى إنشاء حلف بغداد لتصل من ورائه إلى أهدافها السياسية. ولقد أخذ هذا الحلف الكثير من اهتمام الرئيس الأمريكي أيزنهاور إذ إنـه كـان يخطـط لأن يـضم الحلـف إلى عضويته دولا جديدة من الشرق الإسلامي، وقد كانت له ثلاث محاولات في هذا الخصوص فشلت كلها على حد سواء.

الأولى: كانـت مـع الأردن، وقـد ابـدى الملـك حسين رغبته في الانضمام إلى حلف بغـداد، إلا أن الاوضـع الداخلـية في الأردن حالـت دون أن يحقـق حسين رغبته. حيث شـهدت الأردن معارضـة قـوية تشجب حلف بغداد للدرجة التي أخافت النظام فتراجع الملك حسين عن قراره وفشلت بذلك المحاولة الأولى.

والثانـية: كانـت مـع مـصر، غير أن مصر كانت ترفض فكرة الانضمام إلى أحلاف عـسكرية، انطلاقا من حساباتها السياسية الخاصة، وقد رافق هذه الفترة تأميم مصر قناة الـسويس، فشنت على أثر هذه الخطوة بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني هجوما على مصر في عام ١٩٥٦، وبذلك أصبح مستحيلا انضمامها إلى الحلف.

وهـناك عـوامل أخـرى كانـت تحـول دون انـضمام مـصر إلى حلـف بغـداد، أهمها الاخـتلاف الكبير في الاتجاهات السياسية بين دول الحلف وخصوصا بين الحكومة الملكية في العراق وبينها، هذا الاختلاف الذي كان يصل إلى درجة العداء الصريح.

والثالـثة: كانـت مـع سوريا والتي كانت نظرتها تجاه الأحلاف مشابهة لنظرة مصر، وقـد تعرضـت سـوريا إلى تهديد عسكري من تركيا عام ١٩٥٧. مما شنج علاقاتها ليس مـع تـركيا فحـسب، بـل مع الولايات المتحدة أيضا باعتبارها تقف وراء تحرشات تركيا العسكرية.

يـضاف إلى ذلـك ان التوتـر بـين سـوريا والعراق كان أكثر حدة مما هو عليه بين مصر والعراق، حيث إنه وصل إلى حياكة المؤامرات، كما أعلنت بذلك الحكومة السورية عن اكتـشافها مؤامـرة تـستهدف إسقاط السلطة، دبرتها حكومة نوري السعيد بالتنسيق مع الـسفارة الأمـريكية في دمشق. وقد أزمت هذه الحادثة علاقة سوريا مع العراق إلى درجة كبيرة. وبذلك سقطت كل احتمالات ضم سوريا إلى حلف بغداد.

إن هـذا الإسـلوب الأمريكـي لم يأخـذ بنظـر الاعتبار تصور الدول العربية لسياسة المـنطقة وظـروفها، حيث كانـت هـذه الـدول ترى ان الخطر الذي يهددها لا يكمن في الاتحـاد السوفيتي، فمواقفه تجاهها لا تدل على أنه يروم التدخل في المنطقة عسكريا، بل

إنها كانت على العكس من ذلك . فلقد اعرب الاتحاد السوفيتي عن استعداده لدعم هذه الدول عسكريا واقتصاديا . كما انه وقف إلى جانبها سياسيا معززا مواقفها في بعض الأحداث السياسية ، كما فعل مع مصر حين هدد بالتدخل واستخدام سلاحه النووي إذا لم يتوقف العدوان الثلاثي على مصر . وكما وقف إلى جانب سوريا عندما تعرضت للتهديد العسكري التركي . وهذا جزء من أساليب الاستكبار في مد أذرعه .

أن دول المنطقة لم تكن تدرك ان السوفيت يحاولون بسط سيطرتهم على المنطقة من خلال الطرق الدبلوماسية التي يتبعونها . فقد كان تصور تلك الدول أن الخطر له صورة واحدة فقط ملامحها العامة التدخل العسكري ولقد ساهمت واشنطن إلى حد كبير في رسم هذه الصورة أمام أعينها ، وحيث إن التدخل لم يحدث فلا خطر أذن من السوفيت أو من الشيوعية ، في حين كانت الاحزاب الشيوعية تمتد داخلها .

المهم أن أنظمة المنطقة لم تكن مقتنعة ان الخطر قادم من الاتحاد السوفيتي بل كانت تتصور أن الخطر الذي يهددها يتمثل بالكيان الصهيوني ، وأن كان هذا التصور لم يُبنى على قناعة حقيقية ، ولم تكن له تطبيقات جادة نظرا لتبعية تلك الأنظمة للقوى الاستكبارية ، إلا أنه كان مفروضاً عليها لاعتبارات الساحة التي كانت متوجهة نحو قضية فلسطين .

هذه الحقائق لم تدخلها الإدارة الأمريكية ضمن حساباتها السياسية في المنطقة ، وتجاوزتها عندما أرادت ادخال أنظمة المنطقة في حلف بغداد . فكانت النتيجة أن اقتصر الحلف على عضوية دول الست فقط .

وحتى هذا الدول لم تستمر طويلا في الحلف . فبعد أربع سنوات انسحب العراق من عضويته على إثر انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ . كما انسحبت إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية وسقوط نظام الشاه عام ١٩٧٩ . ثم انسحبت بعد ذلك الباكستان وتلتها تركيا ، ولم يبق إلا بريطانيا والولايات المتحدة ، فاعتبر الحلف بحكم المنحل .

من أمثلة التعاون السري بين العراق وأمريكا

(التعاون الاستخباراني)

صالح مهدي عماش ومحمد المهداوي (نموذجا)

لم يتنبه أحد من الباحثين بدقة لما ورد من حقائق مثيرة خلال المحاكمات التي عقدتها المحكمة العسكرية العليا الخاصة بوزارة الدفاع المسماة (محكمة الشعب) أو محكمة المهداوي كما يسميها البعض، فقد ظهرت بعض الحقائق التي تشير إلى ارتباط وعمل صالح مهدي عماش ومحمد المهداوي ضمن وكالة المخابرات المركزية، وقد أشيع وقتها أن عماش هو المسؤول عن ارتباط أحمد حسن ا لبكر بحزب البعث المشهور بعدم كفائته السياسية والثقافية وكراهية العسكريين له وشهرته بين أقرانه بالحقد وابتلائه بالأمراض النفسية والعقد .

وإذا كنا نعتبر اختيار نوري السعيد رئيس الوزراء في العهد الملكي في العام ١٩٥٦ صالح مهدي عماش للسفر شخصياً إلى العاصمة الإيطالية روما لاستلام السلاح الأمريكي والبريطاني المرسل إلى العراق لمهاجمة سوريا وإسقاط حكومتها في مؤامرة تكشفت بعدئذ أطرافها أمريكا وبريطانيا والحكومة العراقية بالتعاون مابين رئيسا وزراء كل من العراق وسوريا نوري السعيد وأديب الشيشكلي ، إذا أعتبرنا أن هذا الاختيار كان أعتباطاً ودون وجود سبب في اختيار نوري السعيد لهذا الاسم ولهذه المهمة الكبيرة الحجم والبالغة السرية، فإن الحقيقة تدعونا لتقليب هذا الأمر ومعرفة ما إذا كان هناك سبباً منطقياً يدعو رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد في اختيار اسم صالح مهدي عماش بالذات في كتاب سري للغاية أرسله إلى وزارة الدفاع بهذا الخصوص يحدد فيه مهمته .

كان صالح عماش عنصراً من عناصر الاستخبارات العسكرية ولم يكن ترشيحه بناء على رغبة الأستخبارات وإنما كان أمراً صادراً من رئيس الوزراء نوري السعيد دون أن يتعرف أحد على السبب الحقيقي وراء هذا الاختيار ، ونفذ عماش المهمة بنجاح وأوصل السلاح إلى القوات العراقية، وبالنظر لتوافق موعد تنفيذ المؤامرة على سورية مع قيام الاعتداء الثلاثي على مصر، مما جعل التنفيذ مستحيلاً إن لم يكن صعباً أمام تصاعد الحس الوطني والشعبي وغليان الشارع العربي المتعاطف مع مصر ضد العدوان الثلاثي والقوات الأجنبية المعتدية .

في نفس الوقت كانت وزارة الدفاع العراقية قد أرسلت ضمن بعثتها العسكرية محمد المهداوي إلى الولايات المتحدة الأمريكية في دورة عسكرية، وكان المهداوي مسؤولا عن خلية الضباط البعثيين ضمن هذه الدورة، وكان صالح مهدي عماش هو المسؤول الحزبي عن محمد المهداوي، وكانت كلمة السر المتداولة بينه وبين التنظيم هي ((أبو هدى يسلم)) ، وأبو هدى هو اللقب الحقيقي لصالح مهدي عماش وهدى هي ابنته التي عملت مع سلطة صدام في تصنيع الأسلحة البايلوجية والجرثومية التي استعملت ضد العراقيين وصارت عضوة في القيادة القطرية الأخيرة للبعث قبل إن تسقط في نيسان ٢٠٠٣، وخلال إقامته في الولايات المتحدة استطاعت الأجهزة الأمريكية أن تكسب ود محمد المهداوي إن لم تستطع تجنيده لصالحها من خلال علاقة وثيقة ارتبط بها المهداوي مع (بيل ليكلاند) المتخصص في شؤون الشرق الأوسط والمتحدث باللغة العربية وصاحب الخبرة الطويلة في العمل الدبلوماسي ضمن المنطقة العربية والذي يرتبط بعلاقة شخصية مبهمة مع جمال عبد الناصر لم يوضحها من كتب عنه إذ عرف عنه أنه كان ضابط الارتباط بين السفارة الأمريكية في القاهرة وبين الضباط الأحرار الذين كان يمثلهم غالباً جمال عبد الناصر .

وبالنظر للمعلومات التي وردت إلى دائرة الاستخبارات العسكرية العراقية حول الشكوك التي تفيد بارتباط محمد المهداوي مع المخابرات الأجنبية واتجاه النية إلى استقدامه إلى العراق تمهيداً لاعتقاله ومحاكمته، فقد أرسل صالح مهدي عماش كلمة السر (ابو هدى يسلم) مع مسؤول المخابرات المركزية (بيل ليكلاند) ليبلغة بعدم العودة لوجود تحقيق ضده ونية لاعتقاله وخشية من كشف الشبكة المخابراتية وتصفيتها بالنظر للمهمة المناطة بها .

أبلغ (بيل ليكلاند) كلمة السر إلى محمد المهداوي الذي ازداد وثوقاً بأن الرجل الأمريكي يعمل ضمن المنظومة التي يعمل بها مع صالح مهدي عماش (انظر طالب شبيب الصفحة ٢٧٦ من كتابة عراق ٨ شباط ١٩٦٣) ويذكر على كريم سعيد في حاشية الصفحة ٢٨٠ من كتابه من حوار المفاهيم إلى حوار الدم مايؤكد تفصيل الشبهات التي تحوم حول ارتباط صالح مهدي عماش بالمخابرات الأجنبية .

وليس مصادفة أو اعتباطاً أن يفشي عماش كلمة السر الموجهة إلى محمد المهداوي بواسطة رجل مخابرات أمريكي مع معرفته بمهمته الأستخبارية .

ومن الطريف ان يحضر محمد المهداوي اعلى مؤتمر حزبي للبعث في العراق مرتدياً بدلة سوداء ونظارة سوداء ويحمل بيده حقيبة سوداء ودون أن يردد شعار الحزب . (شهادة حسن وداي العطية ـ كتاب على كريم ص ٣٢٩)، وأن يتم انتخابه عضواً أصيلا في القيادة القطرية للحزب .

وفي شباط ١٩٦٣ تم تعيين المقدم محمد المهداوي قائداً لكتيبة الدبابات الرابعة بالإضافة إلى تعيينه نائباً لرئيس أركان الجيش .

وبيل ليكلاند جندي سابق في مشاة البحرية الأمريكية عمل في السفارات الأمريكية في القاهرة وفي أنقرة وميونيخ، ونقل إلى بغداد بعد قيام الجمهورية ليعمل بصفة معاون للملحق العسكري الأمريكي في السفارة الأمريكية ببغداد، لكن مهمته الحقيقية هي كونه ضابط الارتباط بالشبكات العاملة والمتعاونة في العراق .

وبقيت العلاقة مستمرة بين محمد المهداوي وبين بيل ليكلاند في بغداد رغم الحذر الشديد، غير أن بيل ليكلاند بقي يمد الجسور مع صالح مهدي عماش ويساعده مادياً حسب ما أشيع عنه، ثم جرى إبعاد صالح مهدي عماش من الأستخبارات إلى الانضباط العسكري ومن ثم من الجيش حيث أحيل على التقاعد بالنظر لاتهامه بالتآمر على السلطة .

صار مهدي عماش عضوا في القيادة القطرية لحزب البعث في العام ١٩٦٦ ولغاية ١٩٧١ وتبوأ أخطر المراكز في السلطة العراقية، حيث عمل كوزير للدفاع في سلطة شباط ٦٣، ونائباً لرئيس الوزراء ووزير الداخلية في سلطة انقلاب تموز ٦٨، ومن ثم صار نائباً لرئيس الجمهورية، وصالح مهدي عماش من مواليد بغداد ١٩٢٥ .

ليس من باب المصادفة أن يكون أول البعثيين الداعين إلى شن حرب على إيران هو صالح مهدي عماش في العام ١٩٦٣، يقول المرحوم طالب شبيب في كتابه عراق ٨ شباط الصفحة ٢٧٨ أنهم لم يصغوا إلى استعداءات عماش على إيران عام ١٩٦٣، فعاد للتاجيج عام ٦٨ واستدعى السفير الإيراني إلى مكتبه وكان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية وأخبره ماهو رد فعل إيران إذا قام العراق بقصف مصفاة خرمشهر ومطار عبادان .

وقبل أن يكون عماش وزيرا للداخلية كان زيرا للدفاع وارتباطه مستمر ببيل ليكلاند الذي كان يتحين الفرص للحصول على طائرة سوفيتية من نوع الميغ أو دبابة سوفيتية من

الأنـواع التي وصلت للعراق، وحضر بيل ليكلاند اجتماعا مع ممثل وزير الدفاع في حينه المقـدم جمـيل صبري البياتي معاون مدير الأمن العام الذي كلف بالاستمرار باتصال ببيل لـيكلاند والـتعاون معـه حول رسم الخطط والمعلومات الاستخبارية فيما يخص المواجهة المسلحة مـع الأكـراد، وكانـت المـواجهة بـين الجيش العراقي والحركة الوطنية الكردية المسلحة قد بدأت ، وبناء على طلب من عماش شخصياً حسب ما يزعم صبري طلبت وزارة الـدفاع العـراقية مـن الـولايات المـتحدة الأمـريكية تزويدها بأربعين بطارية كبيرة الحجم خاصة بالدبابات .

طلـب المـسؤول الأمـني الأمريكي الحصول على دبابة سوفيتية من نوع T62 مقابل المـوافقة علـى صـفقة الـبطاريات، وتعـد تلـك الدبابة من أحدث الأسلحة الثقيلة التي ارسـلها الأتحـاد الـسوفيتي للعـراق، وكانـت الـولايات المتحدة الأمريكية تلح لمعرفة أسـرارها وقدرتها القتالية ونقاطها السرية العسكرية، ولم يكن بلد آخر غير العراق قد حـصل علـيها باستثناء دول حلف وارشو، وهي جزء من صفقة كان قد عقدها المرحوم عبد الكريم قاسم مع الأتحاد السوفيتي قبل نهايته بانقلاب شباط ٦٣ ، .

أبلغ صالح مهدي عماش موافقته شخصياً ورسمياً على الصفقة واشترط السرعة في عقد الصفقة وتم توثيق بنود الصفقة التي وقعها معاون مدير الأمن العراقي مع ممثل وكالة المخابـرات المركـزية، ولم تمـض أيـام حتـى حطـت طائـرة نقل ضخمة في مطار الحبانية العـسكري لتـسلم الـبطاريات الـتي تم اسـتعمالها وإدخالها الخدمة العسكرية في الجيش العراقي المنشغل بقتال الأكراد فوراً .

ويذكر حازم جواد في مذكراته المنشورة في جريدة الحياة أن على صالح السعدي حضر يـوما مـا بعـد انقـلاب شـباط ٦٣ إلى مجلس قيادة الثورة وهو يحمل مسدس ويبحث عن صالح مهدي عماش لاعتقاله أو قتله، وقال عنه هذا الجاسوس الجبان، وكان هذا بعد الانقلاب بشهر واحد .

واسـتطاع صـالح مهـدي عمـاش ان يوصـل خارطـة الدبابة السوفيتية إلى المخابرات الأمـريكية، غـير انهـم ألحـوا بالحصول على جسم وهيكل الدبابة، قام عماش وصبري بعـرض الأمـر علـى مجلـس قـيادة الـثورة الذي تخوف من انكشاف السر أمام المخابرات الـسوفيتية فيـضيع الـسوق السوفياتي ويتنصل السوق الأمريكي فيفقدون كل الأطراف، وقـام الـسيد طالـب شـبيب باتـصال بالسفير الأمريكي لتسوية الأمر والتخلص من هذا

الأحـراج والـورطة بـزعم ان المخابرات السوفياتية اكتشفت الأمر فتمت تسوية الأمر إلى هذا الحد .

وبعـد انقلاب عام ١٩٦٨ قام احمد حسن البكر باعتقال جميل صبري المعاون الاسبق لمديـر الأمـن العـام والـذي أصبح جـزء مـن الأسـرار الخاصـة بقـضية تـسريب الدبابة الـسوفياتية ، وأمـر بتحطـيمه ومـن ثم جعله مشلولا لا قدرة له على النطق والحركة ، ثم جـرى إطـلاق سـراحه بـزعم انـه لم يثـبت علـيه شيء ليموت دون أن يتمكن من كتابة الأسـرار التي يعرفها أو يتمكن من تطهير ضميرة من اللطخات التي اشترك بها مع البكر وعماش ومحمد المهداوي فرحل حاملاً آثمة ليلاقي ربه بما يحمل من أفعال له أو عليه .

وبالاتفاق بين البكر وصدام على تحجيم دور صالح مهدي عماش تم عزله عن وزارة الدفاع التي تم تسليمها ابتداءاً إلى احمد حسن البكر واناطة وزارة الداخلية بصالح مهدي عمـاش ، ورصـد الأخطـاء والإخفاقـات التي حصلت في عهده ليتم عزله كسفير ضمن الـسفارات البعـيدة عـن العـراق بعد أن تعهد لهما بلزوم الصمت ، وكان الاتفاق الذي ذكـره طـارق حمـد العـبد الله أن صـالح مهـدي عمـاش تم تخييره بين التصفية أو القبول بمنـصب الـسفير مـدى الحـياة وأن يبتعد عن أمور السلطة في العراق وعدم التحدث عما يعـرفه من أسرار ، فكان أن اختار الأمر الثاني ليحل سفيراً صامتا لبلاده منشغلاً بمعالجة نفـسه والاستجمام على شواطئ فنلندا ومن ثم الموت غريباً ومنبوذا ، بعد ان امتلأ تاريخه بالـشبهات والأعمـال الـتي خـسر بهـا الله قبل إن يخسر الشعب العراقي والوطن ، عمل طـويلاً من أجل ان يجعل حمامات الدم جارية في العراق ، ساهم بشكل فاعل في العديد مـن الجـرائم شخـصياً وارتكـب المجـازر الـتي يـندى لهـا الجـبين ولا تـشرف الإنـسان وسـيذكرها الـتاريخ العراقـي لـه بكـل سـوء ، ولـذا يتذكر أهل العراق صالح مهدي عمـاش بمـا اقـترن اسمـه بالشبهات والشكوك والريبة ، وليس اكثر احتقاراً ومذلة حين يـصفه تافـه ومنـبوذ مـثل خير الله طلفاح المشهور ببذاءه اللسان وسوء الخلق والتربية بأن عمـاش (بـصقة عـراقية) ، وكان موضع شك وريبة فقد ذكره الجميع ممن كتب مذكراته من قيادات البعثيين كونه رجلاً مشكوكًا في إخلاصه للعراق ، ولكنه صار من خلال هذا الشك وزيرا للدفاع ووزيرا للداخلية ونائباً لرئيس الوزراء وسفيرا ، وتعكزت ابنته على الـشكوك والأسرار التي احاطت حياته ومست وطنيته لتصير عضوة في القيادة القطرية في العراق .

مـات عماش بعد أن مات محمد المهداوي ورحل قبلهما بيل ليكلاند ليدفنا معهما سر علاقـة أفتـضحت لجمـيع القـيادات البعثية وعرف الجميع بها وتستروا عليها أو حاولوا تغطيتها عن اعين الناس ، أو غضوا النظر عنها مع علمهم جميعاً بأن المهمة المناطة بصالح مهـدي عمـاش ومحمد المهداوي هي مهمة تجسسية لصالح المخابرات الأمريكية كجزء لا يتجزأ من عملية القطار الأمريكي في العراق .

علاقة العراق الخاصة مع الولايات المتحدة

إن تجـربة البـناء الـوطني وتحقـيق الاسـتقلال الـسياسي والاقتصادي التي تبنتها قيادة الحـزب والـثورة في القطـر العـراق وابـتداء مـن السابع عشر ـ الثلاثين من تموز ١٩٦٨ ، ولغايـة احتلال العراق، على الرغم من كل ما رافقتها من أخطاء وإخفاقات وسلبيات، تبقى تجربة رائدة وفريدة وفقا لكل المعايير التاريخية والموضوعية،
تجـربة تـستحق الـتامل والدراسة، وتستحق الإعجاب والثناء، وقطعا تستحق أن يفتخر بها البعثيين والعراقيون المخلصين لتربتهم وانتمائهم الوطني والقومي .

تهـدف هـذه المـساهمة إلى تقـديم عـرض موجـز للمنجـزات السياسية والاقتصادية والاجتماعـية الـتي حققهـا حـزب البعث العربي الاشتراكي منذ استلامه مسؤولية قيادة الدولـة والمجـتمع في العـراق عام ١٩٦٨ ، ولغاية الاحتلال الأمريكي ـ الإيراني المزدوج للعـراق ربـيع عـام ٢٠٠٣ ، بالإضـافة إلى الـتوقف أمـام المهمات النضالية الجديدة التي فرضـها الاحتلال، والدور الكبير للحزب ومقاتليه في المقاومة والتحرير . و قبل الدخول في صلب الموضوع نرى من المفيد تثبيت النقاط التالية :

المبحث الثاني

١٩٦٨ إلى ١٩٨٨

العلاقات الخارجية

سعى صدام حسين أن يلعب العراق دورا رياديا في الشرق الأوسط. فوقع العراق اتفاقية تعاون مع الاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٢، وأرسل للعراق أسلحة وعدة آلاف من الخبراء. ولكن الإعدام الجماعي للشيوعيين العراقيين عام ١٩٧٨ وتحول العلاقات التجارية إلى الغرب وتّر العلاقات مع الاتحاد السوفيتي واتخذ العراق منحى أقرب إلى الغرب منذ ذلك الحين وحتى حرب الخليج عام ١٩٩١.

قام صدام بزيارة إلى فرنسا عام ١٩٧٦، مؤسسا لعلاقات اقتصادية وطيدة مع فرنسا ومع الدوائر السياسية المحافظة هناك. قاد صدام المعارضة العربية لتفاهمات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩. وفي ١٩٧٥ تفاوض على تفاهمات مع إيران اشتملت على تنازلات بخصوص الخلاف الحدودي، وبالمقابل وافقت إيران على التوقف عن دعم المعارضة الكردية في العراق.

أطلق صدام مشروع التقدم النووي العراقي في الثمانينات من القرن الماضي، وذلك بدعم فرنسي. واسمى الفرنسيون أول مفاعل نووي عراقي باسم أوسيراك، إله الموت المصري القديم. وتم تدمير المفاعل بضربة جوية إسرائيلية، بحجة ان إسرائيل شكت في أن العراق كان سيبدأ إنتاج مواد نووية تسليحية.

بعد المفاوضات العراقية الإيرانية واتفاقية عام ١٩٧٥ مع إيران، أوقف الشاه محمد رضا بهلوي الدعم للأكراد، الذين هزموا بشكل كامل. منذ تأسيس العراق كدولة حديثة عام ١٩٢٠، كان على العراق التعامل مع الانفصاليين الأكراد في الأجزاء الشمالية من البلاد. وكان صدام قد تفاوض ووصل إلى اتفاق في ١٩٧٠ مع القادة الانفصاليين الأكراد، معطيا إياهم حكما ذاتيا، ولكن الاتفاق انهار. وكانت النتيجة قتالا قاسيا بين الحكومة والجماعات الكردية وصل لحد قصف العراق لقرى كردية في إيران مما جعل العلاقات العراقية الإيرانية تسوء.

الحرب العراقية الإيرانية

اندلعت في إيران ثورة شعبية قادها الأمام الخميني نجحت في الإطاحة بنظام حكم الشاه وإعلان إيران جمهورية إسلامية، وقد أبدى الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا تخوفهم من هذه الثورة ورغبوا في القضاء عليها، وكذلك أبدى صدام قلقه من احتمال امتداد تأثيرها إلى داخل الأراضي العراقية خاصة وسط الشيعة والأكراد.

قرر صدام الدخول في حرب ضد نظام الحكم الجديد في إيران، ومن ثم ألغى الاتفاقية الخاصة بشط العرب، ثم كانت الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثمان سنوات (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨) والتي قتل خلالها أكثر من مليون شخص من الجانبين وقدرت الخسائر المباشرة وغير المباشرة لهذه الحرب بعدة مليارات من الدولارات (٨٠٠ مليار دولار تقديرات غير رسمية) هذا غير ما خلفته هذه الحرب وراءها من مئات الآلاف من الأسر التي فقدت عوائلها وكذلك مئات الآلاف من الأسرى والجرحى والمعاقين إضافة إلى اقتصاد منهك وآثار للدمار في كل مكان.

علاقته بالولايات المتحدة آنذاك

كانت العلاقة بين الولايات المتحدة والعراق إبان الحرب العراقية الإيرانية في أفضل حالتها خاصة في ظل إدارة الرئيس رونالد ريغان، والسبب في ذلك يرجع إلى أن الولايات المتحدة أردات في تلك الفترة أن يلعب العراق دور المقيد للنفوذ المتنامي لإيران وثورتها الإسلامية التي قضت على حكم الشاه أقرب حلفائها في المنطقة، ويضاف إلى ذلك السبب خوف الولايات المتحدة على مصادر النفط خاصة في السعودية والكويت من أن تؤدي تلك الثورة إلى زعزعة أنظمة الحكم في دول الخليج عامة وفي هاتين الدولتين على وجه الخصوص.

أما صدام حسين فقد كانت له مصالحه الخاصة آنذاك في مد جسور التعاون مع الولايات المتحدة، فقد كان هو أيضا يخشى على سلطته من امتداد أفكار الثورة الإيرانية خاصة في أوساط الشيعة والأكراد.

ولذا كان من أهم ما فعلته الإدارة الأمريكية عام ١٩٨٢ أن رفعت وزارة الخارجية بها اسم العراق من قائمة الدول الراعية للإرهاب لكي تتمكن واشنطن قانونا من تزويد بغداد بالسلاح والاعتمادات الزراعية ووسائل الدعم الأخرى في حربه على إيران.

كـذلك قـبلت إدارة الرئيس ريغان إصرار العراق على أن الغارة الجوية العراقية، عام ١٩٨٧، والتي تسببت في مقتل ٣٧ بحارا أمريكيا على متن الفرقاطة يو إس إس ستارك، كانـت حادثـا عرضـيا وتغافلـت عـن اسـتخدام صدام للأسلحة الكيميائية ضد القوات الإيرانية وضد الأكراد العراقيين خلال حملة الأنفال المشهورة.

وتـشير صـحيفة واشـنطن بوسـت إلى أنـه أثـناء مراجعة كم كبير من وثائق الحكومة الأمـريكية، الـتي أطلـق سراحها مؤخرا، كشفت عن قيام إدارتي الرئيس ريغان وبوش الأب بموافقـتهما علـى تـزويد العراق بدعم استخباراتي ولوجستي وإصدارهما الأوامر ببـيع مـواد للعـراق ذات استخدام مزدوج ـعسكري ومدنيـ والتي شملت مواد كيميائية وجرثومية، بل وحتى الجمرة الخبيثة والطاعون.

ملامح الاستراتيجية الأمريكية تجاه العراق

إن ملامـح المـشروع الأمريكـي في العراق برزت بشكل واضح في أواخر السبعينات، آنـذاك نفـض الـتراب عـن الملـف العراقـي مـن قـبل مراكز القرار الأمريكي ومراكز الدراسـات الاسـتراتيجية في الجامعـات الأمـريكية و دوائـر الأبحـاث القـريبة مـن البيت الأبيض.

إن سـقوط الشاه و التغيير الذي حدث في التوازن الاستراتيجي بمنطقة الشرق الأوسط في أواخر السبعينات، تلك الأحداث جعلت من ملف العراق على طاولة الرئيس كارتر في البـيت الأبـيض، و اسـتنفرت في حيـنها مراكـز الدراسـات الاسـتراتيجية في كيفـية الاسـتفادة مـن الملـف العراقي، و بالسيطرة على تداعيات سقوط شاه إيران، حيث كان يمـثل بالنـسبة لـصاحب القـرار الأمريكـي أحـد الركنين الإستراتيجيين في منطقة الشرق الأوسط إضافة إلى إسرائيل.

ومـن ذلـك الـوقت أصـبح الملـف العراقـي مـن الملفـات المهمـة في البـيت الأبـيض واسـتخدمت إسـتراتيجيات مختلفة مـنذ أن سقط شاه إيران و حتى سقوط صدام ولهذا لابـد مـن دراسة الاستراتيجية الأمريكية ضد العراق لعدة مراحل، كل مرحلة كانت لها إسـلوبها الخـاص في التعامل الأمريكي مع العراق و هي كالتالي: المرحلة الأولى (حرب الخليج الأولى)

- المرحلة الثانية (حصار قوة توازن الرعب والاستعدادات للحرب الشاملة)

• المرحلة الثالثة : حرب الخليج الثانية و قرارات هزيمة العراق
• المرحلة الرابعة : (سياسة الاحتواء المزدوج و الحملات التأديبية)
• المرحلة الخامسة : ارتباط العراق في ملف الإرهاب
• المرحلة السادسة : ١١ سبتمبر و التغيير في الاستراتيجية الأمريكية ضد العراق
• المرحلة السابعة : مقدمات حرب العراق
• المرحلة الثامنة : مرحلة استثمار سقوط العراق
• المرحلة التاسعة : مشروع الاحتلال الأمريكي
• المرحلة الأخيرة : أهداف المشروع الأمريكي
• **المرحلة الأولى(مقدمات حرب الخليج الأولى)**

بعد سقوط الشاه و نجاح الثورة الإسلامية في إيران و تمكنها من تشكيل الدولة الإسلامية وظهور معالم سياساتها الخارجية، شكل هذا التغيير اختلالاً في التوازن الإستراتيجي ضد وجود دولة إسرائيل، إضافة إلى أنه شكل انبثاق الوجود الإسلامي في إيران و ظهور الصحوة الإسلامية عند التيار الثوري بالمنطقة بكل أشكاله السياسية من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين . مما جعل اللوبي اليهودي يسارع بالضغط على مركز القرار الأمريكي و دوائر الأبحاث الاستراتيجية القريبة منه في رسم سياسة جديدة للمنطقة، وبالفعل توعد بريجسنكي مستشار الأمن القومي في رئاسة كارتر لوضع ملف باسم(ملف الانتقام من إيران)، و كان أفضل من يدير هذا الملف، هو العراق لوقف تداعيات الخلل الإستراتيجي، وكانت أهم الخطوات التي حدثت في الملف العراقي هي في تأهيل القيادة العراقية آنذاك و في وقف تداعيات انتصار الثورة الإسلامية في إيران و امتدادها إلى دول الجوار و خصوصا بالعراق .

و أهم الخطوات التي حدثت في تأهيله هي :

تغيير القيادة العراقية : بعد أشهر قليلة من سقوط الشاه، حدث أول تغيير في المنطقة وهو تغيير القيادة العراقية في ١٦ تموز ١٩٧٩ و استلام صدام الحكم لرئاسة العراق و لم يكتف بالتغيير فقط بالرأس الهرمي بل شمل التغيير كل أركان مؤسسات الدولة العراقية من قيادات الحزب بإقصاء ٥٦ من قيادات الحزب آنذاك و شمل التغيير أيضا قيادات الجيش و البدء بتكوين المؤسسات الأمنية و المخابراتية و أعداده للمهمة الجديدة . وأول عمل قررته القيادة الجديدة هو بالتلميح لأهمية الشروع بإعادة العلاقات الأمريكية، بعد

إعـلان مـن صدام في زيارة له إلى أهوار، وفي مقابلة له إلى مجلة (ألف باء) العراقية، و في حيـنها شـرع بتـسخين ملـف العلاقـات العراقية الأمريكية و نشطت الحركة التجارية في أواخـر ١٩٧٩ و الأشـهر الأولى لـسنة ١٩٨٠ حـيث بلغـت اسـتيرادات العـراق مـن الـولايات المـتحدة الأمـريكية ٢,١٨٨ مليون دولار و على سبيل المقارنة، لـم تكن قيمة استيراداته للفترة ذاتها، عام ١٩٧٩ سوى ٢,٩٩ مليون دولار (الأنباء الكويتية ٧/١١/ ١٩٨٠) وفي نفـس الـوقت سـخن ملـف توتير العلاقات العراقية الإيرانية، اعتداءات حدوديـة حـيث بلغت حسب تقارير الأمم المتحدة بين الطرفين ٢٩٨ اعتداء بين الطرفين مـا بين نيسان ١٩٧٩ إلى أيلول ١٩٨٠(٢٣٤ اعتداء عراقي ضد إيران مقابل ٦٤ اعتداء إيرانـي ضـد العـراق)، صـاحب هـذا التوتـر الحدودي توتر إعلامي في الجرائد العراقية وتصعيد في لهجة الخطاب الرسمي فمثلا خطب الرئيس السابق صدام في ٨ شباط ١٩٨٠ حيـث بـدا يتحدث عن (خطر الرياح الصفراء و السوداء) وتحدث عن تكرار القادسية وبـدأ الإعـلام العراقـي يـتحدث عـن تلك المعركة وضرورة إعادة ملامحها و دشن مجمع بانوراما القاديسية في تموز ١٩٨٠

حرب الخليج الأولى

بدأت الحرب العراقية الإيرانية: في أواخر عام ١٩٨٠،و قرر صدام إلغاء معاهدة الجزائر في عام ١٩٧٣، و إعلانه بالبدء في دخول القوات العراقية للأراضي الإيرانية و الشروع بحرب، استمرت حتى آب عام١٩٨٨، دخلت العلاقات العراقية الأمريكية مرحلة جديدة بعد نشوب الحرب، و أصبحت تلك العلاقات تأخذ درجة تطورها مع تطور الحرب، و تغيير ميزان القوى في ساحات المعارك، ولكن أول لقاء دبلوماسي تم بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٨٠، حيث اجتمع وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكي مع وزير خارجية العرق آنذاك سعدون حمادي ،وصرح الوزير الأمريكي (بأن بلاده ستبقى على اتصال مستمر بالعراقيين وشدّد في الأثناء على تصميم واشنطن في الدفاع عن الأصدقاء) (عن جريدة السياسة الكويتية بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٨٠) و لكن رغم اتصال المستمر بين الطرفين ألا أن العلاقات الرسمية لم تعد إلا بتاريخ في ٢٦ / ١١ / ١٩٨٤ وفي تشرين ١٩٨٠ اشتركت لأول مرة الشركات الأمريكية و البريطانية في معرض بغداد الدولي و أصبح التعاون التجاري في ذروته عندما تغير ميزان القوى لصالح إيران في عام

١٩٨٢ وذلك حين حصلت هزائم في الجيش العراقي حينها تم تطبيق نظرية (بريجسنكي) مستشار الأمن القومي ألا وهي نظرية (أنظمة الدفاعات الإقليمية) و التي هي عبارة عن اتفاقيات أمنية شاملة و تحالفات عسكرية إقليمية وإعداد قوات عسكرية للتدخل في الحالات الاضطرارية . وشهد شباط ١٩٨٢ نشاط أمريكيا واضحا بالعلاقات مع العراق فقد زارها كل من وزير الدفاع الأمريكي (كاسبر واينبرغر) ووزير الخارجية السابق (الكسندر هيغ) ورئيس لجنة العلاقات الخارجية للكونغرس الأمريكي(جارلس بيرس)

لكن اكثر مرحلة تطورت هي فيها العلاقات الأمريكية العراقية هي في رئاسة ريغان وعندما تسلم (رامسفيلد) وزارة الدفاع و كان يقول بان له الفضل في تطور العلاقات الأمريكية العراقية،وقد نشر إبراهيم غرايبة في كتابه حرب أل بوش عن هذا الموضوع (وكان أكثر المسؤولين الأمريكيين حماسا لنظام الحكم في العراق عام ١٩٨٢ هو دونالد رمسفيلد الذي كان وزيرا للدفاع قبل إن يتولى الوزارة مرة أخرى في عهد بوش الابن، وقد سافر في مارس/ آذار ١٩٨٣ إلى بغداد لترتيب تزويد العراق بالأسلحة الكيماوية والتجهيزات العسكرية المتطورة. وتطورت العلاقات الأمريكية العراقية إيجابيا منذ عام ١٩٨٢ حتى إن رمسفيلد قال في مقابلة صحفية مع شيكاغو تريبيون عام ١٩٨٤ إن أكثر عمل يعتز به هو إعادة وتطوير العلاقات الأمريكية العراقية.

وكشف الصحفي الأمريكي بوب وودورد عام ١٩٨٦ أن CIA قدمت عام ١٩٨٤ للعراقيين معلومات استخباراتية وصورا من الأقمار الصناعية ساعدت في تسديد عمليات القصف العراقي على إيران. وقد تدخل بوش نائب الرئيس ريغان عام ١٩٨٤ لدى بنك إكسبورت إمبورت كي يمول مشروع خط أنابيب عراقي آمن للنفط يكون بديلا للخط الرئيس المهدد من إيران. وقد نفذ المشروع شركة بكتل التي كان يرأس مجلس إدارتها جورج بوش والذي عمل وزيرا للخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٨٢، وكان البنك قد رفض في البداية تمويل المشروع لضخامة المبلغ (مليار دولار) ولضعف ضمانات التسديد. وقدمت الولايات المتحدة بين عام ١٩٨٣ وعام ١٩٩٠ قروضا لتمويل منتوجات زراعية موردة إلى العراق قيمتها خمسة مليارات دولار وبأسعار مدعومة من الدولة الأمريكية وبكفالتها

و بالفعل بفضل هذه العلاقة استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحفظ التوازن في الحرب العراقية الإيرانية وتنهي تلك الحرب في ١٨ تموز ١٩٨٨ بعد هدنة اقترحتها

الأمـم المـتحدة و في ٢٠ اب أعلن وقف إطلاق النار بشكل رسمي وحسب تقرير bbc (بلغـت الخـسائر ٤٠٠ ألـف قتـيل ٧٥٠ ألـف شـخص مـصاب مـن الجانبين والخسائر الاقتـصادية ٤٠٠ مليار دولار) أن الاسـتراتيجية الأمـريكية علـى ضـوء الحرب العراقية الإيـرانية رسمت صورة جديدة للمنطقة الشرق الأوسط ساهمت بشكل كبير في الصراع للمـراحل التالية مما مهد للدخول في مرحلة جديدة للاستراتيجية الأمريكية مع العراق و كان أهم ملامح تلك الصورة هي كالتالي :

١ـ تم و ضـع حجـر الأساس لنظرية بريجنسكي (أنظمة الدفاعات الإقليمية) و التي ترتكـز علـى توقـيع تحالفـات أمنية و عسكرية مع دول المنطقة . مع بوادر انتشار للقوات التدخل السريع في حسم التوترات بالمنطقة .

٢ـ الـدعم العـسكري للعـراق في حـربه علـى ضوء الاستراتيجية الأمريكية في تلك المرحلة مكن بروز قوة عسكرية ضخمة للبلد من قوة بشرية و تقنيات عسكرية و خبرات و أسـلحة استراتيجية مما أثر في التوازن الإستراتيجي مع إسرائيل مما أثار الرعب في مراكز الدراسـات الاسـتراتيجية و القـريبة مـن اللوبـي الـيهودي الذي أطلق عليه في حينها بما يسمى (توازن الرعب) .

٣ـ الـتعاون وثـيق للاسـتراتيجية العـسكرية الأمـريكية مع باكستان و المجاهدين في أفغانـستان في الحـرب ضـد الاتحـاد الـسوفيتي و الـتمكن من هزيمته و انتصار المجاهدين الأفغان والعرب وبروز دولة طالبان في أفغانستان .

٤ـ ولادة الحـركات الإسـلامية الجهاديـة في أفغانـستان مـثل حركة طالبان و حركة الأفغان العرب التي كونت بعد ذلك تشكيل القاعدة اصطلح عليها آنذاك(الجبهة العالمية لمحاربة الصهيونية .)

٥ـ عـودة المجاهدين العرب (الأفغان العرب) من أفغانستان و تحركهم في بناء قواعد لهـم داخـل أوطـانهم و الـبدء بالعمـل الجهادى ضد أنظمة المنطقة مثل مصر و الجزائر و غيرهـا مـن الـبلدان ممـا شكل ظهور البوادر الأولى في صراع تلك الحركات مع الولايات المتحدة الأمـريكية بعـد ان كانـت مـتحالفة معهـا في أفغانـستان في حـربهم ضد الاتحاد السوفيتي .

ولكـي تتـضح صـورة فـيما يسمى بتوازن الرعب للقوة العسكرية في العراق لابد من معـرفة حقـيقة تلـك القـدرة العـسكرية العـراقية و خرقها للتوازن الإستراتيجي بالمنطقة والذي هو موضح في الجدول أدناه :

البيان	عام ١٩٨٠	عام ١٩٩٠
التعداد العام ـ نسمة	١٢٤٧٠٠٠٠	١٧٨٠٠٠٠٠
القوات المسلحة ـ أفراد	٢١٢٠٠٠	١ مليون
نفقات الدفاع ـ دينار	٤٩١,٥ مليون	١٢,٩ مليار
القوات البرية ـ أفراد	١٨٠٠٠٠	٩٥٠٠٠٠
القوات البحرية ـ أفراد	٤٠٠٠	٥٠٠٠
القوات الجوية ـ أفراد	٢٨٠٠٠	٤٠٠٠٠
الاحتياط ـ أفراد	٢٥٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠
دبابات ـ قطع	١٧٠٠	٥٥٠٠
عربة مدرعة ـ قطع	١٥٠٠	١٠٠٠٠
مدافع ميدان ـ قطع	٣٥٠٠	٨٠٠٠
قاذفات صاروخية ـ قطع	ـ	٥٠٠
مدافع مضادة للطائرات	١٢٠٠	٣٠٠٠
قطع بحرية ـ انواع	٣٥	٥٥
مقاتلات وقاذفات	٢٧٧	٦٠٠
صاروخ سكود بي ٣٠٠ كلم	ـ	٢٠٠
صاروخ العباس ٨٥٠ كلم	ـ	٤٠

العلاقات العراقية الأمريكية قبل حرب الخليج الثانية

شـهدت العلاقـات العراقية الأمريكية علاقات باردة حيث كان للعراق علاقات قوية مـع الاتحـاد الـسوفيتي حـيث وقـع معاهـدة الصداقة مع السوفييت في ٩ نيسان ١٩٧٢ . وكانـت للـولايات المتحدة تحفظات على العراق بسبب موقف العراق من إسرائيل ودعم العراق لمجموعة ابو نضال الفلسطينية والتي كانت تعرف بفتح المجلس الثوري أو منظمة أبو نضال. والتي كانت على قائمة الخارجية الأمريكية للمجموعات الإرهابية .

بعـد اندلاع الحرب العراقيةـالإيرانية التزمت الولايات المتحدة الأمريكية موقفا حياديا في بدايـة الحـرب إلا أن هـذا الموقـف تغـير في عـام ١٩٨٢ مـع إحـراز إيران لانتصارات عـسكرية واسـترجاعها لجمـيع الأراضـي الـتي توغل بها الجيش العراقي في بداية الحرب العراقيةـالإيرانية .

كانـت للـولايات المتحدة الأمريكية مخاوف من فكرة "تصدير الثورة الإسلامية" فقام مـبعوث البـيت الأبيض، دونالد رامسفيلد بلقاء الرئيس العراقي صدام حسين مرتين في ١٩ ديسمبر ١٩٨٣ و ٢٤ مارس ١٩٨٤ ومن الجدير بالذكر أن ٢٤ مارس ١٩٨٤ موعد اللقـاء الثانـي بـين رامـسفيلد و صـدام حـسين هـو نفس اليوم الذي أصدرت فيه الأمم المتحدة بـيانا يـشجب فـيه اسـتعمال العـراق للأسـلحة الكيمياوية في الحرب وقد قامت الـولايات المتحدة الأمريكية بتزويد معلومات استخبارية عسكرية وخرائط جوية للعراق وفي نفـس الوقت كانت تقوم بتسليح إيران بصورة غير مباشرة عن طريق صفقة الأسلحة المعروفة بتسمية فضيحة إيرانـكونترا وقد أظهرت تقارير من المخابرات الأمريكية تم رفع الـسرية عـنها مؤخـرا ﴿٦﴾ أن الـولايات المـتحدة كانت في مصلحتها إطالة أمد الحرب والحيلولة دون إحراز إيران على نصر عسكري في الحرب .

اسـتعملت الإدارة الأمـريكية الفـرع الأمريكـي لأكـبر البـنوك الإيطالية في الولايات المـتحدة الأمـريكية والـتي كـان مقـره مدينة أتلانتا عاصمة ولاية جورجيا لتحويل مبالغ قـدرها ٥ مليـار دولار إلى العراق من عام ١٩٨٥ إلى ١٩٨٩ . ساهمت الولايات المتحدة ببـناء الترسـانة العـراقية مـن الأسـلحة الكيمـياوية عـن طـريق تزويد العراق بمواد "ذو استخدام مزدوج" مثل عينات ضخمة من الإنثراكس والكلوستريدا والهستوبلازما وهي جمـيعها جـراثيم خطـيرة جـدا. وكانـت هـذه المبالغ تـصرف من ميزانية وزارة الزراعة الأمـريكية بنـسبة قـدرها ٤٠٠ مليون دولار في السنة بدءا من عام ١٩٨٣ ثم ازدأدت إلى

ملـيار دولار في السنة من١٩٨٨ إلى ١٩٨٩ وكانت آخر دفعة في عام ١٩٩٠ وكانت تقدر بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار. بقيت العلاقات العراقيةـالأمريكية جيدة إلى اليوم الذي اجتاح فيه الجيش العراقي الكويت.

الاستراتيجية الأمريكية والعراق وتحول جديد مع جيمي كارتر

وضـعت الاسـتراتيجية الأمـريكية الجديـدة عام ١٩٧٨ أيام الرئيس الأمريكي جيمي كارتـر أشـترك معـه في وضـع هـذه الـسياسة هنـري كيسنجر وبريجينسكي وبوش الأب ورامـزي كلارك. حددت هذه الاستراتيجية عشرة نقاط لها لابد من تنفيذها ضد الاتحاد الـسوفيتي للسيطرة على السياسة العالمية (انظر كتاب الاستراتيجية الأمريكية الصادر عن مركـز دراسـات الـوحدة العربية ١٩٨٢). ضمن الفقرات التي وردت في النقاط العشرة واجـبات يجـب على أوروبا الالتزام بها وكذلك الدول الصديقة والمجاورة للمناطق التي سوف تدخل في الصراع، قال كارتر في هذا المجال على أوروبا أن تتحمل مسؤولياتها في المحافظـة علـى المـصالح الغـربية وان لا تقـف وتـستخدم العصى (ويقصد أمريكا) متى شـاءت ضـد الـدول النفطـية. كمـا أكـد كارتـر على ضرورة مواجهة الاتحاد السوفيتي عـسكريا إن تطلـب الموقـف ذلك ولندع العالم يعتقد بعقدة فيتنام عند الأمريكان ولكننا سنقاتل.

اعتمدت كذلك هذه الاستراتيجية في فلسفتها على نظرية العامل الرياضي واعتباره مقياس للطاقة (Entropy) وهذا ما جاء به أحد أعضاء اللجنة الاقتصادية المصغرة جيرمي ريفكن التي تخطط لاقتصاد أمريكا لمدة ٢٥ عام ابتدأت من عام ١٩٧٨ ولغاية ٢٠٠٣، حيث وضع جيرمي ريفكن أفكاره التي وردت في هذا المخطط في كتاب عنوانه (Entropy and the New World View) شارحا ما يجب أن يكون عليه الاقتصاد الأمريكي والاقتصاد العالمي ومبررات بناء الاقتصاد الأمريكي الجديد مرتكزا على نظرية الأنتروبي. وذكر في مبررات بناء الاقتصاد الأمريكي الجديد أن الشعب الأمريكي الذي عاش عقوداً في بحبوحة من العيش لا يمكنه ان يرى عماله اليوم يعيشون دون مستوى معيشتهم بسبب تهديد دول العالم الثالث. وللتعبير عن هذا المبرر ذكر بأن هناك أغنية بدأت تتردد في الوسط الأمريكي عام ١٩٧٩ تقول هذه الأغنية (لا خام لا طعام، No Crude No Food) وهنا يفسر جيرمي ريفكن معنى هذه الأغنية أن على الدول المعنية ان تواجه خطر الجوع ان هي رأت أن تتحكم بالنفط الخام، وإن أي رئيس يقود هذه الدول يقفز على هذا النص، غبي.

تتويجا لهذه الاعتبارات والمبررات وضعت الاستراتيجية الأمريكية مخططاتها لتنفيذ أهدافها السياسية والاقتصادية وبرزت إحدى خططها للسيطرة على مناطق تواجد النفط تحت اسم المصيدة (Wire Trap) عام ١٩٧٩ . تنص هذه الخطة على إخضاع الدول ابتداء من أفغانستان وباكستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان والأردن وإسرائيل والسعودية ومصر إلى النفوذ الأمريكي. هذا الإخضاع يتم بايجاد حكومات تتحالف مع الولايات المتحدة مهمتها حماية المصالح الأمريكية المتمثلة بتوفير مصدر الطاقة النفط.

يأتي السؤال هنا لماذا تخطط الولايات المتحدة الأمريكية لمثل هذا المخطط ؟ ان الجواب على هذا السؤال يعيدنا إلى التقارير التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تتناول قدرة أمريكا على إنتاج النفط وحاجة الاقتصاد الأمريكي للطاقة. وقبل التطرق إلى هذه الدراسات نعرف القاريء بمصطلح (قمة الإنتاج النفطي، Oil Peak) الذي يمثل أقصى قيمة إنتاج يصل إليها البلد المنتج للنفط اعتمادا على مخزونه الإستراتيجي. على ضوء هذا التعريف جاءت اول دراسة للعالم الجيوفيزيائي هبرت Hubbert عام ١٩٥٦ التي تنبأت بوصول الولايات المتحدة الأمريكية إلى قمة الإنتاج النفطي لها عام ١٩٧٠ . تبعت هذ الدراسة دراسات أخرى حددت عام ١٩٧٣ بدلا من عام ١٩٧٠ هذا الموضوع يوضح بشكل جلي ان أمريكا تواجه انخفاضًا في مصدر الطاقة المنتجة في بلادها ولابد من تعويضه من البلدان المنتجة الأخرى. خاصة وأن جميع الأبحاث التي أجريت لإيجاد بدائل للطاقة بعد قطع النفط عام ١٩٧٣ باءت بالفشل وخلصت أن لا بديل للنفط كمصدر للطاقة. من هنا جاءت أهمية التخطيط للاستيلاء على منابع النفط ومنع الدول الكبرى الأخرى من السيطرة عليه أو من قبل البلدان المنتجة ومن ثم التحكم في الاقتصاد الأمريكي. ومما زاد في التركيز على هذه الأهمية قيام فريق من جامعة ابسالا بالسويد بدراسة (قمة الإنتاج النفطي) لجميع الدول المنتجة خلص إلى تحديد وصول الإنتاج العالمي إلى قمته بين عام ٢٠٠٤ إلى عام ٢٠٠٨ (دراسات أخرى حددت عام ٢٠٠٢) . . هذا إضافة إلى ان حاجة الولايات المتحدة الأمريكية من النفط عام ٢٠١٠ ستبلغ عشرة ملايين برميل يوميا. الآن يمكننا ان نتصور لماذا وضعت النغمة (لاخام لا طعام) التي أوردها اليهودي جيرمي رفكن في كتابه عن رؤيته للعالم الجديد.

النفط فى حسابات العلاقات العراقية الأمريكية

إن الأطماع الأمريكية في العراق قديمة قدم اكتشاف النفط في المنطقة حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتنافس مع إنكلترا للحصول على امتياز التنقيب واستثمار النفط منذ ان أكتشف النفط لأول مرة في إيران. إلا أن الدور الأمريكي في التدخل في شؤون البلدان المنتجة للنفط لم يكن قد بلغ الصيغ التي يستخدمها الآن والتي تدفع بها اليهودية التلمودية.

وكعادة إسرائيل في وضع خدماتها لكل مخطط يستهدف المنطقة فقد شرعت إلى تطوير خطة المصيدة إلى مشروع الشرق الوسط الكبير هذا المشروع الذي طور منذ عام ١٩٤٧ وقدم إلى باراك من قبل بول ولفتز عام ١٩٩٦ ليقدمه بنفسه. إلا ان الوضع السياسي الدولي حينها لم يمكنه من طرحه وقدمه شارون إلى بوش ليكون مشروعا دوليا تتبناه القوة الأمريكية. جاء في هذا المشروع هدفان: الأول جعل إسرائيل قوة إقليمية في المنطقة. ثانيا، تجزئة جميع الدول المحيطة بإسرائيل إلى دول طائفية ومذهبية تعادي الواحدة الأخرى وتحتكم إلى إسرائيل في منازعاتها. كما رسم هذا المشروع في حالة فشل تجزئة العراق خارطته الجديدة ضمن مملكة هاشمية تكون قادرة على استيعاب الفلسطينيين الذين ستقوم إسرائيل بتهجيرهم ومنهم عرب ١٩٤٨. لذلك نرى اليوم عمليات الهدم ونسف المنازل كخطوات أولية تمهد للمشروع بعملية التهجير الجماعية. ومدت إسرائيل مدى نفوذها ضمن هذا المشروع إلى أفغانستان وجنوب شرق آسيا.

ولغرض تحقيق هذه الأهداف أختار المشروع دولتين عزيزتين على إسرائيل هما تركيا والأردن واعتبرهما حليفتين لابد لهما من المشاركة، وكان ذلك، إذ إن الموقف التركي والأردني من الحرب على العراق لا يختلفان وهما ينسقان الأدوار في كل صفحات الصراع.

لقد عمل ما يسمون أنفسهم بالمحافظون الجدد زعماء التلمودية اليهودية والذين يسيطرون اليوم على دوائر وزارة الدفاع والإعلام والبيت البيض وحتى على القضاء الأمريكي، على وضع السباب الدينية والاقتصادية لإقناع الشعب الأمريكي بمبررات الحرب. ففي مجال الإعلام، استطاعت وزارة الدفاع إلغاء إذاعة صوت أمريكا التي لا تسيطر عليها وإبدالها بإذاعة سوا وإنشاء قناة فضائية سميت بالحرة. هذا إضافة بسط النفوذ على جميع الصحف الأمريكية الشائعة الانتشار.

وفي المجال الاستخباري رأى رامسفيلد أن جهاز المخابرات لا يزوده بنفس التقارير التي ترفع إلى البيت البيض إضافة إلى حجب البعض منها. بادر إلى تطويق هذه الخطوة بإنشاء جهاز خاص بوزارة الدفاع سماه جهاز العمليات الخاصة (SOP، Special Operation Plane) يقوم هذا الجهاز بتزويد البيت البيض بالمعلومات الاستخبارية المنافسة لجهاز المخابرات (CIA). ألغى رامسفيلد هذا الجهاز بعد فضيحة سجن أبو غريب حتى لا يخضع للمساءلة ويكتشف بعض ما كان يدبر بواسطة هذا الجهاز.

هذه عينات لما تم اتخاذه من إجراءات، إذ إن البعد الديني التلمودي المستند على نبوءات آخر الزمان هو الجهاز المحرك لجميع الأفكار والخطط التي يقدم عليها هؤلاء اللذين يسيطرون على السياسة المريكية في يومنا هذا. وقد جاء في بعض التقارير التي تناولت أسباب الحرب على العراق، أن الجانب الاقتصادي هو الذي عجل في شن الحرب. وان اليهودية التلمودية أعتبرته سببا لتوظيف القوة الأمريكية لخدمتها. تطرق هذا العامل إلى فشل التخمين الأمريكي لقدرة أفغانستان النفطية حيث قدر الخزين لنفط بحر قزوين بـ ٢٠٠ مليار برميل وهو بقدر الاحتياطي النفطي السعودي، حيث قرر الأمريكان على بدأ استخدام هذا المخزون مع حلول عام ٢٠١٠ ولكن جاءت الدراسات بعد احتلال أفغانستان لتبين ان المخزون النفطي ٢٠ مليار وليس ٢٠٠ كما ان حقل الغاز يحتوي على غاز قليل ورديء النوعية الأمر الذي أدى إلى إلغاء مشروع انبوب الغاز الذي حلمت به الشركات بعد أن وضعت له جميع التصاميم. من هنا جاء التحرك نحو العراق كهدف للتزود بالطاقة بدلا من أفغانستان (مبرر لاقناع الساسة الأمريكان بشن الحرب). ولم تترك أمريكا أفغانستان حتى لا تعلن عن أطماعها وهذا ما تحاول إسرائيل أن توظفه لصالحها للاحتفاظ بكل الأهداف دون ان تترك أفغانستان. وبذلك دفعت القوة الأمريكية إلى البقاء في هذا البلد والشروع بتنفيذ مخطط المصيدة بالأهداف الأمريكية والشرق الأوسط الكبير بالأهداف الإسرائيلية.

وثائق الإدارة الأمريكية تكشف مساعدة صدام في حربه مع إيران

أصدر الأرشيف الوطني الأمريكي عددا من الوثائق التي أفرجت عنها السلطات وسمحت بنشرها وتتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية واهتماماتها الدولية والإقليمية حيال العراق والقضية الفلسطينية وأفغانستان والصين وافريقيا وسياسات الردع الدفاعية، كما تتعلق ببعض العمليات الاستخباراتية وبرصد وتقديم شخصيات أجنبية

وبعض صحف دول المنطقة ومنها الصحافة المصرية . ويكتسب الاطلاع على هذه الوثائق وقراءتها أهمية كون هذه الوثائق تلقي الضوء على توجهات السياسة الأمريكية وتحولاتها، وعلى كيفية صناعة القرار، كما تكشف بعض التناقضات في السياسة الأمريكية وازدواجيتها . وتغطي الوثائق الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٤ وفترة رئاسة كل من ليندون جونسون وريتشارد نيكسون ورونالد ريجان وبوش الأب، وتوضح بعضاً من التباين بين الجمهوريين والديمقراطيين في إسلوب التعامل مع القضايا المطروحة، لكنها توضح في الوقت نفسه التزام الطرفين بالمصالح العليا للولايات المتحدة . كما توضح الوثائق أيضا ـوبعضها لم ينشر كاملاـ التناقض بين الخطاب الإعلامي الأمريكي الموجه إلى الدول العربية والإسلامية في بعض القضايا وبين السياسة الرسمية كما هي مسجلة في الوثائق، وبالتالي تكشف اندفاع الإعلام العربي وراء التقييم الأمريكي لهذه القضايا ثم شعوره بالصدمة حينما تكشف الولايات المتحدة وثائقها "الرسمية" على النحو البارز في التعامل مع القضية الأفغانية . العلاقات الأمريكية ـ العراقية تشير ثلاث وثائق أمريكية صادرة عن كل من البيت الأبيض ووكالة الاستخبارات ووزارة الخارجية وتغطي العام ١٩٨٣ إلى ازدواجية السياسة الأمريكية في العلاقة مع النظام العراقي آنذاك، وأن المصالح الأمريكية تشكل بؤرة الاهتمام في التعامل مع هذا النظام لاسيما فيما يتعلق بحربه ضد إيران وبالسماح لشركات أمريكية ذات طبيعة عسكرية بالعمل مع العراقيين لتحقيق مكاسب تجارية . كما توضح الوثائق الثلاث :

١ ـ ان الولايات المتحدة كانت تعلم بحيازة واستخدام النظام العراقي أسلحة كيماوية (في الحرب على إيران) وأن هناك تعاونا بين النظام العراقي وبعض المؤسسات الأمريكية التي لها فروع في بغداد، وبطبيعة الحال تعلم الإدارة الأمريكية الجمهورية برئاسة رونالد ريجان بذلك .

٢ ـ ان الإدارة كانت تخطط ـكما تشير الوثيقة رقم (١)ـ إلى التقرب المباشر من العراق للحد من استخدام العراق أسلحة كيماوية، الأمر الذي يثير التساؤلات حول أسباب عدم تنفيذ الإدارة هذه الخطة حتى غزا العراق الكويت عام ١٩٩٠ .

٣ ـ تجيب الوثيقة نفسها عن هذه التساؤلات بأشارتها إلى أن موقف العراق ـوقتهاـ في الحرب مع إيران غير جيد وتقترح مناقشة بعض الإجراءات التي يمكن اتخاذها لمساعدة العراق (في الحرب) .

٤ ـ ان جهود وضع حد للكيماوي العراقي كانت تتم في إطار مقايضة مساعدة العراق في الحرب.

٥ ـ برغم علم الإدارة الأمريكية باستخدام النظام العراقي أسلحة كيماوية إلا أنه كان هناك حرص على ما سمته الوثيقة بـ "الاحتفاظ بالمصداقية الأمريكية" عند التدخل لدى العراق لمعالجة هذا الموضوع!

٦ ـ وفي إشارة للمصالح التجارية، توضح الوثيقة الثانية الحرص على استمرار مبيعات السلاح الأمريكي للعراق واستعداد الشركات الأمريكية لاستبدال طائرات جديدة من طرازات حديثة بهليوكبتر قديمة.

٧ ـ برغم كل الظروف فإن الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب كان حريصا على تبادل خطابات التهاني مع الرئيس المخلوع صدام حسين.

وثيقة رقم (١)

وزارة الخارجية واشنطن في أول نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٣مذكرة معلومات من جوناثان تي هوإلى وزير الخارجية السكندر هيجال موضوع: استخدام العراق للأسلحة الكيماوية تلقينا مؤخرا مزيداً من المعلومات التي تؤكد استخدام العراق للأسلحة الكيماوية، كما نعلم أن العراق يمتلك مؤسسات بما فيها فروع لمؤسسات أمريكية، واستكمالا لسياساتنا للبحث عن استخدام الأسلحة الكيماوية أينما تظهر ندرس حاليا أكثر الطرق فاعلية للقضاء على استخدام العراق للأسلحة الكيماوية بما في ذلك التقرب المباشر للعراق كخطة أولى. ويطابق ذلك الطريقة التي تعاملنا بها مع الاستخدام الأولي للمعلومات عن الأسلحة الكيماوية من جنوب وسط آسيا وأفغانستان ومثال لذلك: الخطوات السياسية الجدية للفيتناميين والسوفييت، وكما تعلم فإن موقف العراق حاليا في حربه مع إيران (ربما يقصد الموقف العسكري) غير جيد، وبعد الاجتماع الأخير عن الحرب تم إرسال ورقة مناقشة إلى البيت الأبيض تحتوي على تحديد لبعض الإجراءات التي يمكن أن نتخذها لمساعدة العراق، ونقترح إضافة موضوع استخدام العراق للأسلحة الكيماوية إلى أجندة الاجتماع المقبل. وإذا تم اتخاذ القرار باتخاذ إجراءات لمساعدة العراق، فإن ذلك يعتبر أفضل فرصة لنا لوضع حد لاستخدام الأسلحة الكيماوية في العراق، وذلك قد يتطلب إبلاغ العراق بهذه الإجراءات. ومع ذلك فمن المهم أن نتقرب من العراق قريبا للاحتفاظ بمصداقية السياسة الأمريكية الخاصة بالأسلحة الكيماوية ولوضع حد لما يبدو أنه ـ في الأغلب ـ استخدام يومي للأسلحة الكيماوية من جانب العراق.

وثيقة رقم (٢)

وزارة الـدفاع مذكـرة مـن مكـتب مـساعد رئـيس المخابـرات إلى نائـب وزير الدفاع الموضـوع: فرص تملك محتملة١١ إبريل/ نيسان ١٩٨٣في إبريل/ نيسان، ١٩٨٣ تم عقد اجـتماع في أطلـنطس بـين كـارل ديـن بيري مساعد الرئيس التنفيذي لهيو هليوكبتر . . وحـضر الاجـتماع أحـد الفنـيين، لقـد قـام بـيري بزيارة العراق عدة مرات خلال العام الأخـير لبـيع هيو مدنية طراز ٣٠٠ و٥٠٠ لوزارة النقل العراقية، وخلال زيارته في شهر إبـريل/ نيسان ألمح لمسؤولين عسكريين عراقيين أنه من الممكن إستبدال طراز من طائرات الهليوكبتر

لـشراء ١٠٠ طائـرة طـراز هيو، ٥٠٠ وقد أوضح بيري (لهم) مزايا طائرات هيو. وثيقة رقـم (٣)البيت الأبيض من الرئيس جورج بوش إلى الرئيس صدام حسين إنه من دواعي سـرورنا أن نهنـئ ونقـدم أفـضل الأمنـيات بالـرخاء لمناسـبة العيد القومي لك ولشعب العـراق، كمـا أقـدم أملي العميق بأن يجد كل من إيران والعراق طريقة للتعامل الرسمي المحدود.

تحياتي جورج بوش

المبحث الثالث

١٩٩٠ إلى ٢٠٠٣

معالجة الخلل الإستراتيجي ومحاصرة قوة الرعب العراقية

كل المؤشرات أوضحت أن العقل الإستراتيجي الأمريكي هو في مرحلة صراع جديدة مع القيادة العراقية السابقة، على أثر الخلل الذي حدث في التوازن الإستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط، نتيجة نمو القوة العسكرية الهائلة للعراق، و كانت أهم الخطوات التي أتبعت من قبل العقل الإستراتيجي الأمريكي هو كالتالي :

١ . الهجوم الإعلامي و الحرب النفسية من قبل الصحافة الأمريكية و الغربية على النظام العراقي السابق و بالذات في قيادته المتمثل آنذاك في (صدام)، و ركزت على ديكتاتورية النظام و خطورة امتلاك قوة عسكرية ضخمة تحت تصرف نظام شمولي، إضافة تم التركيز على انتهاكات حقوق الإنسان في العراق حتى بلغت المواضيع التي نشرت على القيادة العراقية السابقة آنذاك خلال ثلاثة شهور من أواخر ١٩٩٠ ما يقارب ١٨٩ مقال، ولهذا تيقنت القيادة العراقية السابقة أنها في معركة جديدة عليها أن تستعد لها، و بالفعل حذر صدام أعضاء الكونكرس الأمريكي من الهجوم الإعلامي الذي يشن ضده، إضافة أنه وجه الدعوة إلى عقد مؤتمر للقمة العربية يناقش فيه الهجمة الإعلامية و السياسية ضد النظام السابق، حيث كان هذا المؤتمر القشة التي قصمت ظهر البعير، وذلك بظهور بوادر نار تحت الرماد سوف تستعر بين صدام و دول الجوار العربية، و اتضح من خلال هذا المؤتمر مدى الرعب الذي كان ينتاب الدول العربية من قوة الرعب العراقية.

٢ـ الحصار الاقتصادي من قبل الإدارة الأمريكية و التحالف الغربي، و مصادرة بعض الواردات العسكرية التي تساهم في نمو قوة الرعب للنظام و التي يمكن أن يستفيد منه في تطوير قوته العسكرية، حيث تم مصادرة شحنة بضائع من قبل المانيا، و تم مصادرة شحنة المدفع العملاق من قبل الإدارة البريطانية، إضافة إلى هذا استخدمت الإدارة الأمريكية في منع الصادرات إلى العراق تمثلت بالضغط على الشركات التي تتعامل معه لوقف ذلك التعامل، وبنشر قوات بحرية أمريكية في المياه الخليجية.

٣ـ تقنين قرارات دولية لحصار القيادة العراقية، وفي هذا المجال تذكر جريدة القدس العربي بتاريخ٢٦/ ٤/ ١٩٩٠ . (اتبعت الدول الأوروبية سياسات تنسجم وهذا التوجه الأمريكي وفي المجال ذاته دعا البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ بتاريخ ٥/ ٤/ ١٩٩٠

دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية إلى حظر فوري لتصدير أي معدات ضرورية لإنتاج أسلحة الدمار الشامل إلى العراق. كما دعا برلمان المجموعة الأوروبية أيضا الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة خافيير بيريز ديكويار إلى عقد اجتماع لمجلس الأمن الدولي ؛في أقرب مدة للرد على الأخطار التي يشكلها النظام العراقي على أمن العالم) . وفي ٧/ ١١/ ١٩٨٠ عقد مؤتمر في باريس للتخلص من الأسلحة الكيماوية و الجرثومية و التخلص نهائيا منها، و بالتالي تمت محاصرة العراق قانونيا و اقتصاديا و سياسيا و إعلاميا، وأدت هذه السياسة إلى أثارت حفيظة الرئيس السابق (صدام) مما استدعى منه في التفكير باستخدام وسائل جديدة لفك الحصار ضد قوة الرعب التي بناها :

١ـ التفكير في خطوات عملية لتقوية قوة الردع الإستراتيجي التي يمتلكها و استخدامها كورقة ضغط على صاحب القرار الأمريكي و الغربي، و كان أهم خطوة قام بها صدام إعلان غزوه للكويت في فجر الخميس الثاني من أغسطس سنة ١٩٩٠ ومن ثم محاولة السيطرة على ثرواتها النفطية.

٢ـ تغيير خطابه السياسي و الإعلامي و جعله متناسقا للرأي العام الشعبي العربي و ذلك باستخدامه للخطاب الديني بشكل واضح مع تحالفه مع الأحزاب الإسلامية في المنطقة ودعمها له في المؤتمرات التي عقده في بغداد .

٣ـ استخدامه للورقة النفط و توزيع الموارد بشكل عادل في المجتمع العربي وأيضا، إضافة إلى أنه اعتبر أن التلاعب بأسعار النفط هي مؤامرة عليه من قبل دول المنطقة و الإدارة الأمريكية لمحاصرته وعدم تطوير قدراته .

كل تلك الإجراءات التي قامت بها القيادة العراقية السابقة، جعلت منها العدو رقم واحد للعقل الإستراتيجي الأمريكي، ولهذا دخلت العلاقات العراقية الأمريكية مرحلة جديدة من المواجهة في الصراع المكشوف والحرب الشاملة .

أمريكا وسيناريوهات التحريض لغزو الكويت؟

مضى الآن أكثر من ثمانية عشر عامًا على الاجتماع الحاسم الذي تم في الخامس والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٩٠ عندما التقت السفيرة الأمريكية لدى العاصمة العراقية بغداد في ذلك الوقت أبريل جلاسبي الرئيس العراقي صدام حسين وأعطته ضوءاً أخضر من واشنطن بشأن قرار غزو الكويت الذي تم بعد هذا الاجتماع بثمانية أيام فقط.

وكتب كليم عمر مقالاً في شبكة جانج جروب الباكستانية قال فيه إن وزارة الخارجية الأمريكية التي فرضت حصاراً إعلامياً على السفيرة جلابسي ومنعتها من إجراء أية مقابلات مع وسائل الإعلام أو الصحافة منذ أغسطس عام ١٩٩٠، ظلت تعاني من هذا الحصار على الرغم من أنها تقاعدت من السلك الدبلوماسي الأمريكي في عام ٢٠٠٢.

وتضيف الشبكة أنه وعلى مدار كلّ تلك السنوات منذ اجتماعها مع صدام حسين، لم يسبق لجلاسبي أن تكلّمت إلى أجهزة الإعلام، ولم تظهر كضيفة على أي برنامج حواراي تلفزيوني، كما أنها لم تكتب مقالة أو كتاباً حول فترة عملها كأعلى ممثلة دبلوماسية للولايات المتحدة في بغداد.

وتستطرد الشبكة الباكستانية أن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو . . لما ذا حدث هذا الحصار الإعلامي على السفيرة الأمريكية السابقة، وما الذي كانت تملكه ويستحق بذل كل هذا الجهد لكي لا يرى النور؟

ويبدأ كليم عمر القصة منذ البداية فيقول إن أبريل كاثرين جلاسبي كانت قد ولدت في فانكوفر بكندا، في السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٤٢ وتخرّجت من جامعة 'ميلز' في أوكلاند بكاليفورنيا في عام ١٩٦٣ ومن جامعة جونس هوبكنز في عام١٩٦٥. وفي عام ١٩٦٦ اقتحمت السلك الدبلوماسي الأمريكي، حيث أصبحت خبيرة في شئون الشرق الأوسط. ثم بعد تعيينها في عدة مناصب في الكويت وسوريا ومصر، تم تعيين جلاسبي سفيراً إلى العراق في عام ١٩٨٩.

وجاء تعيين جلاسبي في هذا المنصب الحساس عقب فترة شديدة الأهمية في تاريخ العراق وهي فترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨ التي شهدت تقديم الولايات المتحدة لدعم كبير للغاية لبغداد في حربها الطاحنة مع إيران.

وقبل عام ١٩١٨ كانت الكويت جزءاً من المحافظة العثمانية في مدينة البصرة، أي انها كانت جزءاً من العراق، لكن العراق اعترف باستقلالها عام ١٩٦١، ثم بعد نهاية الحرب العراقية الإيرانية وبعد أن حصل العراق من الكويت على مبلغ ١٤ مليار دولار، تنازع العراق والكويت على مسائل تتعلق بنقاط الحدود المختلف عليها والممرات المائية وأسعار النط الكويتي المباع، ومجال التنقيب عن النفط في المناطق الحدودية.

وتقول الشبكة إن جلاسبي نفسها هي التي طلبت الاجتماع بالرئيس العراقي صدام حسين، مؤكدة أنها تحمل رسالة عاجلة من الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب إلى صدام.

وتلمح الشبكة إلى أنها كانت أول مقابلة رسمية بين السفيرة الأمريكية في بغداد والرئيس العراقي وربما كانت الأخيرة أيضًا، وجاء في نص المقابلة:

السفيرة الأمريكية جلاسبي:

'عندي أوامر مباشرة من الرّئيس بوش بالعمل على تحسين علاقاتنا مع العراق، ونحن عندنا تعاطف كبير مع مساعيكم في بغداد للحصول على أسعار عالية للنفط، ونعتقد أن هذا هو السبب المباشر لمواجهتكم المرتقبة مع الكويت، وكما تعرف فقد عشت هنا في العراق لسنوات وأنا أحترم جهودك الواضحة في إعادة بناء دولتك، ونحن لاحظنا كيف أنك نشرت قوات كبيرة من جيشك في جنوب العراق، وهذا الأمر في المعتاد لا يجب أن يكون ضمن اهتماماتنا، ولكننا نربطه الآن بتهديداتك لدولة الكويت، ولذا نرجح أن هناك علاقة بين الأمرين، وبناء على ما سبق فقد تلقيت أمراً بأن أسألك بشكل مباشر وبدافع من روح الصداقة وليس التحدي بشأن نواياك الحقيقية. . ونسألك الآن لماذا حشدت قواتك على مقربة من حدود الكويت؟'.

الرّئيس صدام حسين:

'كما تعرفين، فقد بذلت على مدار سنوات كلّ جهد ممكن من أجل التوصّل إلى تسوية لنزاعنا مع الكويت، وننوي عقد اجتماع خلال يومين، وأنا مستعد لفتح باب التفاوض ولكن لفرصة واحدة أخيرة متبقية، ولذا فسنجتمع مع جيراننا الكويتيين ونرى أي أمل يمكن أن يسفر عنه اللقاء، لكننا لو وجدنا أننا غير قادرين على التوصل إلى حل فسيكون من الطبيعي أن يرفض العراق بالطبع الاستسلام للموت'.

السفيرة الأمريكية جلاسبي:

'كيف تتوقعون أن يكون شكل الحل المقبول لهذه الأزمة؟ '

الرّئيس صدام حسين :

'إذا نحن نجحنا في الاحتفاظ بكلّ شط العرب ـ الذي كان هدفنا الإستراتيجي في حربنا مع إيران ـ فسوف نقدّم تنازلات للكويتيين، لكن إذا أجبرنا على الاختيار بين الاستمرار بنصف شط العرب أو كل العراق ـ ويدخل ضمن ذلك أرض الكويت ـ فسنتخلى عن شط العرب لنبقي على العراق كاملاً بالشكل الذي نتمناه، وحبذا لو نعلم ما هو موقف الولايات المتحدة من هذا'.

السفير الأمريكي جلاسبي :

'نحن ليس لنا رأي حول نزاعاتكم العربية العربية، مثل نزاعكم مع الكويت، وكل ما حدث أن وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر وجهني إليك لنستوثق من الأمر، مع الوضع في الاعتبار أنه ومنذ عام ١٩٦٠ لم تعد قضية الكويت مرتبطة بأمريكا'.

﴿ابتسامات من صدام حسين ونهاية الاجتماع﴾

ويتحدث كليم عمر عن مؤتمر صحفي عقد في واشنطن بعد اجتماع جلاسبي والرئيس العراقي أي في السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٩٠، وسئلت خلاله الناطقة بلسان وزارة الخارجية الأمريكية مارجريت توتويلير من قبل الصحفيين: 'هل أرسلت الولايات المتّحدة أيّ نوع من الرسائل الدبلوماسية إلى العراقيين حول وضع ثلاثين ألف جندي عراقي على الحدود مع الكويت؟ وهل قدمت الحكومة الأمريكية أية احتجاجات على هذه التحركات؟'.

وأجابت الناطقة الأمريكية توتويلير: 'أنا ليس لدي أي علم باحتجاجات وجهتها واشنطن حول هذه المسألة'.

ثم في الحادي والثلاثين من يوليو عام ١٩٩٠ وقبل يومين من الغزو العراقي للكويت أخبر جون كيلي مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون الشرق الأدنى، الكونجرس: 'الولايات المتّحدة ليس لديها التزام بالدفاع عن الكويت والولايات المتّحدة ليس لديها نية في الدفاع عن الكويت إذا تعرضت لهجوم من قبل العراق'.

ويؤكد كليم عمر أن الفخّ كان قد أعد بذكاء بالغ من خلال اجتماع جلاسبي مع صدام ثم تم إحكامه أكثر على لساني توتويلير وكيلي، ومن ثم فقد مضى صدام حسين قدمًا واخترق الفخ بقدمه معتقداً أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تحرك ساكنًا لو غزت

قـواته الكـويت، وفي الثاني مـن أغـسطس عـام ١٩٩٠ هاجمـت قـوات صـدام حسين الكويت.

وبعـد شـهر واحـد مـن هـذا الحـدث في بغداد، حصل الصحفيون البريطانيون على شـريط يتـضمن نـسخة ممـا دار في اجـتماع صـدام حسين مع أبريل جلاسبي الذي تم في الخـامس والعـشرين مـن أبـريل عـام ١٩٩٠، وحـاول الصحفيون البريطانيون مواجهة السفيرة الأمريكية بينما كانت تهم بمغادرة مقر السفارة الأمريكية في بغداد.

وسـألها الصحفي الأول: 'هل هذه النسخ للمقابلة التي أجريتيها مع الرئيس العراقي صحيحة سيادة السفيرة؟'.

ولـم ترد السفيرة الأمريكية جلاسبي على هذا السؤال.

وسـأل صـحفي ثـان: 'لقـد كنـتم تعرفون أن صدام سيغزو الكويت، ورغم هذا لـم تحـذروه مـن أن أمـريكا سـتتدخل للـدفاع عـن الكـويت، بل على العكس أخبرتموه أن أمريكا لا علاقة لها بالدفاع عن الكويت'.

وعـاد الصحفي الأول ليقول: 'لقد شجّعتم هذا العدوان وعلمتم بالغزو، كيف كنتم تحسبون الأمر؟'.

وردت الـسفيرة الأمـريكية جلاسـبي: 'مـن الواضح والمؤكد جداً أنه لم يكن يتخيل أحد ولم أفكر مطلقًا أن العراق سيقدم على أخذ كل الكويت'.

وسـأل الـصحفي الأول: 'هـل اعتقدتم أن صدام ينوي أخذ جزء من الكويت فقط؟ لكـن كـيف حتى توصلتم إلى هذا؟ هل أخبرك صدام بذلك؟ هل أخبركم أنه لو فشلت المفاوضـات فـسيتخلى عـن شـط العـرب في سبيل امتلاك العراق كله وفقًا لما يراه صدام والذي يعني الكويت ضمنيًا؟'.

ولـم ترد السفيرة الأمريكية على كل هذه الأسئلة وتركت الصحفيين وغادرت المكان، لكـن الـصحفييْن ظـلا يلاحقانهـا قائلـيْن: 'أمريكا أعطت الضوء الأخضر لهذا الغزو، وعلـى الأقـل كانـت أمـريكا تعطـي صدام مؤشراً بأن بعض الاعتداء على الكويت ولو جـزئيًا يمكـن أن يكـون مقـبولاً، وأن الـولايات المتحدة لا تعارض سيطرة العراق على حقـول الـنفط بالرميلة، والشريط الحدودي المتنازع عليه وجزر الخليج التي ادعى العراق أحقيته بها'.

ومرة أخرى لم ترد السفيرة الأمريكية واستقلت سيارتها وأغلقت الباب خلفها.

ثـم بعـد سـنتين من هذا الحوار وأثناء دورة نقاشية شارك فيها مرشح رئاسي في ذلك الـوقت في عـام ١٩٩٢ على شبكة أخبار إن بي سي قال المرشح روس بيرو : 'لقد أخبرنا صـدام أنـه بإمكانـه أن يأخـذ الجـزء الـشمالي من الكويت ؛ وعندما أخذ الكويت كلها رفـضنا ذلـك بـشدة ، ولـو شـك أحـد في أن هـذا ما حدث فعلينا أن نراجع تقارير لجنة العلاقـات الخارجـية التابعة لمجلس الشيوخ ولجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ لنرى ما تلقته السفيرة الأمريكية جلاسبي من تعليمات' .

وفي هذه اللحظة قاطع الرئيس جورج بوش الأب منافسه بيرو وقال : 'أنا من حقي أن أرد علـى هـذا الكـلام الخطـير . . لأنه يمس الشرف الوطني . . وأحب أن أقول أن هذا الكلام سخيف للغاية' .

لكن يؤكد كليم عمر أن أبريل جلاسبي غادرت بغداد في أواخر أغسطس عام ١٩٩٠ وعـادت إلى واشـنطن ، وظلت في حالة من الحصار الإعلامي على كل تنقلاتها مفروضة مـن قـبل وزارة الخارجـية الأمـريكية لمـدة ثمانية أشهر ، حيث لم يسمح لها بالحديث مع وسـائل الإعـلام ، ولم تخـرج عـن صـمتها حتـى النهاية الرسمية لحرب الخليج الثانية في الحـادي عـشر مـن أبريل عام ١٩٩١ ، عندما استدعيت للشهادة بشكل غير رسمي أمام لجـنة العلاقـات الخارجـية الـتابعة لمجلـس الـشيوخ الأمريكي بشان اجتماعها مع صدام حسين .

وقالت جلاسبي إنّها راحت ضحيّة مكر متعمّد على أعلى مستوى واستنكرت نسخة ما دار في الاجتماع وأكدت أن هذه النسخة مزيفة ولا صحة لها .

ولقـد انتظـرت جلاسـبي الدبلوماسـية المخـضرمة مهمتها القادمة ، حيث أوكلوا لها مهمـة غـير حـساسة في منظمة الأمم المتحدة بنيويورك ، قبل إن تنتقل إلى العمل كقنصل عـام للـولايات المتحدة في كـيب تـاون بجـنوب أفـريقا قـبل إن تتقاعد من سلك العمل الدبلوماسي في عام ٢٠٠٢ .

الكويت معركة فاصلة في تاريخ العلاقات الأمريكية العراقية

في يولـيو ١٩٩٠ كانـت الجـيوش العـراقية قـد بـدأت تحـشدها على الحدود العراقية الكويتـية وفي ٢٥ يولـيو ١٩٩٠ التقـى صـدام حـسين بالـسفيرة الأمـريكية ببغداد أبريل غلاسـبي والـتي قالـت بأن بلادها لن تتدخل في الخلاف الكويتي العراقي و الذي يرجح البعض ان صدام حسين اعتبره بمثابة "ضوء اخضر" . من الجدير بالذكر ان جريدة The Washington Post الأمريكية نشرت في وقت لاحق خبرا مفاده ان وزير الخارجية الكويتـية قـد اغمـي علـيه في القمـة العـربية الـتي عقدت في السعودية والتي انتهت في ١ أغسطس بدون نتائج تذكر عندما واجهه ممثل العراق وزير الخارجية الكويتي بوثيقة سرية زعـم ان المخابـرات العـراقية حصلت عليها، هذه الوثيقة التي أ صرت الكويت و وكالة المخابـرات الأمـريكية بانهـا مزورة كانت تنص على ما معناه "انه تم عقد لقاء بين رئيس المخابـرات الكويتـية فهـد احمد الفهد و رئيس وكالة المخابرات الأمريكية وليام ويبستر في نوفمـبر ١٩٨٩ وتم الـتداول في كيفـية زعـزعة الاقتـصاد العراقـي لممارسة الضغط على العراق لحل المشاكل الحدودية العالقة بين البلدين" .

اجتياح الكويت

في مطلع فجر ٢ أغسطس ١٩٩٠ دخل الجيش العراقي الكويت وتوغلت المدرعات و الـدبابات العـراقية في العمق الكويتي و قامت بالسيطرة على مراكز رئيسية في شتى أنحاء الكويت ومن ضمنها البلاط الأميري. تم اكتساح الجيش الكويتي بسهولة وبدون مقاومة تذكـر إلا أن معـارك عنيفة وقعت بالقرب من قصر أمير الكويت و كانت هذه المناوشات كفيلة باكتساب الوقت الكافي لأمير الكويت من اللجوء إلى السعودية .

بـدأت عملـيات سـلب و نهـب واسعة النطاق من قبل القوات العراقية شملت جميع مـرافق الكـويت مـن ابـسط المـواد الغذائية على رفوف الأسواق إلى أجهزة طبية متطورة وبدأت حملة منظمة لنقل ما تم الاستحواذ عليه إلى العراق. قام الجيش العراقي بالسيطرة علـى الإذاعة و التلفزيون الكويتي وتم اعتقال الآلاف من المدنيين الكويتيين بالإضافة إلى أعـداد كـبيرة مـن الأجانب الذين كانوا موجودين في الكويت في ذلك الوقت والذين تم اسـتعمالهم كـرهائن لاحقا. قامت السلطات العراقية و لأغراض دعائية بنصب حكومة صـورية برئاسـة علاء حسن على من ٤ أغسطس ١٩٩٠ إلى ٨ أغسطس ١٩٩٠ اي لمدة

أربعة أيام وكان علاء حسن على يحمل الجنسيتين العراقية و الكويتية حيث نشأ في الكويت وتخرج من جامعات بغداد وانتمى إلى حزب البعث في أيام الدراسة وأصبح ضابطا في الجيش الكويتي . في ٨ أغسطس ١٩٩٠ تم ضم الكويت للعراق ولم يسمع أي خبر عن علاء حسن على حتى عام ١٩٩٨ حيث عرف انه غادر العراق إلى تركيا تحت اسم مزيف واستقر في النرويج علما ان المحاكم الكويتية أصدرت بحقه حكما بالإعدام في عام ١٩٩٣ .

كانت النسخة العراقية من الأحداث و التي حاولت قنوات الإعلام العراقي بنشره هو ان انقلابا عسكريا حصل في الكويت بقيادة الضابط الكويتي علاء حسن على الذي طلب الدعم من العراق للإطاحة بأمير الكويت ولكن هذا التحليل لم يلاق قبولا من الرأي العام العالمي .

موقف الدول العربية من الحرب

تباينت دول الجامعة العربية بموقفها من الحرب ، الأردن أعلن رسميا تأيده للعراق واعتبر الحرب عدوانا على الأمة العربية كما ورد في البيان الأردني ، ومثلها فعلت منظمة التحرير الفلسطينية واليمن والسودان وليبيا ، وتحفظت كل من الجزائر وتونس ، وأيدت الحرب ك ل من دول الخليج ومصر وسوريا والمغرب . امين الجامعة العربية الشاذلي القليبي أعلن استقالته ساعة بدئ الحشد للحرب على العراق .

الوسائل الدبلوماسية

بعد ساعات من الاجتياح العراقي للكويت طالبت الكويت و الولايات المتحدة بعقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن وتم تمرير القرار ٦٦٠ والتي شجبت فيها الاجتياح وطالبت بانسحاب العراق من الكويت . في ٣ أغسطس عقدت الجامعة العربية اجتماعا طارئا وقامت بنفس الأجراء وفي ٦ أغسطس اصدر مجلس الأمن قرارا بفرض عقوبات اقتصادية على العراق . بعد اجتياح الكويت بدأت السعودية من إبداء مخاوف عن احتمالية حدوث اجتياح لأراضيها و هذه الاحتمالية لعبت دورا كبيرا في تسارع الإجراءات و التحالفات لحماية حقول النفط السعودية التي ان سيطرت العراق عليها كانت ستؤدي إلى عواقب لم يكن في مقدرة الغرب تحملها . كان حجم الديون السعودية

للعـراق أثناء حرب الخليج الأولى تفوق حجم الديون الكويتية إذ كانت تقدر بحوالي ٢٦ مليار دولار ومما زاد حجم تلك المخاوف هو الحملة الإعلامية التي قام العراق بشنها على السـعودية حـيث وصفت ملك السعودية بصفة "خائن الحرمين الشريفين" وقام الرئيس العراقي بإضافة كلمة الله اكبر على العلم العراقي في
محاولـة مـنه لإضـفاء طابـع ديـني علـى الحملـة و محاولة منه لكسب الأخوان المسلمين و المعارضـين الـسعوديين وزاد حجـم هـذا الطابع الديني في الحملة الدعائية على السعودية عندما بدأت القوات الأجنبية تتدفق على السعودية .

في بدايـة الأمـر صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب بأن الهدف من الحملة هو مـنع القـوات العـراقية مـن اجتياح الأراضي السعودية وسمى الحملة بتسمية عملية درع الصحراء و بدأت القوات الأمريكية بالتدفق إلى السعودية في ٧ أغسطس ١٩٩٠ في نفس الـيوم الـذي أعلن العراق فيه ضمه للكويت و اعتباره "المحافظة التاسعة عشر" . وصل حجم التحشدات العسكرية في السعودية إلى ٥٠٠،٠٠٠ جندي .

في خـضم هـذه التحـشدات العـسكرية صـدرت سلسلة من قرارات لمجلس الأمن و الجامعـة العـربية و كانت أهمها القرار رقم ٦٧٨ من مجلس الأمن والتي أصدرت في ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠ والتي أعطت فيه ١٥ يناير ١٩٩١ موعدا نهائيا للعراق لسحب قواتها من الكـويت وإلا فـإن قوات الائتلاف سوف "تستعمل كل الوسائل الضرورية لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ .

قام وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر بجمع ٣٤ دولة في ائتلاف ضد العراق وكان ٧٤٪ مـن العـدد الإجمالـي للجـنود الذين تم حشدهم هم جنود أمريكيون ووصل العدد الإجمالـي لجـنود قـوات الائـتلاف إلى ٦٦٠،٠٠٠ . قامـت الـولايات المتحدة بعدد من الإجراءات لاستمالة الرأي العام في الشارع الأمريكي إلى القبول بفكرة التدخل الأمريكي في مـسالة الكـويت حـيث بـرزت أصوات معارضة للتدخل في الشارع الأمريكي و أحد هـذه الإجـراءات كانـت إنـشاء مـنظمة مواطنون للكويت الحرة والتي تم تمويلها بأموال كويتـية حـيث قامـت بحمـلات إعلامـية لكـسب ود الـشارع الأمريكـي و العالمي وأحد الحمـلات الدعائـية المثيرة للجـدل الـتي قامـت بها هذه المنظمة كانت إظهار سيدة على شاشة التلفزيون تصف كيف ان بعض الجنود العراقيين قاموا بإخراج الأطفال المرضى من حاضناتهم في أحد المستشفيات وألقوا بهم على الأرض ليموتوا .

بعد سنة واحدة من عرض هذا الشريط تم اكتشاف ان هذه السيدة كانت من أفراد العائلة الحاكمة في الكويت وكانت تعيش في باريس أثناء الاجتياح العراقي للكويت.

بدا العراق محاولات إعلامية لربط مسالة اجتياح الكويت بقضايا "الأمة العربية" فأعلن العراق ان أي انسحاب من الكويت يجب ان يصاحبه انسحاب سوري من لبنان وانسحاب إسرائيلي من الضفة الغربية و قطاع غزة و هضبة الجولان وقد لقيت هذه المقترحات العراقية آذانًا صاغية من الملك حسين بن طلال ملك الأردن و الملك الحسن الثاني ملك المغرب و ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية.

الحملة الجوية في مطلع فجر ١٦ يناير ١٩٩١ أي بعد يوم واحد من انتهاء المهلة النهائية التي منحها مجلس الأمن للعراق لسحب قواته من الكويت شنت طائرات قوات الائتلاف حملة جوية مكثفة و واسعة النطاق شملت العراق كله من الشمال إلى الجنوب و بمعدل ١٠٠٠ غارة جوية في اليوم. في ١٧ يناير ١٩٩١ قام الرئيس صدام حسين بإصدار بيان من على شبكة الإذاعة العراقية معلنا فيها ان "أم المعارك قد بدأت".

استعمل في هذه الحملة الجوية من القنابل ما يسمى بالقنابل الذكية والقنابل العنقودية وصواريخ كروز. قام العراق بالرد على هذه الحملات الجوية بتوجيه ٨ صواريخ سكود (أرض أرض) إلى أهداف داخل إسرائيل في ١٨ يناير ١٩٩١ م. كان الهدف الأولي لقوات الائتلاف هو تدمير قوات الدفاع الجوي العراقي لتتمكن بعد ذلك بالقيام بغاراتها بسهولة وقد تم تحقيق هذا الهدف بسرعة وبسهولة حيث تم إسقاط طائرة واحدة فقط من طائرات قوات الائتلاف في الأيام الأولى من الحملة الجوية. كانت معظم الطائرات تنطلق من الأراضي السعودية وحاملات الطائرات الستة المتمركزة في الخليج العربي.

بعد تدمير معظم قوات الدفاع الجوي العراقي أصبحت مراكز اتصال القيادة الهدف الثاني للغارات الجوية وتم إلحاق أضرار كبيرة بمراكز اتصال القيادة مما جعل الاتصال يكاد يكون معدوما بين القيادة العسكرية العراقية و قطاعات الجيش. قامت الطائرات الحربية العراقية بطلعات جوية متفرقة أدت إلى إسقاط ٣٨ طائرة ميك (MiGs) عراقية من قبل الدفاعات الجوية لقوات الائتلاف وادرك العراق ان طائراته السوفيتية الصنع ليست بإمكانها اختراق الدفاعات الجوية لقوات الائتلاف فقامت بإرسال المتبقي من طائراتها إلى إيران و بدأ العراق في ٢٣ يناير ١٩٩١ بعملية سكب متعمدة لما يقارب مليون طن من النفط الخام إلى مياه الخليج العربي.

بعد تدمير الدفاعات الجوية و مراكز الاتصال العراقية بدأت الغارات تستهدف قواعد إطلاق صواريخ سكود العراقية و مراكز الأبحاث العسكرية العراقية و السفن الحربية العراقية و القطاعات العسكرية العراقية المتواجدة في الكويت و مراكز توليد الطاقة الكهربائية و مراكز الاتصال الهاتفي و مراكز تكرير وتوزيع النفط و الموانئ العراقية و الجسور و سكك الحديد و مراكز تصفية المياه وقد أدى هذا الاستهداف الشامل للبنية التحتية العراقية إلى عواقب لا تزال آثارها شاخصة إلى حد هذا اليوم.

حاولت قوات الائتلاف أثناء حملتها الجوية تفادي وقوع أضرار في صفوف المدنيين ولكن وفي ١٣ فبراير ١٩٩١ دمر "صاروخان ذكيان" ملجأ العامرية التي أثيرت حولها جدل كثير والتي أدت إلى مقتل اكثر من ٤٠٠ عراقي معظمهم من النساء و الأطفال.

بدأ العراق باستهداف قواعد قوات الائتلاف في السعودية بالإضافة إلى استهداف إسرائيل و التي كانت على ما يبدوا محاولة من القيادة العراقية لجر إسرائيل إلى الصراع أملا منها ان يؤدي هذا إلى صدع في صفوف الائتلاف و خاصة في صفوف القوات العربية المشاركة في الائتلاف ولكن هذه المحاولة لم تنجح لان إسرائيل لم تقم بالرد ولم تنضم إلى الائتلاف. في ٢٥ فبراير ١٩٩١ نجح صاروخ عراقي في إصابة قاعدة أمريكية في الظهران بالسعودية وأدت إلى مقتل ٢٨ جندي أمريكي.

في ٢٩ يناير ١٩٩١ تمكنت وحدات من القوات العراقية من السيطرة على مدينة الخفجي السعودية ولكن قوات الحرس الوطني السعودي بالإضافة إلى قوة قطرية تمكنتا من السيطرة على المدينة، ويرى المحللون العسكريون انه لو كانت القوة العراقية المسيطرة على الخفجي أكبر حجما لأدى ذلك إلى تغيير كبير في موازين الحرب اذ كانت مدينة الخفجي ذات أهمية استراتيجية كونها معبرا لحقول النفط الشرقية للسعودية ولم تكن الخفجي محمية بقوة كبيرة الأمر الذي استغلت القيادة العسكرية العراقية. وسميت هذه المعركة باسم معركة الخفجي.

التوغل الأمريكي على الأرض

في ٢٢ فبراير ١٩٩١ وافق العراق على مقترح سوفيتي بوقف إطلاق النار والانسحاب من الأراضي الكويتية خلال فترة قدرها ٣ أسابيع وعلى ان يتم الأشراف على الانسحاب من قبل مجلس الأمن. لم توافق الولايات المتحدة على هذا المقترح

ولكـنها "تعهـدت" أنهـا سـوف لـن تقوم بمهاجمة القطاعات العراقية المنسحبة و أعطت مهلة ٢٤ ساعة فقط للقوات العراقية بإكمال انسحابها من الكويت بالكامل.

في ٢٤ فبرايـر ١٩٩١ بدأت قوات الائتلاف توغلها في الأراضي الكويتية وبعد ٣ أيام تم إعـادة الـسيطرة علـى الكـويت وكانت قوات الائتلاف تلاقي في طريق تقدمها أعداد كـبيرة مـن الجنود العراقيين الذين كانوا منهارين بكل ما تحمل الكلمة من معاني و بدأت وكـالات الأنـباء تـصور مـشاهد للجنود الذين قاموا بتسليم أنفسهم إلى قوات الائتلاف وكان معظمهم حفاة، جائعين، منهارين معنويا.

في ٢٦ فبراير ١٩٩١ بدأت قوات الجيش العراقي بالانسحاب بعد ان أضرمت النار في حقول النفط الكويتية وتشكل خط طويل من الدبابات و المدرعات و ناقلات الجنود على طـول المعبر الحدودي الرئيسي بين العراق و الكويت، بالرغم من تعهد الجانب الأمريكي بعـدم اسـتهداف القطاعـات العـراقية في حـال انـسحابها إلا ان هـذا الخـط الطـويل من القطاعـات العـسكرية العـراقية تم قـصفها بقـساوة شـديدة. هذا القصف الشديد الذي اعتـبره الكـثير غـير مبررا لكون الجيش العراقي في حالة انسحاب أدى تدمير ما يزيد عن ١٥٠٠ عربة عسكرية عراقية وبالرغم من ضخامة عدد الآليات المدمرة إلا ان عدد الجنود العـراقيين الـذين قـتلوا علـى هـذا الطـريق لم يـزد عـن ٢٠٠ قتيل لأن معظمهم تركوا عـرباتهم العـسكرية ولاذوا بالفـرار. سمـي هـذا الطـريق فـيما بعد بطريق الموت أو ممر الموت.

في ٢٧ فبرايـر ١٩٩١ أعلـن الـرئيس الأمريكـي جـورج بـوش الأب عـن " تحريـر الكـويت" بعـد ١٠٠ سـاعة من الحملة البرية. ومن الجدير بالذكر انه خلال اليومين من ٢٤ فبرايـر إلى ٢٦ فبرايـر قامـت قوة أمريكيةـبريطانيةـفرنسية مشتركة بشن هجوم على أجـنحة الجـيش العراقـي الـذي كان متواجدا في غرب الكويت وقاموا بالتوغل لمسافات بعيدة داخل الأراضي العراقية.

دول التحالف مع أمريكا في مواجهة العراق

تـشكلت قـوات الائـتلاف بقـيادة الـولايات المـتحدة من الدول التالية: الأرجنتين، أسـتراليا، البحـرين، بـنغلاديش، بلجـيكا، كندا، تشيكوسلوفاكيا، دنمارك، مصر، فرنسا، ألمانيا، يونان، إيطاليا، اليابان، الكويت، المغرب، هولندا، نيوزيلندا، نيجر،

نـروج ، عُمـان ، باكـستان ، بولندا ، برتغال ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، سنغال ، كوريا الجنوبية ، إسبانيا ، سوريا ، تركيا ، الإمارات العربية المتحدة ، المملكة المتحدة .
ومن الجدير بالذكر ان الهند شاركت بتزويد الوقود .

خسائر الحرب

حسب إحصاءات قوات الائتلاف فان الخسائر البشرية في صفوفها كانت كالتالي :
الولايات المتحدة (٤٧٢)، السعودية (١٨)، مصر (١٠)، الإمارات العربية المتحدة (٣)، فرنسا (٢)، سوريا (١)، كويت (١) .

أما الخسائر العراقية واستنادا إلى نفس المصدر فكانت ١٠٠,٠٠٠ قتيل و ٣٠٠,٠٠٠ جريح . واستنادا لمصادر عراقية فإن ٢,٣٠٠ مدنيا لقوا حتفهم .

نتائج الحرب على صعيد الصراع العراقي الأمريكي

بعد انتهاء الحرب كان الجيش العراقي جيشا منكسرا و محطما و الحكومة العراقية في اضعف حالاتها وكان كل المراقبين يتصورون انه سوف يتم الإطاحة بحكومة الرئيس صدام حسين وقام الرئيس الأمريكي بصورة غير مباشرة بتشجيع العراقيين على القيام بثورة ضد الرئيس صدام حسين حيث صرح ان المهمة الرئيسية لقوات الائتلاف كانت "تحرير الكويت" وان تغيير النظام السياسي في العراق هو "شأن داخلي" وبدأ تذمر واسع النطاق بين صفوف الجيش العراقي المنسحب و بدأت ما تسمى بـ الانتفاضة العراقية ١٩٩١ عندما صوب جندي مجهول فوهة دبابته إلى أحد صور الرئيس صدام حسين في أحد الساحات الرئيسية في مدينة البصرة وكانت هذه الحادثة باعتبار البعض الشرارة الأولى للانتفاضة التي عمت جنوب العراق و تبعتها المناطق الشمالية ولكن وحدات الحرس الجمهوري و بعض قيادات الجيش العراقي ظلت موالية للرئيس العراقي و قامت بإخماد نيران الانتفاضة بسرعة و بدأ الأكراد في الشمال بالنزوح بالملايين نحو الحدود العراقية مع إيران و تركيا .

ويرجح معظم المؤرخين ان سبب فشل الانتفاضة كان اتفاقا عقد في صفوان و عرف باسم اتفاقية خيمة صفوان وفيه سمح قائد القوات الأمريكية نورمان شوارزكوف لقيادات الجيش العراقي باستعمال المروحيات التي استغلها الجيش العراقي بكثافة لإخماد الانتفاضة .

أقامت الولايات المتحدة، منطقة حظر الطيران لحماية المدنيين العراقيين في منطقة الشمال و الجنوب وهذه المنطقة كانت العامل الرئيسي في إقامة إقليم كردستان في شمال العراق لاحقا.

الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية للعراق من مصافي النفط ومولدات الطاقة الكهربائية ومحطات تصفية المياه أدت إلى تدني هائل في جميع المرافق الاقتصادية و الصحية و الاجتماعية في العراق، اقرأ المقالة العراق في ظل الحصار (**القراءات الخاطئة**)

ولكن الأهم من هذا، هو الوضع الجديد لصاحب القرار الأمريكي الذي أستثمره في اتجاه العراق و التي أهمها :

١- تكبيل العراق بقرارات دولية تدمر قوته العسكرية و تنهي حالة اختلال التوازن الإستراتيجي التي نتجت عنها و أهم القرارات هي : قرار٦٦٠ في ٢/٨/ ١٩٩٠ الذي يدعوا العراق للخروج من الكويت، قرار ٦٦١ في ٥/٨/ ١٩٩٠ الذي يمنع العراق من استيراد و تصدير أو إنتاج أو تطوير قدراته العسكرية و المباشر في تدمير قوته العسكرية . و أيضا قرر الاتحاد الأوربي في ٦/٨/ ١٩٩٠ حظر الواردات النفطية من العراق. وأهم قرار هو ٦٨٧ في ٣ابريل ١٩٩١ الذي جعل العراق بجميع إمكاناته البشرية والاقتصادية تحت الوصاية الدولية والأشراف المباشر من قبلها لتدمير قوة الرعب الإستراتيجي للعراق

٢- بدأ الخبراء الإستراتيجيون الأمريكان يركزون على قضية الأمن الإقليمي وارتباطه بأمن الولايات المتحدة الأمريكية و خصوصا شكلت الموارد النفطية جزءاً مهماً في التفكير الإستراتيجي لأمن الولايات المتحدة الأمريكية، ففي جلسة ٢١ فبراير ١٩٩١ للكونغرس الأمريكي أكد ثلاث خبراء

(أكدوا العلاقة المتكاملة بين الترتيبات الأمن الإقليمي، وحل الصراع العربي الإسرائيلي، و التنمية الاقتصادية).

٣- بدأ تفيذ الخطة الإستراتيجية من قبل إداره البيت الأبيض و التي أهمها سياسية الاحتواء المزدوج و القرارات التأديبية بالدول الخارجة عن القانون و التي تشمل العراق وإيران و سوريا.

بعد حرب الخليج الثانية دخل العراق في مرحلة جديدة للمفكر الإستراتيجي الأمريكي ألا وهي مرحلة (الاحتواء المزدوج) التي ستناول تفاصيل بالحلقة القادمة.

دور الولايات المتحدة الأمريكية فى تزويد العراق بأسلحة الدمار الشامل

بعد تسلم مجلس الأمن الدولي تقرير العراق يوم ٧/ ١٢/ ٢٠٠٢ حول برامج أسلحته الكيماوية والبيولوجية والصاروخية صرح رئيس لجنة التفتيش الدولي هانس بليكس بأنه لا يكشف أسماء الشركات الواردة في تقرير العراق والتي زودته بأسلحة ذات الدمار الشامل بحجة أن تلك الشركات سوف تتوقف عن تزويد لجنته بالمعلومات حول أسلحة العراق

نحن نعتقد بأن هذه الحجة غير واقعية لأن هذه الشركات لم تزود العراق بتلك الأسلحة في حينه دون علم سلطات بلادها أو بعض السياسيين أو أجهزة المخابرات فيها .

وخير دليل على ذلك هو إعادة صواريخ السكود إلى اليمن والتي احتجزتها سفن إسبانية على ظهر باخرة تابعة لكوريا الشمالية لأن الصفقة أبرمت بين اليمن وكوريا الشمالية بموافقة أمريكية، واليمن ـ حسب تصريح أمريكي ـ هي من الدول الصديقة .

وهذا يعني أن تزويد العراق الذي كان من الدول الصديقة للولايات المتحدة الأمريكية بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية والصاروخية من قبل شركات غربية لم يكن خافيا عن سلطات البلدان التي تقع فيها تلك الشركات، وكانت هناك بالإضافة إلى الشركات المصنعة لتلك الأسلحة بنوك مولت التسليح العراقي في كتابه "التاريخ السري لكيفية تسليح البيت الأبيض للعراق بصورة غير قانونية" الصادر عام١٩٩٧ يشير الصحفي الأمريكي آلان فريدمان مراسل صحيفة الفايننشال تايمز إلى قيام بنك نازيونال دل لافورو الإيطالية بتمويل الصاروخ النووي العراقي. وخسر البنك لاحقا أكثر من مليون دولار أمريكي بسبب تورطه في فضيحة دولية انتهت بالتحقيق في الأعمال والسياسات السرية لكل من الرئيسين رونالد ريغان وجورج بوش، ورئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر وأعضاء في الطبقة السياسية الحاكمة في إيطاليا. وبرز هنا دور أجهزة المخابرات الغربية مثل: سي آي أي، وأيم١٦ في هذه القصة، كما برز دور مجموعة من جنود المشاة السريين الذين استخدمتهم حكوماتهم لمساعدة أعضاء شبكة عراقية موسعة خاصة بمشتريات الأسلحة كانت تطوف العالم بحثا عن تكنولوجيا تمكن صدام حسين من تحقيق حلمه بتحويل العراق إلى قوة نووية. وقد قام البنك الإيطالي بتمويل جزء من هذه التكنولوجيا التي استخدمت في تصنيع الأسلحة نفسها التي استخدمها صدام حسين ضد قوات التحالف التي أرسلت لخوض معركة عاصفة

الصحراء وحول علم الإدارة الأمريكية بسعي العراق للحصول على الأسلحة ذات الدمار الشامل يرى العديد من المراقبين السياسيين بأن خيوط التعاون الأمريكي ـ العراقي بدأت بعد مهاجمة المفاعل النووي العراقي عام١٩٨١ من قبل إسرائيل، حيث عقد البيت الأبيض في اليوم التالي اجتماعا حضره الرئيس رونالد ريغان ونائبه جورج بوش، ورئيس الأركان جيمس بيكر، ووزير الدفاع كاسبر واينبرغر، ووزير الخارجية إلكسندر هيغ وذلك لبحث الرد الأمريكي على ما حدث حينما سأل ريغان الجميع عن رأيهم أعرب جورج بوش عن رأيه بضرورة معاقبة إسرائيل. وانضم إليه كل من جيمس بيكر وكاسبر واينبرغر. أما وزير الخارجية إلكسندر هيغ فقد شكر الله على ما فعلته إسرائيل. ولم تمض أيام حتى تم اكتشاف مباحثات سرية بين جين كيركباتريك سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة وسعدون حمادي وزير الخارجية العراقي آنذاك والسفير العراقي إلى الأمم المتحدة صالح عمر العلي لصياغة مشروع قرار لإدانة إسرائيل. وتم توقيع القرار في التاسع عشر من حزيران عام١٩٨١ وبعد أيام قليلة أعلن صدام حسين عن سروره الفائق بالتعامل مع رئيس قسم المصالح الأمريكية في السفارة البلجيكية في بغداد كسفير أمريكي فعلي. وبالرغم من أن العلاقات العراقية ـ الأمريكية المقطوعة بعد حرب عام١٩٦٧ بين الدول العربية وإسرائيل، إلا أن الرئيس العراقي كان يطمئن لإدارة ريغان وموقفها المرن ظاهريا تجاه العراق.

كان العراق يحاول استمالة الإدارة الأمريكية إلى جانبه في حربه ضد إيران، وأثمر سعي السفير العراقي لدى الأمم المتحدة صالح العلي مع الحكومة الأمريكية عن تقديم طلب عراقي غير رسمي إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدته في حربه ضد إيران، فأخذت الإدارة الأمريكية الطلب العراقي بنظر الاعتبار فأرسلت مراقبين عسكريين إلى العراق تمهيدا لاستعادة التوازن في المنطقة في حزيران١٩٨٢ دعا البيت الأبيض إلى اجتماع لمناقشة الحرب العراقية ـ الإيرانية، وكان الرأي السائد أن واشنطن إذا أرادت الوقوف في وجه النصر الإيراني؛ فما عليها إلا تقاسم التصوير الفوتوغرافي الاستخباراتي مع صدام. والصور الفوتوغرافية التي التقطها القمر الصناعي الأمريكي أرسلت إلى بغداد بعد عدة أسابيع من هذا الاجتماع حيث قام الملك حسين بن طلال بنفسه بإيصالها عندما استخدمته واشنطن لنقل وعرض المعلومات الاستخباراتية على بغداد لضمان عدم فقدانها أو سرقتها وعندما أصبح التقاسم الاستخباراتي السري أمرا مألوفا تم تعيين عامل ارتباط عراقي كان يسافر برا من بغداد إلى عمان للحصول على المعلومات،

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية ترسل في بعض الأحيان موظفي استخبارات أمريكيين إلى بغداد للمساعدة في تحليل المعلومات. ومع تزايد نشاط البيت الأبيض السري ومساعدته لصدام حسين في توجيه قواته المسلحة ؛ قامت الولايات المتحدة بإنشاء بناء لها في بغداد مزود بأحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا العالمية والمتطورة لتوفير واستقبال مباشر لمعلومات القمر الصناعي ولضمان معالجة أفضل لها.

رأى البيت الأبيض أنه لا يمكن التعامل السري مع العراق أبدا، ولابد من تحويل العلاقات إلى علاقات علنية وتجاوز النظرة الدولية التي كانت تعتبر صدام حسين خارجا على القانون، فاستقبل الرئيس الأمريكي رونالد ريغان في البيت الأبيض وزير خارجية العراق آنذاك طارق عزيز تعبيرا عن إعادة العلاقات رسميا بين البلدين في٢٦/ ١١/ ١٩٨٤ . بعد ذلك تلت اجتماعات رسمية بين مجلس الأمن القومي الأمريكي والبنتاغون ووزارة الخارجية والسي آي أي في البيت الأبيض، ففي اجتماع يوم٢٣/ ٧/ ١٩٨٦ المخصص لمناقشة الدعم الأمريكي للعراق تضمن جدول أعمال الاجتماع الرد على طلب السفارة الأمريكية في بغداد لنقل أسلحة أمريكية من الأردن إلى العراق وللتأكيد على الدور الأمريكي في تقوية العراق تسليحا وصل الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب إلى القاهرة في٤/ ٨/ ١٩٨٦ وطلب من الرئيس المصري إبلاغ صدام حسين باستخدام أسطوله الجوي الحربي على نحو أفضل ضد الجنود الإيرانيين. وكان الرئيس المصري شريطا معقولا للأمريكيين، كما كان صديقا حميما لصدام حسين ومصدرا له للأسلحة، وكان مبارك بحاجة ماسة إلى النفط والأموال والحلفاء السياسيين في الشرق الأوسط، فقام خلال الثمانينات ببيع صواريخ وأسلحة للعراق بقيمة٥ ,٣ مليون دولار تقريبا. وفي وقت سابق وافقت الحكومة المصرية على العمل مع العراق في مشروع "كوندور٢ " وهو برنامج سري خاص بصواريخ ذات القدرة النووية قام دبلوماسيون ووكلاء مشتريات عراقيون بإرسال طلبات المساعدة غير الرسمية إلى رجالاتهم في البنتاغون والحزب الجمهوري والى بعض رجال الأعمال الأمريكيين ذوي الارتباطات السياسية. وأخذت الولايات المتحدة الأمريكية طلب العراق لمساعدته في حربه ضد إيران بعين الاعتبار فأرسلت مراقبين عسكريين أمريكيين إلى العراق كما أن اجتماعات وزير الخارجية الأمريكي إلكسندر هيغ والسفير العراقي صالح العلي لدى الأمم المتحدة أسفرت عن نتائج إيجابية بالنسبة للعراق حيث تم تسريب معلومات حول محاولات العراق للحصول على الأسلحة إلى مسامع وكلاء مشتريات والى شركات أمريكية

عديدة، من بينها شركة مانهاتن الأمريكية للفولاذ في شارع ماديسون. وهذه الشركة في حقيقتها لم تكن تصدر الفولاذ، بل كانت محتفظة بهذا الاسم القديم حينما كانت فرعا لتصدير الفولاذ زار ضابط عراقي برتبة ملازم أول شركة مانهاتن الأمريكية، وكانت الشركة تعرف أن الولايات المتحدة الأمريكية قد وضعت العراق عام١٩٧٩ في لائحة الدول التي ترعى الإرهاب. الملازم أبو على كان من بين واحد وعشرين حارسا شخصيا لساجدة خيرالله زوجة صدام حسين التي كانت قد جاءت إلى نيويورك لزيارة لبيوت الأزياء. كان الملازم أبو على يحمل معه قائمة بالمشتريات العراقية من السلاح، وسيارات واقية من الرصاص والقنابل، وصدارات واقية من الرصاص، وأجهزة اتصالات أمنية وإلكترونية. الملازم العراقي كان حسين كامل الذي أصبح وزيرا للتصنيع العسكري العراقي ودفعته تطورات الصراع العشائري داخل أجنحة النظام إلى الهرب إلى الأردن ومن ثم اغتياله وشقيقه ووالدهما بعد عودته إلى العراق من قبل قوات عدي إبن صدام حسين

تجاوزت مبيعات شركة الفولاذ الأمريكية سيارت واقية من الرصاص وأجهزة أمنية إلى توفير السلاح للعراق وفق قوائم مشتريات يرسلها حسين كامل تباعا. وفرت الشركة قذائف من طراز٧٥ملم مضادة للطائرات، وقذائف مدفعية من طراز١٥٥ و١٠٥ ملم من مصنع في ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل وفي شمال فرجينيا تقع مكاتب خبراء حونسون في التسويق. لهذه المكاتب واجهات زجاجية سوداء تمتد إلى خمس كيلومترات على نهر البوتوماك في مواجهة واشنطن. هؤلاء الخبراء كانوا يتعاملون مع وكالة الاستخبارات الأمريكية المركزية ليسوا كأعضاء للشركات، بل بصفاتهم الشخصية وبشكل يكتنفه الغموض وذلك طبقا لطبيعة العمل الذي كانوا يؤدونه وهو توفير الأسلحة والتكنولوجيا بصورة غير قانونية. تمكن العراق من الوصول إلى تلك الشركات والى هؤلاء الخبراء ويؤمن لجيشه أسلحة ومعدات عسكرية

قائمة الشركات والمصانع الغربية التي وفرت للنظام العراقي أسلحة ذات الدمار الشامل والتكنولوجيا الحربية تطول، وتشمل أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والبرازيل ودول أخرى في أمريكا الجنوبية وفي أوربا. وإذا ما قام هانس بلكيس بالكشف عن أسماء الشركات الواردة في التقرير العراقي فينبغي على الكثير من الدول الغربية تقديم أصحاب شركاتها إلى المحاكم باعتبارهم ساندوا نظاما إرهابيا وزودوه بأسلحة فتاكة معرضين الأمن والسلم العالميين إلى الخطر. فهل يفعل هانس بليكس ذلك؟

١١ سبتمبر والتحول الإستراتيجي في السياسة الأمريكية نحو العراق .

يقول الباحث العراقي الدكتور صلاح التكمه جي إن الأهمية الاستراتيجية للعراق أخذت أبعاداً اكبر من حجمه في ذهن الباحث الإستراتيجي الأمريكي، وتزداد أهميته كلما كثرت العمليات التفجيرية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن العراق أصبح الهدف الرئيسي بعد الضربة المدمرة الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية في ١١ سبتمبر .

١١ سبتمبر الزلزال المدمرة: تفجيرات ١١ سبتمبر هي ليست فقط انهياراً لناطحات نيويوريك بل هو انهيار لكل الخطط الإستراتيجية ما قبل الحدث، فبعد ١١ سبتمبر ظهرت تطبيقات نظرية (الحرب الاستباقية) و بعد ١١ ظهرت نظرية (الأمن القومي لا يتجزأ)، بمعنى ان مصالح الأمن القومي في خارج الولايات المتحدة و داخل الولايات المتحدة هي على حد سواء، بل لا يمكن الدفاع عن الأمن الداخلي للولايات المتحدة الأمريكية ما لم يحمى نظام (العولمة) خارج الولايات المتحدة، وأصبحت الاستراتيجية الأمريكية الجديدة هي حماية نظام العولمة، الذي أصبح جزأ لا يتجزأ من الوجود الأمريكي، وكانت ١١ سبتمبر هي ضربة، لمركز نظام العولمة العالمي، فكارثة ١١ سبتمبر وقعت على ذهن الباحث الإستراتيجي الأمريكي كالصاعقة، يمكن ملاحظتها من خلال الخسائر التي نتجت عن تلك العملية ، فالخسائر البشرية تقدر ما يقارب ٣٠٠٠ شخص فقد قال تقرير أمريكي إن الكلفة الاقتصادية التي تكبدتها مدينة نيويورك نتيجة لهجمات ١١ سبتمبر/ أيلول الماضي عليها تتراوح بين ٨٣ و٩٥ مليار دولا، ر وإن الرقم النهائي لا يتوقف فقط على الخسائر الآنية للحدث وإنما يزداد باطراد مع عملية إعادة تنظيم مراكز العولمة التي انهارت في ١١ سبتمبر .

وقدر مراقب حسابات المدينة وليم تومسون في احدث تقرير له، أن إعادة بناء المباني والبنية الأساسية وما وصفه بأنه "أصول المستأجرين" المفقودة نتيجة للهجمات التي أطاحت ببرجي مركز التجارة العالمي ستبلغ تكاليفها ٢١,٨ مليار دولار، وأوضح التقرير أن مساحات عقارية إدارية ممتازة تبلغ نحو ١٣ مليون قدم مربع دمرت أي ما يعادل مساحات المكاتب الإدارية كلها في حي الأعمال في أتلانتا أو ميامي. أما عن الخسائر من الضرائب فقد خسرت المدينة نحو ثلاثة مليارات دولار بالإضافة إلى نحو ٥٠٠ مليون مصروفات أخرى .

وقد ذكر رانا فوروهار في تقريره لنيوزيويك (ان معظم خسائرها الواضحة هي خسائر مادية تزيد على ١٦ بليون دولار للشركات والحكومة الأمريكية و١١ بليون دولار

إضـافية في عمليات الإنقاذ وتطهير المكان والكثير من البلايين التي لا تعد لزيادة الإنفاق علـى الأمـن العـام والخـاص في الولايات المتحدة إضافة إلى العديد من الدول الأخرى . ومـن العـسير تحليل المضامين المتوسطة والطويلة المدى) إضافة إلى ذلك فقد انخفض عدد الوظائـف في مديـنة نـيويورك الآن ٨٣ ألفا عما كان قبل ١١ سبتمبر ، وقدر تومسون أن المديـنة فقـدت ٦٣ ألـف وظـيفة أخـرى كانت ستتحقق لو تمكنت المدينة من الخروج من ركـودها الـذي سـبق الهجمـات . هذا إضافة إلى الخسائر التي أصابت شركات الطيران والانهيار الذي حدث في البورصة وأسعار النفط و الذهب .

أن الضربة التي حدثت للأمريكان في ١١ سبتمبر بلا شك الأقوى و الأعنف في تاريخ أمريكا ، و الأشد على رأس القرار الأمريكي في البيت الأبيض و لهذا كانت ردة فعلهم في بـادئ الأمر توضح مدى حالة العصبية التي انتابت البيت الأبيض ، وبما أن الملف العراقي هـو الملـف الـساخن علـى طاولـة الـرئيس الأمريكـي ، بكـل تفاصـيله المـرعبة للبـيت الأبـيض ، من(امـتلاكه لأسـلحة دمـار شامل ، إلى امتلاك العراق موارد نفطية تمكنه من تطويـر قدراتـه و احـتمال انـتقال تلـك القـدرات إلى الجهات الإسلامية المتطرفة ، نتيجة للخطـاب الـسياسي الجديـد للقيادة العراقية بعد حرب الخليج الثاني والذي تميز بخطابه الـديني القـريب مـن فكـر القاعـدة) ، جمـيع هـذه العـوامل جعلت من العراق الهدف الإسـتراتيجي الأول في ذهـن الـرئيس الأمريكـي و عـند مراكـز القرار في البيت الأبيض الأمريكـي ، و هـذا مـا أ كـده بـشكل واضـح منـسق دائـرة مكافحة الإرهاب في البيت الأبـيض (كـلارك) ، ويمكـن أن نلاحظ من أقواله مدى ردة الفعل العصبية التي انتابت البـيت الأبـيض الأمريكـي و تـبين مـدة حـساسية الملف العراقي في ذهن صاحب القرار الأمريكـي حيث يقول كلارك (كانوا يتحدثون عن العراق فقط بشأن ١١ سبتمبر . كانوا يـتحدثون عـنه في ١٢ سـبتمبر) . وأضـاف أنـه التقـى مـع بـوش و وزيـر الدفاع دونالد رامـسفيلد بعـد الهجمـات المدمـرة . وقال كلارك : أن رامسفيلد قال اننا بحاجة لضرب العـراق . . ، كلنا قلنا لا لا . القاعدة في أفغانستان ونقل عن رامسفيلد قوله لا توجد أي أهـداف جـيدة في أفغانـستان وهـناك أهداف جيدة كثيرة في العراق . وترك كلارك الذي عمـل مستـشارا لأربعـة رؤسـاء منـصبه في فبرايـر شـباط عام ٢٠٠٣ بعد أن نقل البيت الأبيض وظائف لجنة أمن الكمبيوتر إلى وزارة الأمن الداخلي)

ويتحدث كلارك في كتابه(في مواجهة الأعداء) (ففي مساء ١٢ سبتمبر، استدعاه بوش وقال له «أعرف إنك منهمك في العمل، لكنني أريدك ان تدقق مجددا في المسألة برمتها في أسرع وقت ممكن. أريد أن اعرف إن كان صدام خلف ذلك».

ـ لكن سيدي الرئيس، القاعدة هي التي نفذت ذلك.

ـ اعرف، اعرف. . لكن دقق رغم كل شيء للتحقق مما إذا كان صدام ضالعا في المسألة.

ـ حسنا، سنتحقق. . مرة جديدة. وردد بوش مشددا قبل إن يغادر القاعة «العراق. . صدام)

كان من الممكن أن يكون العراق هو هدف الثأر للقرار في البيت الأبيض الأمريكي لولا تدخل توني بلير رئيس وزراء بريطانيا بعد سفره مباشرة بعد أحداث ١١ سبتمبر وإقناع الرئيس بوش بالعدول عن خطته و مهاجمة أهداف القاعدة في أفغانستان ومن ثم العراق و لكن بقي هذا البلد الأخير هو الصيد الثمين و المغري الذي يحقق كل متطلبات ساحة معركة الإرهاب الشاملة، تفجيرات نيويورك أثارت جميع الخطط الإستراتيجية لتعلن عن مرحلة جديدة للتعامل مع العراق، فمقال رامسفيلد (الاستراتيجية الأمريكية، منع الحرب قبل إندلاعها) هو نموذج صارخ للعقل الإستراتيجي الأمريكي بعد ١١ سبتمبر .

فرامسفيلد يتحدث عن تلك المرحلة الجديدة بقوله (وأننا في أمسِّ الحاجة إلى إيجاد طرق جديدة في التفكير وأساليب مختلفة في القتال، أكثر من احتياجنا إلى إيجاد أسلحة أكثر تطوراً وتقدمًا.) ويقول في نفس المقال(فكما تعلمنا من أحداث سبتمبر المؤسفة، أصبحت تحديات القرن الجديد مفتقدة لأية توقعات، بعكس القرن الماضي.)ويقول أيضا(إن التحدي الذي نواجهه في هذا القرن الجديد إنما هو تحدٍّ صعب، بل في غاية الصعوبة. إنه يستلزم منا الدفاع عن بلادنا ضد كل ما هو غير معروف؛ ضد كل ما هو غير مضمون؛ ضد كل ما هو غير مرئي؛ ضد كل ما هو غير متوقَّع) ثم يتحدث عن بيت القصيد الذي يجب العمل به في الفترة الجديدة و الفرق عن الاستراتيجية القديمة(قبل أحداث ١١ سبتمبر، كان القادة الأمريكيون، سواء في المجال المدني أو العسكري، منخرطين في خطة "معهودة" للدفاع. ولكن في ظل مراجعة تقرير الدفاع الأمريكي الذي يتم إعداده كل أربع سنوات، بدأت نظرتنا إلى البيئة الأمنية حولنا تصير أكثر إمعانًا

وتركيزاً، وهو ما أوصلنا إلى ضرورة تبني استراتيجية جديدة.) و أخيرا ما هي القرارات التي توصل إليها العقل الإستراتيجي الأمريكي في مرحلته الجديدة يتحدث رامسفيلد عن قراراتهم:

١. لقد قرَّرنا أن ننأى بأنفسنا عن منظومة "وجود قوتين أساسيتين على مسرح الحرب"؛ التي كانت تنادي إلى الحفاظ على قوتين عظميين للاحتلال، تتمكنان من اقتحام دولتين عدوتين في لحظة واحدة. ولا غبار على أن هذه الفلسفة قد نفعتنا نفعًا كبيراً في فترة ما بعد الحرب الباردة؛ أما الآن.. فهي تشكل تهديداً لنا؛ إذ تتركنا مستعدين استعداداً فوق اللزوم تجاه صراعين محددين، بينما تتركنا على الوجه الآخر غير مستعدين تمامًا لأي من تحديات القرن الحادي والعشرين غير المتوقعة.

٢. السيطرة على الموارد للقوة القطب الواحد: حيث يقول رامسفيلد(ومن أجل ضمان توافر الموارد التي تؤهلنا للتأقلم مع المستقبل، ومن أجل مواكبة التحديات الجديدة التي تهدد أمننا الداخلي، صرنا في أمسّ الحاجة إلى تقييم أكثر واقعية وأكثر اتزانًا لكل ما نحتاجه في حروبنا المستقبلية. فبدلاً من الحفاظ على قوتين للاحتلال، قررنا أن نركِّز أكثر على آلية الردع. كما قررنا الاستغناء عن قوة واحدة من القوتين، حتى نوفر جهودنا ومواردنا "للآخر" الذي هو في طريقه إلى التربص بنا)

٣. قرَّرنا كذلك هجْر الاستراتيجية القديمة القائمة على "التهديد"، تلك الاستراتيجية التي ظلت مسيطرة على خططنا الدفاعية لأكثر من نصف قرن.. والبدء في انتهاج اقتراب جديد قائم على "القدرات"، حيث يتصف الأخير بسياسة أقل تركيزاً على من يمكن أن يهددنا، أو أين، وأكثر تركيزاً على كيف يمكن أن يهددنا، وكيف يمكن أن نصده ونردعه.

وبالختام يلخص خطة البتناغون في نظرته للأمن القومي الأمريكي و يعتبر تلازم الأمن في داخل أمريكا مع أمن مصالح أمريكا في خارجها و لايمكن الفصل فيما بينها و يسمي الخطة (الخطة السداسية):

استراتيجية سداسية

قبل الهجوم الإرهابي على نيويورك وواشنطن، كنا قد أخذنا في قرارة أنفسنا، أنه من أجل الحفاظ على السلام والدفاع عن الحرية يجب على وزارة دفاعنا أن تحقق ستة أهداف إلزامية:

١) حماية الداخل الأمريكي، وحماية قواعدنا في الخارج.

٢) الإبقاء على مستوى قوتنا في الأماكن البعيدة.

٣) إفهام أعدائنا أنه ليس لديهم مأوى يحميهم منا؛ فيتأكدون أنه ليس هناك ركن، ولا جبل، ولا كهف سيمنعهم منا.

٤) حماية شبكاتنا المعلوماتية من أي اختراق.

٥) استخدام التكنولوجيا المعلوماتية لربط القوات الأمريكية المختلفة، وهو ما يؤهلها للقتال معًا في صف واحد.

٦) الحفاظ على اتصال سهل وسلس بالفضاء الخارجي، وحماية قدراتنا الفضائية من أي هجوم غاشم. المصدر أسلام اون لاين (* المقالة مترجمة بتصرف من مجلة: الشؤون الخارجية Foreign Affairs, Vol.81, No. 3، مايو ٢٠٠٢، وعنوانها الأصلي: Transforming the Military)

هذه الاستراتيجية لأصحاب القرار الأمريكي كان أفضل مجال لها لتطبيقها هو العراق ولهذا حاولت مراكز الدراسات و المفكرين أن يضعوا الآليات لتطبيق الأفكار الأمنية و العسكرية الاستراتيجية الجديدة، ولهذا تناقلت شبكة المعلومات الدولية دراسة(انتوني كورزدمان) رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن التي حددت في خلاصتها الاشتراطات المطلوبة أمريكيا لـ «أفغنة العراق» في مواجهة ما وصفته هذه الدراسة بالصعوبات الكبيرة التي تواجهها الإدارة الأمريكية الحالية في التعامل مع العراق وشن هجوم أمريكي عليه، وقد عبر كورزدمان صراحة عن مخاوفه من انفراط عقد التحالف الأمريكي مع عدد من الدول العربية والاسلامية في مكافحة الإرهاب الدولي، لذلك اشترط خمس حالات يمكن للإدارة الأمريكية ان تنطلق منها في شن مثل هذا الهجوم الواسع، وخلاصتها:

١. أن تظهر الإدارة الأمريكية دليلا دامغا على تورط العراق بالهجوم على الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر الماضي.

٢. أن تظهر الإدارة الأمريكية دليلا دامغا على قيام العراق بتطوير برامجه لأسلحة الدمار الشامل.

٣. أن تنقل الولايات المتحدة أقوالها إلى أفعال بصدد القضية الفلسطينية.

٤ . أن يكـون لهـا خطـة مقـنعة وموثوقا وسريعة (للنظام البديل) في العراق على ألا تكون من رموز المعارضة في الخارج .

٥ . أن تكـون الـولايات المـتحدة جاهزة لتحمل ما سينجم عن ذلك من خسائر مادية وبشرية .

كل تلك الدراسات و غيرها تضعنا أمام حقيقة، ان العراق هو الساحة المناسبة لمعركة الإرهـاب الـشاملة، ويجـب ان يكـون هـذا البلد هو مقبرة لكل الإرهابيين والقوى التي تعـادي نظـام العـولمة، ويجـب نقـل المعـركة مـن مركز العولمة العالمي في داخل الولايات المـتحدة إلى مكـان اقـل كلفـة خارج الولايات المتحدة، فكلفة عملية واحدة فقط في ١١ سـبتمبر الـتي ما يقارب (١٠٠ مليار) دولار لا يمكن ان تضاهيها كلفة أي عملية تحدث مـع الإرهـاب العالمـي خـارج الـولايات المـتحدة الأمـريكية، ولهذا أصبح من اولويات المخطـط الإسـتراتيجي الأمريكـي نقـل معـركة الإرهـاب خـارج نظـام العـولمة العالمي (الـولايات المـتحدة والـتحالف الغربـي)، وعلـيه فإن الاستراتيجية الأمريكية في العراق دخلـت في مـرحلة جديـدة بعـد ١١ سـبتمبر الا وهي التخطيط لمعركة الإرهاب الشاملة وسيتناول الحديث عنها في المرحلة القادمة .

١٤٨٣ قرار رفع العقوبات أعطى شرعية للاحتلال

أقر مجلس الأمن يوم الخميس ٢٢ـ٥ـ٢٠٠٣ مشروع قرار لرفع العقوبات الاقتصادية عـن العـراق بعـد مـرور حوالـي ١٣ سنة، ولكن في إطار شروط والتزامات نص عليها مشروع القرار الأمريكي البريطاني الذي عرضه البلدان للتصويت على المجلس، فحظي بأغلبية ١٤ صوتا، وتغيب ممثل سوريا عن التصويت .

والحـال أن مجلـس الأمـن يعـترف بمـوجب القـرار رقـم ١٤٨٣ بمـشروعية الاحتلال الأمريكـي البريطانـي للعـراق، ويشير إليه في المتن باعتباره "السلطة"، وهو إجراء غير مـسبوق في تـاريخ مجلـس الأمن، خاصة أن الحرب على العراق التي انتهت باحتلاله لم تكـن مـشروعة بنظـر القانـون الدولي، أو تحظى حتى بموافقة مجلس الأمن؛ الأمر الذي يضفي الشرعية بموجب القرار على الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق .

وبخـلاف الاعـتراف بالاحتلال فقد حصلت واشنطن ولندن على مكسب إضافي آخر لا يقـل أهمية من الناحية القانونية، وهو أن القرار غير مقيد بتواريخ زمنية محددة، سوى

أن "السلطة" سوف تقدم تقريرا عن أعمالها لمجلس الأمن في غضون ١٢ شهرا، وهو ما يطلق اليد الأنجلو أمريكية في العراق لتواريخ غير محددة.

تأسيسا على هذا المبنى القانوني للقرار تأتي الفقرات الخاصة برفع الحصار الاقتصادي عن العراق في فقرات لاحقة، والتي يأتي نصها كالتالي: "ترفع كل العقوبات التجارية والمالية المفروضة على العراق منذ أغسطس/آب ١٩٩٠ عدا الحظر على الأسلحة" الذي يبقى ساري المفعول.

كما نص القرار على تشكيل صندوق لتنمية العراق تحت إشراف المصرف المركزي العراقي، وتشكيل مجلس دولي يضم ممثلين عن الأمم المتحدة والمنظمات المالية الدولية والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، في محاولة لإضفاء الطابع الموضوعي على القرار، وتمويه السيطرة الأمريكية الإنجليزية على الاقتصاد العراقي بعباءة دولية؛ حيث إن القرار ينص أيضا على أن أموال الصندوق تصرف بمبادرة من "السلطة" بالتشاور مع الحكومة الانتقالية.

وحسب منطوق القرار يرحب مجلس الأمن باستعداد الأطراف الدائنة للعراق بما في ذلك نادي باريس لحل مشكلة الديون العراقية، كما اشتمل القرار على أن يحصل صندوق التنمية المذكور على عائدات النفط العراقي في إطار الأسعار الدولية وقت البيع، ولكن دون أن يحدد الكميات أو السياسات النفطية للعراق، تلك التي تركها بيد "السلطة"؛ وهو ما يعني أن واشنطن حصلت على النفط العراقي خارج إطار منظمة أوبك التي ينتمي إليها العراق، وبالتالي يمكن "للسلطة" أن تقرر خروج العراق من المنظمة، وإغراق السوق الدولية بالنفط العراقي عند الحاجة لخفض سعره، ولا يقيدها في هذا الموضوع سوى بيع النفط "بالأسعار الدولية السائدة في حينه" فقط.

ولأن الأسعار تتغير يوميا وباستمرار حسب العرض والطلب في السوق العالمية للنفط الذي تتحكم به الولايات المتحدة لاعتبارات مختلفة؛ فقد أعطى القرار لواشنطن ولندن حرية تحديد الكميات والأسعار والسياسة النفطية للعراق.

مستقبل النفط بأيدي المحتلين

ولا تتوقف المعاني الاقتصادية للقرار ١٤٨٣ عند ذلك فقط، بل إن القرار ترك "للسلطة" -فيما ترك وهو كثير- تقرير مستقبل النفط العراقي من حيث شكل الملكية

الـتي لم يـأت علـى ذكـرها مـن قريب ولا من بعيد، بل ترك ذلك "للسلطة" ؛ وهو ما يعـني أن القـرار تـرك الـباب مفـتوحاً أمـام واشـنطن لتنفـيذ مـا أعلنت عنه في الأسابيع الـسابقة، وهـو نيـتها خصخصة قطاع النفط العراقي، وتحويله من الملكية العامة العراقية إلى الملكية الخاصة المحلية والأجنبية.

ودون الخـوض في تحلـيل جـانبي يـتعلق بـصوابية سياسـات الخصخصة بشكل عام، والأطـر النظـرية الـتي تـستند إلـيها. . تجمـع مـدارس الفكـر الاقتصادي على اختلاف مـشاربها علـى أن عملـيات خصخـصة قطـاع الـنفط في أي بلـد تـتطلب توافـر عـدة اشـتراطات، مـنها وجـود الاقتـصاد المعـني في حالـة طبيعـية ومستقرة، ووصول سوق الأوراق المالـية في الـبلد المعـني بخصخـصة قطاع النفط فيه إلى مستوى معقول من التطور بحيث يستوعب هذا المتغير، كما يشترط أيضا وجود القطاعات الاقتصادية الأساسية في حالة متنامية، بالإضافة إلى عمل القطاع الخاص بشكل فاعل في هذه القطاعات.

ولكـن الاقتصاد العراقي يمر بظروف غير طبيعية منذ بداية الحرب العراقية الإيرانية في عـام ١٩٨٠، والخـسائر والـتدمير الذي حل به من جراء الحرب التي استمرت حتى عام ١٩٨٨، ومـن بعـدها أدخـل الـنظام العراقـي الـسابق بـلاده في دوامة أخرى حين احتل الكـويت عـام ١٩٩٠، وهـو مـا بـرر العقوبات الاقتصادية عليه، والتي استمرت حتى صـدور قـرار مجلـس الأمـن الأخـير؛ وهـو ما يؤكد ويثبت انتفاء الشرط الأول الخاص بوجود الاقتصاد المعني في حالة طبيعية ومستقرة.

أمـا من حيث الشرط الثاني والخاص بوصول سوق الأوراق المالية إلى مستوى معقول مـن التطور؛ فهو لا يتحقق بأي حال في العراق؛ بسبب عدم وجود سوق للأوراق المالية مـن أساسـه حتـى الآن في العـراق، ناهـيك عـن أن القطـاع الخـاص لم ينـشط إلا على اسـتحياء وبـشكل هامـشي طوال النصف الثاني من حكم حزب البعث لمصلحة "قطاع عـام بعثـي" اتساقاً مع الأطروحات الإعلامية للنظام السابق. وهكذا يتضح أن الشروط الأساسـية لخصخصة قطاع النفط وبإجماع المدارس الفكرية الاقتصادية غير متوافرة نهائياً في الحالة العراقية بالوقت الراهن.

لصالح اللوبي النفطي

تأسيساً على هذه المعطيات يكون الهدف نزع ملكية الشعب العراقي لنفطه لصالح اللوبي النفطي الأمريكي الذي يؤثر بشدة على صانع القرار في واشنطن، وهو ما يعزز من مصداقية الفرضية القائلة بأن الهدف الأساسي للحرب على العراق هو السيطرة والاستحواذ على نفطه.

ويكتسب هدف السيطرة على نفط العراق أهمية قصوى للإدارة الحالية في واشنطن؛ لعدة أسباب، يأتي في مقدمتها الارتباط العضوي للإدارة الأمريكية الحالية باللوبي النفطي، ابتداء من الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، ومرورا بنائبه ديك تشيني، وليس انتهاء بكونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي.

كما أن الحملة الانتخابية للحزب الجمهوري في الانتخابات السابقة تم تمويلها من الشركات النفطية بالأساس، ويهم الإدارة الأمريكية الحالية الحصول على مثل هذا الدعم في الانتخابات الرئاسية المقبلة بعد عامين.

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن عملية إعادة الإعمار في العراق سوف تذهب في حصتها العظمى للشركات الأمريكية، وبحصص أقل كثيراً للشركات الإنجليزية والغربية، ولمصلحة انتعاش هذه الشركات العاملة في قطاعات اتصالات والتشييد والبنية التحتية والمواصلات؛ الأمر الذي يحقق "المصالح الوطنية الأمريكية" من منظور الإدارة الحالية.

ولا يفوت علينا في تحليل مضمون ومعاني القرار ١٤٨٣ أن نلاحظ حقيقة أن العقود التي أبرمها النظام السابق مع روسيا وفرنسا خصوصاً لم يأت ذكرها، وإنما يقع البت فيها بدائرة اختصاص "السلطة" والحكومة الانتقالية العراقية المرتبطة بها بحكم منطق الأمور، وهو ما قد يفسر التراجع الواضح لمواقف موسكو وباريس أمام واشنطن طمعاً في تحجيم خسائرهما، والحصول ربما على جزء ولو ضئيل من الكعكة العراقية، بعدما تكفلت الآلة العسكرية الأمريكية البريطانية فرض واقع جديد على أرض العراق لم يفلح مجلس الأمن سابقاً في منعه.

قصارى القول أن قرار مجلس الأمن ١٤٨٣ الخاص برفع العقوبات الاقتصادية على العراق يضفي الشرعية على قوات الاحتلال، ويسلم ثروات العراق وبشروط فضفاضة، وبدون آليات مراقبة دولية أو إقليمية أو حتى عراقية ليد الاحتلال الأمريكي البريطاني، ويفوض واشنطن ولندن في إدارة وبيع ورهن الثروات النفطية العراقية بتوكيل شامل وغير محدد المدة وبغطاء من الشرعية الدولية.

مصادر الدراسة

١ . حقائق مخفية عن علاقة البعث بجهات استخبارية أجنبية الجزء الثالث، زهير كاظم عبود، جريدة البينة، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥

٢ . عالم صدام الخاص، ألان ليتل، البي بي سي ، ٢٧/ ٠١/ ٢٠٠٣

٣ . الاستراتيجية الأمريكية في العراق خلال نصف قرن، الحلقة الأولى، كتابات ـ صلاح التكمه جي، مركز دراسات جنوب العراق

٤ . لاستراتيجية الأمريكية والعراق، د. خالد ابراهيم، شبكة البصرة، ٣ـ٣ـ٢٠٠٥

٥ . هل أعطت أمريكا الضوء الأخضر لصدام لغزو الكويت؟، كليم عمر، صحيفة جانج الباكستانية، ترجمة: أحمد أبو عطاء، ٢ يناير ٢٠٠٦م

٦ . الأرشيف الوطني الأمريكي ١٩٦٤ـ١٩٩٤ "١ـ٢، موقع عربستان ـ نقلا عن جريدة الخليج الإماراتية

٧ . شركات غربية زودت النظام العراقي بالأسلحة ذات الدمار الشامل، مركز الدراسات السياسية فى النرويج، ١٤/ ٦/ ٢٠٠٥

٨ . الاستراتيجية الأمريكية في العراق، جريدة البينة، ٢٣ـ٤ـ١٤٢٧ هـ

٩ . المباني والمعاني . . للقرار ١٤٨٣، د. مصطفى اللباد، اسلام اون لاين نت، ٢٤/ ٠٥/ ٢٠٠٣

١٠ . أزمة الخليج والعوامل الموضوعية غير المباشرة للدكتور سعيد أبو علي

الفصل الثاني

دور الإعلام الأمريكي في حشد الرأي العام للحرب في العراق

(قراءة سريعة في استراتيجية الخداع الإعلامي الأمريكي لشعوب العالم والعرب والأمريكان لكسب تأييد خوض الحرب في العراق)

مقدمة الدراسة

الرسالة الإعلامية فى حرب العراق

إن كانت هناك حقيقة اساسية اكدتها حرب العراق، فهي قوة وسائل الإعلام كمصدر لصناعة الرأي العام وإنتاج المقولبات الفكرية أو تفكيكها، وهي بالتالي عامل رئيسي في التاثير على القرار السياسي . واذا كانت هناك ضحية مباشرة لسطوة الإعلام، فإنها " حكم التاريخ " الذي سيستعصي عليه ان يطلق رأيا موضوعيا على هذه المرحلة من التاريخ العراقي والعالمي وسط التدفق اللامتناهي من الرسائل الإعلامية المتناقضة . ان الحقيقة في عالم اليوم، ليست ما يجري على الارض فعلا، بل ماتقول وسائل الإعلام انه يجري، ولذلك فإن الحديث عن حكم " موضوعي " هو امر مثير للسخرية لأن وسائل الإعلام كلها تنطلق من متبنيات فكرية وسياسية مسبقة وتسقط منظورها على الحدث ليعاد إنتاجه وفق الرؤية التي تنطلق منها .

ولو لم تكن القنوات التلفزيونية الأمريكية الرئيسية ذات توجه ليبرالي، إذا استثنينا الفوكس نيوز، لما تسنى للرأي العام الأمريكي ان يشهد هذا التحول المذهل خلال العامين الأخيرين وان يصل تأييد الحرب في العراق إلى هذه المستويات المتدنية وتبدو إدارة بوش في عامها الاخير واحدة من اكثر الادارات الأمريكية عزلة عن توجهات الرأي العام . لقد شهد المجتمع الأمريكي منذ منتصف السبعينيات حزمة من التطورات الاقتصادية والاجتماعية والقيمية في اطار الانتقال من نموذج المجتمع الصناعي إلى نموذج المجتمع مابعد الصناعي، وتفككت العديد من المنظومات التقليدية ذات الصلة بمرحلة الحداثة لتخلي مكانها إلى منظومات مابعد الحداثة حيث لم يعد المجتمع في وضع يسمح له بالتوحد خلف قيم مطلقة ونمط من السياسات التبشيرية، لقد سعى الجمهوريون منذ عهد كلنتون إلى شن هجوم على الانماط الثقافية الجديدة والليبرالية المتصاعدة ونجحوا باستثمار صعود النزوع الديني كأحد تجليات مابعد الحداثة في التمويه على الإدراك العام وخلق تشويش عزته فيما بعد أحداث ١١ سبتمبر التي ايقظت فكرة التهديد وأعادت

احياء بعض النزعات القومية في مابدا فورة استثنائية عن حركة التاريخ، لم تتمكن من الصمود أمام رغبة المجتمع بالعودة إلى حالة من الوعي الطبيعي ومغادرة وضع الاستنفار الذي بدا يغلب علية الافتعال لاسيما مع ماكشفته حرب العراق عن هشاشة الأسس الدافعة لشن الحرب و الخطط الموضوعة لإدارة مرحلة مابعد التغيير . وهنا كان للإعلام اليساري والليبرالي الأمريكي دورا رئيسيا ليس فقط في اعادة صياغة منظور الإنسان الأمريكي العادي لمنطق هذه الحرب، بل وفي تشكيل المزاج العام الذي انتج الفوز الكاسح للديمقراطيين في انتخابات الكونغرس الاخيرة ويبدو ممهدا لمرحلة من تسيد الحزب الديمقراطي للحياة السياسية في الأعوام المقبلة .

بالمقابل، لعب الإعلام العربي دورا رئيسيا في صياغة الادراك العراقي والعربي لهذه الحرب وتجلياتها وإن كان ذلك بصور متفاوتة . القنوات الفضائية العربية تختلف عن الأمريكية في كونها ممولة من الأنظمة الحاكمة بطرق قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، وبالتالي فإنها رغم مساحة من الحرية الممنوحة تتحرك في اطار ماتمليه عليها المواقف الرسمية، وفي اطار التناغم مع الاساطير السائدة في الشارع العربي باعتباره المتلقي لرسائل هذه القنوات . لذلك كان التعاطي السلبي مع الدخول الأمريكي للعراق قاسما مشتركا لدى الوسائل الإعلامية العربية التي لم تستطع ان تتجاوز المقولبات الفكرية السائدة، والمنظومات الثقافية المهيمنة، والكوابح الرسمية الفاعلة، ليندرج سلوكها في اطار هجوم مقابل ضد السياسة الأمريكية في " مفصل دخولها العسكري إلى العراق " تحديدا" . ومن هنا رحنا نبحر في بحر التناقضات العربية التي راكمها هذا البون بين الخطاب الرسمي والفعل الرسمي، وبينهما وبين الاساطير المهيمنة شعبيا، لنجد قناة فضائية ممولة من حكومة ترتبط بتحالف إستراتيجي وأمني مع الولايات المتحدة وكانت القاعدة المركزية لإدارة الحرب تتبنى موقفا مؤدلجا متطرفا ضد الحرب وكل نتائجها، وبتناغم ملفت بدت القنوات العربية الاكثر رسمية في الدول المرتبطة بتحالف عسكري مع الولايات المتحدة واسهمت بهذه الطريقة أو تلك في تسهيل الحشد العسكري الأمريكي، تتبنى موقفا متشددا من الحرب ونتائجها . وبالطبع فإن العلة تكمن في ماانتجته تلك الحرب من تغير جيوسياسي ومن تحول في المعادلة السياسية ـ الاجتماعية المهيمنة وتهديد للنظام الاقليمي المتشكل اثر صعود دور المال الخليجي وتحوله إلى عصب الحياة الرئيسي في هذا النظام .

لقـد امـتلكت القـنوات التلفـزيونية العـربية سطوتها على الشأن العراقي بفعل عامل اللغـة ، وعـندما تم الانـتقال بعد سقوط النظام السابق من نمط العلاقة القائمة على القوة الـصلبة إلى نمـط العلاقـة القائمة على القوة المرنة حيث بدا الفشل الأمريكي يتراكم بفعل هـذا الانفـصال الثقافي واللغوي والوجداني عن المجتمع العراقي ، وبعد أيام من الدهشة الـتي تلـت الحـرب أصـبحت عناصر التخندق تصنع من قبل الإعلام العربي وبات على هؤلاء الذين صفقوا للدخول الأمريكي ان ينتقلوا إلى موقع الدفاع عن أنفسهم في الوقت الذي كانت البنية الاجتماعية ـ السياسية تشهد سيولة مفرطة ، ومعركة غير مرئية لصياغة المفاهـيم خـسرتها الإدارة الأمـريكية تماما بفعل عجزها عن فهم المنظومة القيمية السائدة عراقيا . الرسائل الإعلامية الناقلة لنمطين مختلفين من التعاطي مع الدخول الأمريكي بين المـناطق الـشيعية والكـردية مـن جهة ، والمناطق السنية من جهة اخرى ، رسمت الطريق لتـشكل بقية القصة ، حيث أصبح الشيعي ينظر إلى رسائل هذه القنوات بوصفها رسائل معاديـة ، والـسني يـراها رسائل مساندة ، مع التأكيد على تباين بين سلوك هذه القنوات انعكـس علـى تـباين في حديـة المواقف تجلى في مشهد قتل الصحفية اطوار بهجت عندما أصـبحت مراسلة لقناة العربية " الاقل تشددا " بعد زمن من التغاضي عنها عندما كانت مراسلة لقناة الجزيرة " الاكثر تشددا " ، لقد أصبح التخندق غريزيا ومثله سلوك وسائل الإعـلام لينـتج حلقـة مفرغة من ردود الأفعال العقيمة التي كرست شكل الحالة العراقية كقصة فشل مزمن فكك تماما الاساطير التي روج اليها الفعل الأمريكي كدمقرطة الشرق الأوسط ، لينتج اساطير بديلة ليهيمن عليها التخندق السلبي في حالة متواصلة من الدفاع عـن الـذات ضـمن مـنظومة من العلاقات التي لايحكمها شئ بقدر فقدان الثقة بين جميع الفاعلين

المحور الأول
استراتيجية التضليل الإعلامي لحشد الرأى العام لضرب العراق

بداية ، لا بأس من الاستشهاد ببعض الآراء التي تصب في اتجاه التأكيد على أهمية الدعاية وعلاقتها بالحقيقة . فهذا وينستن ترتشل يقول : الحقيقة ثمينة إلى حد أنه يجب حمايتها بموكب من الأكاذيب .

أما أحد المنظرين الصينيين فقال الحرب الإعلامية هي فن النصر دون حرب .

وهناك نظرية تقول : الدعاية نصف الحرب .

والآن ، لنقف عند مقطع من مقالة للصحافي الفرنسي إيريك رولو حيث يقول : في خضم الصراعات والحروب ، تسمح الدول العظمي لنفسها بممارسة شتي أنواع التضليل لشرعنة أفعالها وتوهيم العالم بأحقية خطابها فيصبح التلاعب بالمعلومات شائعا في أجواء الحرب عندما يكون كل شيء مكرسا لتعبئة الشعب ونشر أنصاف الحقائق ، من خلال الإسقاطات وبث الإشاعات التي لا يمكن التأكد من صحتها . وتعرف الحرب على أنها عادلة ولا مفر منها ودفاعية . وتصبح وقائية إذا ما اتخذت إحدي الدول المبادرة في النزاع خلافا للمعاهدات الدولية الهادفة بالتحديد إلى إبطال شريعة الغاب بين الدول .

يمكن القول ، بأن الدوائر الأساسية العليا التي تخطط للسياسة الخارجية سواء في بريطانيا أو في أمريكا على الخصوص ، تنشط في أجهزة دفاعها خلايا ومكاتب تنشأ في سرية تامة للتأثير الإستراتيجي القومي والدولي ، الهدف منه التلاعب بالرأي العام الذي بات يصنع ويجند ويحرك ، أو ببساطة يتم تجاوزه إلى حين آخر . ويتم معالجة وتسريب هذا الكم الهائل من المعلومات الحقيقية ، والفاسدة في كثير من الأحيان ، من وإلى وكالات الأنباء الدولية والقنوات الفضائية التي تشكل نبعا للعديد من العطشى والصحافيين . وتستعمل آليات التمويه والإثارة وكل فنون الخداع من خلال تصوير الآخر مثلا العربي ـ المسلم على أنه جبان ومارق ومخادع ولا يمكن الثقة به بينما الأنا تضخم طيبوبتها وتصبح معادلا لقيم الشرف والعدل والعقل . من أجل خلق قوة لا مرئية تتسرب عبر قنوات اتصال ، وتتداول في البرلمانات والمحافل الدولية لجعلها محط أنظار العالم ، مع إضفاء الطابع الذي تريده لوبيات المصالح السياسية والعسكرية عليها .

لكـل حـرب أهـداف معلـنة وأخري مسكوت عنها . ترى ما هي هذه الأهداف التي تـبجحت بهـا الإدارة الأمـريكية لإضـفاء الشرعية على عدوانها الأخير ، والأخرى التي صمتت عنها . سنحاول جهد الإمكان تقليب هذه القطعة النقدية لنتقرب من مدلولاتها .

أما الأوجه المعلنة فيمكن تلخيصها فيما يلي :

ـ الحـرب علـى العـراق كانـت مجـرد خـلاف ، أو حملـة خير من أجل صالح المنطقة برمتها .

ـ تحرير العراق وشعبه من الديكتاتورية ، وإحلال الحرية للجميع .

ـ تحقيق الديمقراطية .

ـ إزالة أسلحة الدمار الشامل وتحقيق السلم .

ـ إيقاف النظام البعثي عن تهديده لجيرانه وللعالم .

ـ توريط العراق في أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ، وربطه بالقاعدة .

ـ عدم احترامه لقرارات الشرعية الدولية .

ـ تقديم المساعدة الإنسانية وإعادة إعماره .

ـ ادعاء الدقة والموضوعية في وسائل إعلامها .

أمـا الأوجـه الخفـية التي لم تكن تعلن عليها الإدارة الأمريكية في بلاغاتها ومؤتمراتها الصحافية ، فيمكن الإشارة لبعضها وهي :

ـ تغيير خريطة الشرق الأوسط مع إسقاط دول وتحويلها إلى دويلات صغيرة .

ـ الدفع بالعالم إلى المزيد من التسلح .

ـ الاستيلاء على ثروات المنطقة .

ـ إحداث فراغ مدني وعسكري .

ـ إخـضاع الـدول المجـاورة والـتي قـد تـشكل خطرا أخضر ، وإجبارها على تغيير سياستها وطرق تعليمها .

ـ تحقيق سياستها في إسرائيل على حساب حقوق الشعب الفلسطيني .

ـ تحقيق ارتفاع اقتصادي واجتماعي داخل مجتمعاتها وضمان مستقبلها .

ـ إقناع العالم بأن أمريكا هي القطب الأقوى ، والآمر الناهي في العالم .

ـ عقد صفقات مع كبريات الشركات العالمية واليهودية .

ـ طمس هوية العراق ونهب آثاره ومعالمه الحضارية ، مع زرع الفتن الطائفية .

ـ تحويل العراق إلى قاعدة عسكرية كبرى واستخباراتية .

ـ استئجار القنوات وإرشاد مدرائها، وطرد الصحافيين المناوئين لسياستها.

لقد وظفت الحرب الإعلامية على العراق تقنيات حديثة وقديمة لغسل الأدمغة وإحداث الوقع على العقول والقلوب كما قيل، لكسب دعم الجماهير حتى لا تظهر سياستها الخبيثة على حقيقتها ومن ضمن هذه التقنيات:

التضخيم والتقزيم: فقد عملت الأجهزة الإعلامية الأمريكية على تضخيم إمكانيات العراق النووية والبيولوجية من جهة، ومن جهة أخرى، تقزيم دوره السياسي، واندحار شعبيته وانقطاع مساندة العالم له.

الإثارة والتشويق: حشد العديد من الصحافيين الموالين للإدارة الأمريكية في صالات الندوات الصحافية ليتم تزويدهم على مدار اليوم بمعلومات عامة وأحيانا ينقصها الاستدلال. ولعل ذلك كان متعمدا حتى يتم التستر على بعض المعطيات للإبقاء على الفضول وحب الاستطلاع.

التهويل والصدمة: لكن يمكن التذكير بالأعداد الهائلة من الجنود العراقيين الذين استسلموا أو فروا من الجبهة. الحديث وإعادة الحديث عن الجرائم التي اقترفها النظام البعثي في حق أكراد الشمال وشيعة الجنوب. هدفت الولايات المتحدة إلى إضعاف العراق من خلال مسلسل التخويف من الهجمات، وكمية القنابل والأسلحة الذكية.

الغموض والتردد: لقد عمدت الماكينة الإعلامية للحلفاء على نشر حالة من عدم اليقين والتأكد لدي الصحافيين، وذلك بالعمل على إخفاء الحقائق أو التلاعب بها إلى آجال محددة أو غير محددة.

العمل على تأكيد أو نفي ما تم تأكيده سابقا بغية تحقيق مكاسب سياسية أو إعلامية وفق خطط كان يتم تعديلها باستمرار وتخضع لبراغماتية المرحلة وتداعياتها المرتقبة.

يمكن القول، أن الآلة العسكرية والتكنولوجية للحرب الأمريكية على العراق تعززت بأدوات أخري لا تقل أهمية عن سابقتها، وعلي رأسها الأداة النفسية والدعائية وما وظفته كبريات وكالات الأخبار، والقنوات الإعلامية من وسائل الاتصال وصحافة مكتوبة، ومنشورات وأقمار صناعية، ومواقع على الانترنت، وأجهزة الهاتف المنقول برسائله الإلكترونية التي كانت إما تطلب الاستسلام من كبار القيادة، أو الكشف عن مواقع العمليات.

بإمكاننا إضافة تلك الاستراتيجية الجهنمية التي استفادت من آخر التطورات العلمية في مجالي اتصال والتوظيف التكنولوجي لآليات الدعاية وتهيئة النفوس

لهضم طروحات الآخر والتأقلم معـــها . ومن هنا، رأيـــنا كيف اعتمدت الحرب في نجاحها على هذا النظـــام الإعلامي المتطور مدمجا في حساباته معــــادلات بشرية وأخري مادية صرفة، كاستعمال الليزر وأجهزة التحكم عن بعد وإلحاق أكبر الخسائر بأجهزة التواصل لدى العراقيين واعتبار ذلك عاملا أساسيا في كسب المعارك .

لقد أبانت أيام الحرب على العراق في ظل نظام عولمة الاتصال والدعاية، أهمية الإذاعات السرية في الداخل أو المنفى لكسب النفوس إتماما لما عجزت عنه الأسلحة . وأظهرت الأيام الخوالي كيف أنعم على العراقيين بأجهزة الراديو للاستماع لأخبار متنوعة، وكيف كان احتلال الإذاعة والتلفزيون على رأس جدول الأعمال لأهميته في تشكيل الرؤية والتأثير النفسي. وكيف يتم حاليا بث برامج أمريكية مدبلجة لملء هذا الفراغ السياسي والثقافي الذي تغيبت أو غيب عنه الإعلام العربي لافتقاده مشروعا سياسيا واضح المعالم، أو لخضوعه في مجمله لسياسة الاملاءات الأمريكية. كما يمكن إضافة عنصر غياب القدرة على استقلالية التحليل والمواجهة بالحجة والدليل، وذلك لتهميش زخم المجتمعات العربية من الإشراك السياسي في بناء المستقبل. لكن أليست السياسة الأمريكية البريطانية، والتي اعتمدت على تقارير كاذبة، هي من برر وروج لثقافة القتل، وتجنيد العالم للتأقلم مع هذا الجنون المرضي لدي ساسة يعتبرون قادة العالم؟ ألا يعطون أسوأ مثال على استغلال النفوذ ونشر الإرهاب لزعماء يقلدونهم في كل صغيرة وكبيرة. ألم يمارسوا الكذب والبهتان للضحك على شعوبـــهم وعلي شعوب العالم؟ ألم يمارسوا القتل والعنف مع ســبق الإصرار والترصد؟ ألا يستحقون المحاكمة لارتكاب جرائم فظيعة ضد الإنسانية؟ وأي حكم بمقدوره إنصاف شعب بكامله؟

الإعلام الأمريكي بدأ الحرب بعد هجمات سبتمبر بشهرين لتمهيد الرأى العام فى كل مكان للحرب

ببساطة شديدة صرح وزير الدفاع الأمريكي رامسفلد ثاني أيام العدوان الأمريكي البريطاني على العراق " أن قوات التحالف الأمريكي البريطاني دخلت ميناء أم قصر دون مقاومة تُذكر، وقد استسلم قائد الفرقة / ٥١ / وجنوده، وتجري مفاوضات مع قائد الفرقة لحل وضعهم كأسرى حرب " وطمأن رامسفلد الشعب الأمريكي بأن آبار النفط أصبحت في مأمن، وتحت السيطرة وهذا انتصار مهم " . وعرضت القنوات

التلفـزيونية الأمـريكية دون اسـتثناء صـور مـا وصـفهم وزير الدفاع رامسفلد بالأسرى العـراقيين مـن الفـرقة / ٥١ / . وتجاهلـت الـضحايا من المدنيين العراقيين، الذين قتلوا بـصواريخ كـروز الفـتاكة . وقـد فنّد العراق هذه المزاعم، حيث صرح لقناة الجزيرة قائد الفـرقة/ ٥١/ خالد الهاشمي وجنوده حوله أن المزاعم الأمريكية جزء من الحرب النفسية ضـد القـوات العـراقية، ووصف شدة المعركة مع القوات الغازية في مدينة البصرة، ولـم يـنف الخـسائر في صفوف القوات العراقية، لكنها ضريبة الوطن الواجب دفعها. واحتج رامسفلد والرئيس بوش على " فعلة " العراق عندما عرض الأسرى والقتلى الأمريكيين في معـركة أم قـصر وقـد أطلـق علـيها العـراق معـركة " الحواسـم " . والمؤسـف أن التلفـزيونات الأمـريكية الـتي عرضـت " الأسرى العراقيين " لم تعرض صور الأسرى والقتلـى الأمـريكيين، وحـسب مراسل الجزيرة في قاعدة السيلية القطرية، عفوا القاعدة الأمـريكية في قطر حيث تُدار عمـليات الحرب ضد العراق، قال مراسل الجزيرة : " لقد أخـذت عدة قنوات أمريكية شريط صور الأسرى والقتلى الأمريكيين، لكن قناة واحدة بثـتها ولمـرة واحـدة، ثـم جـاءت الأوامر من البيت الأبيض بمنع عرض الشريط، خشية الـرأي العام الأمريكي " طبعا الخوف أن ينقلب الشعب الأمريكي ضد حكومته، ويُرغم قأدتـه علـى الانـسحاب مـن العراق . وكما يبدو جليا أن الحرب على العراق يلعب فيها الإعـلام دورا، لا نبالغ لو قلنا السلاح الأول والأمضى لتثبيط معنويات القوات العراقية والـشعب العراقـي، خاصـة وأن المدنيين عاشوا هول الغارات التي ألهبت المدن العراقية بـنيرانها، ويـزعم الأمـريكيون أن أسـلحتهم " ذكية " تذهب للهدف فقط، وأهدافهم الـنظام العراقـي، ولـم يُفسر سواء الرئيس بوش أو وزير دفاعه أو الناطق باسم البنتاغون أو الخارجـية أو الإعـلام الأمريكي لماذا دمرت صواريخهم منازل المدنيين وراح نحو ثمانين عـراقيا أشـلاء، ونحـو سـتين آخـرين أصـيبوا بجـراح بليغة . الحرب الإعلامية في الواقع تمـارس جمـيع الحكـومات وفي كـل العـصور التضليل الإعلامي على نحو ما، فالتلاعب بالمعلـومات يـصبح شـائعا في أحـوال الحرب، لأن الجهود تكون منصبة لتعبئة الشعب، فتنـشر نـصف الحقائق، وتكثر الشائعات التي يصعب التأكد من صحتها وقت الحرب، وفي الحرب الراهنة ضد العراق، تبرر الحكومة الأمريكية لشعبها، بالحرب " العادلة " و " لا مفـر مـنها حفاظـا علـى الأمـن القومـي الأمريكي " وبالتالي يسمونها " دفاعية " وتـصبح " وقائـية " من خطر مُحتمل قد يأتي من " أسـلحة الدمار الشامل " العراقية المـزعـومة فيما لو وصلـت " للإرهابيين " . . وغيرها من دعاية تتحكم فيها الترسانة

الإعلامية الأمريكية المتطورة تقنيا عن كل نظيراتها في العالم، ويتحكم فيها اللوبي الصهيوني. والتضليل الإعلامي له قواعده، كما للحرب العسكرية قواعدها، فالإعلام الأمريكي ـ وللأسف بعيدا عن الاحترافية الصحفية التي تلزم الموضوعية ـ راح يدفع الأزمة العراقية ـ الأمريكية إلى ذروتها، بتصوير العراق العدو رقم واحد، ورئيسه شرير، لا يتورع عن استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد المدنيين الأمريكيين كما فعل بن لادن في هجمات الحادي عشر سبتمبر ٢٠٠١. هذا فضلا عما وصفوا به الرئيس العراقي صدام حسين ونظامه بأوصاف غير مهذبة بالمرة، وقبله " حظي " قادة آخرون في العالم بمثل هذا " اللطف الإعلامي الأمريكي " مثلا: مغامر، شيوعي متطرف، مختل عقليا، نازي ... إلخ، فمن الإيراني مصّدق، إلى العراقي صدام حسين مرورا بالمصري جمال عبد الناصر، والليبي معمر القذافي، والفلسطيني ياسر عرفات، وشافيز الفنزويلي، الكوبي فيديل كاسترو، وغيرهم. ويوصف أنصار الحل الدبلوماسي بالجبناء أو المستسلمين وفي أحسن الحالات " سذُج "، وهكذا انطمس النقاش الموضوعي، بين مؤيد للحرب، ورافض لها. فقد أبلت وسائل الإعلام الأمريكية بلاء غير مسبوق لتحضير الرأي العام الأمريكي والدولي لضرب العراق. فقد قُرعت طبول الحرب ضد العراق بعد شهرين من هجمات الحادي عشر سبتمبر، وقد وضعه الرئيس بوش من عداد دول محور الشر. للوهلة الأولى، وفي غمرة التعاطف الدولي مع أمريكا في مصابها، تصورت إدارة الرئيس بوش أن الوقت مناسب لشن الحرب، وكانت حربها ضد أفغانستان، حليفتها في حربها ضد الاتحاد السوفياتي سابقا، وشنت الحرب دون قرار أممي، وتواطأ المجتمع الدولي بالصمت على فعلة أمريكا وهي تدوس القانون الدولي الذي كانت أحد الأطراف الذي صاغه بعد الحرب العالمية الثانية. لكن بعد انقشاع غبار الحرب الأفغانية، تبين لأوربا أن أمريكا سيطرت على نفط آسيا الوسطى، وتخوفت الصين على مصالحها أيضا من النفوذ الأمريكي قرب حدودها من أفغانستان، كما هو الحال لدى روسيا. لذا عندما طرحت الولايات المتحدة شن حرب ضد العراق بذريعة " محاربة الإرهاب "، واجهتها تساؤلات المجتمع الدولي ومعارضة غير مسبوقة، فالدول الأوربية حكومات وشعوبا عارضت منطق الحرب، وهي التي كانت حليفة أمريكا. كما لم تتجل وحدة الموقف العربي على رفض الحرب كما هذه المرة، وإن كان الموقف العربي الرافض للحرب تنقصه الوسائل المادية الملموسة ليكون فاعلا في القرار الدولي، هذا ما إذا لم نقل أن النظام الرسمي العربي يرحب بتخلصه من الرئيس

صدام . ومن الجانب الأمريكي بينت استطلاعات الرأي الأمريكي أن المؤيدين للحرب انخفضت نسبتهم، فحسب صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية ، أنه في ديسمبر ٢٠٠٢ كانت أكثر من ٦٨٪ تعارض الحرب ضد العراق بدون موافقة مجلس الأمن، من بينهم ٧٢٪ معظمهم من الحزب الجمهوري الحاكم، يعتبرون أن البيت الأبيض لم يقدم البراهين الكافية لتبرير الحرب، فهم بالتالي لا يصدقون مزاعم الرئيس بوش " بالتهديد العراقي الوشيك " . وليس هذا فحسب، بل المعارضة كانت في أوساط كبار الضباط في البنتاغون وكبار المسؤولين في الخارجية، لكن الإعلام الأمريكي عتّم على هذه المعارضة، ونفخ بأتون الحرب. رغم أن الإدارة الأمريكية رفضت تقديم أدلتها لمجلس الأمن أو لمفتشي الأمم المتحدة عن حيازة العراق لأسلحة الدمار الشامل، حتى أن وزير الدفاع رامسفلد قال : " إن غياب الأدلة ليس دليلا على عدم امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل " ، وعندما واجهه معارضو الحرب في الإدارة الأمريكية بالنوايا المبيتة ضد العراق، وأنه كان مهندس التعاون العراقي ـ الأمريكي مطلع الثمانينات، إبان الحرب العراقية الإيرانية، ووثائق البنتاغون شاهدة على ذلك، نفى ما اتهم به من نوايا مبيتة، وقال : من السهل على صدام حسين الحصول على أسلحة الدمار الشامل وقد استخدمها في حربه مع إيران " ، طبعا هذه الشكوك لدى الأمريكيين، فكيف بنا نحن العرب ذوي الحق في ثرواتنا والسيادة على أراضينا أن نصدق مزاعم الرئيس بوش ووزير دفاعه أن حربهم "لتحرير" العراق ؟ فهل من يأتي محررا يرفع العلم الأمريكي في أرض عراقية ؟ ثم يدعي الرئيس بوش وحاشيته بأنهم يريدون " عراقا حرا ديموقراطيا " ، بكل أسف نقول هذا رياء في نظر الرأي العام الذي يتذكر جميع الدكتاتوريات الذين تساندهم واشنطن اليوم أو ساندتهم في العقود الماضية، حتى الرأي العام الأمريكي المولع بالدور " الإنقاذي للولايات المتحدة " والذي دأب رؤساؤها على تعبئة الأمريكيين به منذ الرئيس جورج واشنطن إلى ابراهام لنكلن . . ويلسون . . ألخ لم يتردد بالتساؤل : لماذا نُضحي بشبابنا من أجل دور ينبغي على الشعب العراقي القيام به ؟ ثم لماذا نظام صدام حسين وليس نظام كوريا الشمالية التي أعلنت عن امتلاكها أسلحة الدمار الشامل ؟فالتضليل الإعلامي الأمريكي بلغ ذروته، حينما أسقط تماما التبعات الاقتصادية والجيوسياسية للحرب على العراق، وما هي الفائدة لأمريكا من إقامة نظام موال لها في العراق، ولا شيء عن المخزون النفطي، المُقدر حاليا الثاني في العالم بعد العربية السعودية، ولا عن الوزن السياسي للعراق في منطقة الخليج، كما لم يذكر الإعلاميون العقود المنتظرة

للشركات الأمريكية لإعمار العراق من نفط العراق (من لحيته بخر له)، وتجاهل الوزن السياسي لإسرائيل في ظل وضع عربي واهن، متخاذل، لا يهم حكامه سوى مرضاة أمريكا للبقاء في السلطة. فوسائل الإعلام الأمريكية لم تطرح هذه المسائل، لتجعل الرأي العام الأمريكي يهتم بالأمور الثانوية .لكن من السهولة بمكان اكتشاف الوجه المستتر للاستراتيجية الأمريكية بالرجوع إلى وثائق مؤسسة " مشروع القرن الأمريكي الجديد "، حيث تبين دراستان على الموقع الالكتروني لها، مؤرختان في حزيران (يونيو) ١٩٩٧ وسبتمبر(أيلول) ٢٠٠٠، وهذا قبل استلام الرئيس بوش مقاليد الحكم بثلاثة أشهر، تحددان الأسس الأيديولوجية والعسكرية والاقتصادية التي يفترض بالسياسة الخارجية الأمريكية القيام بها، لتصبح الولايات المتحدة قائدة العالم، وتعالج القضية العراقية تحت بند المصالح الاستراتيجية الأمريكية، وليست مسألة حقوق الإنسان والديموقراطية أو أسلحة الدمار الشامل وراء ضرب العراق كما يزعم الرئيس بوش، بل بقاء القواعد الأمريكية في منطقة الخليج سواء بقي أم رحل الرئيس صدام حسين، المهم الحيازة على منابع النفط، وقد حذر الموقعون على الدراستين من بينهم رامسفلد، كولن باول وديك تشيني وغيرهم ممن هم الآن في إدارة الرئيس بوش، " بأن القوة العظمى العالمية الوحيدة " قد لا تنجز دورها التاريخي إذا عجزت عن استغلال الفرصة . وكانت الفرصة في أحداث الحادي عشر سبتمبر ٢٠٠١، حيث شرعت الولايات المتحدة في تنفيذ مخطط الهيمنة، وهذا ما جعل أوربا والصين وروسيا من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ومعهم ألمانيا، تشكل حلفا لمواجهة الخطر الأمريكي الداهم على مصالحهم. فيما تشتت العرب مزقا، وليس بمقدورهم اتخاذ موقف الحد الأدنى لدعم العراق دعما حقيقيا وليس في البيانات الآسفة . ولو كانت لديهم غيرة على المصالح الوطنية كما يزعمون لاتخذوا موقفا عمليا مع العراق، لأن صموده الأسطوري أمام القوات الأمريكية المدججة بأحدث الأسلحة، ولا أقول انتصاره سيغير المعادلة الدولية في بحث تسوية أوربية أمريكية تضع الخطوط الأولى لنظام دولي جديد، لا ينبغي فيه غياب العرب وهم واسطة العقد في المصالح الأوربية والأمريكية على السواء .

حرب المصطلحات من يكسب صدق الرأى العام

هل هي "حرب تحرير العراق"، أم "غزو جديد للعراق؟" وماذا يمكن أن يوصف شخص يقدم على تفجير نفسه عند نقطة تفتيش لقوات التحالف؟ هل هو

" استشهادي " أم " انتحاري " ؟لعل مثل هذه الأسئلة وغيرها قد دفعت عددا من الصحف العربية والدولية وطواقم تحريرها إلى إثارة النقاش قبيل وأثناء الحرب على العراق، لتحديد " اللغة " التي ستتناول بها مجريات الحرب الدائرة بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا، مدفوعة برؤيتها وسياستها التحريرية أو بتوجهات قرائها. ففي حين قرر عبد الباري عطوان رئيس تحرير صحيفة القدس العربي الصادرة من لندن، إلى جانب هيئة تحرير الصحيفة وصف الحرب على العراق بـ " العدوان والغزو " والقتلى العراقيين بـ " الشهداء " والعمليات الهجومية بـ" الفدائية والاستشهادية " ، يرى وليد عبد اللطيف النصف، رئيس تحرير صحيفة القبس الكويتية أن الحرب الدائرة إنما هي " حرب تحرير العراق " والإبقاء على وصف القتلى من الجانبين وقوات التحالف بذات الاسم. أما في صحيفة الأهرام المصرية، فلقد تم الاتفاق منذ بداية الحرب، كما يرى سلامة أحمد سلامة، مدير تحرير الأهرام، أن الحرب هي " ضد العراق " وليست " على العراق " ، مشيرا في ذلك إلى أن استخدام كلمة " ضد " جاء لأنها موجهة " ضد العراق ونظامه وشعبه. " وبحسب سلامة، فإن الأهرام تصف القوات الأمريكية بأنها " قوات الاحتلال " أو " قوات الغزو " . وهو ما يتفق معه عماد الحمود نائب رئيس تحرير صحيفة الرأي الأردنية في أشارته لاستخدام صحيفته مصطلحات " غازية " لوصف القوات الأمريكية، و " شهداء " للقتلى العراقيين، والإبقاء على مصطلح النظام العراقي دون أوصاف، مع توصيف الحرب بأنها " حرب عدوانية " . مرجعية الوصف " مرجعيتنا هي أخلاقية " . . كما يؤكد عطوان في جوابه على سؤال من الذي يحدد مرجعية اختيار المصطلح لوصف مفردات الحرب، ويضيف " بل كذلك فإن مرجعيتنا هي الأمم المتحدة، طالما أنها (المنظمة الدولية) لم تتخذ قرار العمل العسكري. " ويتساءل الكاتب الصحفي عطوان " نحن نستخدم مصطلح الغزو العراقي للكويت، فلماذا لا ينطبق الحال نفسه على الولايات المتحدة والعراق؟ لقد جاءت أمريكا من مسافة ١٠ آلاف كيلومتر لتحارب العراق. " غير أن القبس الكويتية، تستند في تلك المرجعية إلى رأي القراء، ويقول النصف لقد تم إجراء استفتاء وخلصت النتيجة إلى أن ٩٢ في المائة مع الحرب . . نحن مرتكزين للشارع الكويتي. " أما في الأهرام فقد أوضحت التعليمات للمحررين " بتأييد الشعب العراقي في مواجهته لقوات الغزو، مع عدم إغفال ما يحدث من الطرف الآخر. " ويؤكد سلامة المحلل السياسي كذلك في الصحيفة المصرية، أن هيئة التحرير هي التي اختارت هذه المصطلحات آخذة بعين الاعتبار " ألاّ تصطدم بالموقف الرسمي،

وأن تعبّر في الوقت ذاته عن الشارع المصري. "ومع أن "الحكومة الأردنية لم تستخدم مفردة العدوان لوصف الحرب على العراق"، كما يرى الحمود من الرأي، فإن "صحيفته استخدمتها (العدوان) منذ البداية، بعد أن اتفقت عليها هيئة التحرير باعتبارها المرجعية في ذلك. "ويوضح الحمود أن استخدام بعض المفردات على غرار "الشهداء" إنما تعود "لكونها جزءا من مفرداتنا وتاريخنا. "ردود الفعل بقدر ما ساهم اختيار المصطلحات لكل صحيفة في زيادة عدد قرائها، فقد ساهم في إضفاء حرب جديدة خفية بين المؤسسات الصحفية في تشكيل رأي عام في الشارع العربي، مدفوعة في ذلك بخلفيات اقتصادية أو سياسية أو أيديولوجية. فقد زادت نسبة التوزيع -على سبيل المثال- في القدس العربي بنسبة تتراوح بين ٣٠ إلى ٥٠ في المائة، في حين ساهمت شكل التغطية للأهرام في امتصاص انتقادات وجهت لها في البداية، وفي كسب تعاطف شعبي واضح انعكس في المظاهرات ضد الحرب.

ومن الأردن أكد الحمود على ضرورة الانسجام مع وسط القراء المستهدف بمخاطبته، والأمر نفسه في الكويت وإن اختلفت توجهات القراء، بسبب "الخصوصية المنفردة التي عاشتها الكويت في تجربة الغزو العراقي لها عام ١٩٩٠"، كما يرى النصف. مستقبل قاموس الحرب ومثلما اختلفت المصطلحات والأوصاف الجديدة في وسائل الإعلام العربية وحتى الأجنبية ضمن اجتهادها لمتابعة الحرب، أو تضمينا لمفردات وردت على ألسنة المسؤولين من كلا الجانبي، فقد اختلف تقدير الصحفيين العرب لمستقبل هذه المصطلحات وعمرها الزمني، أخذا بعين الاعتبار تداخل تقدير الموقف السياسي المستقبلي. فعبد الباري عطوان يشكك في "أن تحقق الولايات المتحدة وبريطانيا أهدافهما، ومن ثم فستكون هناك فوضى في العراق وأرضية خصبة لازدهار التيارات الإسلامية والقومية المتشددة، ولهذا فموقف صحيفته ثابت طالما أن هناك احتلال وقوات أجنبية في أي دولة عربية" بحسب وصفه. لكن ماذا لو توقفت الحرب؟ يقول عطوان "سيكون هناك نظام موال لأمريكا ولن نعطيه شرعية على صفحاتنا." فيما يؤكد النصف على أن مستقبل المصطلحات حينئذ "يعتمد على رضا العراقيين . . وهي مسألة ليست سهلة."

أما سلامة فيتوقع أن لا يجد النظام (الجديد) تأييدا من الشارع المصري أو الصحفيين"، في حين يعتمد الأمر في صحيفة الرأي على طريقة تشكيل النظام القادم، حيث "لا بد من الإشارة إلى طريقة تعيين هذا النظام" بحسب الحمود. المصطلحات بين

الموضوعية والتوجيه من جهته يرى الدكتور محمد عايش من جامعة الشارقة بدولة الإمارات، أن متابعة التغطيات الجارية للحرب تشير إلى خط المؤسسة السياسي الذي تسير عليه، ولذا فإن "المصطلحات قد تتشكل نتيجة لمزيج من ضغوطات الشارع ومصادر الأخبار. "ويشير الخبير الإعلامي عايش، إلى أن رصد خطاب "وسائل الإعلام الأمريكية ؟على سبيل المثال- يشير إلى أن هناك الكثير من الوطنية والقليل من المهنية، وهو ما يتضح من خلال التزامها بالموقف الرسمي وعدم تذمرها من عدم تدفق المعلومات. "ويؤكد عايش على أن قضية "التوازن والموضوعية ليستا واردتين في الإعلام الأمريكي تجاه الحرب، بل تقتصران فقط على الساحة المحلية وهو ما ينطبق كذلك على الصحف العربية، حيث تعكس التغطيات الصحفية سياسة كل دولة. " مشيرا إلى أن "وسائل الإعلام تكون متواطئة مع الحكومة. "

المحور الثاني
الرأى العام العربى

يبدو أن كل ما هو أمريكي فإنه عجيب في نفس الوقت ويبعث على الضحك والاستغراب، فسياسة الإدارة الأمريكية الحالية قائمة على أنها قادرة على فرض كل ما تريده مادامت قد انفردت بالقوة، وعندما تتعمق مشاعر الكراهية لدي الشعوب التي تعمل أمريكا على إخضاعها بالحرب العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية، أو الشعوب التي تشجع أمريكا إسرائيل لحربها وإخضاعها، ففي إمكان الإعلام الأمريكي المتفوق والدعاية السياسية بالأساليب الحديثة تغيير المشاعر العدائية وتحويلها إلى مشاعر الحب والعفو والصفاء.

يوضح الكاتب الأمريكي مايكل هولتزمان ذلك في مقال في "هيرالدتريبيون" يوم٧ أكتوبر بعنوان "تسويق أمريكا للمسلمين" يقول هولتزمان: إن اللجنة الفيدرالية المكلفة بإعداد الدبلوماسية الأمريكية الجديدة في العالم العربي أعلنت أن الجهود الأمريكية للفوز بقلوب وعقول المسلمين لم تحقق نجاحًا، وأن العداء لأمريكا في العالم الإسلامي وصل إلى مستويات مروعة، وقد بدأت أمريكا في إنفاق ملايين الدولارات لتحسين صورتها في العالم العربي والإسلامي، وقامت بتعيين منسق خاص لذلك في البيت الأبيض، ولم يحقق ذلك تقدمًا، ولابد من إعادة النظر في الدبلوماسية العامة؛ لأنها ليست دبلوماسية، وليست عامة، والحكومة الأمريكية هي التي تتعامل مع الشعوب العربية والإسلامية بينما هي موضع شك قوي وفقدت المصداقية لدى هذه الشعوب. ووزارة الخارجية لا تعمل على أساس الحوار مع هذه الشعوب ولكن على أساس التوجيه وإرسال الرسائل الإعلامية من طرف واحد، والنتيجة من كل الجهود التي تبذل لإقناع هذه الشعوب بما تفعله أمريكا تبدو في صورة دعاية ساذجة وتزيد من الغضب.

وقد أنفقت الخارجية الأمريكية١٥ مليون دولار على حملة إعلانية تليفزيونية مشوشة بعنوان "قيم مشتركة".. حاولت فيها إقناع العالم بأن أمريكا فيها تسامح ديني وقدمت صورًا لمسلمين يعيشون في رخاء في أمريكا، وقد رفضت دول عربية عديدة بث هذه الإعلانات، وباستطلاع الرأي في الدول التي أذاعتها حكمت الجماهير أنها سطحية ولم تمس قضايا الخلاف الأساسية.

وفي إحدى وحدات الجيش الأمريكي في العراق تم تعليق لوحات عليها وجه صدام حسين على أجسام ممثلات الإغراء والخلاعة الأمريكيات مثل زازا جابور، ومغني الروك

بيلي أيدول الذي كان يعلق الصليب على صدره، وبنشر هذه الصور ظن مروجوها أنها ستؤدي إلى تحويل صورة صدام حسين إلى مسخة في نظر العراقيين ولكن حدث العكس، وأثارت غضب العراقيين، وأنشأ البيت الأبيض مكتبًا للاتصالات الدولية لمواجهة التصورات المعادية لأمريكا في وسائل الإعلام في دول العالم، وبدأ هذا المكتب في تنظيم لقاءات للمسؤولين والمعلقين الأمريكيين مع محطات التليفزيون العربية خاصة قناة الجزيرة وقنوات أخرى للرد، وإحباط محاولات النقد للسياسات والأعمال الأمريكية في العالم العربي، ولم يحقق ذلك أثرًا ملموسًا، وفي نفس الوقت فإن السياسة الأمريكية تضغط على الحكومات العربية لإطلاق حرية الصحافة، وعندما تستخدم هذه الصحافة حريتها في نقد السياسة الأمريكية؛ فإن الإدارة الأمريكية تضيق بهذه الحملات وتطالب بإيقافها.

وقد تم تسجيل مجموعة من اللقاءات بين أمريكيين وعرب عبر "الفيديو كونفرانس"، وتم تطوير مواقع على الإنترنت للتأثير على عقول مستخدمي الإنترنت في العالم العربي والإسلامي وهم قلة، وأنفقت الخارجية ٦ ملايين دولار لإصدار مجلة للشباب اسمها "هاي. Hi." سعرها دولاران في منطقة هي الأقل دخلاً في العالم، وبالتالي؛ فإن مثل هذه الصحف والمجلات التي تروج للسياسات الأمريكية والفكر الأمريكي لا تجد رواجًا. وفي أفغانستان أسقطت القوات الأمريكية ملايين النشرات الدعائية ضد أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة وفيها صور أسامة بن لادن حليق الذقن ويرتدي الملابس الغربية وعليها شعار "القاتل الجبان تخلي عنكم.." واكتشف الأفغان أن الصورة ليست حقيقية وهي ملفقة بالكمبيوتر، وأدى ذلك إلى فقدان الثقة فيما يأتي من أمريكا، وانتشر بين الأفغان أن الأمريكيين مخادعون، وقد أدى الفشل في محاولات أخرى كثيرة إلى الدهشة لأن أمريكا هي التي اخترعت فنون الإعلان والدعاية الحديثة ومع ذلك أظهر آخر استطلاع للرأي تزايد الاتجاهات المعادية لها في العالم عمومًا وفي الدول الإسلامية بصورة أكبر.

وقد بدأت إدارة الرئيس بوش تدرك خطورة اندفاعها غير المحسوب في سياسات مغامرة وحروب غامضة الأهداف، وأثر ذلك على الشعوب العربية والإسلامية، التي هي موضع تركيز الهجوم السياسي العسكري الدعائي الأمريكي، ومن ثم بدأت تشعر بموجات الكراهية ضدها تزداد هنا وهناك، مما دفعها إلى إعادة دراسة الموقف من جديد، أملاً في تحسين الصورة!!

فأرسلت لجنة أمريكية خالصة، اسمتها "المجموعة الاستشارية الدبلوماسية في التعامل مع الرأي العام العربي والإسلامي"، ضمت ١٣ عضواً برئاسة الدبلوماسي المحنك في شؤون المنطقة إدوارد دجيرجيان، وزارت عدة دول عربية وإسلامية من المغرب إلى أفغانستان، وبعد عدة شهور قدمت مؤخراً تقريرها إلى الكونجرس والرئيس بوش.

قالت اللجنة: إن السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي، والحرب الأمريكية ضد العراق قد زادت من غضب وكراهية العرب والمسلمين للولايات المتحدة، إلى درجة تبعث على الصدمة، الأمر الذي يتطلب تغييراً جذريًا في الاستراتيجية الأمريكية، كما يتطلب إعادة النظر والمراجعة الشاملة للجهود الأمريكية المبذولة الآن، لتحسين صورة الأمريكي البشع المرتسمة في العقول العربية والإسلامية.. في مكان آخر تقول اللجنة في تقريرها: إن أكثر مشاعر الغضب والسخط تجاه الولايات المتحدة تنجم عن سياساتنا، فمن الواضح مثلاً أن النزاع العربي ـ الإسرائيلي، هو موضع الخلاف القائم بين واشنطن وكثير من العواصم العربية والإسلامية.

وتضيف في مكان ثالث: نريد أن نكون أكثر وضوحًا وصراحةً، فتلميع الصورة الأمريكية، والتلاعب بأسلحة الدعاية والعلاقات العامة، لا تحل هذه المشكلة، لكن الحل الحقيقي يكمن في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية.. لقد صدمنا بعمق ووضوح المعارضة لكثير من سياستنا، حين زرنا بلاداً مثل: مصر وسوريا والمغرب وتركيا والسنغال، حيث يشعر المواطنون في هذه الدول بكثير من الألم والغضب جراء ما يتعرض له الفلسطينيون من إيذاء ـ على أيدي الإسرائيليين ـ وكذلك من الدور المنحاز الذي يعتقدون أن أمريكا تمارسه، سواء في فلسطين أو في العراق.

إن تقرير اللجنة الأمريكية لم يكن المقصود منه إنصاف العرب والمسلمين، وهو يتحدث عن تخلف العرب والمسلمين، فهدف اللجنة وتقريرها هو مساعدة الإدارة الأمريكية في التغلب على حالة السخط العام، وعلى موجات الكراهية لسياستها السائدة في الرأي العام العربي والإسلامي، وليس هدفها مساعدة العرب والمسلمين.

وكانت إدارة بوش قد تبنت برنامجًا مكثفًا للعلاقات العامة العام الماضي (٢٠٠٢) بهدف تقديم شرح أفضل للسياسات الأمريكية، وتحسين العلاقات مع العرب والمسلمين. وقالت اللجنة الاستشارية التي عينتها إدارة بوش: إن البرنامج يستحق

مكانًا بـارزًا كـأداة للسياسة الخارجية. لكنها حذرت من اتباع أساليب العلاقات العامة المراوغة أو اللجوء إلى الدعاية.

وأشـار تقريـر اللجنة إلى أن ملايين الدولارات المخصصة لمخاطبة المسلمين تنفق على الـرواتب وتـبادل الـبرامج، ولا يتبقـى مـنها سـوى ٢٥ ملـيون دولار لمخاطـبة العـرب والمسلمين، ونادراً ما تصل البرامج إلى ما هو أبعد من العواصم.

وقـال الـسفير "إدوارد جيرجيان" رئيس اللجنة: إن وزارة الخارجية الأمريكية لديها ٥٤ مـوظفًا فقـط اجتازوا الاختبارات المهنية واللغوية للغة العربية؛ بعضهم يعمل خارج العالم العربي، و٥ موظفين فقط قادرون على الظهور بفاعلية في تلفزيون عربي.

وقـال التقريـر: "إن الموقـف مع اللغات الأخرى المعروفة في العالم الإسلامي سيئ؛ وهـو مـا يجعـل مـن الضروري تجنيد الذين يجيدون اللغات، خاصة من بين الجيل الأول للأمريكيين العرب والأمريكيين المسلمين".

ويعـتقد المحللون الأمريكيون أن الكثيرين في واشنطن والعالم الإسلامي يعتقدون أن الرسـالة الاتـصالية الأمـريكية لـن تحدث أثرًا كبيراً ما لم تقترن بإجراء الإدارة الأمريكية تغـيرات على سياساتها تجاه القضايا الأساسية، خاصة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؛ حـيث إن أغلبـية كـبيرة من المسلمين والعرب يقولون: إن إدارة بوش تنحاز لإسرائيل، كما يزعجهم الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق.

وأشـار تقريـر اللجـنة كـذلك إلى أن ١٥٪ فقط من شعب إندونيسيا ـ وهي أكبر دولة إسـلامية في العـالم مـن حـيث العـددـ لديهم رؤية إيجابية عن الولايات المتحدة، مقارنة بنـسبة ٦١٪ العام الماضي، وتنخفض هذه النسبة في دول أخرى لتهبط في السعودية إلى ٧ ٪ فقط هم الذين لديهم رؤية إيجابية عن الولايات المتحدة.

المـثقفون العـرب يؤكدون من جانبهم أن تحسين صورة الولايات المتحدة التي تتدهور في العـالمين العربـي والإسـلامي تـتطلب تغـييرًا كاملاً في الطريقة التي تدير بها الولايات المتحدة دبلوماسـيتها، ولـيس مجـرد إعـادة النظـر في سياستها الإعلامية وطريقة إيصال مواقفها إلى العالم، كما ذكرت اللجنة الأمريكية.

يقول د. محمد المسفر أستاذ العلوم السياسية في جامعة الدوحة: "إذا كانت الولايات المتحدة تريد تحسين سمعتها في العالمين العربي والإسلامي فيجب عليها أن تغير سياستها الخارجية".

وأضاف المسفر "يجب على الولايات المتحدة أن تتوقف عن اتهام العرب والمسلمين بالإرهاب، وأن تمتنع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية والإسلامية".

بينما يقول الصحفي المصري سلامة أحمد سلامة: "إنه من الواضح أن صورة الولايات المتحدة في العالم العربي سيئةٌ جداً، ولسوء الحظ يعتقد الأمريكيون أن إطلاق حملة لتحسين صورتهم يعتبر أمراً كافياً، لكنهم لا يسألون أنفسهم: لماذا يكرههم الغير؟".

وأشار سلامة إلى أن السبب وراء تصاعد الكراهية للولايات المتحدة في العالمين العربي والإسلامي هو "السياسات الأمريكية الداعمة لإسرائيل، واختيار دول عربية وإسلامية مثل العراق وأفغانستان كأهداف للحرب، والمعاملة السيئة للعرب والمسلمين، والحملات ضد الإسلام في وسائل إعلام أمريكية".

فضائية الحرة وإذاعة راديو سوا نموزجا للغزو الإعلامي

المجهود الإعلامي الأمريكي الموجه نحو الجماهير العربية أخذ بالتطور والتبلور بصورة لافتة للانتباه، بصورة تتماشى مع تصاعد المجهود الحربي الأمريكي في المنطقة. وقد تم ذلك مع عناية أكبر بمخاطبة الفئات والشرائح بصورة أكثر تحديداً وانتقاء. تجلى ذلك في حالة إذاعة "سوا" الموجهة للشباب العربي، وهي تجربة إذاعية تقوم على خلط منوعات غنائية وموسيقية غربية بأخرى عربية، مع حشوها بصورة متقنة؛ بالرواية الأمريكية لأحداث المنطقة والعالم، المتمثلة في نشرة إخبارية رشيقة مقتبسة من إذاعة "صوت أمريكا" بالعربية.

على التوازي من ذلك، وبصورة يصعب تصوّر براءتها من التساوق مع النهج الحكومي الأمريكي؛ دأبت وسائل إعلام أمريكية بارزة بالتعاقد مع وكلاء في المنطقة على استصدار نسخ عربية منها، بشكل مثير للشفقة أحياناً. فعلى صعيد الإعلام المطبوع؛ يمكن الإشارة إلى نموذج مجلة "نيوزويك" العربية التي تصدر من الكويت عن "دار الوطن" كل ثلاثاء.

تعيد حالة "نيوزويك" هذه إلى الذاكرة تجربة مجلة "المختار للقراءة" التي نقلت إلى العربية، كما إلى العديد من اللغات الأخرى؛ عن النسخة الأم الأمريكية، ذات التوجه الليبرالي. لكنّ "نيوزويك" المسيّسة بطبيعتها كان عليها أن تُدخل من يقومون بإصدارها للقراء العرب في مواقف لا يُحسدون عليها، مثل الأزمة التي تسببت فيها قبل

أكثر من سنة عندما نشرت تقريراً لصحافي يهودي يسيء إلى أحد جدران المسجد الأقصى المبارك بوصفه "الجدار الملعون"، ويؤكد ادعاءات الاحتلال ومجموعاته الشوفينية في المسجد الأقصى بصورة فاضحة، وهو انتهاك يمثل في جوهره مخالفة لتنظيم المطبوعات الكويتي، لكن العدد خرج إلى الأسواق بلا مشكلات، كما خرج غيره مما يحمل مساساً بالشعائر الإسلامية.

حالة "نيوزويك" العربية، التي بقيت مجلة مغمورة لم يكترث بها القراء العرب؛ بوسعها أن تُفهم المراقبين أسباب إخفاق التجارب الشبيهة القائمة على تعريب المضامين الإعلامية الأمريكية بما يشبه الترجمة الحرفية. ومن الواضح أنّ تجارب "سي إن إن العربية"، و"سي إن بي سي عربية" ليست ببعيدة على هذا المشهد، بينما تأتي فضائية "الحرّة"، بلا مواربة؛ في محاولة النفاذ بقوة إلى قلب التشكيلة الإعلامية الجديدة الخاصة بالعرب، التي لم يعد زمام الأمر المباشر فيها مرتبطاً بمراكز صنع القرار الدولي، وللمرة الأولى في التاريخ الإعلامي العربي الحديث.

إنها الفضائيات العربية، التي بدأت منذ أواسط التسعينيات في الخروج من قمقم السيطرة الحكومية على الإعلام التلفزي؛ هي التي أعادت قلب المشهد الإعلامي في المنطقة، فوجد العرب أنفسهم، وبصورة لافتة الانتباه، على موعد مع "الرأي والرأي الآخر"، وأصبح بالإمكان إدراك وجود شيء اسمه "الاتجاه المعاكس" أو الاعتراف بأنّ هناك "أكثر من رأي" وحوار "بلا حدود". لم ينحصر الأمر في "ظاهرة الجزيرة"، بل تعداه إلى جزر هنا وهناك أخذت تطفو على سطح المشهد الإعلامي في المنطقة المأزومة، المشهد ذاته الذي يعاني من تكامل مذهل بين حالتي الإغراق الإعلامي الرسمي الممل، والتدفق الإعلامي الغربي أحادي الاتجاه، وبهذا أمكن توافر نجاح موضوعي هائل لأية تجربة بث بوسعها أن تتحرك في هذا الفضاء على أسس مهنية سليمة.

الرأي العام العربي في ميزان السوق الإخباري

بدا انعتاق الإعلام العربي من قمقمه حالة مثيرة للانتباه، ليس على مستوى المنطقة وحدها؛ بل على مستوى العالم أيضاً. إنهم العرب، هذه المرة، الذين نجحوا، رغم كل ما يمكن أن يُساق من ملاحظات وانتقادات؛ في أن يشكلوا حالة إعلامية تنتمي إلى العالم الثالث لكنها قادرة على المنافسة، الجزئية، مع الأقطاب الإعلامية الذين ينتمون حصراً إلى العالم الأول، الغربي.

وربما كانت "لجنة ماكبرأيد" التي شكلتها اليونسكو في النصف الثاني من سبعينيات القرن المنصرم؛ ستشير إلى هذا التحول، المفارقة، في تقريرها الموسع عن مشكلات اتصال والاحتلال الإخباري في العالم؛ لو أمكن لها أن تحدِّث نتائجها اليوم.

فقد أكدت اللجنة في حينه النتيجة المعلومة سلفاً: الأقلية المتنفذة القابعة في الشمال تنتج كل المعلومات الإعلامية تقريباً، والأكثرية البائسة في الجنوب النامي والفقير تكتفي بالاستهلاك؛ وخمس وكالات أنباء غربية تدير السوق الإخباري الدولي برمته على أسس مجحفة ومختلة؛ وغير ذلك من الحقائق التي يدركها المعنيون.

لكن الأمور لا تبقى على حالها في عالم المتغيرات المتسارعة. فرغم ما بذله القطب الأوحد، الولايات المتحدة، من محاولات لتحقيق حضور إعلامي أكثر فاعلية له في المنطقة؛ جاءت المنعطفات ذاتها التي صنعتها إدارة جورج بوش على المسرح الدولي؛ لتحمل الإعلام الذي ينتمي إلى العالم العربي إلى مسرح المنافسة الدولية. تجلى ذلك في تغطية حرب أفغانستان في خريف سنة ٢٠٠١، ثم في الصراع المحموم على كعكة إعلام الحرب الأخيرة على العراق، بمفارقاتها وضحاياها. ما أثار المراقبين في حينه أنّ الولايات المتحدة وحليفاتها كانت قد استعدت جيداً لحرب إعلامية موازية للضربات العسكرية، فتم في طيات ذلك حشد جيش الصحافيين المزروعين على ظهور الدبابات لينقلوا رواية من جانب واحد فقط من الجبهة، في سابقة لم يشهد لها تاريخ المهنة الصحافية مثالاً. والمعادلة اتضحت للكثيرين الذين رأوا "جنديين" على ظهر دبابة واحدة، أحدهما يحمل قاذفة قنابل وثانيهما يحمل كاميرا.

إلاّ أنّ هذا كله، بما في ذلك مجزرة الصحافة في بغداد عشية السقوط الكبير؛ لم يفلح في كسب الغزاة للجولة الإعلامية، فحققت وسائل إعلام عربية حضوراً متعاظماً على المسرح الدولي في طيات حرب العراق.

وإذا كان لهذه القفزة الإعلامية العربية أسبابها المفهومة، فإنّ الأمر يتعلق، في جانب منه، زيادة على ذلك؛ بإعلام حروب وأزمات عالمية هي في الأصل متركزة في المنطقة ومستوطنة فيها، وطالما أنّ أهل مكة أدرى بشعابها، وأنّ الممارسة المهنية حاضرة، وأنّ التغطية المالية والإرادة السياسية يمكن العثور عليهما محلياً أيضاً؛ فإنّ النجاح على هذا النحو بات ممكناً. لكنّ المثير هو ما تمكنت منه هذه القفزة العربية من اختراق حالة احتكار أسطوري، كان قد ساهم الجنوب ذاته في استدامتها على هذا النحو لصالح الشمال.

بالمقابل؛ كانت إدارة بوش التي تقف خلف "الحرّة"؛ هي أكثر من أبدى انزعاجه في السنوات الأخيرة من سقف الحرية "المرتفع" لفضائيات عربية استُهدفت بالاسم، دون أن تتطرق للفضائيات العربية الرسمية بسقوفها المعروفة، وهذه مفارقة إضافية. وفي أتون الحملة متعددة الأوجه ضد الفضائيات الإخبارية العربية، وبخاصة "الجزيرة" و"العربية" و"المنار" و"أبو ظبي"؛ تأتي مبادرات أمريكية رسمية من قبيل إطلاق "الحرّة".

الدعاية الأمريكية والحرب النفسية للرأي العام العربي

يذكر المعجبون بالفيلم الأجنبي "كازابلانكا" لويس رينولت، محقق الشرطة المخادع الذي تظاهر بأنه مصدوم لاكتشافه ما يحدث في نادي "ريك" من ممارسة لألعاب القمار. عليك أن تتأمل هذا عندما يعلن البيت الأبيض أنه، أيضًا، شعر بـ"الصدمة" لدى علمه بأن أحد العاملين بوزارة الدفاع الأمريكية قام برشوة الصحفيين العراقيين وعمل دعاية في الصحف العراقية بدون تحديد المصدر. هؤلاء الأشخاص الذين يدّعون أنهم "مصدومون، حقًا مصدومون" هم نفس الأشخاص الذين قاموا برشوة اثنين على الأقل من الصحفيين الأمريكيين في مقابل كتابة أعمدة في الصحف تدعم الإدارة الأمريكية وإعداد ما يسمى بـ"التقارير الإخبارية" التي لا يعدو كونها مجرد دعاية وتقديمها للقنوات التليفزيونية المحلية التي يمكن السيطرة عليها. وفيما يتعلق بهذا الأمر، فإنه لا ينبغي أن يشكل توظيف التقنيات الدعائية التي يعود استخدامها على أقل تقدير إلى الحرب العالمية الأولى "صدمة" للكونجرس ولا للإعلام الأمريكي، فقد استخدمتها الحكومة الأمريكية وغيرها من الحكومات منذ أن ظهرت وسائل الإعلام الحديثة. وهذه الحماقات تعد أمرًا لا يذكر مقارنة بما يحدث من تعذيب السجناء والتجسس غير المسموح به وإساءة استخدام القوة مما ينبغي ألا يسبب فعليًا قلقًا للشعب الأمريكي. إن المشكلة الرئيسة في المجهودات الدعائية المتعثرة التي نبذلها في العراق هي أنها لا تصلح هناك، حتى في تلك المنطقة من العالم التي أصبح الصحفيون فيها معتادين على التعرض لإرهاب السلطات أو يسمحون بشراء أقلامهم من قبل أصحاب السلطة. وفي هذا المناخ، لا يستطيع أحد أن يلقى باللوم على قادة الجيش الأمريكي بسبب محاولتهم الالتزام بنفس قواعد اللعبة. فإن كسب القلوب والعقول يعمل بشكل أفضل مع الصحافة المطيعة. ولكن الأساليب الدعائية التي كانت صالحة في الماضي فشل العمل بها بشكل كبير في العراق. ومما يدعو للسخرية أن إدارة بوش كانت أكثر نجاحًا في الدعاية

المعارضة للشعب الأمريكي أكثر منها معارضة للعرب. ويعود استخدام الدعاية المنظمة والواسعة النطاق إلى الحرب العالمية الأولى، فإن الدروس الأولية التي تعلمناها من خلال التطبيقات البدائية أثناء الحرب العالمية الأولى مازالت متأصلة في عقول رجال العلاقات العامة في العالم الإلكتروني. وتلعب الدعاية بشكل أساسي على المشاعر، حيث غالبًا ما تتحدى العقل والحقائق، وذلك كي تتمكن من الوصول إلى نفسيات الشعوب والسيطرة عليها. فالدعاية لعبة ذهنية ـ يقوم الدعائي الناجح باللعب على أكثر المشاعر عمقًا لديك، وذلك كي يستغل أشد مخاوفك واتجاهاتك المسبقة. ويقدم الباحثان الدعائيان أنطونيو بارتكانيس وإليوت أرونسون تعريفًا للدعاية الحديثة على أنها: "إيحاء أو تأثير جماعي ينشأ عن التلاعب بالرموز وبنفسية الأفراد. وتتضمن الدعاية البراعة في استخدام الرموز والصور والشعارات التي تؤثر على عواطفنا وعلى اتجاهاتنا، إنها عبارة عن إيصال إحدى وجهات النظر، على أن يكون الهدف النهائي من هذا هو حمل المتلقي على القبول طواعية بها كما لو أنها وجهة نظره الخاصة". ويعد الخوف أفضل أسلحة مسئول الدعاية. ففي كل الرسائل تقريبًا التي ينشرها البيت الأبيض يأتي ذكر الخوف من تكرار هجمات الحادي عشر من سبتمبر. كما أن إطلاق مصطلحات معينة على الأشياء يعد سلاحًا آخر اختياريًا في يد مسئول الدعاية. ففي الحرب العالمية الأولى تم إطلاق مصطلح "الهون" على الألمان، والذي ينسبهم إلى قبائل الهونيين البرابرة. وفي الحرب العالمية الثانية تم إطلاق بعض التعبيرات المسيئة لليابانيين، وأطلق مصطلح "جووكس" على الفيتناميين أثناء حرب فيتنام. واليوم نادراً ما يخلو خطاب للبيت الأبيض من مصطلح "إرهابي". وفي الحرب العالمية الأولى، تم تشويه سمعة الأمريكيين الألمان، وفي الحرب العالمية الثانية تم وضع الأمريكيين اليابانيين في معسكرات للاعتقال. واليوم يشعر المسلمون الأمريكيون في كثير من الأحيان بأنهم أصبحوا الآن بؤرة للدعاية. وفي أوقات الحروب، تستخدم الدعاية حتمًا رموزًا وصوراً قوية. فيرفع العلم ويتم تمجيد البطولات التي تحدث في ساحة المعركة، ويتم ازدراء النقاد على اعتبار أنهم أشخاص يشعرون بالكراهية تجاه بلادهم وقواتها. وكثيراً ما يستغل الدين في هذا الأمر ـ ما يثير الدهشة عقيدتهم دائمًا أن الرب معنا. وتستخدم الدعاية الناجحة أدوات أولية مثل إطلاق المصطلحات، ونشر الخوف بين العدو وتكرار رسائل بسيطة مراراً وتكراراً إلى أن يتم حفرها في أذهان الناس. وبمجرد أن تستقر تلك الرسالة في رءوس الناس فإنها تبقى به حتى بعد أن يُثبت الدليل عدم صحتها ـ انظر إلى تلك الحقيقة التي تشير إلى أن الملايين من

الأمـريكيين لا يـزالون مؤمـنين بـأن العـراق تمتلك أسلحة دمار شامل، وأن هناك علاقة تربط بين صدام حسين وتنظيم القاعدة، وأن أحد العراقيين كان من بين منفذي هجمات الحـادي عـشر من سبتمبر. وتعتبر الدعاية في أوقات الحروب ضرورية من أجل الاحتفاظ بمشاركة الجبهة الداخلية في الحرب، وأيضًا من أجل إقناع الشباب رجالاً ونساءاً أن القتل في قـضية عادلـة يعـد أمرًا مشروعًا. إننا نعلم أطفالنا "ينبغي عليك أن لا تقتل أحدًا" ، ولكنـنا ندرب الجنود على القتل. ينبغي مساعدة حتى المتمرسين من الجنود على التغلب علـى إحجـامهم عـن القـتل. الدعايـة هنا تتولى طمأنة الجنود وطمأنة أسرهم. هل هذا خطـأ؟! هـل يمكن أن تكون الدعاية أمرًا صائبًا أم أنها دائمًا قوة سيكولوجية من الشر؟! صف شخصًا بأنه دعائي، وستجد أن صور هتلر وجيوبلز سوف تتراءى أمامك. وعلى الـرغم مـن هـذا فإنـه أثـناء الحـرب العالمية الثانية التي حازت تقريبًا على تأييد الشعب الأمريكـي بأسره، استخدمنا الدعاية بكثافة داخل الولايات المتحدة وخارجها؛ ما ساعد علـى بقـاء الحـرية. ولكـن الـصراعات الـتي تحـدث الـيوم ليست دائمًا محددة مثل تلك الـصراعات الـتي كانـت تحـدث بـين الديمقـراطية الغربية ضد سياسات الإبادة الجماعية النازية والتسلح الياباني. فاليوم يتم شن الحرب على "الإرهاب" ـ ذلك المصطلح الذي صـار معـتمداً ـ ضـد عـدو مجهـول لا نعلم ماهيته، عدو مكون من عدد من الأشخاص الغامـضين لا ينـتمون لأمة بعينها وليس لديهم جيش خاص بهم. هذه الحرب لن تنتهي مطلقًـا ﴿إنـني أشـفق علـى الـرئيس الذي أعلن انتصاره على العدو في اليوم الذي سبق انفجـار إحدى القنابل﴾. الأمة التي تكون منفعلة بشكل دائم سوف تظل تقتنع كثيراً بما يصلها من أنباء، إلا إذا حدث إفراط في إطلاق التحذيرات الكاذبة أو إذا اكتشفنا أن من يقـوم بنشر هذه التحذيرات ينشر أكاذيب أو أنصاف حقائق ـ وهو الأمر الذي يميز الكثير من الدعاية.

مراحل خداع الرأى العام العربى نظريا

اقـترح العالمـان النفـسيان براتكانيس وأرونسون أربع استراتيجيات تساعد على نجاح العملـية الدعائـية وهـى ذاتها المراحل التى تم تطبيقها مع الرأى العام العربى : مرحلة ما قـبل الإقـناع، وهـي عـبارة عـن خلـق مناخ يساعد على تصديق الرسالة المراد توصيلها للـناس. مـصداقية المـصدر بـأن يكون مبلغ الرسالة محبوبًا أو موثوقًا به. أن تركز الرسالة على أهداف بسيطة وقابلة للتحقيق. إثارة المشاعر وتقديم رد الفعل المطلوب. وقد قامت

إدارة بـوش باسـتخدام هـذه الاسـتراتيجية في أمريكا نفسها أثناء انتخابات عام ٢٠٠٤، ولكن مصداقية الرئيس انخفضت مع دخول حرب العراق عامها الثالث. وعلى الرغم من هـذا، فـإن هـذه الإستراتيجيات الأربع لم يكن لها أي تأثير في العراق أو مع الرأى العام العربـى. فـبعد هجمـات الحـادي عـشر مـن سـبتمبر بفـترة قليلة، وقبل إن نقوم بغزو العـراق، شـرعت الإدارة الأمـريكية في إطـلاق حملـة "تلمـيع أمريكا" في منطقة الشرق الأوسط. وتمت استشارة كبرى شركات الدعاية وجرى استدعاء شارلوت بيرز، المديرة التنفـيذية الأسـطورة بـشركة ماديـسون أفينيو للدعاية، وتم تعيينها نائب وزير الخارجية للـشئون الدبلوماسـية. وتعـد بيرز آخر مسئول دعائي يحاول التغلغل في المنطقة. وذلك حيـث إن جهـودنا الدعائـية تعـود على الأقل إلى فترة إدارتي ترومان وآيزينهاور، أي في ذروة الحـرب الـباردة، وتـشمل هـذه الجهود التمويل السري لدور النشر العربية وتقديم الرشاوى للصحفيين، وهي نفس الوسائل الأساسية التي يتم استخدامها اليوم في العراق مـن قـبل جـيل جديـد من المحاربين السيكولوجيين. وقد اعتمدت بيرز على خبرتها في العلاقـات العامـة الخاصـة بالـشركات، والتي يتم فيها تخصيص "شعار يعبر عن الهوية الأمـريكية" ويكون هناك سعي متواصل للاحتفاظ بهذا الشعار عن طريق إرسال رسائل بـسيطة وجذابـة لا تـستدعي أيـة تعلـيقات بالـسلب أو الإيجـاب مـن الجماهير. ويعتبر الأمـريكيون معـتادين علـى هـذا الإسـلوب. ويـصلح العمـل بهـذه الوسـيلة في عـالم الـشركات كما يصلح العمل به أيضا في أغلب الأحيان في عالم السياسة. وفي الفترة التي سبقت احتلال العراق، تم شن حملة هائلة للترويج للولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة تلـك التي تستهدف الشباب من العرب. فقد تم نقل صور حسنة عن العرب الأمريكيين وانتـشر استخدام موسيقى البوب بصورة كبيرة، كما انتشر نظام فيديو "إم تي في" الذي يهـدف إلى نـشر الأغانـي بقـصد إذاعتها ونشرها، ولا يهدف من وراء هذا لأية أغراض تجاريـة، كـل ذلك كان يجري في الوقت نفسه الذي كنا نعد فيه لغزو أحد البلاد العربية. ولكـن الاسـتفتاء الـذي تم إجـراؤه في المنطقة أظهر أن الولايات المتحدة مازالت في أدنى مستوياتها. وقد صرحت بيرز ـ وهي تشعر بالإحباط ـ للكونجرس: "إننا ليس لدينا إلا خـيار واحـد في الـشرق الأوسـط والمـنطقة الجنوبـية الـشرقية، علينـا أن نشتري الإعلام نفـسه"، وبـناءً علـى هذا حاولنا أيضا شراء الإعلام، ولكن الاستفتاءات أظهرت فشل الـولايات المـتحدة في تحقـيق أيـة مكاسـب. لقد أعطى بعض النجاح الذي تم تحقيقه في أفغانـستان حافزاً للولايات المتحدة التي وجدت أمامها المجال مفتوحًا بسبب قلة وسائل

الإعلام الحقيقية هناك، فعمدت إلى ملء هذا الفراغ بأجهزة الإعلام المدعومة من قبل الولايات المتحدة. ولم يتم الكشف عن دور الولايات المتحدة. ففي تصريح لصحيفة نيويورك تايمز، قال أحد كبار الضباط بفرع العمليات السيكولوجية: "ليس لدينا أية متطلبات كي نلتزم بمبادئ الموضوعية الصحفية". ففي أفغانستان قلة المنافسة الإعلامية ساعدت الإعلام المدعوم من قبل أمريكا على الترويج للرسالة التي تسعى الولايات المتحدة لنشرها. ولكن أفغانستان ليست دولة عربية، ففي منتصف شهر ديسمبر، أوقفت وزارة الخارجية نشر المجلة الشبابية "مرحبًا" التي تصدر باللغة العربية، والتي فشلت في اجتذاب قاعدة عريضة من الجماهير العربية، مثلها في ذلك مثل غيرها من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية التي تدعمها الولايات المتحدة. ويتم إستبدال بيرز سيئة الحظ بكارين هيوز، أحد أكثر المستشارين قربًا من الرئيس. ويستمر البنتاجون في إنفاق الملايين على أساليب بالية قد أثبتت فشلها. ففي هذه البيئة التي يسود فيها التنافس الإعلامي في عراق ما بعد صدام، أصبحت الولايات المتحدة غير قادرة على أن تنفذ إلى الشعب عن طريق نشر تلك الرسائل التي تظهر الولايات المتحدة في صور حسنة وتدعو من خلالها إلى نشر الديمقراطية. وبعد أن منحت وزارة الدفاع الأمريكية ملايين الدولارات لإحدى شركات المقاولات الخاصة، وهي شركة لينكولن جروب، كي تتولى الدعاية المؤيدة للولايات المتحدة الأمريكية، يتم الآن إجراء تحقيقين مع هذه الشركة. وقد قدم السيد أحمد ماهر، وزير الخارجية المصري السابق، في شهر إبريل الماضي وصفًا "لصورة أكبر توضح أن المشكلة التي تواجهها الولايات المتحدة في العالم العربي والإسلامي لا يمكن أن تعالج عن طريق ممارسات العلاقات العامة. يمكن مواجهة هذه المشكلة فقط من خلال إحداث تغيير حقيقي في السياسات والمواقف". وقد فشلت الدعاية الأمريكية في العراق والشرق الأوسط في جميع الإستراتيجيات الأربع، وخاصة البند الخاص بالمصداقية. إننا ندرس حقوق الإنسان ولكننا نعذب السجناء من المسلمين أو نقوم بحبسهم لعدة سنين في معتقلات سرية بدون توجيه أية تهم لهم. إننا نتحدث عن الديمقراطية ولكننا ندعم الحكام المستبدين في كل من مصر والمملكة العربية السعودية. تعطشنا للنفط يثير الشكوك في دوافعنا، تمامًا مثلما يفعل إنشاؤنا لقواعد عسكرية ضخمة بالعراق. والأهم من هذا كله، فإن العرب ينظرون للولايات المتحدة على أنها المساند الصامد لإسرائيل في احتلالها للأراضي الفلسطينية الذي دام أربعة عقود. وحتى أكثر الدعائيين مهارة في العالم يعملون ضد ما يطلق عليه الإسرائيليون

" الحقائـق علـى الأرض " . أفعالـنا تـناقض أقوالنا وتغذي آلات الدعاية لمن يبغي إلحاق الأذى بنا . في الشرق الأوسط إنهم هم وليس نحن من يملك المصداقية .

المحور الثالث
الرأي العام الأمريكي

الأفلام الجهادية وموقعها فى ميزان العقل الأمريكى الشعبى

لقد بدات أمريكا تخسر صراعها مع المجاهدين في العراق ، معركة معركة ، جولة جولة ، ساحة ساحة . . حتى بدت بوادر النصر ، لأهل اليقين ، تلوح للقاصي و الداني ، للصديق و العدو ، للمؤيد و المعارض . . شاء من شاء و أبى من أبى . . . . وان من ساحات الجهاد التي بان فيها تفوق المجاهدين نصرهم الله ، ساحة الأفلام الجهادية . . . فلقد تفوقت الأفلام الجهادية في مصداقيتها و كثرة تحميلها و نشرها من نظيراتها الأمريكية . . التي يظهر فيها الدجل الأمريكي والصناعة الإعلامية المزيفة . . انشودة : ((فجروهم فجروهم حيث كانوا و انحروهم . .))هي الاكثر رعبا للأمريكان . . إلا أنها الأكثر جلبا للمعجبين بإنجازات المجاهدين في العراق . . سواء أيد الجهاد في العراق ام عاداه . . في احد المنتيات الناطقة بالانجليزية . . يطلب احد الأمريكيين هذه الانشودة قائلا : ما هذه الانشودة التي أصبحنا نفهم معناها دون ان نفهم مفرداتها . . . . انها انشودة الموت للقوافل الأمريكية . . من يملك رابطها فليرسله إلى عاجلا . . . انتهى . ان المقطع الاخير . . . . (مع الفلم) . . يرفع عدد المشاركات و الردود في اي بيان لمراسلي الجهاد إلى عدد كبير . . يفوق اضعاف تلك البيانات الخالية من الأفلام . . وذلك لما لحاسة العين من اثر في نقل الصورة الحقيقية لما يجري في العراق . . فهناك فرق بين علم اليقين و عين اليقين . . فيلم الجيش الاسلامي في العراق عن طائرة الهليكوبتر جمع في منتدى أمريكي واحد اكثر من الف رد و ثلاثين الف مشاهدة . . . اما إذا ذهبنا إلى الأفلام الأمريكية عن حرب العراق فيما يخص المواجهات اليومية . . نجد عنصرا واحدا مفقودا . . وهو العنصر الاهم . . . وهو العدو (اي المجاهدين) . . . يضربون مباني فارغة . . . يقصفون بيوتا خالية . . يقتحمون منازلة خاوية . . في أفلام لا تثير حتى المتابع الأمريكي . . فهي لا تعدو عن كونها تمثيلية مملة لاقتحام بطولي مصطنع . . أو مشهد لسلاح أمريكي فتاك يهاجم نقطة ثابتة تخلو من المجاهدين و كأنهم يعرضون كتلوجًا تعليميًا لكيفية استخدام السلاح . . . . والعنصر الأهم دوما مفقود (المجاهدون) . . . إلا أنهم دوما يدعون وجود عدو(مجاهدين) ما في تلك الأفلام . . الا اننا لا نرى ذلك العدو . . ولعل هذا الفيلم الشهير لمصور(مع المخرج) يحاول التقاط مشهد لجندي أمريكي يوجه قذائفه (نحو سيارة مهجورة . . الا ان كلا الجنديين فشلا في ضرب الهدف ان كذبهم مكشوف و مفضوح . . ويكون عادة في مراحل ما بعد انتهاء

الالـتحام مـع المجاهدين . . وتدفع قناة فوكس الأمريكية الكثير من الأموال لإخراج مثل هذه الأفلام وبثها حصريا على قناتها ولا ينافسها في ذلك الا السي ان ان . . فيلم لقصف منـزل مهجـور في العـراق يدعـون اختبـاء المجاهدين فيه يظهر في أفلام المجاهدين العدو واضـحا جليا . . والإصابة تكون مباشرة لعدو تراه قبل واحيانا بعد الهجوم . . في مشهد تهتـز فـيه الكـاميرا اثر صوت الانفجار وكذلك عند انسحاب المجاهدين . . وتسمع فيه صـوت نـيران الأمـريكان العشوائي الذي يصيب كل شيئ الا المجاهدين . . بينما ترى في الأفـلام الأمريكية الهدف مجهول (غير موجود) قبل و بعد الهجوم . . والكاميرا لا تهتز ، فهـم في المـسافة الآمـنة مـن موقـع الانفجـار . . . ولا عـدو يـرد بإطلاق نار عشوائي أو غيرعـشوائي . . حـيث إنـه لا عـدو اصـلا . . بـل نفـس الجـنود الـذين في الحادث تراهـم مـرتاحين وغير متوترين إطلاقا . . فهم في لقطة هوليوود لا في ساحة قتال حيث لا تدري مـن أيـن ياتيك مصرعك . . هذا فيلم لهجوم على هدف مفترض للمجاهدين ! بإطلاق نـار . . . . و بقذيفـة مـن هيلـيكوبتر على الهدف المزعوم وآخر فلم يبين كذب الإعلام الأمريكـي و خداعـه . . هـو مـا ادعـى انـه صـور حـية لهجـوم على موقع للمجاهدين باسـتخدام صـواريخ جـافلين المحمـولة كـتفا . . في مشهد اشبه إلى تدريب منه إلى ساحة حـرب . . وكانـه فلـم تعليمي يشرح كيفية استخدام هذا السلاح . . والملاحظة الاخيرة الـتي احـب أن أوردهـا . . . . والـتي تـبين حقـيقة أعـداء الله الـشيطانية . . إنـك ترى المجاهدين يذكرون ربهم و يكبرونه عند أي عملية يقومون بها . .

صناعة الرأى العام الأمريكى للحرب

تمـثلت العبقـرية المـرعبة للنخـبة الـسياسية الأمـريكية في قـدرتها علـى إقناع الشعب بالتـصويت ضد أكثر مصالحه أهمية دون حاجة للقمع والاضطهاد، فيقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقـيحها وإحكـام الـسيطرة علـيها ، تلـك الـصور والمعلـومات تحدد معتقدات الناس ومـواقفهم، بـل وتحـدد في الـنهاية سـلوكهم، وهـذه الدراسـة النقدية لوسائل الإعلام والاتـصال في الـولايات المـتحدة تعـني العـالم كلـه فـالإعلام الأمريكـي (كما السياسة الأمـريكية) يـصوغ مواقـف العالم واتجاهاته ، والثقافة الأمريكية يجري تصديرها عالميا ، وقد أصبحت بالفعل النموذج السائد في العالم .

وحـيث يكـون التـضليل الإعلامي هو الأداة الأساسية للهيمنة تكون الأولوية لتنسيق الوسـائل التقنـية للتـضليل وتنقـيحها علـى الأنـشطة الثقافية الأخرى ، وتجتذب وسائل

الإعلام طبقا لمبادئ السوق أذكى المواهب لأنها تقدم أعلى الحوافز وهكذا ينتهي الأمر بالدارسين الموهوبين من حاملي أعلى الشهادات العلمية والأكاديمية إلى العمل في الإعلانات والإعلام، . . والتضليل.

تتم السيطرة على أجهزة المعلومات وفق قاعدة بسيطة من قواعد السوق فامتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها شأنه شأن الملكية الأخرى متاح لمن يملكون رأس المال والنتيجة الحتمية لذلك أن تصبح محطات الإذاعة وشبكات التلفزيون والصحف والمجلات وصناعة السينما ودور النشر مملوكة جميعها لمجموعة من المؤسسات المشتركة والتكتلات الإعلامية ويصبح الجهاز الإعلامي جاهزا للاضطلاع بدور فعال وحاسم في عملية التضليل.

وتحت غطاء حماية الملكية الخاصة وحراسة رفاهية الفرد وحقوقه يتم تشييد هيكل كامل من التضليل الإعلامي فهذه الشركات العملاقة من الاحتكار الإعلامي تسوق على أنها مثال للجهد الفردي، ولكي يؤدي التضليل الإعلامي دوره بفعالية أكبر لا بد من إخفاء شواهد وجوده.

أي أن التضليل يكون ناجحا عندما يشعر المضللون بأن الأشياء هي على ما هي عليه من الوجهة الطبيعية والحتمية، أو بعبارة أخرى فإن التضليل الإعلامي يقتضي واقعا زائفا هو الإنكار المستمر لوجوده أصلا، فقد شاركت وسائل الإعلام على اختلافها في الترويج لأسطورة المباحث الفيدرالية بوصفها وكالة لا سياسية عالية الكفاءة لتنفيذ القانون، ولكن جهاز المباحث استخدم في الواقع في إرهاب وتطويق أي سخط اجتماعي.

ويبرر المسيطرون على وسائل الإعلام ما تحفل به برامج التلفزيون من جرائم قتل تعرض كل يوم بالعشرات بالقول إنهم يقدمون للناس ما يحبونه ثم يقولون بلا مبالاة: إن الطبيعة الإنسانية تتطلب للأسف ثماني عشرة ساعة من الإيذاء والقتل.

ويبدو في الظاهر ثمة تنوع كبير في البث الإعلامي مستمد من العدد الكبير للصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون ولكن النتيجة كما لو كان ثمة مصدر واحد، فالمادة الترفيهية والأخبار والمعلومات العامة والتوجهات والأفكار يجري انتقاؤها جميعا من الإطار المرجعي الإعلامي نفسه من جانب "حراس" للبوابة الإعلامية تحركهم دواع تجارية لا يمكن التخلي عنها.

وقد يختلف الإسلوب والتعبير المجازي لكن الجوهر واحد، فقد تبين أن من بين الأساطير الشائعة عن التلفزيون الأمريكي أنه يعمل بوصفه ديمقراطية ثقافية تستجيب

كلـية لإرادة أغلبية المشاهدين فيما يتعلق باستمرار برامج معينة واختفاء أخرى، والأدق أن يقال أنه يمثل رغبة واتجاه المعلنين وأن المصمم الحقيقي للبرامج هو صناع المواد الغذائية والأدوات المنـزلية ومستحضرات التجميل والسيارات والأدوية، والواقع أن برامج كثيرة اختفت برغم شعبيتها والإقبال عليها لأنها لم تجذب اهتمام المعلنين.

وبـرغم ذلـك فـإن شـرط التعددية اتصالية هذا والخالي تماما من أي تنوع حقيقي هو الـذي يوفـر أسـباب القـوة للـنظام السائد لتعليب الوعي فالفيض الإعلامي المتدفق عبر العديـد مـن القـنوات يخلق الثقة ويضفي المصداقية على فكرة الاختيار الإعلامي الحر في الـوقت الـذي يتمـثل فـيه تـأثيره الأساسي في توفير الدعم المستمر للوضع القائم في حين يعـتقد المـشاهد والمستمع والقارئ أنه في جو تلقائي من الحرية والتعددية وتختفي الحقيقة فأجهزة الإعلام لا تلفت أنظار جمهورها لإسلوب عملها.

وعـند وقـوع أزمـة فعلـية أو كاذبـة أو مفتعلة ينشأ جو هستيري محموم بعيد تماما عن المعقولـية ويـؤدي إلى الإحـساس الزائف بالطابع الملح للأزمة المترتب على الإصرار على فورية المتابعة يؤدي إلى النفخ في أهمية الموضوع.

ومـن ثـم تكـون الخطـوة التالـية هـي إفـراغه مـن أهميته ونتيجة لذلك تضعف قدرة الجمهـور علـى التمييـز بـين درجات الأهمية فالإعلان متلاحق السرعة عن تحطم طائرة وعـن هجـوم إرهابـي وعـن جـريمة ما واختلاس وعن إضراب وعن موجة الحر أو البرد يـتحول العقـل إلى غربال تصب فيه التصريحات والإعلانات أقلها مهم وأكثرها لا أهمية له.

وبـدلا مـن أن يـساعد الإعلام في تركيز الإدراك وبلورة المعنى نجده يسفر عن الإقرار الـضمني (اللاشـعوري) بعـدم القدرة على التعامل مع موجات الأحداث المتلاحقة التي تطـرق بإلحـاح على وعي الناس فيتعين عليه دفاعا عن النفس أن يخفض درجة حساسيته واهـتمامه، فتكنولوجـيا اتـصال باسـتخداماتها الحالـية تـروج لـتوجهات بلا تاريخ فيه توجهات مضادة للمعرفة.

وهكذا يبقى الجمهور في دوامة من الأحداث والتدفق والإغداق ولا يجد فسحة للتأمل والـتفكير والتحليل ويقدم إليه الوعي جاهزا ولكنه وعي مبرمج ومعد مسبقا باتجاه واحد مرسوم.

وعـندما يجـد الـبعض فرصـة للتـساؤل والشك فإنهم يتحولون إلى أقلية تفكر عكس التيار وتخالف المجموع العام ويبدون مغفلين ومجانين ولا يفهمون، وقد يضطرون (وهذا

مـا يحدث غالبا) إلى إخفاء تساؤلاتهم وقناعتهم وهاتف ضميرهم ويتظاهرون بأنهم مثل كـل الـناس ويقـتلون بالـتدريج ملكـة التساؤل والضمير المزعج أو يقبلون على مضض ويمارسون سرا متعة اللوم والتأنيب كأنما يهربون من أنفسهم أو يكفرون عن ذنوبهم .

جورج تينيت يروى تفاصيل خداع شعبه فى حرب أعدت مسبقا

في كـتابه الـذي صدر مؤخراً في واشنطن تحت عنوان «في قلب العاصفة . . سنواتي في الـ سي آي ايه» ، كشف مدير المخابرات الأمريكية السابق ، جورج تينيت عن صحة كل مـا أشـيع وقـيل مـن قـبل ، عن ان قرار شن العدوان على العراق ، كان جاهزا في ادراج المحـافظين الجـدد وخططهم ـ وقبلها في عقولهم ـ قبل وصول بوش إلى السلطة وإن غزو العـراق لا علاقـة سـببية له بأحداث سبتمبر ، الا من زاوية العلاقة التبريرية ، وكذا الحال فـيما يـتعلق بكـون صـدام حـسين ديكـتاتورا أو ديمقـراطيا ، وبأسلحة الدمار الشامل ، وقضايا الأكراد والشيعة . . إلى آخر ما كان قد قيل كأسباب للحرب على العراق ، حيث كل تلك الأسباب جرى التفكير فيها بعد اتخاذ قرار الحرب ولتبريره شعبيا .

الأهمـية هـنا هـي أن الـرجل الـذي كـان مـسؤولاً عـن المعلـومات في الامبراطورية الأمـريكية هو من يقر بان العدوان على العراق ، لـم يكن له أي مبرر سوى ان بوش ومن معـه ارادوا هـذا العدوان وقرروا القيام به تنفيذا لأهدافهم واغراضهم ، وانهم تلاعبوا به ونفسه ، أو بالدقة بتصريحاته ـأولاـ ثم قدموه كبش فداء بعد فشل مشروعهم .

في ذلك ، فإن أهمية ما جاء في الكتاب ، ليس فقط ان كل ما سيق من أسباب للحرب كان كاذبا أو كذب في كذب ـمن زاوية العلاقة السببية مع قرار شن الحربـ وإنما أيضا ان الـشعب الأمريكـي هـو نفـسه قـد تعـرض إلى حالـة خـداع مخططـة كأفـراد وجماعـات ومؤسسات لإقناعه بالحرب والعدوان أو لتقليل معارضته لقرار الحرب ، وان ما جرى في عملـية اتخـاذ القـرار بالحـرب كـان في حد ذاته خطة للتحايل على الآخرين لتوريطهم في الموافقات أو لاستخدام اسمائهم ومواقعهم لخداع الجمهور والمؤسسات الأمريكية ، وكل ذلـك يلقـى شـكوكا خطـيرة حـول مـصداقية هيـئات ومؤسـسات الحكـم في الولايات المتحدة ، وطـريقة اتخـاذ القـرار في هذا البلد الذي يحكم العالم ويتصرف بمصيره في كافة المجـالات الحـربية والـسياسية والاقتـصادية ، علـى مستوى مؤسسة البيت الابيض التى جـرت في اضابيرها تلك العملية المريعة لصناعة قرار الحرب باستخدام طرق من التحايل والخداع ، يكشف تينيت في مذكراته أن الإدارة الأمريكية لم تجر «نقاشا جديا» قبل غزوها

العـراق في مـارس ٢٠٠٣، وعلى مستوى مؤسسة المخابرات الأمريكية التي كان رئيسها (هـو نفسه) يعـرف كذب كل ما يقال من معلومات وتبريرات للحرب والعدوان جرى تحـريف سـياق اقـواله نفسها ـكما اشار هو في الكتاب ـواستخدامها تبريرا للعدوان دون قـدرة لـه علـى مواجهـتها أو رفـضها ودون ان يملـك هـو شـجاعة التقديـر فيذهب إلى الاستقالة. وعلى صعيد العلاقات الداخلية بين المؤسسات الأمريكية وبعضها البعض في اعلـى هـرم الـسلطة، فقـد أشـار أو كـشف ان مـسؤولين مـن الإدارة الأمريكية، كانوا يتـصلون مباشـرة بمديـرين تحـت قيادته هو في الـ «سي آي ايه»، لتغيير افكارهم وآرائهم ومواقفهم، وتبلغ ذروة القوة تحدث عند أناس لم يكونوا داخل الفريق الرسمي في البيت الأبـيض، ومـع ذلـك كانـوا اصحاب قرار في الدولة الأمريكية وفيما يتعلق بشأن خطير كالحـرب (يذكـر تينيت في كتابه أنه في اليوم التالي لهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١)، التقى بالمـسؤول الـسابق في وزارة الـدفاع وأحـد أبرز مفكري المحافظين الجدد ريتشارد بيرل، بينما كان الأخير خارجاً من البيت الأبيض. ويقول تينيت إن بيرل، الذي لم يكن يشغل منـصباً رسمـياً في الإدارة الأمـريكية، علّـق قـائلاً إن على العراق أن يدفع ثمن ما حدث بـالأمس. إنـه يتحمل المسؤولية، ويشير تينيت إلى انه صدم بما سمع، فالتفت إلى الخلف سـائلاً نفـسه: «ما الذي يتحدث عنه هذا الرجل». كما تساءل عن سبب وجود بيرل في البيت الأبيض في أولى ساعات ذاك اليوم تحديداً؟.

وبظهـور هـذا الكتاب، فإن العالم اجمع يصبح أمام تساؤلات خطيرة على المستويات الـسياسية والجنائـية والاخلاقـية والدينية، في الاجابة عن السؤال: من يتحمل المسؤولية عـن ارواح كـل الـذين لقـوا حـتفهم في العـراق مـن العراقين والأمريكين والبريطانيين والايطالـيين والكوريين.. إلخ، بعد ان بات مثبتا انهم جميعا قضوا في حرب لا مبرر لها إلا إرادة حفـنة مـن المحـافظين الجـدد وان كـل القرارات الدولية السابقة واللاحقة بشأن العراق وأهله ومصيره وثرواته هى قرارات باطلة!

وبظهـور هـذا الكـتاب فإنـنا أمـام حالـة جـريمة مـتكاملة الاركان مع سبق الاصرار والترصـد ـإذا صـح القـول أو جازـ يتيسر لها شهود على اعلى مستوى من صناع القرار الـذي كتـبوا ووثقـوا شـهاداتهم دون اسـتجواب أو اكراه أو تعذيب، اولهم كولن باول وزيـر الخارجية الأمريكية الذى سبق تينيت مؤكدا ـمن زوايا أخرى ـ بأنه خدع وأنه بات يـشعر حـسب وصفه هو بالعار لا الخجل فقط، بسبب مساهمته في خداع العالم اجمع في جلـسة مجلـس الأمـن الـشهيرة، الـتي قـدم فـيها معلومات وأدلة لاقناع العالم بضرورة

اللجوء للخيار العسكري بسبب امتلاك العراق اسلحة دمار شامل، ثم ثبت له ان المعلومات جميعها كانت مفبركة، وقبلها كان هناك مسؤولون أمريكيون من درجات وظيفية مختلفة ومتعددة، قدموا شهادات حول الجرائم التى ارتكبت بشأن نفس القضية، واليوم يأتي رجل المعلومات ليقدم تلك الشهادة، هل يعيد العالم «تمثيل» تلك الجريمة؟.

وفي التوقيت، فإن كتاب جورج تينيت ظهر في مرحلة غاية في الحرج للرئيس الأمريكي والبيت الأبيض وبقية المحافظين الجدد، فهو جاء ليكشف اصول ما جرى وحقائقه ووقائعه التي جرت من خلف ظهر كثير من مؤسسات الدولة، وليؤكد في النتيجة الإجمالية والنهائية ان الحرب على العراق لم تكن شرعية بأي معيار سياسي أو قانوني أو اخلاقى أو معلوماتي، الكتاب يظهر في مرحة هى بالفعل حاسمة في صراع كسر العظم الجاري بين الكونجرس (بغرفتيه النواب والشيوخ) والبيت الأبيض، ومن ثم فإن توقيت نشره يمثل أهمية كبيرة في الداخل الأمريكي في تغليب أي من الطرفين، كما أنه يأتي في ظرف دولى خطير لكل من صنعوا قرار الحرب، سواء لانه يأتي متزامنا مع توقيت استقالة بلير رفيق بوش في رحلة الحرب وفبركة المعلومات ايضا، أو لأنه يأتي بالتزامن مع خطة نفس الفريق الأمريكي التي تستهدف الحصول على تفويض بحرب جديدة ضد إيران، ان بالإمكان القول ان تينيت قد رد بإصدار هذا الكتاب على ما جرى من توريطه وتحميله المسؤولية «كاملة» في الغزو والخطأ، حيث جرى تملص البيت الابيض من فعلته في العراق بالإشارة إلى خطأ المعلومات التي جمعتها المخابرات الأمريكية حول اسلحة الدمار الشامل (وصفقة يورانيوم النيجر ـ وحول الاستقبال بالورود على طول طرق دخول القوات الأمريكية غازية محتلة.. إلخ).

كما يمكن القول ان تينيت قدم دفاعا عن نفسه، وعن المخابرات الأمريكية وأفعالها خلال ادارته لها، سواء فيما يتعلق بالتنصت على المواطنين الأمريكيين أو في الدفاع عن استخدامها اساليب الاستجواب التى باتت مادة للاستنكار ومثلها عمليات نقل المتهمين والمختطفين بين ارجاء العالم، وما جرى ويجرى في جوانتنامو.. إلخ.

لكن أهمية ما جاء في كتاب تينيت تترسخ في جوانبها العامة إذ رأيناها بالتكامل مع ما جاء في كتاب تينيت عن ما جاء في تقرير بيكرـهاملتون، ومع ما يجرى من وقائع في معركة كسر العظم الجارية بين البيت الابيض والسيطرة الديمقراطية في الكونجرس.

فاذا كان تقرير بيكرـهاملتون، قد كشف عن حجم المشكلات والتحديات التى واجهها ويواجهها قرار الحرب، فان كتاب تينيت قد أنهى كل مصداقية لقرار العدوان

علـى العـراق وجعلـه فاقدا للشرعية بل وكشف عن اكبر عملية خداع تعرض لها الرأى العـام الامريكـى، وهـو مـا يوفـر في واقـع الحال مادة علمية ومعتبرة ـتتجمع حولها كل الاسـتقالات والاتهامـات والاقـالات الـسابقةـأمـام الكونجـرس الـذي أصـبح مدعوما باستطلاعات الرأي العام لأجل انهاء الحرب، وربما محاكمة وعزل بعض رجال الإدارة.

الإعلام الأمريكي ومسئوليته عن «ثقافة الخداع» في واشنطن

الإعـلام الأمريكـي والرأي العام الأمريكي ليسا بريئين من «ثقافة الخداع» التي تحدث عـنها الناطق السابق باسم البيت الأبيض سكوت ماكليلان، عند وصفه ذرائع ومبررات حرب العراق كما صنعتها واختلقتها واشنطن في عهد جورج دبليو بوش.

الأخطـر، أن الإعـلام والـرأي العـام في انسياقهما وراء الغضب العارم من ممارسات الأمـس في العـراق يتجنـبان التدقـيق الضروري في افرازات تلك الحرب التي غضا النظر عـنها ثم قررا الاستفاقة إلى سوئها أخيراً في موجة الكراهية لجورج دبليو بوش والاختباء وراءها. قادة الإعلام يقولون إن الرأي العام غير راغب في معرفة كل ما لا يدخل في خانة تسليته، وأنه ليس مهتماً بما يحدث خارج بوتقته المباشرة، ولذلك تحوّلت نشرات الأخبار بعـيداً عـن «الـشؤون الخارجـية»، بما فيها ما أسفرت عنه حرب العراق وما من شأنه أن يـؤدي فعـلاً إلى إعادة الجنود الأمريكيين إلى أهلهم. والرأي العام الأمريكي يبدو مرتاحاً في جهلـه، يدفن رأسه في الرمال، يكتفي بالتسلية، يطالب بإنهاء حرب العراق، رافضاً التعـرف إلى كـيف ولمـاذا ومـاذا بعـد. فلا توجد أدنى درجات الاهتمام بما قيل بأنه كان سـبباً وراء حـرب العراق وماذا جرى له. والمقصود هو ما زُعم بأنه انتفاضة أمريكية من أجـل نـشر الديموقراطية والحرية في العالم العربي. ولا يوجد أي تساؤل يُذكر سوى من قـبل المـنظمات والمؤسـسات المهنـية حـول التجاوزات لحقوق الإنسان وللقوانين بذريعة صدمةإرهاب ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١.

وحتـى عـندما يتعلق الأمر بالمستفيدين الكبيرين من حرب العراق ـ إيران وإسرائيل ـ ومـاذا تفعـلان بهـذه الاسـتفادة الكبرى وكيف تتفاعل مصالحهما مع المصلحة الأمريكية العلـيا، هـناك صـمت أو لامـبالاة رهيـبة لدى الإعلام والرأي العام، الأمريكيين يثيران الكـثير مـن الشكوك وعلامات الاستفهام. وقد حان وقت طرح هذه الأمور على طاولة الـنقاش لأن ما تنطوي عليه فيه الكثير من الغرابة والخطورة. فالمصارحة ضرورية في هذا

المنعطف قبل ارتكاب المزيد من الأخطاء. إنها اساسية لأن الاستمرار في دفن الرؤوس في الرمال مكلف للولايات المتحدة وللعالم.

انصباب المؤسسات الإعلامية، لا سيما التلفزيونية، على ما فاتها التدقيق فيه - عمداً أو سهواً - أثناء العد العكسي إلى حرب العراق هو هروب إلى الأمام بات مسيئاً فوق العادة ويجب الآن ايقافه. كفى استهانة بذكاء الناس وكفى تظاهراً بالموضوعية والمهنية المتفوقة. فواجب الإعلام الأمريكي ألا يستفيض الآن فقط في وصف وتشخيص ما حدث وهو في غفوة أو خوف أو نفي للواقع أو تظاهر أو غطرسة. واجبه أن يستوعب فعلاً افرازات هذه الحرب ليثقف الرأي العام ويضع أمامه خياراته مهما كانت صعبة الفهم أو خارج نطاق «التسلية».

ففي اليوم ذاته - مثلاً - الذي كان الإعلام الأمريكي يسبح كعادته، جماعة، في «طبق» اليوم ويجعل من كتاب سكوت ماكليلان «اكتشافاً» لا مثيل له عن «ثقافة الخداع» في واشنطن، كان كبير المفاوضين الإيرانيين السابق في الملف النووي والذي تم انتخابه يوم الأربعاء رئيساً لمجلس الشورى على لاريجاني يوجه تحذيراً. كان يحذر الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي لطالما أعطت إيران فرصاً عدة، ويحذر الدول الكبرى الأعضاء في مجلس الأمن التي قدمت لطهران حوافز مغرية شرط مجرد «تعليق» تخصيب اليورانيوم. تحذيره كان من عواقب ما سماه بـ «المراوغة السياسية» لمجرد أن الوكالة الدولية أبدت مخاوف من احتمال مواصلة إيران اخفاء المعلومات حول دراسات متعلقة بالأسلحة النووية.

الإعلام الأمريكي تجاهل تقريباً كلام لاريجاني حول مستقبل أسلحة الدمار الشامل فيما استرسل بإسهاب في ماضي أسلحة الدمار الشامل في العراق. إنه الإعلام ذاته الذي رفض ويرفض قطعاً التطرق إلى أسلحة الدمار الشامل في حوزة إسرائيل، وكأن من يذكر ذلك السلاح يتجاوز الخطوط الحمر التي فرضها الإعلام الأمريكي على تغطيته مسألة أسلحة الدمار الشامل وفرضتها المؤسسات الفكرية الأمريكية عند طرح هذه المسألة. وفي هذا الأمر الكثير من العنصرية المبطنة.

بكلام آخر، بدلاً من درس للإعلام والرأي العام من تجربة العراق ليكون هناك اصرار على الاستفهام والتدقيق والتساؤل والمطالبة بالايضاح، هناك تكرار لأنماط اللاتساؤل واللاتدقيق واللااستفهام. والأسوأ أن الحجة هي التركيز على خطايا بوش والخداع الذي رافق إدارته.

ثقافة الخداع اثناء العد العكسي إلى حرب العراق كانت واضحة للجميع، من سياسيين وإعلاميين ورأي عام. ومَن يزعم غير ذلك ينتمي إلى أحد معسكرين: معسكر الذين دفنوا الرؤوس في الرمال واختاروا ألاّ يسمعوا أو ينظروا أو يفكروا، أو معسكر المتغطرسين الجهلاء الذين يربضون في كواليس الكسل ويمضغون التعالي وهم في أدنى الدرجات. بالطبع هذا يستثني طبقة صانعي حرب العراق بتلك الذرائع والمبررات الزئبقية والذين كانوا يعرفون ماذا يفعلون مهما تظاهروا اليوم بغير ذلك.

أسهل الحلقات في تلك المبررات كانت حقاً حلقة اسلحة الدمار الشامل. ولذلك، لا كتاب سكوت ماكليلان بعنوان «ماذا حدث... داخل البيت الأبيض في فترة بوش وثقافة الخداع في واشنطن»، ولا غيره من الكتب المتتالية مقنع في مزاعمه بأنه ضحية تسويق لحرب العراق. فتسويق حرب العراق على أساس امتلاكه اسلحة الدمار الشامل كان تسويقاً بثغرات يمكن لشاحنات كبرى أن تعبرها. فالكل كان يعرف ـ والرئيس السابق بيل كلينتون كان يعرف ـ وهو قالها صراحة إنه تم تجريد العراق من اسلحة الدمار الشامل بدرجة كبرى عبر لجان الأمم المتحدة المعنية، وان ما تبقى كان حول تساؤلات ووثائق عن برامج سابقة للعراق وليس ابداً عن أسلحة دمار شامل جاهزة في ترسانة.

من يزعم عكس ذلك من الخبراء إنما يخدع نفسه والعالم تكراراً. فلقد كان واضحاً عند الإعداد لحرب العراق أنه لم يكن يمتلك أي أسلحة دمار شامل ذات معنى أو أهمية بما يستحق حرباً على العراق لتجريده من السلاح. كان واضحاً لأي عالم بشؤون منطقة الشرق الأوسط والسياسة الأمريكية نحو تلك المنطقة أن قرار شن الحرب على العراق اتخذ فور إرهاب ١١/ ٩/ ٢٠٠١ لأن العراق كان مرشحاً لحرب المحافظين الجدد أساساً لأسباب ذات علاقة بإسرائيل وإيران وضمان تفوقهما في المنطقة كرهاً بالعرب.

ذلك الادعاء بأن حرب العراق كانت لأسباب ذات علاقة بنشر الديموقراطية قد يكون أكبر خدعة وقعت فيها الولايات المتحدة شعباً ورئيساً. لربما كان جورج دبليو بوش مقتنعاً تماماً، في ذهنه وعقله وقلبه، أن تلك كانت حرب الحرية والديموقراطية. ولربما اقنع نفسه بنفسه بذلك. واقع الأمر ان ذلك التغيير الذي ارادته زمرة المحافظين الجدد ـ والتي تبناها جورج دبليو بوش ـ كان الفوضى والتقسيم والشرذمة.

مخطئ جداً من يقول ان ما حدث في العراق كان سلسلة أخطاء متتالية، بدءاً من أسباب الحرب مروراً بطريقة تنفيذها وصولاً إلى توظيف القوات الأمريكية في خدمة

إنشاء عراق موال لإيران. مخطئ من يظن ان الديموقراطية والاعتدال كانا هدفين اساسيين لفلسفة بوش الثاني في منطقة الشرق الأوسط.

فلو كان الأمر كذلك لكان جورج بوش، المعروف بعناده وإصراره على ما يؤمن به، رافضاً رفضاً قاطعاً ما حدث في ملف لبنان الذي وقع في أحضان الديبلوماسية القطرية، ولكان عارض ما حدث في احتضان الديبلوماسية التركية من تجاذب سوري ـ إسرائيلي على ركبتي أركان الديبلوماسية التركية في الوقت الذي كان يتعهد فيه الرئيس الأمريكي بعزل سورية عقاباً لها على تجاوزاتها في العراق ولبنان.

ما حدث للولايات المتحدة الأمريكية على أيدي إدارة جورج بوش في الاسابيع الثلاثة الماضية يكاد ينفي نفياً قاطعاً تلك المزاعم البائسة بأن قضية العراق تمثل الرأفة الأمريكية بقضية الديموقراطية والحرية. فلقد اسقطت إدارة جورج بوش آخر أسباب الثقة بها وبالولايات المتحدة. سقطت الثقة وليس فقط السمعة المستعارة.

فلقد كان في ملف لبنان ما من شأنه ان ينقذ السمعة والسيرة التي تركها جورج بوش في العراق. كان في وسعه ان يعوض وان يصحح انطباع الفشل في لبنان، كما الفشل في العراق، للأسباب نفسها وهي السقوط الدائم لأي رئيس أو مرشح للرئاسة الأمريكية بين مخالب الأولويات الإسرائيلية الممتدة حتى على حساب المصلحة الأمريكية، والمشكلة هي انه حالما يأتي الحديث على ذكر إسرائيل، ينقبض الإعلام الأمريكي على نفسه ويصبح مساهماً مؤذياً للمصلحة الوطنية الأمريكية.

أما الرأي العام فإنه يسقط في دوامة الجهل التي يوقع نفسه فيها لأنه لو اختار، قادر جداً على الاستيعاب وعلى صنع القرارات الضرورية لمستقبل البلاد. لكنه يشاء الا يختار ويختار ألا يشاء ان يكون فاعلاً. وفي هذا مشكلة كبرى.

فليس ممكناً على الإطلاق المعالجة الحقيقية لكيفية الخروج من العراق من دون التعاطي مع التحدي الإيراني النووي والاقليمي ومن دون الأخذ في الحساب ان إيران دولة قادرة على الهيمنة بفضل حرب إدارة بوش في العراق.

ليس واقعياً ولا منطقياً التحدث عن الانسحاب من العراق من دون التفكير الجدي في معنى ترك الانطباع ـ ليس لدى العاديين وانما لدى المتطرفين من اسلاميين وغيرهم ـ بأن الولايات المتحدة جاهزة للتقهقر أمام الخوف من نفسها ومن الآخرين.

حرب العراق فرضت وقائع جديدة على منطقة الشرق الأوسط جعلت إسرائيل اكثر قدرة على تجنب السلام لأنها لا تخشى أي معادلة عسكرية بعدما تم حذف العراق من

تلك المعادلة. وهذا جعل إسرائيل اقل إقداماً حقاً على صنع السلام مع الفلسطينيين بغض النظر عن أقاويل صنع السلام بينها وبين سورية عبر تركيا.

حرب العراق عززت نزعة الهيمنة لدى قادة الجمهورية الاسلامية ومكنتهم من العمل على نشر تلك الثورة الإيرانية التي حالت دون توسعها حرب أخرى قام بها العراق، وهي حرب الثمانينات حين كان الرئيس العراقي السابق صدام حسين صديقاً وشريكاً للولايات المتحدة ضد إيران.

حرب العراق نجحت في تخليص العراقيين من الطاغية صدام حسين الذي بطش ولم يكن في الوسع التخلص منه، ربما، سوى عبر القوات العسكرية الأمريكية. لكن إسقاط الطاغية لم يتحول إلى كابوس يقيد أحلام أمثاله من قادة الشرق الأوسط وبقية العالم، ولم يصبح مصيره نموذجاً لمصير آخرين من أمثاله، بل العكس في بعض الحالات كان صحيحاً. وبالتالي انه فشل آخر في سلسلة مزاعم ومبررات وحجج حرب العراق الزئبقية.

لعل الوقت حان للأمريكيين قبل غيرهم ان يخوضوا فعلاً في تمرين ضروري هو الإجابة على سؤال بديهي هو: لماذا كانت حقاً حرب العراق وماذا كانت أهدافها؟

عند الخوض في هذا التمرين الصعب يمكن للأمريكيين والعالم ربما ان يفهموا ليس فقط ماذا حدث بالامس، وانما أيضا إلى اين الآن وغداً. هل كانت هذه الحرب المدمرة للعراق، حقاً، وبكل بساطة، للأسباب التي رددها جورج بوش تكراراً بقوله انها من أجل إبعاد الإرهاب عن الاراضي الأمريكية وخوض الحرب على من يقفون وراء هذه الاعمال في أماكن بعيدة كالعراق وأفغانستان؟ فإذا كان ذلك حقاً ما حدث، ربما يقرر الأمريكيون اما التوجه بعميق الشكر لرئيسهم لأن الإرهاب تم إبعاده عن مدنهم وبيوتهم، ولأن جورج بوش تركهم في غنى عن الانخراط في مآسي العالم ومكنهم من الاستمرار في لهو التسلية، أو يمكن للأمريكيين ان يغضبوا كثيراً من رئيسهم لأنهم يرفضون مبدأ استخدام الآخرين - في العراق أو غيره - سلعة في حروب ابعاد الأذى عن الأمريكيين وهم يدفنون رؤوسهم في الرمال وينفون ان السياسات الأمريكية هي جزء من الأسباب الكامنة وراء التوجه إلى الإرهاب ومن تمكين التطرف من تحقيق انتصارات تلو الانتصارات.

التخلص من ثقافة الخداع يتطلب التوقف عن خداع النفس وليس فقط الاحتجاج على تبني السياسيين في واشنطن تلك الثقافة. معظم الإعلام الأمريكي بات كسولاً

ومتعجـرفاً وقـد أصـبح جـزءاً خطـيراً مـن ثقافة الخداع وهو يختبئ وراء ما يعتبره إدمان الشعب الأمريكي على التسلية ويرفض تحمل مسؤولية أخلاقية مهنة الإعلام. بالتأكيد، هـناك العديـد من بيوت الزجاج في الإعلام العربي والشرق أوسطي، ولا داعي للتظاهر بـأي تفـوق على الإعلام الأمريكي، لا سيما ان مرتزقة الإعلام العربي يتوسعون ومنهم مـن اكتـشفوا في مبنى الأمم المتحدة حائطاً يلطون وراءه وهم يمارسون اساليب التخلص الـسري من عقد النقص والعمالة. هذا الواقع لا يخفي ولا ينفي الواقع البائس لجزء كبير من مؤسسات الإعلام الأمريكية.

واضـح ان هـناك اسـتثناءات عـدة ومهمـة ومميزة عند الحديث عن الإعلام الأمريكي وعـن الـرأي العـام الأمريكـي وهـي تـشكل العمود الفقري لهذه الدولة المتفردة بمنصب العظمـة عالمياً. واضـح أيـضا ان الحكم النهائي على حرب العراق ليس في متناول اليوم وانمـا هـو قـيد الفـرز في التاريخ المعاصر. المسؤولية الاخلاقية والمهنية تتطلب من الجميع عـدم الـتوقف علـى ابـواب الكـراهية لجورج بوش وأقطاب إدارته والغضب من حرب العـراق وثقافـة الخـداع في واشـنطن. المـسؤولية تقتـضي الـتفكير المعمـق لـيس فقط في الأسـباب الحقيقـية لحـرب العراق وكيفية اخراج الأمريكي منها وانما أيضا في معنى فض الأيـدي مـن الأوضـاع الـتي خلقـتها حـرب العـراق في موازين القوى وموازين الرعب الجديدة.

المحور الرابع
الرأى العام الدولى

تضليل العالم لحشد الرأى العام للحرب

تنخرط الحكومات جميعاً في الدعاية والترويج لنفسها للتأثير على الرأي العام في بلادها، وتحقيق نوع من الرقابة على الفكر، وهو ما يتم بشكل فج في الأنظمة السلطوية، وبشكل أقل فجاجة وأكثر حرصاً في الأنظمة الديمقراطية. والشيء الذي يميز إدارة بوش عن غيرها من الإدارات الديمقراطية، هو ذلك القدر من الجسارة الذي انخرطت به في تلك الدعاية، وذلك القدر من الاحتقار الذي تعاملت به مع حق الشعب الأمريكي ـ المكفول ديمقراطياً ـ في معرفة الحقيقة. ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، وإنما عملت إدارة بوش أيضا على توظيف المؤسسات الإعلامية القوية، في حملة الخداع التي شنتها. فهناك صحف مثل "الواشنطن بوست" لعبت دور كبير مشجعي الحرب، وأخرى مثل "نيويورك تايمز" عملت على ترويج مزاعم الإدارة غير القائمة على أساس، وذلك من خلال التقارير التي يرسلها مراسلوها، والتي عملت على الترويج للحجج التي استندت إليها الإدارة في الدفاع عن قضية الحرب. وحملة إدارة بوش في التضليل والخداع كانت متعددة الأوجه. فالوثائق التي تكشفت، وكذا المقابلات التي أجرتها "نيويورك تايمز" أكدت أن الإدارة قد شنت حربا دعائية سرية كبرى وصفتها "نيويورك تايمز" كما يلي: "هذه الحملة بدأت من خلال البيت الأبيض الذي أسس لجنة سرية بعد الحادي عشر من سبتمبر مباشرة لتنسيق العمليات المعلوماتية التي يقوم بها البنتاجون وأجهزة الاستخبارات التابعة للدول الأخرى، والوكلاء المتخصصون "نيويورك تايمز ١٠ ديسمبر ٢٠٠٥). في هذا السياق أيضا استعانت "البنتاجون" ـ كما تكشف ـ بخدمات مؤسستين للعلاقات العامة الأولى هي "لنكولن جروب" والثانية هي "رندون جروب" حيث عملت "لنكولن جروب" على نشر ما يزيد عن ١٠ آلاف مقالة مؤيدة للحرب في الصحافة العراقية والعربية. أما "رندون جروب"، فقد استهدفت المؤسسات الإخبارية الأجنبية التي اعتادت على انتقاد سياسات الولايات المتحدة. وتكشف وثائق "البنتاجون" التي حصلت عليها مجلة "رولنج ستون" إلى أن وزارة الدفاع الأمريكية أسست في نهاية عام ٢٠٠١ منظمة سرية تحت مسمى "مكتب النفوذ الإستراتيجي" لإجراء عملية تضليل معلوماتي وعمليات خداع سرية، وللعمل

على دس بنود إخبارية في وسائل الإعلام دون الإشارة لمصدرها (٢٧ نوفمبر ٢٠٠٥). في الآونة الأخيرة، وثقت دراستين رئيسيتين الأبعاد المختلفة لحملة الخداع التي شنتها إدارة بوش. الدراسة الأولى نُشرت في يناير من هذا العام، وأعدها "مركز النزاهة العامة"، والتي بينت أن بوش وكبار مساعديه، أدلوا بمئات التصريحات حول حرب العراق، كما شنوا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حملة تضليل إعلامي منسقة بعناية، حول التهديدات التي كان يمثلها نظام صدام حسين. وحول أسلحة الدمار الشامل، وعلاقات العراق بـ"القاعدة". وكان التأثير المتحقق من خلال هذه الحملة، التي ترافقت مع تغطية إعلامية، هائلاً لدرجة أنه خلق حالة من الصخب الإعلاني غير قابلة للاختراق في الشهور التي سبقت الحرب. وفي شهر أبريل الماضي نشرت "نيويورك تايمز" تحليلاً معمقاً لخصت فيه محتويات ٨٠٠٠ وثيقة من وثائق "البنتاجون"، التي اضطرت من أجل الحصول عليها إلى مقاضاة إدارة بوش (نيويورك تايمز، ٢٠ أبريل ٢٠٠٨). تبين تلك الوثائق أن "البنتاجون" قد استعانت بخدمات ٧٥ ضابطاً متقاعداً عملت على توظيفهم في حملة دعاية عبر عدد من شبكات التلفزة الكبرى التي قدمتهم تحت صفة محللين عسكريين متخصصين. وتمكن هؤلاء المحللون العسكريون من توصيل الرسالة، التي كانت إدارة بوش تريد توصيلها إلى الشعب الأمريكي، دون أن يعلنوا عن المصادر التي يستندون اليها في بناء آرائهم المؤيدة للحرب. وقد تم تأييد حملة الخداع هذه، على مستوى القمة من قبل وزير الدفاع في ذلك الوقت "دونالد رامسفيلد" الذي أجرى لقاءً شخصياً مع هؤلاء المحللين. وتكشف السجلات التي فحصتها "نيويورك تايمز" أن هؤلاء "المحللين" قد تلقوا "إيجازات" من قبل مسؤولين في البيت الأبيض على رأسهم نائب الرئيس ديك تشيني، وآخرين من وزارة الخارجية، ووزارة العدل، كان من بينهم وزير العدل آنذاك "البرتو جونزاليس". بالإضافة لكل ذلك سُمح لهؤلاء المحللين بالوصول إلى معلومات سرية، والالتقاء بقادة عسكريين نافذين لهم علاقة بعملية اتخاذ القرارات المتعلقة بالعقود والميزانيات. كما حرصت إدارة بوش في ذلك الوقت على نقل هؤلاء المحللين بالطائرات إلى خليج "جوانتانامو" للقيام بجولة في المعتقل الذي أقامته الولايات المتحدة هناك، والذي يحمل الاسم نفسه، وبعد عودتهم رتبت الإدارة لظهورهم في محطات التلفزة الكبرى في أمريكا لينقلوا رسالة الإدارة، من خلال القول بأن منظمة العفو الدولية كانت على خطأ، وأن معتقلي "جوانتانامو" كانوا يعاملون أفضل معاملة. ولدعم قضية الحرب، حددت الإدارة لهؤلاء المحللين نقاطا بعينها كي

يركـزوا علـيها منها أن العراق كان يمتلك أسلحة كيماوية وبيولوجية، وكان يعمل على تطويـر أسـلحة ذريـة، وربمـا يقوم ذات يوم بتسريب واحد منها سرا لـ" القاعدة" ، وأن عملـية الغـزو سـتكون سريعة نسبيا، وغير مكلفة، وأنها ستكون "حرباً للتحرير" !بعد غـزو العراق أعرب وزير الدفاع الأمريكي "دونالد رامسفيلد" عن سعادته بالنتيجة التي تحققـت مـن وراء حملـة الخداع. ففي الثاني عشر من أبريل ٢٠٠٣، كتب "رامسفيلد" مذكـرة لأحـد مـساعديه يقول فيها" . دعنا نفكر في الاستعانة ببعض هؤلاء الأشخاص الـذين قامـوا بهـذا العمـل الـرائع، للظهور في برامج حوارية بعد أن نكون قد فرغنا من العمـل الـذي في أيدينـا" . لقـد كان لدى رامسفيلد وإدارة بوش أسباب وجيهة تدفعهما للـسعادة بنتـيجة حملـة الخداع المتعددة الأوجه، والتي حققت نجاحاً كبيراً في ذلك الوقت بدلـيل أنـه حتـى عـام ٢٠٠٥، كانت الغالبية العظمى من مؤيدي بوش لا تزال تظن أن أسلحة الدمار الشامل قد عُثر عليها بالفعل في العراق.

لغة الإعلام صراع تم تجنيدة لصالح الميديا الأمريكية لترويج الحرب

اللغـة الـتي تستخدمها نشرات الاخبار في وصف الاحداث المهمة تلعب دوراً اساسياً في فهـم وتفـسير المشاهد أو المستمـــع أو القارئ لها، وقـــال جورج لاكوف في رسالة مفـتوحة نشرها على الانترنت في التسعينات عنوانهـــا: الاستعارة اللغوية والحرب: ان الخطاب السياسي والإعلامي الذي برر الحرب ضد العراق عام ١٩٩١، كان بانوراما من الاسـتعارات اللغوية، واعتبر ان التبرير الاقتصادي والسياسي للتدخل الأمريكي، خلق حالـة مـن التأييد الشعبي، وأسهم في إخفاء الدوافع الحقيقية، واختصر شعب العراق في شـخص رئيسه، ووظـف مفردات قاسيـة لشحن العواطف، اورد منها وصف العدوان العراقـي بالاغتـصاب، وتقـديم الـولايات المـتحدة لنفـسها، على انها البطل المنقذ، ثم ظهـرت أمـريكا بعـد تحريـر الكويت، في صورة القوة التي ادبت المغتصب وانتصـــرت للـضحية، ولعـبت دور الـبطـولة في فـيلم الحـرب العادلة، طبعاً الكـلام قاله جـــورج لاكـوف، وهـناك رأي مشابه عرض له جون مكارثر في كتابه: خط النار الثاني، الرقابة والدعاية في حرب الخليج (١٩٩٢).

جـورج لاكـوف، المـشاغب، نـشر مرة اخرى، وقبل بداية الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، نقـداً مـشابهاً علـى الانترنت، دار حول استخدام الاستعارات اللغوية في تبرير الحـرب، وقال انها عادت في سياقات مختلفة وخطيرة، اي بإصدار أمريكي جديد ومنقح

لسيناريو الانقاذ القديم في الحرب الأولى، وان اختصار الدولة في شخصية رئيسها، سمح للولايات المتحدة باهانة فرنسا، صاحبة الوزن السياسي الثقيل في العالم، لأنها لم تكن صديقاً وفياً ومؤيداً للحرب.

في تعريفه للاستعارة اللغوية، كتب الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس المتوفى يوم ٧ مارس سنة ٣٢٢ قبل الميلاد، انها تعني وصف الاشياء بغيرها، وذكر جورج اورويل في مقالة كلاسيكية عن السياسة واللغة الانجليزية (١٩٤٦) ان اللغة السياسية، اياً كان مجالها، تستبد بها فكرة تقديم

الاكاذيب على انها حقائق، ورأى البروفسور فان ديجك في كتابه الاخبار باعتبارها خطاب (١٩٨٨) بأن المفردات المختارة في نشرات الاخبار، تكشف الأيديولوجيا المخبأة خلفها.

نشرات الاخبار الأمريكية قبل احتلال العراق، كانت تصر على سيناريو الحرب وتؤكد عليه، رغم معارضة الامين العام للامم المتحدة، بابا الفاتيكان، وملايين الناس، ومن الامثلة، تصريحات الرئيس الأمريكي التي نقلها مراسل إن. بي. سي نايتي نيوز، توم بروكاو، في ١٨ فبراير ٢٠٠٣، وقال فيها ان مظاهرات الملايين حول العالم لن تغير رأي إدارة بوش في مسألة الحرب ضد العراق، بل وتعطي تغطيات هذا المراسل المتحركة بين تركيا والكويت وقطر والأردن، في اقل من اسبوع، انطباعاً للمشاهد بأن الحرب قريبة، ومن المفيد ان اذكر بأن هذه النشرة المسائية تعتبر الاكثر مشاهدة في الولايات المتحدة، حسب احصاءات ٢٠٠٣ الأمريكية، ويتابعها ما يقرب من ١٢ مليون أمريكي.

كما عنونت سي. إن. بي. سي تغطياتها عن العراق في بداية عام ٢٠٠٣ بـ«مرحلة الحسم مع صدام» وسي. إن. إن«الحسم في العراق» وفوكس نيوز «استهداف العراق وتجريده من سلاحه» و«إن. بي سي نايتي نيوز» «بدء العد التنازلي للعراق»، وكلمة حسم أو «شوداون» في الثقافة الأمريكية مرتبطة بلعبة البوكر وعبارة العد التنازلي أو «كاونت داون» لها صلة بمناسبات إطلاق المركبات والصواريخ إلى الفضاء، أو بالانجاز المشرف والجميل، وهو في هذه الحالة التدخل الأمريكي في العراق، ولعل المفارقة ان كلمة الحرب نفسها، لاتوجه، في الغالب، الا ضد الاشياء السيئة كالمخدرات والفقر والجريمة والمرض، بجانب ان الطبيعة المتطرفة للغة الاخبار الأمريكية، تبدو واضحة، إذا لاحظنا ان مفردات اخرى غابت عن العناوين الاخبارية، في مرحلة ما قبل الحرب،

مثل : المفاوضات مع العراق، التفتيش عن اسلحة الدمار الشامل أو الحوار حول العراق، والمسألة ليست اعتباطية فوزارة الحرب الأمريكية غيرت مسماها إلى وزارة الدفاع، حتى تأخذ طابعاً سلمياً، مالم نقل بان الصقر القوي وجناحه في الإدارة الأمريكية اقرب إلى النفس من الحمامة الضعيفة، على طريقة «الحر» و«الدجاجة الصقعة» في ثقافة أهل البادية. . . !

أما صدام فقد وصف في تصريح لمصدر استخباراتي أمريكي يوم ٢١ فبراير ٢٠٠٣، انه يلعب «الغميضة» أو «شرعت» باللهجة الحجازية أو حسب التصريح «بلينغ ذي تايم اوف هيد أند سيك» في موضوع إخفائه لاسلحة الدمار الشامل، وهذه اللعبة معروف انها للاطفال، ولو ربطناها بلعبة البوكر فالمعنى ان صدام يقامر بمصالح الشعب والدولة وبإسلوب طفولي، وفي الاسابيع الاخيرة قبل الحرب، تكلم الإعلام الأمريكي عن صبر الولايات المتحدة الذي بدأ ينفد، في تكريس للموقف الابوي الأمريكي تجاه ألعاب الطفل العراقي المزعجة، مع ملاحظة ان فقدان الصبر لا يقدم سبباً كافيا للدخول في حرب، ولا ادري ما الذي يمكن ان يشير اليه وصف الرئيس الإيراني بـ «الحورية» في الإعلام الأمريكي بعد احتجازه للبحارة البريطانيين. . . !

الإعلام الأمريكي عرض كذلك لـ «مرافعة» كولن باول في « قضية» الحرب ضد «المتهم» العراق أمام «محكمة» الامم المتحدة، وفي تسويقها لـ «هيئة المحلفين» أو العالم، ثم تحول الامر من مرافعة يقوم بها محامٍ في قضية، إلى صاحب محل يروج لبضاعة مسمومة، وبالمناسبة معظم المفردات المذكورة، ماعدا الأخيرة، استخدمت بالانجليزية في اكثر من وسيلة إعلامية أمريكية. وكولن باول استقال بعد معرفته بأن الادلة التي قدمها لم تكن صحيحة، وان دفاعه كان مسرحياً ومختلقاً.

بقي ان باب الاستعارات اللغوية الأمريكية مفتوح جداً، والحرب كلمة اساسية في قاموس الراسمالية التجاري، ولا يفترض فيها ان تكون اخلاقية أو عقلانية أو مشروعة.

سكوت مكليلان شاهد عيان على الترويج للتضليل الإعلامي

«ماذا حدث داخل البيت الأبيض» عنوان الكتاب الذي أصدره المتحدث السابق باسم البيت الأبيض الأمريكي سكوت ماكليلان والذي يُعتبر شهادة من داخل كواليس السياسة الأمريكية، تكشف تفاصيل صناعة القرار السياسي وتفاصيل التضليل والتعتيم والتلاعب بالمعطيات والمعلومات للسيطرة على الرأي العام المحلي والدولي. سياسة

الخداع كما يسميها ماكليلان سيطرت وهيمنت على القرار السياسي الأمريكي في مرحلة، تعتبر من أهم وأخطر المراحل في السياسة الخارجية الأمريكية على الإطلاق.
إذ إن هذه الحقبة شهدت تحولات جذرية في العلاقات الدولية حيث إنفردت الولايات المتحدة الأمريكية بإدارة مصير العالم وتطويع منظمة الأمم المتحدة لقبول قرارات لم تكن سليمة على الإطلاق وقرارات كانت تداعياتها وانعكاساتها خطيرة جدا على عدد من الدول ومن شعوب منطقة الشرق الأوسط.

الكتاب يشير إلى تضارب في القول والفعل لصحافي وناطق رسمي للبيت الأبيض كان من واجبه تقديم الحقيقة والاستقالة من الوهلة الأولى والانحياز لمصلحة الشعب الأمريكي وللحقيقة بدلا من الاشتراك في جريمة الكذب والخداع والتلاعب بالعقول.

لكن يبدو في واقع الأمر أن سكوت ماكليلان انحاز للمؤسسة التي تعطيه راتبا نهاية كل شهر وهذا ما يعني أن كتابه وحتى ولو يعتبر شهادة من الداخل وجرأة في تقديم الحقيقة إلا أنه كتاب جاء متأخرا ليعكس أن مصلحة السلطة هي فوق كل اعتبار في عالم لا يؤمن بالرأي العام بل يؤمن بالتلاعب بالعقول لاستعمالها في تشريع قراراته وتصرفاته.

سكوت ماكليلان، أو محامي الشيطان، مؤلف كتاب «ماذا حدث في البيت الأبيض»، صال وجال في البيت الأبيض ودافع بشراسة على سياسات بوش وإدارته لشؤون أمريكا والعالم ومن أهمها قرار الحرب على العراق وبعد كل الضرر الذي أحدثه هذا القرار للشعب الأمريكي ولدول وشعوب العالم، يأتينا بهذا الكتاب وبهذه الحقائق. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو لماذا لم يقدم ماكليلان استقالته من منصبه عندما لاحظ ثقافة الخداع والتضليل والتعتيم والتلاعب بالمعلومات من أجل تسويق حرب لا حاجة للشعب الأمريكي بها.

ولماذا وافق ماكليلان كل هذه الفترة على القيام بالدفاع عن الشيطان وعن سياسات يرفضها جملة وتفصيلا ولا يؤمن بها.

تتحدد إشكالية الكتاب في أن قرار الحرب في الدستور والأعراف الأمريكية لا يتم إلا إذا تطلبت الظروف ذلك، وإلا إذا كانت الحرب ضرورية ومبررة ولها أسبابها وحججها. الظروف الموضوعية التي كانت سائدة أثناء مرحلة ما قبل الحرب لم تكن مؤهلة وكافية لشن الحرب على العراق.

لكـن صـقور البـيت الأبيض وعلى رأسهم ديك شيني استطاعوا من خلال استخدام «ثقافـة الخـداع» أن يـضللوا الـرأي العام الأمريكي والعالمي والاقتناع بقبول قرار الحرب والموافقة عليه. فالبيت الأبيض لجأ إلى كل الطرق والوسائل من دعاية وأكاذيب وأساطير ومـن تضخيم خطر القاعدة وأسلحة الدمار الشامل وغيرها لتبرير الحرب وجعلها حتمية لإنقـاذ أمـريكا والعالم من خطر داهم من شأنه أن يعصف بالعالم بأسره ويفتك بالبشرية جمعاء.

فتـسويق الحـرب علـى العراق تم من خلال أكاذيب وحملات ترويجية تسويقية دعائية تقـوم علـى معلـومات خاطئة وردت من المخابرات المركزية الأمريكية التي كانت تحصل علـى معظـم معلـوماتها مـن المعارضة العراقية في الخارج التي كانت بدورها تحلل الواقع وتقـدم المعلـومات بـناء علـى العواطـف والأمنيات وليس على ما هو موجود في أرض الواقـع. ويرى ماكليلان أن موضوع الحرب على العراق كان المفروض أن يتم من خلال المناقشات المفتوحة ومشاركة الفضاء العام خاصة وسائل الإعلام والنخبة المثقفة للوصول إلى الحقيقة ومن ثم مساندة قرار الحرب أو معارضته.

مـع الأسـف الـشديد قـرار الحـرب تم في جـو من التواطؤ الكبير بين وسائل الإعلام والبيت الأبيض، حيث استطاعت إدارة بوش تمرير خطابها وأكاذيبها أمام أعين ومسامع الإعـلام الأمريكـي، الـذي كـان مـن المفروض أن يكون كلب الحراسة ومراقب السلطة والجهـة الـتي تستقـصي الحقائـق وتـتأكد مـن صـحة القـرارات التي تتخذها السلطة في المجتمع.

فـالإعلام الأمريكـي الـذي يدعي البحث عن الحقيقة والكشف عنها وتوفير منبر حر للـرأي العـام ليـناقش القـضايا المصيرية في المجتمع وإبداء رأيه فيها والمساهمة في صناعة القـرار، أصـبح بـدلا مـن كـل هـذا طرفا في معادلة الخداع والتزييف والتضليل وإخفاء الحقائق.

وبهـذا الـتلاعب الفظـيع الـذي يتنافـى ويتـناقض جملـة وتفـصيلا مع أسس ومبادئ الديمقـراطية، اسـتطاعت إدارة بوش الإعلان عن حرب غير مشروعة وغير مبررة والزج بعشرات الآلاف من الشباب الأمريكي في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

يتساءل ماكليلان عن من هو المسؤول عما حدث في البيت الأبيض وهنا يشير الكاتب بأصابع الاتهام إلى جهات عديدة من أهمها بطبيعة الحال إدارة بوش والحزبان الديمقراطي والجمهـوري وقادة جماعة الضغط والقائمون على الإعلام حيث إن الجميع لم يقم بدوره

كما ينبغي بل إنخدع وأصبح طرفا في نشر ثقافة الخداع والتسليم بكل ما يُنشر ويُبث بدون أدنى مساءلة أو استقصاء أو تشكيك.

وهذا ما ساعد على نشر الكثير من الأكاذيب والتلاعب بالكثير من المعطيات للوصول إلى هدف واحد هو تسويق الحرب للجميع وخاصة الرأي العام الأمريكي والدولي. هذه الظاهرة جعلت الكثير من المختصين يتساءلون عن دور الفضاء العام والنخب المثقفة ووسائل الإعلام الأمريكية في مواجهة سلطة المال والسياسة في المجتمع.

فالواقع يؤكد أن الجميع-أحزاب سياسية، معارضة، جماعات ضغط، مؤسسات إعلامية، فضاء العام، الرأي العام - الكل استسلم لـ «الإستبليشمنات» Establishment وللوضع الراهن Status Quo، والنتيجة في نهاية المطاف هي انهزام الحقيقة والحكم الراشد والقرار السليم أمام التضليل والتعتيم والتلاعب والخداع.

مراجع الدراسة

١ . التضليل الإعلامي الأمريكي لوقائع العدوان على العراق، د. أميمة أحمد، المبدعون العرب

٢ . الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، الجزائر، ٢٤/٣/٢٠٠٨ .

٣ . حرب العراق وسطوة الرسالة الإعلامية، حارث محمد حسن، الحوار المتمدن - العدد: ١٨٦٤ - ٢٠٠٧ / ٣ / ٢٤

٤ . قناة الحرة الأمريكية. . . الإعلام في خدمة الحرب، حسام شاكر، اسلام اون لاين نت

٥ . كيف هزمت أفلام الجهاد العراقي أفلام الصليب الأمريكي عن الحرب في العراق ، شبكة البصرةالاحد ١٩ جمادي الاول ١٤٢٦ / ٢٦

٦ . حرب المصطلحات في حرب العراق. . رؤية صحفية، سي ان ان، ٧/ ٤/ ٢٠٠٣

٧ . الدعاية الأمريكية: محاربو أمريكا في مجال التأثير النفسي، فلويد ماكاي، ٣٠/ ٠١ / ١٤٢٧ ٠١/ ٠٣/ ٢٠٠٦، مفكرة الإسلام .

٨ . البضائع المسمومة في الإعلام الأمريكي، بدر بن سعود، صحيفة عكاظ، العدد: ٢١٢٢، ٩/ ٤/ ٢٠٠٧ .

٩ . المسرح الإعلامي للحرب الأمريكية على العراق،الجزيرة ، ٧/ ١/ ١٤٢٩ هـ - الموافق١٢/ ١/ ٢٠٠٨ م

١٠ . سكوت مكليلان: إدارة بوش روجت لثقافة الخداع، رويترز، ٢٥/ ٥/ ١٤٢٩ هـ - الموافق٢٩/ ٥/ ٢٠٠٨

١١ . سياسة الخداع ومحامي الشيطان، د. محمد قيراط، صحيفة البيان الإماراتية، ٢ / ٧/ ٢٠٠٨

١٢ . تينيت بعد بيكر وباول- من يتحمل نتائج قرار الحرب؟، طلعت رميح، شبكة البصرة، ١٢ جماد الاول ١٤٢٨ / ٢٩ آيار ٢٠٠٧

١٣ . كسل الإعلام الأمريكي ومسؤوليته عن «ثقافة الخداع» في واشنطن، راغدة درغام - نيويورك - الحياة - ٢٠٠٨/ ٠٥/ ٣٠

١٤ . بالدعاية والإعلام. . أمريكا تفرض حبها!، راكان الخطيب - سيف الهواورة، باحث أردني، موقع شخصي، ٤/ ايار / ٢٠٠٨

١٥ . دعاية حرب العراق. . . خداع وأكاذيب، صحيفة الاتحاد الإماراتية، العدد ١٢١٠٨، / ٢٨ شعبان ١٤٢٩هـ - ٢٩ / ٨/ ٢٠٠٨

الفصل الثالث

إدارة أمريكا وتعاملها مع وسائل الإعلام في حربها على العراق

(قرأه في الاستراتيجية الأمريكية في أداره الحرب الإعلامية على العراق من إسقاط النظام وحتى انتهاء العمليات العسكرية)

مقدمة الدراسة

الأسطورة الإعلامية للهيمنة الأمريكية على إعلام الحرب العراقية

سلاحان ماضيان يستعملهما العالم القوي ضد العالم الضعيف : سلاح النار وسلاح الإعلام. الكمية الضخمة من الأسلحة بأنواعها التي تصنعها مختبرات العالم المهيمن، والتي تصدر عنوة للعالم المهيمن عليه تحت أعذار ومبررات واهمة، وتحت الشعور بالخوف من قضايا غامضة قادمة. . أنظمة . . فكر . . حدود . . أعراف . . انقلابات . . إلخ . . والكمية الضخمة من المعلومات الموجهة التي تخترق عقول الناس وتشعرهم إثرها بالضآلة والانهزام إضافة إلى الخوف وعدم الجدوى كأفراد وكأمة وكأنظمة وكحضارة.

الإفريقي في هذا الإعلام: متوحش يعيش على أدمغة الناس. . العربي في هذا الإعلام: جنسي أكول نؤوم دموي. الغربي في هذا الإعلام: بطل بكل معنى الكلمة. . اليهودي في هذا الإعلام: ذكي وعبقري ومضطهد ولابد من مؤازرته. لتحقيق هذه الأغراض وما شابهها تقوم في العالم القوي شبكة متكاملة من وسائل الإعلام تصل إلى حد الأسطورة:

أولاً: أكثر من مائة معهد معلوماتي مخابراتي صهيوني/ أمريكي، تقوم برصد كل ظواهر وبواطن النفسية العربية والبلاد العربية والحضارة العربية: ـ معهد "أونيل دانجمان" التابع للمخابرات الإسرائيلية والذي انضمت إليه مؤخراً مصر بعد كامب ديفيد. ـ معهد المركز الأكاديمي الإسرائيلي، وتشرف عليه السفارة الإسرائيلية في القاهرة. ـ مؤسسة "روكفلر" للدراسات الاستراتيجية. ـ مؤسسة "فورد فونديشن" للمعلومات. ـ مؤسسة راند للدراسات العربية والإسلامية. ـ مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية لدراسات الشرق الأدنى والأوسط. ـ جماعة أبحاث الشرق الأوسط. ـ مؤسسة "فرديش أيبرت" الألمانية. ـ معهد "بيركلي" للدراسات الدولية. ـ مركز

شيكاغو للدراسات الخارجية والعسكرية. ـ مركز "برنستون" للدراسات الدولية. ـ مركز "هارفارد" للشؤون الدولية. ـ وكالة التنمية الأمريكية. وعشرات، بل ومئات المراكز الأخرى الجاسوسية والبحثية والاستراتيجية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والدينية. . إلخ. وكلها تبحث بأسرار وتوجهات وإمكانيات وثروات ونقاط ضعف ونقاط قوة الإنسان العربي أولاً ثم الإنسان الجنوبي (المغتر). هذه المراكز هي التي توجه الأحداث القادمة وهي التي توجه السياسات العالمية باتجاه العالم الثالث، وهي التي تدعم الصهيونية بكل وسيلة، وهي التي تكيد للوطن العربي وللعالم الإسلامي وللعالم الثالث بكل وسيلة أيضًا.

هذه المراكز تبحث في دقائقنا، في نفسياتنا، في شهواتنا، في تفكيرنا، في أحلامنا، في أطفالنا ونسائنا. . ولذلك كله؛ ولأن الفكر ابن المعلومة، فإن المعلوماتية الغربية/ الصهيونية هي صاحبة الكلمة في مستقبلنا.

ثانيًا: الإعلام الطاغي المعادي يدخل بيوتنا وقلوبنا، ويدخل مكاتب أصحاب القرار في بلادنا، ويغسل أدمغة المواطنين والحكام والصغار والكبار، حتى أنه هو الذي يقرر متى تشتري نساؤنا مكانس الكهرباء، ومن أي شركة، ومتى يصبح الجيش العراقي خطرًا عالميًا، وإلى أي مدى يجب تدمير لبنان وحرق بناه التحتية. . هل يتصور أحدنا أن السينما الأمريكية عرضت فيلمًا عن احتلال العراق للكويت وعن الحرب العالمية ضد العراق قبل الحرب ذاتها بأكثر من عشر سنوات؟! نعم لنا أن نتصور ذلك؛ لأن الولايات المتحدة الأمريكية تملك ٥٠٪ من كل صحف العالم اليومية، و٤٥٪ من كل محطات الإذاعة العالمية، و٢٦٪ من كل المحطات التلفزيونية العالمية، أما شبكات الإنترنت فهي أمريكية أصلاً، وهي التي تنشر فكر العولمة الأمريكية إلى العالم دون منازع.

الدول المهيمنة على العالم تملك أكثر من ٩٠٪ من كل وسائل الإعلام العالمية، وهي رقميًا تملك حوالي سبعين ألف محطة إذاعية مقابل ما لا يزيد عن سبعة آلاف محطة إذاعية في كل العالم الثالث (ونحن منه)، كما أنها تملك ـ أي الدول المهيمنة على العالم ـ حوالي خمسين ألف محطة بث تلفزيوني مقابل ما لا يزيد على ثلاثة آلاف محطة تلفزيونية في كل العالم الثالث (ونحن منه)، ناهيك عن الأقمار الصناعية التي تجوب سماءنا وسماء العالم الثالث، وتحصي علينا أنفاسنا العلوية وأنفاسنا السفلية كذلك! ! ولا يخفى على أحد الآن أن هذه الأقمار الصناعية هي التي وجهت الطائرات الإسرائيلية في الحروب العربية الإسرائيلية، وهي التي وجهت الطائرات العالمية في تدمير العراق. أما

فيما يتعلق بالصحافة ووكالات الأنباء، فأكثر من ٩٠٪ من كل المعلومات والأخبار العالمية تصدر عن خمس وكالات هي :

١ـ "الاسوشييتد برس" . أمريكية . ٢ـ "اليونايتد برس" أمريكية . ٣ـ "رويتر" بريطانية . ٤ـ وكالة الصحافة الفرنسية . ٥ـ وكالة الأنباء الألمانية . ورحم الله أيام "نوفوستي" و"تاس" السوفياتيتين . هذه الوكالات توزع يوميًا أكثر من أربعين مليون كلمة على صحف العالم، تحتل أمريكا منها أكثر من النصف، أما في كل دول العالم الثالث (ونحن منه)، فالوكالات لا توزع أكثر من ٣٠٠ ألف كلمة، أي أن العالم الثالث كله لا يبث أكثر من ١٪ من مجمل ما تبثه وكالات الأنباء التابعة للمهيمنين على العالم، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية . أما ما يتعلق بالصحف اليومية، وهي تمثل الصحافة الفاعلة، فإحصائيات الثمانينيات ـ وهي تعتبر قديمة جدًا ـ تُشير إلى صدور ٧٦٨٠٨ صحيفة يومية في العالم . نصيب الولايات المتحدة فيها ١٧٧٢ صحيفة يومية، توزع حوالي ٦٢ مليون نسخة صباح كل يوم، أما في مصر وهي أكبر الدول العربية، فيصدر فيها ١٥ جريدة يومية، وتوزع حوالي ٧٧٥ ألف نسخة يوميًا . فيما يتعلق بالكتب، فقد أظهرت إحصائيات التسعينيات أن دول العالم المهيمن (شمال العالم) يُصدر ٨١,٣٪ من كل إنتاج العالم من الكتب، بينما يتقاسم أكثر من ثلاثة أرباع العالم (المغتر) ونحن منه، ما نسبته ١٦,١٪ فقط . وعندما نتحدث عن الكومبيوتر والأقراص المدمجة، فإن العالم الثالث يراقب هذه الأجهزة ويحلم بها، وهي غالبًا ـ إن وجدت ـ فللألعاب وللمعلومات الساقطة، أما الشركات الأمريكية والكندية فتحتكر ٦٢٪ من هذه الأقراص، وتحتكر أوروبا الغربية ٣٠٪ منها، ويظل ٨٪ لاستراليا واليابان . وحتى لا يُصاب القارئ بالخيبة أكثر فأكثر، فلن نُكمل الأرقام عن بقية وسائل الإعلام، وعن ساعات البث التلفزيوني الأمريكي والأوروبي لبلادنا، وعن نوعيتها، وعن أثرها فينا . المعلومات والإعلام مهيمنان على العالم بكل معنى الكلمة، ويكفي أن نراقب برامج ـ الفضائيات اللبنانية على سبيل المثال ـ لتستنتج الفرق بين اهتمامات الإعلام الغربي مقابل اهتماماتنا . (ولا عزاء لأهل الجد وأصحاب الطموح) . وللعلم فقط نقول بأن المعلومات ممنوعة في بلادنا، والإعلام موجه في بلادنا، ولذلك كله يظل الوطن العربي بعيداً عن الشر ويعزف له، بأختصار هذه هى مفاتيح المؤامرة للهيمنة الإعلامية .

المحور الأول

الحرب والإعلام

مدخل نحو تفاصيل أسطورة التضليل الكبرى فى إعلام الحرب الانجلو أمريكية على العراق

١ـ كلما كانت حرب فثمة إعلام، وكلما كان إعلام فثمة قبليا معلومات ومعطيات وبيانات.

هذه، كما تلك، من البديهيات في القدم كما في الوقت الحاضر، في أزمنة الحرب المعلنة كما في فترات الأزمات المضمرة والتوترات الخفية لم تشد عليها الدول والحكومات (قديما كما في الزمن الراهن) إلا فيما ندر.

قد لا يبدو الأمر أعلاه عصيا على الفهم، فالمعلومات (بما هي مادة الإعلام وأداته) كانت ولا تزال عصب الحرب، وكانت وستبقى إحدى أقوى عناصر الترتيب لهذه الأخيرة وإحدى أهم العوامل للحسم في مسارها وتوجهاتها.

وبقدر ما كان (ولا يزال) للحرب خبراؤها وصناعها، بقدر ما كان أيضا، وبالمثل، للإعلام صناعه وخبراءه يفعلون في الرأي العام (إخبارا أو تجنيدا) كما يفعل صناع الحرب وخبراؤها على التأثير في ذات الرأي العام بجهة التجنيد تارات وبجهة التوظيف تارات أخرى.

ليس من الوارد هنا التأريخ لبدايات وتطور العلاقة بين الحرب والإعلام (وهي قديمة قدم الحرب والإعلام ذاتهما) ولا مقاربة درجات الارتباط والتنابذ التي ميزت لعصور طويلة العلاقة إياها، بقدر ما نبتغي تفكيك ذات العلاقة احتكاما إلى أحداث كبرى لربما كانت المحك الأقوى لطبيعة هذه العلاقة وصيرورتها.

٢ـ هناك، فيما يتراءى لنا، ثلاث حقائق كبرى تجعل من العلاقة بين الحرب والإعلام علاقة ترادفية زمن الأزمات كما زمن السلم سواء بسواء:

الحقيقة الأولى ومفادها أن معظم التقنيات والأدوات المعلوماتية والإعلامية هي بالأساس من صنيعة المؤسسة العسكرية أو تم التفكير فيها وتصميمها من داخل مختبرات المؤسسة إياها أو تم (في تقنيات قليلة محددة) التقاطها من مؤسسات البحث المدنية واحتكارها.

لا يتعلق الأمر هنا بتقنيات التلغراف والتلكس والهاتف والراديو والتلفزة فحسب، بل أيضا بما أفرزته البحوث حول الأقمار الصناعية والمحطات الأرضية والشبكات الإلكترونية وغيرها.

بالتالي، فمعظم تكنولوجيا المعلومات والإعلام واتصال هي (بشكل من الأشكال) وليدة "المؤسسة الحربية" وجاءت (أعني التكنولوجيا) في صيغها الأولى وتصميماتها الأولية، كإفراز لحاجة المؤسسة إياها لا بحكم أغراض أخرى.

من هنا فمختبرات الحرب ومصانعها خدمت (عن دراية في حالات وعن تغافل في حالات أخرى) "المؤسسة الإعلامية" بما هي مجمع المعلومات وموزعها ومروجها.

ليس من الشذوذ في شيء إذن إذا كانت المؤسسة العسكرية تدعي لنفسها منذ القدم ما يشبه "الأبوية" على المؤسسة الإعلامية وأن تعترف هذه الأخيرة بمدى ما لها من دين إزاء الأولى.

الحقيقة الثانية ومؤداها أن التطورات التكنولوجية والمؤسساتية التي طالت " فنون الحرب"، وأساليب التخطيط لها والتنفيذ، لم تستثن من تيارها المؤسسات الإعلامية والاتصالية تقنيات وترتيب وتخزين وتزويج للمعلومات.

فبمثل ما تتوفر المؤسسة العسكرية على أقمار للاستطلاع وأخرى للاستشعار عن بعد وثالثة للتجسس، فإن للإعلام أيضا أقماره الصناعية وبنوكه للمعطيات والصور ومحطاته للبث على المستوى الكوني.

وبقدر ما يلجأ الإعلام للمؤسسة العسكرية (زمن الحرب بالأساس) لتأمين مادته الإخبارية والتحليلية، فإن المؤسسة إياها لا تجد بدا من اللجوء إلى وسائل الإعلام لإيصال خطابها وإشاعته على أكثر من مستوى.

بالتالي فالعلاقة بينهما على هذا المستوى هي إلى التكاملية أقرب منها إلى الترادف.

الحقيقة الثالثة ومضمونها كامن في العلاقة التلاحمية بين الحرب والإعلام لدرجة الانصهار والتي غالبا ما يترجمها بعمق مصطلح حرب المعلومات.

ليس المقصود بحرب المعلومات هنا ما يتم (زمن السلم) من عمليات تجسس اقتصادية وتكنولوجية وتجارية وغيرها، ولكن بالأساس "تطويع" المعلومات بغرض توظيفها لأغراض عسكرية (وقتالية تحديدا).

يقول الجنرال كولن باول (رئيس الأركان المشتركة في حرب الخليج الثانية): إن " حرب المعلومات هي كل الإجراءات التي تؤدي إلى تحقيق السيطرة المعلوماتية عن طريق

التأثير في معلومات الخصم، والعمليات المعتمدة على المعلومات ونظم المعلومات وشبكات الحواسيب مع حماية ما يخصنا من معلومات" .

لم تصبح المعلومات، على هذا الأساس، وسيلة تأثير على الخصم أو "المزايدة" عليه فحسب، بل أضحت كذلك جزءا مما يسمى منذ مدة بعمليات "القيادة والسيطرة" والتي تشمل "أمن العمليات والعمليات النفسية والخداع والحرب الإلكترونية وتدمير النظم وغيرها" .

هناك إذن، بالمحصلة النهائية لهذه الحقائق الثلاث، ترادف في التقنيات وتكامل في الأدوات وانصهار (لدرجة التماهي) في الوظائف.

هي الحقائق ذاتها التي تكرست على أرض الواقع أثناء حرب الخليج الثانية وتتكرس اليوم بامتياز في حملة "الحرب ضد الإرهاب" التي لا يعتبر ضرب أفغانستان والإجهاز على إمارة طالبان إلا مقدمتها وعنوانها الأبرز.

ليس من المبالغ فيه البتة إذن الاعتقاد بأن الحروب ضد العراق وضد أفغانستان (وقبلهما وفي خضمهما ضد السودان وليبيا والفلسطينيين) إنما هي بداية الحروب الإعلامية الأولى التي تندغم في صلبها فنون الحرب بحرب المعلومات.

يقول الجنرال باول في يوليوز ١٩٩٢ : لقد "كانت معركة الخليج بمثابة فجر لعصر المعلومات بالنسبة للقوات المسلحة الأمريكية. الجندي الذي يحمل في يده بندقية وفي الأخرى حاسوبا صغيرا لم يعد بعد تلك الحرب يثير دهشة أحد، لقد أصبحت نظم المعلومات مكونا أساسيا لنجاح العملية القتالية في معركة اليوم" .

ولما كانت نظم المعلومات كذلك، فإن مراكز الأبحاث العسكرية (بالولايات المتحدة الأمريكية أساسا) لا تتوانى في خلق أجواء "حرب افتراضية" (داخل المختبرات) وتطويع الاكتشافات بجهة اختراع الأسلحة المناسبة " لساحة" الحرب الحقيقية.

ستكون إذن حروبا تكنولوجية بامتياز تسخر فيها تقنيات المعلومات لبلوغ أهداف قتالية دونما حاجة تذكر لمقاتلين على أرض المعركة. . . كيف لا والمواقع المستهدفة محددة بدقة وسبل ضربها مبرمجة عن بعد وحظوظ تدميرها مضمونة بنسبة عالية؟

وستكون كذلك "حروبا نقية" لا ضحايا بشرية للمتفوق فيها تذكر و لا خسائر مادية واردة لديه.

وستكون حروبا عن بعد لا تنطلق أداة التدمير فيها من الطائرات والمدافع، بل وبالأساس من البوارج البعيدة والقواعد المحصنة.

وستكون حروبا لن يرى منها المشاهد إلا ما أرادته له القيادة العسكرية وارتضته، والمرجح أنه لن يرى إلا آثار التدمير المستشرية دون ما يترتب عن ذلك من تنكيل التكنولوجيا بالبشر والحجر.

وستكون، فضلا عن هذا وذاك، حربا مضمونة النتائج ومتحكمًا في عواقبها من الناحية العسكرية والنفسية والاقتصادية والجيوسياسية كما كان الشأن في حرب الخليج الثانية وكما سيكون عليه الشأن وأكثر في "الحملة ضد الإرهاب".

٣ـ لن يكون بإمكان الإعلام أن يخرج صحيحا معافى من حروب تشن (وستشن أكثر باسمه مستقبلا) وعلى خلفية من تقنياته ومعلوماته ومستويات تغطيته.

ولن يكون بمستطاعه، بعد حرب الخليج الثانية والحرب على أفغانستان، استرجاع القوة والهيبة التي مكنته إياهما حرب الفيتنام أو مستنقع الصومال:

ـ "فحياده" وضع في الميزان بما لا يدع مجالا للشك ليس فقط لأنه استلب استقلاليته "كسلطة رابعة"، ولكن أيضا لأنه تماهى مع المخطط العسكري دونما رد فعل أو احتجاج يذكران.

ـ و "موضوعيته" أصبحت محط طعن وتشكيك وإلا فما السر في عمليات التحريض الذي سلكته معظم وسائل الإعلام (عقب ما حدث يوم ١١ سبتمبر) لربط الانفجارات بالعرب وبالإسلام واعتبارهما "مصدر إرهاب" وترهيب لأمم وشعوب العالم، متمشية في ذلك (وأكثر) مع ما اعتمدته الحكومات واعتبرته الحقيقة؟

ـ و "مصداقيته" أضحت في المحك لا على اعتبار ما أصبح الإعلام يمارسه عبر التعتيم على الأخبار وتقديم "مادة المؤسسة العسكرية" دونما إمكانية للتمحيص، ولكن أيضا على اعتبار إقصاء وتهميش كل ما من شأنه مناقشة المادة إياها أو الطعن في واضعيها.

بالتالي، فقد لا يكون من المجازفة في شيء القول بأن "الحملة على الإرهاب" (أكثر مما عايناه طيلة حرب الخليج الثانية) إنما هي الفيصل البارز بين إعلام الحرب (الذي يتغيأ تغطية الأحداث دونما إكراهات أو ضغوط كبرى كما في حالة فيتنام) وبين حرب الإعلام الذي أصبحت المعلومات بموجبها مكون "وحدة وطنية وراء الرئيس" وعنصر نصر على أرض المعركة (بالمعنى الافتراضي للكلمة).

هناك إذن، بالمحصلة النهائية، هيمنة شبه مطلقة (في "الحرب على الإرهاب" بالأساس) للمؤسسة العسكرية الأمريكية على وسائلها في الإعلام واتصال وهيمنة لهذه الأخيرة على ما سواها من وسائل إعلام.

لقائل يقول: أو لم تفسد قناة الجزيرة مثلا (في هذه الحملة بالتحديد) جزءا من المخطط الأمريكي حينما استفرد مراسلوها بنقل عمليات قصف أفغانستان في أدق تفاصيلها وفتحوا لأسامة بن لادن وتنظيمه باب الشهرة والتعاطف؟

وهذا صحيح... إذ لم تنعم قناة س.ن.ن مثلا بالتغطية الحية لأحداث الضربة على أفغانستان كما تسنى لها ذلك أثناء حرب الخليج الثانية، والسبب في ذلك لا يرجع فقط إلى وعورة الجغرافيا الأفغانية وسيطرة طالبان عليها، ولكن أيضا بسبب خشية المؤسسة العسكرية من تجاوزات عمل إعلامي قد ينجر وراء مبدأ " نسبة المشاهدة" (عن غير قصد) دون سواه من المبادئ.

لكن قناة الجزيرة لم تسلم بالمقابل (وإن في جنوحها المستمر للحياد والموضوعية) من أذى المؤسسة العسكرية والسياسية الأمريكية، إذ سرعان ما تحولت الإكراهات والضغوطات الخفية إلى التهديد بضرب مكاتبها وتدمير مقرها المركزي ولربما أيضا متابعة طاقم مراسليها تحت مسوغة " تقديم الدعم لعناصر إرهابية".

من هنا (ربما) استنباط الآية من انتقالها إلى البث الرقمي مجبرة في ذلك على "مغادرة" عشرات الملايين من مشاهديها الذين لا قدرة لهم على تغيير لاقطاتهم التشابهية.

٤ـ لمتسائل يستفهم: كيف لحروب المستقبل ذات الطبيعة الإعلامية المتزايدة والمستوظفة لأعتى تقنيات التجسس وأضخم ترسانات التنصت وأكثرها توظيفا للعامل النفسي، كيف لها أن تنتصر على "عدو" كالإرهاب لا مرجعية ترابية محددة له ولا إطارا جغرافيا قارا ولا مستقر ثابت... هو إلى الافتراضي (أو يكاد) أقرب منه إلى الحقيقي أو الواقعي؟

لربما يكون عنصر الجواب كامنا في الاستفهام ذاته، إذ الحرب الإعلامية (المرتكزة على بنى للمعلومات متقدمة ومعطيات مؤمنة) هي، فيما نتصور، أقوى حروب القرن المتوفرة حالا وفي المستقبل. بمعنى أنها مطالبة لأن تكون بدورها افتراضية حتى يتسنى لها محاربة الإرهاب بأدواته وفي عقر داره كما يقال... وهو ما تعمل مختبرات البحث العسكري على صياغته وتطويره.

٥ـ قد لا يقتصر الأمر، فيما أسميناه بالحروب الإعلامية الأولى، على قضية "القضاء على جذور الإرهاب" التي أفرزتها تفجيرات ١١ سبتمبر بقدر ما سيتعداه إلى شرعنة إرهاب الدولة الذي تعمل الولايات المتحدة (بتنسيق ندر مثيله) مع إسرائيل وباقي حلفائها على تأسيسه:

فإسرائيل (بدعم من الولايات المتحدة) ضاعفت منذ ١١ سبتمبر من إرهابها الممارس على الفلسطينيين. . .على أرضهم وأشجارهم وهويتهم ومعالمهم الحضارية العربية الإسلامية والمسيحية. . .في الوقت الذي تكفلت فيه لوبياتها الإعلامية بأمريكا وبالغرب عموما بتكريس "الصورة الإرهابية" للفلسطيني الأعزل.

إنها حرب إعلامية منسية لأنها مكمن تعتيم وتضليل وتحريف. وحرب إعلامية "جانبية" لا تتوانى إسرائيل في توظيفها لتبرئ ذمة الذين يمارسون الإرهاب باسم الدولة ويمعنون في اللجوء إليه.

والولايات المتحدة الأمريكية لم تتوقف يوما (منذ بداية التسعينات) في إيذاء العراق وحصاره وتجويع شعبه وتدمير مكامن حضارته وعمرانه، في "غفلة" مقصودة من لدن وسائل إعلامها ووسائل إعلام حلفائها.

أ لسنا في الحالتين معا (كما في أفغانستان وليبيا والسودان وغيرها) بإزاء حروب إعلامية تستهدف في شكلها "استئصال جذور الإرهاب" بينما هي، في التصور كما في الجوهر، حروب حضارية بامتياز؟

لا يساورنا أدنى شك في ذلك. . .تماما كما لا يساورنا الشك في الالتباس المتزايد لمفهوم الحضارة ذاته لدى الغرب.

المحور الثانى

الحملة الإعلامية الأمريكية لتهيئة العالم للحرب على العراق وإسقاط النظام

بداية، يمكن الاستشهاد ببعض الآراء التي تصب في اتجاه التأكيد على أهمية الدعاية وعلاقتها بالحقيقة. فهذا وينستن ترتشل يقول: الحقيقة ثمينة إلى حد أنه يجب حمايتها بموكب من الأكاذيب.

أما أحد المنظرين الصينيين فقال الحرب الإعلامية هي فن النصر دون حرب.

وهناك نظرية تقول: الدعاية نصف الحرب.

والان، لنقف عند مقطع من مقالة للصحافي الفرنسي إيريك رولو حيث يقول: في خضم الصراعات والحروب، تسمح الدول العظمي لنفسها بممارسة شتي أنواع التضليل لشرعنة أفعالها وتوهيم العالم بأحقية خطابها فيصبح التلاعب بالمعلومات شائعا في أجواء الحرب عندما يكون كل شيء مكرسا لتعبئة الشعب ونشر أنصاف الحقائق، من خلال الإسقاطات وبث الإشاعات التي لا يمكن التأكد من صحتها. وتعرف الحرب على أنها عادلة ولا مفر منها ودفاعية. وتصبح وقائية إذا ما اتخذت إحدى الدول المبادرة في النزاع خلافا للمعاهدات الدولية الهادفة بالتحديد إلى إبطال شريعة الغاب بين الدول.

يمكن القول، أن الدوائر الأساسية العليا التي تخطط للسياسة الخارجية سواء في بريطانيا أو في أمريكا على الخصوص، تنشط في أجهزة دفاعها خلايا ومكاتب تنشأ في سرية تامة للتأثير الإستراتيجي القومي والدولي، الهدف منه التلاعب بالرأي العام الذي بات يصنع ويجند ويحرك، أو ببساطة يتم تجاوزه إلى حين آخر. ويتم معالجة وتسريب هذا الكم الهائل من المعلومات الحقيقية، والفاسدة في كثير من الأحيان، من وإلى وكالات الأنباء الدولية والقنوات الفضائية التي تشكل نبعا للعديد من العطشى و الصحافيين. وتستعمل آليات التمويه والإثارة وكل فنون الخداع من خلال تصوير الآخر مثلا العربي ـ المسلم على أنه جبان ومارق ومخادع ولا يمكن الثقة به بينما الأنا تضخم طيبوبتها وتصبح معادلا لقيم الشرف والعدل والعقل. من أجل خلق قوة لا مرئية تتسرب عبر قنوات اتصال، وتتداول في البرلمانات والمحافل الدولية لجعلها محط أنظار العالم، مع إضفاء الطابع الذي تريده لوبيات المصالح السياسية والعسكرية عليها.

لكـل حـرب أهـداف معلـنة وأخري مسكوت عنها . تري ما هي هذه الأهداف التي تـبجحت بهـا الإدارة الأمـريكية لإضـفاء الشرعية على عدوانها الأخير ، والأخري التي صمتت عنها . سنحاول جهد الإمكان تقليب هذه القطعة النقدية لنتقرب من مدلولاتها .

أما الأوجه المعلنة فيمكن تلخيصها فيما يلي :

ــ الحـرب علـى العـراق كانـت مجـرد خـلاف ، أو حملـة خير من أجل صالح المنطقة برمتها .

- تحرير العراق وشعبه من الديكتاتورية ، وإحلال الحرية للجميع .
- تحقيق الديمقراطية .
- إزالة أسلحة الدمار الشامل وتحقيق السلم .
- إيقاف النظام البعثي عن تهديده لجيرانه وللعالم .
- توريط العراق في أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ، وربطه بالقاعدة .
- عدم احترامه لقرارات الشرعية الدولية .
- تقديم المساعدة الإنسانية وإعادة إعماره .
- ادعاء الدقة والموضوعية في وسائل إعلامها .

أمـا الأوجـه الخفـية التي لـم تكن تعلن عليها الإدارة الأمريكية في بلاغاتها ومؤتمراتها الصحافية ، فيمكن الإشارة لبعضها وهي :

- تغيير خريطة الشرق الأوسط مع إسقاط دول وتحويلها إلى دويلات صغيرة .
- الدفع بالعالم إلى المزيد من التسلح .
- الاستيلاء على ثروات المنطقة .
- إحداث فراغ مدني وعسكري .

ــ إخـضاع الـدول المجـاورة والـتي قـد تـشكل خطرا أخضر ، وإجبارها على تغيير سياستها وطرق تعليمها .

- تحقيق سياستها في إسرائيل على حساب حقوق الشعب الفلسطيني .
- تحقيق إقلاع اقتصادي واجتماعي داخل مجتمعاتها وضمان مستقبلها .
- إقناع العالم بأن أمريكا هي القطب الأقوي ، والآمر الناهي في العالم .
- عقد صفقات مع كبريات الشركات العالمية واليهودية .
- طمس هوية العراق ونهب آثاره ومعالمه الحضارية ، مع زرع الفتن الطائفية .

ـ تحويل العراق إلى قاعدة عسكرية كبري واستخباراتية .

ـ استئجار القنوات وإرشاد مدرائها، وطرد الصحافيين المناوئين لسياستها .

لقـد وظفـت الحـرب الإعلامـية علـى العـراق تقنـيات حديـثة وقديمة لغسل الأدمغة وإحـداث الوقـع علـى العقـول والقلوب كما قيل، لكسب دعم الجماهير حتى لا تظهر سياستها الخبيثة على حقيقتها ومن ضمن هذه التقينات :

التضخيم والتقزيم : فقد عملت الأجهزة الإعلامية الأمريكية على تضخيم إمكانيات العراق النووية والبيولوجية من جهة، ومن جهة أخري، تقزيم دوره السياسي، واندحار شعبيته وانقطاع مساندة العالم له .

الإثـارة والتشويق : حشد العديد من الصحافيين الموالين للإدارة الأمريكية في صالات الـندوات الـصحافية ليـتم تـزويدهم علـى مـدار الـيوم بمعلـومات عامة وأحيانا ينقصها الاسـتدلال . ولعـل ذلك كان متعمدا حتى يتم التستر على بعض المعطيات للإبقاء على الفضول وحب الاستطلاع .

الـتهويل والـصدمة : لكـن يمكـن الـتذكير بالأعداد الهائلة من الجنود العراقيين الذين استـسلموا أو فـروا مـن الجـبهة . الحديث وإعادة الحديث عن الجرائم التي اقترفها النظام البعثـي في حـق أكـراد الـشمال وشـيعة الجـنوب . هدفت الولايات المتحدة إلى إضعاف العراق من خلال مسلسل التخويف من الهجمات، وكمية القنابل والأسلحة الذكية .

الغمـوض والـتردد : لقـد عمـدت الماكينة الإعلامية للحلفاء على نشر حالة من عدم الـيقين والـتأكد لدي الصحافيين، وذلك بالعمل على إخفاء الحقائق أو التلاعب بها إلى آجال محددة أو غير محددة .

العمـل علـى تأكيد أو نفي ما تم تأكيده سابقا بغية تحقيق مكاسب سياسية أو إعلامية وفق خطط كان يتم تعديلها باستمرار وتخضع لبراغماتية المرحلة وتداعياتها المرتقبة .

يمكـن القـول، أن الآلـة العـسكرية والتكنولوجـية للحـرب الأمـريكية علـى العراق تعـززت بـأدوات أخـري لا تقـل أهمـية عـن سـابقتـــها، وعلي رأسها الأداة النفسية والدعائـية وما وظفته كبريات وكالات الاخبار، والقنوات الإعلامية من وسائل لاتصال وصـحافة مكـتوبة، ومنـشــــورات وأقمار صناعية، ومواقع على الانترنت، وأجهزة الهاتف المنقول برسائله الإلكترونية التي كانت إما تطـــلب الاستسلام من كبار القادة، أو الكشف عن مواقع العمليات .

بإمكاننا إضافة تلك الاستراتيجية الجهنمية التي استفادت من آخر التطورات العلمية في مجالي اتصال والتوظيف التكنولوجي لآليات الدعاية وتهيئة النفوس لهضم طروحات الآخر والتأقلم معها. ومن هنا، رأينا كيف اعتمدت الحرب في نجاحها على هذا النظام الإعلامي المتطور مدمجا في حساباته معادلات بشرية وأخري مادية صرفة، كاستعمال الليزر وأجهزة التحكم عن بعد وإلحاق أكبر الخسائر بأجهزة التواصل لدي العراقيين واعتبار ذلك عاملا أساسيا في كسب المعارك.

لقد أبانت أيام الحرب على العراق في ظل نظام عولمة اتصال والدعاية، أهمية الإذاعات السرية في الداخل أو المنفي لكسب النفوس إتماما لما عجزت عنه الأسلحة. وأظهرت الأيام الخوالي كيف أنعم على العراقيين بأجهزة الراديو للاستماع لأخبار متنوعة، وكيف كان احتلال الإذاعة والتلفزيون على رأس جدول الأعمال لأهميته في تشكيل الرؤية والتأثير النفسي. وكيف يتم حاليا بث برامج أمريكية مدبلجة لملء هذا الفراغ السياسي والثقافي الذي تغيبت أو غيب عنه الإعلام العربي لافتقاده مشروعا سياسيا واضح المعالم، أو لخضوعه في مجمله لسياسة الإملاءات الأمريكية. كما يمكن إضافة عنصر غياب القدرة على استقلالية التحليل والمواجهة بالحجة والدليل، وذلك لتهميش زخم المجتمعات العربية من الإشتراك السياسي في بناء المستقبل. لكن أليست السياسة الأمريكية البريطانية، والتي اعتمدت على تقارير كاذبة، هي من برر وروج لثقافة القتل، وتجنيد العالم للتأقلم مع هذا الجنون المرضي لدي ساسة يعتبرون قادة العالم؟ ألا يعطون أسوأ مثال على استغلال النفوذ ونشر الإرهاب لزعماء يقلدونهم في كل صغيرة وكبيرة. ألم يمارسوا الكذب والبهتان للضحك على شعوبهم وعلي شعوب العالم؟ ألم يمارسوا القتل والعنف مع سبق الإصرار والترصد؟ ألا يستحقون المحاكمة لارتكاب جرائم فظيعة ضد الإنسانية؟ وأي حكم بمقدوره إنصاف شعب بكامله؟

ملامح الاستراتيجية الأمريكية في تبرير الحرب

عقب تفجيرات ١١ سبتمبر وقبيل غزو أفغانستان والعراق ظهرت ملامح استراتيجية أمريكية للتضليل الإعلامي ذات وجهين؛ أحدهما "مدني" والثاني "عسكري"، وهذه الاستراتيجية موجهة بشكل رئيسي للعالم الإسلامي وبصورة عامة للعالم كله، فضلا عن بعد ثالث "خارجي" لهذه الاستراتيجية يتعلق بالضغط في أشكال مختلفة على وسائل الإعلام والفضائيات العربية التي لا تسير في ركاب الاحتلال. وظهر الجانب "المدني" من هذه الاستراتيجية: عندما كشفت صحف أمريكية عن "خطة لتحسين صورة أمريكا في العالم الإسلامي" عقب ١١ سبتمبر تولتها وزارة الخارجية الأمريكية، وأشرفت عليها خبيرة الدعاية الأمريكية "شارلوت بيرز"، بيد أن شارلوت قدمت استقالتها رسميا في أوائل شهر فبراير ٢٠٠٣ من لجنة "تحسين صورة أمريكا"، وقالت لصحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية في السابع من مارس ٢٠٠٣ بأن محاولتها للدفاع عن سياسات "أمريكية" غير مقبولة في العالم العربي، وقد "كانت بمثابة إدخال الفيل في علبة صغيرة"، لأن صورة أمريكا لدى شعوب العالم -كما قالت- أقبح كثيرا مما يتخيله الأمريكيون". ومع دخول خطط احتلال أفغانستان والعراق مرحلة التنفيذ، جرت محاولة أخرى لتنشيط هذه الإدارة بهدف نشر البرنامج الدعائي الذي تبنته الإدارة الأمريكية لتلميع صورة الاحتلال ومنع تفشي الكراهية ضد الأمريكيين في المنطقة العربية، ولكن تم وضع برامج أخرى عديدة عقب احتلال العراق تهدف لإقناع العرب والمسلمين بأن الهدف ليس الاحتلال ونهب ثروات العراق ولكن نشر الديمقراطية، لأن تعاظم الكراهية للأمريكان سيترتب عليه هجمات على غرار ١١ سبتمبر. وقد أكدت وكالة رويترز يوم ٩ إبريل ٢٠٠٤ وجود هذه الحملة الجديدة نقلا عن مسئولين أمريكان، وقالت أيضا: إن تفاصيلها ما زالت محاطة بالسرية، وتردد أنه تم منح عقد الحملة الإعلانية لمجموعة شركات تضم: "بل بوتينجر كوميونيكيشنز" ومقرها لندن، و"بيتس بان جالف" التابعة لمجموعة "دبليو. بي. بي"، و"بالوتش آند رو" ومقرها بغداد، وقال "مارك ترنبول" من شركة بل بوتينجر لرويتر: إن الهدف هو "حمل الناس على اعتقاد أن الديمقراطية قادمة بالفعل" وقال بأنه يتعين أن توجه الرسالة كذلك بشكل بعيد عن الدعاية الأمريكية المباشرة. وسبق هذه الحملة تخصيص إدارة وميزانية أمريكية للإعلام وللترويج لمفاهيم وسياسات واشنطن عبر سلسلة من المجلات والصحف

المدعومة أمريكيا مثل مجلة "هاي"، وإذاعة "سوا"، وإنشاء محطات فضائية مثل "الحرة"، بجانب دعم صحف ومجلات أخرى بدعم مالي مباشر، واستضافة صحفيين وإعلاميين عرب في برامج تدريبية أمريكية. ويبدو أن الحملة فشلت للمرة الثانية بدليل أن خبيرة الدعاية الأمريكية "شارلوت بيرز" قدمت استقالتها للمرة الثانية من منصبها ـ بعد أن عدلت عن الأولى ـ في لجنة "تحسين صورة أمريكا" في مايو ٢٠٠٤، لأنها لم تجد ما تدافع به عن بلادها إزاء الاتهامات. أما الجانب "العسكري" من هذه الاستراتيجية الأمريكية: فقد تولته وزارة الدفاع (البنتاجون) ويقوم على أكثر من شق مثل: ترويج المنظور الأمريكي الأحادي ـ الذي يفتقد الموضوعية ـ للحملات العسكرية الأمريكية من خلال المراسلين الغربيين الذين يرافقون قوات الاحتلال، بجانب القيام بحملة أخرى للخداع الإعلامي عبر وحدة شكلها البنتاجون ثم حلها عام ٢٠٠٢ عندما افتضح أمرها حيث أغلق البنتاجون في ذلك العام ما يسمى "مكتب التأثير الإستراتيجي" بعد أن اتهم منتقدون الوزارة بأنها أنشأت مكتب دعاية لنشر أكاذيب في أنحاء العالم بحجة تضليل أعداء الولايات المتحدة. وجاء الجزء الأكبر من خطة البنتاجون في تبني الدعاية التلفزيونية وتمويل فضائيات عراقية كنموذج أسرع للترويج بتكلفة ٥,٨ مليون دولار بغرض "المساعدة في إقناع العراقيين بصحة التوجه الأمريكي لإقرار ديمقراطية في العراق وعدم الرغبة في البقاء في العراق أو احتلاله كما تقول المقاومة العراقية"، فضلا عن التركيز على "إعلام الحرب" فقط بالعمل على حصر خروج الأنباء من مناطق العمليات (مثل الفلوجة) على المصادر العسكرية الأمريكية وما تسمح به الرقابة العسكرية، واتباع أساليب ليّ الحقائق في البلاغات العسكرية، مثل الإعلان عن تحقيق تقدم عسكري سريع على الأرض ونجاح اقتحام مدن لم يدخلوها بعد، بهدف إنهاك الخصم وتدمير الروح المعنوية للمقاومين، وهي استراتيجية نجحت خلال غزو العراق، ولكنها فشلت مع المقاومة العراقية. أما الشق الثالث لهذه الاستراتيجية فيقوم على تكميم الإعلام العربي: فإذا كانت الخطة الإعلامية الأمريكية عموما تقوم على الترويج والدعاية للاحتلال، فالوجه الآخر لها هو حصار أبواق الإعلام العربي التي تنشر حقائق وصورا عن الانتهاكات الأمريكية في العراق وجوانتانامو وغيرها، وهو ما ظهر بشكل أوضح في الهجوم على قناة الجزيرة الفضائية في عدة مناسبات وإغلاق مكاتبها وضربها في أفغانستان والعراق، وتهديد قنوات أخرى علنا من قبل القادة العسكريين

الأمـريكان. فقـد بدأ الأمر بحملة ضغط سياسية وعسكرية كبيرة لحد إيفاد وزير الخارجية الأمريكـي باول ونائبه ريتشارد أرميتاج لقطر لدعوة المسئولين هناك للضغط على الجزيرة وتدجيـنها في إبـريل ٢٠٠٤ عقـب فـشل الحملـة العـسكرية الأولى على الفلوجة بسبب كـشف طاقم الجزيرة حقيقة الاحتلال هناك، وعندما فشل الضغط السياسي بدأ التحرك الاسـتخباري والعـسكري عـبر اتهـام محـرري الجزيـرة بـأنهم علـى علاقـة بأبو مصعب الـزرقاوي وتنظـيم القاعدة، وتهديدهم هم وأسرهم واستصدار قرارات باعتقال أقارب لهـم. وقـد دفع هذا اتحاد الصحفيين العرب للتنديد بما أسماه "حملة التشويه والتحريض الأمـريكية المـصاحبة لاحـتلال العراق، ضد كل صحفي وإعلامي يجتهد في نقل الحقيقة وإطـلاع الجمهـور على ما يجري في المعارك"، وكذلك التنديد بـ"تعمد قوات الاحتلال الأمريكـي قتل الصحفيين في العراق بهدف إخفاء الحقيقة وإرهاب الإعلام وتشويه واقع مـا يجـري علـى الأرض وبالتالـي تـزييف الـتاريخ وخـداع الـرأي العـام". وقـال اتحاد الـصحفيين: إن قـوات الاحـتلال مارسـت ضـد القـناة "حملـة إرهـاب منظمة وتشويه مـتعمد.. الأمـر الـذي يقـدم نمـوذجا صـارخا مـن نمـاذج استخدام القوة لقهر الإعلام والإعلامـيين وحـرمان الـرأي العـام مـن الإطـلاع علـى الحقائق والمعلومات، وهو أمر يـستنكره اتحـاد الـصحفيين العـرب، وخـصوصا إذا جـاء مـن جانب الولايات المتحدة الأمـريكية الـتي تعـظ العالم بالديمقراطية وانسياب المعلومات وحرية الصحافة". معركة الجزيرة والاحتلال ويرى مراقبون أن هذه المعركة الإعلامية الهادفة إلى حصار الفضائيات العـربية وعلـى رأسـها الجزيرة تجلت أيضا في قيام الأمريكان بتسريب معلومات مؤخرا - ربما عبر مصادر عراقية عسكرية موالية للاحتلال- لصحيفة "الشرق الأوسط" تقول: إن المساعد الرئيسي لأبو مصعب الزرقاوي هو العراقي عمر حديد، شقيق مدير مكتب قناة الجزيـرة في بغـداد حامـد حديـد، وأنـه كـان أحد أفراد الحرس الخاص للرئيس العراقي الـسابق صـدام حـسين قـبل إن يلتحق بتنظيم القاعدة ويتدرب في قواعده في أفغانستان، وأنـه قـاد المعـركة في الفلوجة ضد القوات الأمريكية هناك. ورغم نفي "عمر محمد أحمد حديد" شقيق مدير مكتب الجزيرة في بغداد على قناة الجزيرة أن يكون هو "عمر حديد" قائـد المقـاتلين في الفلـوجة، وأنه مجرد سائق شاحنة ولا علاقة له بالعمل الإعلامي أو أن يكـون قد عمل في السابق في الحرس الخاص بالرئيس العراقي السابق صدام حسين، فقد اسـتمرت الحملـة، وقـال وزيـر الـدفاع العراقي (المعين من قبل قوات الاحتلال) حازم

الـشعلان بـأن "الجزيـرة" هـي "قـناة الإرهـاب" . وأكد الوزير العراقي يوم ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٤ أن عمـر حديـد "هـو بالتأكـيد شـقيق مديـر مكتب قناة الجزيرة في العراق حامد حديـد" واتهمـه بأنـه على علاقة بتنظيم "القاعدة" و"متورط" في هجمات في العراق، وأنـه كان يوصل أشرطة فيديو المقاومة إلى "الجزيرة" عن طريق شقيقه حامد الذي تحقق في قـضيته الآن. ويـبدو أن معـركة "إعـلام الحـرب" بـدأت باللجـوء لتـصفية الخصوم الإعلامـيين، واخـتارت الجزيـرة "عـبرة" لمن يعتبر على غرار "الفلوجة" كعبرة للمدن العـراقية المقاومـة، خاصـة بعد أن اهتم الإعلام العربي بنقل مواقف وفتاوى هيئة علماء المسلمين الـسنة في العـراق المعارضـة للاحـتلال وأبـرز مـا يجـري لهـم من قتل وتهديد متواصـلين. ونـتج عـن هذا الدور الإعلامي قيام ٣٠ ضابطا وجنديا عراقيا هذا الأسبوع بـتقديم استقالتهم من الحرس الوطني "تلبية لتحريم هيئة علماء المسلمين السنة مساعدة القـوات الأمـريكية بعـد هجومها الأخير على الفلوجة"، لينضموا إلى ٢٠٠ آخرين من الـضباط والجنود استقالوا إثر عملية واسعة النطاق للقوات الأمريكية والعراقية جرت في أواخـر سـبتمبر ٢٠٠٤ للسيطرة على سامراء وأسفرت عن مقتل أكثر من ١٥٠ شخصا وتتكـتم قـوات الاحـتلال علـى أنـباء هـذه الاسـتقالات. تأكـيد رسمي: خطط فاشلة والطـريف أنـه بعـد كل هذه التدابير الأمريكية صدر تقرير رسمي في ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٤ عـن مجمـوعة مـن مستـشاري البنـتاجون يـؤكد فشل خطط الدعاية الإعلامية الأمريكية ويـتحدث عـن انـتقادات شـديدة للـولايات المـتحدة بأنها ارتكبت خطأ في عدم توضيح تحـركاتها العـسكرية ودبلوماسيتها وإستراتيجيتها بشكل صحيح للعالـم الإسلامي، وإن الـولايات المـتحدة "تخـسر حـرب الأفكـار في العالم الإسلامي". فقد أكد التقرير الذي يتـضمن ١٠٢ صفحة وقدم لوزير الدفاع دونالد رامسفيلد أن أي خطة في مجال العلاقات العامـة أو في مجـال الإعـلام لا يمكـن أن تـساعد الـولايات المتحدة إن استمرت في انتهاج سياسة خاطئة، واتهم التقرير الذي أعدته "هيئة علوم الدفاع" في البنتاجون، أو مجموعة "ديفـنس سـاينس بـورد" المؤسـسات الأمريكية بأنها قطعت "اتصالات الاستراتيجية" ودعـا إلى إعادة تنظيم للبنى السياسية والدبلوماسية وكذلك الإعلامية، كما دعا إلى إقامة "هيكلـية إعلامية استراتيجية" داخل مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض. وقال: "إن الصورة السلبية عن أمريكا لدى الرأي العام العالمي وعجزها عن الإقناع ناجمان أيضا عن عـوامل أخـرى غـير الفشل في وضع إستراتيجيات اتصال"، و"إن تحقيق النجاح في هذا

المضمار يتطلب قيادة ابتداء من الرئيس ووصولا إلى المراتب الأدنى" . ولخص التقرير ما قال بأنه "خطأ إستراتيجي" في هذه السياسة الأمريكية، وهو مقارنة "الجماهير الإسلامية" بتلك التي كانت مضطهدة في ظل السيطرة السوفيتية" . وشدد على أن الولايات المتحدة تخسر "حرب الأفكار" في العالم الإسلامي لأنها تعجز عن توضيح سياستها للمسلمين القلقين من النوايا الأمريكية، وأنه "إذا أردنا حقا أن نرى العالم الإسلامي ككل والدول الناطقة بالعربية بخاصة تتحرك أكثر صوب فهمنا "للوسطية" و"التسامح" فيتعين علينا أن نؤكد للمسلمين مجددا أن هذا لا يعني أنه يتعين عليهم الرضوخ للطريقة الأمريكية" . وقال التقرير الذي استخدم لهجة شديدة إنه بينما فشلت جهود الولايات المتحدة في شرح سياساتها فإن جهود العلاقات العامة المحسنة لا يمكنها أن تروج لسياسات خاطئة، وركز على أن "المسلمين لا يكرهون حريتنا ولكنهم يكرهون سياساتنا" . ولمس التقرير غضب العرب والمسلمين على أمريكا في الاعتراض بشكل خاص على "ما يعتبرونه دعما متحيزا لإسرائيل ضد الحقوق الفلسطينية ودعما دائما بل ومتزايدا لما يعتبره المسلمون بصفة عامة حكومات طغيان تتمثل على أوضح ما يكون في مصر والمملكة العربية السعودية والأردن وباكستان ودول الخليج" ، بحسب نص التقرير . وأكد أنه لذلك: "عندما تتكلم الدبلوماسية الأمريكية الشعبية عن جلب الديمقراطية إلى المجتمعات الإسلامية فإن هذا يُنظر إليه على أنه لا يعدو أن يكون نفاقا" ، و"من وجهة نظر المسلمين لأن الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان لم يؤد إلى الديمقراطية هناك بل إلى الفوضى والمعاناة" . وقال التقرير: "إن الحملة الإعلامية ـ أو كما لا يزال البعض يسميها حرب الأفكار، أو صراع القلوب والعقول ـ هدفها فصل الغالبية العظمى من المسلمين الذين لا يستخدمون العنف عن المسلمين المتشددين الذين يعتنقون فكر الجهاد" ، و"لكن الجهود الأمريكية لم تخفق فقط في هذا الشأن، بل حققت نتائج معاكسة لما أرادته" . والمشكلة ليست في اعترافهم بالفشل ولا في فشل إستراتيجيتهم بالفعل، ولكنها في اقتناع إدارة بوش بتصور اللوبي الصهيوني اليميني الذي يرى أن تحقيق هذه الأهداف هو أهم للمصالح الأمريكية وسيؤتي نتائجه في نهاية النفق . أما المشكلة الكبرى فهي نجاحهم في التدليس على أكثر من ٥١٪ من الشعب الأمريكي ممن قالوا لبوش في الانتخابات الأخيرة استمر في حملتك على "الإرهاب" .

لعبة التقارير الاستخباراتية المفبركة في استراتيجية المديا للتجهيز للحرب

اختارت الكاتبة الهندية (ارو ند أتي روي) أن تتحدث عن الدعاية الأمريكية في تعاملها مع الإعلام العربي وكتبت في (لود موند) في ٢٠٠٣/ ٤/ ٩ تقول ((عندما يعرض التلفزيون العربي (قناة الجزيرة) صور المدنيين العراقيين الجرحى يشهرون بذلك ويقولون إنها دعاية عربية عاطفية تهدف إلى إثارة مشاعر عدائية ضد التحالف . . . .

كما لو إن العراقيين يموتون لهدف وحيد هو التأكيد على أن المتحالفين أشقياء، ولكن حاملات الطائرات والقاذفات الاستراتيجية والصواريخ التي تخترق سماء الصحراء على شاشات التلفزة الأمريكية والبريطانية يطلق عليها وصف (الجمال المخيف للحرب)، وعندما يعرض التلفزيون العراقي صورا لجنود تابعين للجيش الأمريكي الغازي يقول بوش أن العراقيين ينتهكون معاهدة جنيف؟؟، ولكن من المستحسن تماما أن تعرض شاشات التلفزة الأمريكية صور مئات المساجين من العرب والمسلمين في قاعدة غوانتنامو الأمريكية راكعين على الأرض وأيديهم مقيدة وراء ظهورهم وعلى عيونهم عصائب وعلى أذانهم خوذات لكي لا يرى ولا يسمع، وعندما قصفت قوات الاحتلال الأمريكي محطات التلفزة العراقية ومكاتب عدد من الفضائيات العربية (وهذا القصف يشكل انتهاكا لمعاهدة جنيف) عبر الإعلام الأمريكي عن فرح فظ وكانت قناة (فوكس نيوز) قد حرضت على القيام بهذا القصف ومع ذلك واصلت قنوات التلفزة الأمريكية والبريطانية ادعاءتها بأنها ((متوازنة)) بينما بلغت الدعاية فيها مستويات مذهلة، كما ذكر الدكتور مصطفى أمين في مجلة (الطريق اللبنانية) في نيسان٢٠٠٣ يقول ((إن الحملة الإعلامية السيكولوجية المستمرة ضد الشعب العراقي وباقي الشعوب العربية هدفها كسر الإرادة العربية والسيطرة على فكر وأعصاب الإنسان العربي وغزو العقل العربي وهز معتقدات الإنسان العربي والتشكيك بتراثه وتاريخه وحضارته وتفكيك هويته الثقافية.

خطة معلومات التضليل الدعائي

الإعلام الغربي بدأ يناقش الحرب ويضع علامات استفهام حولها، بعد إعلان بوش في الأول من أيار ٢٠٠٣ انتهاء العمليات العسكرية وبعد هذا الإعلان، فرط عقد الإجماع وأخذت أصوات غير قليلة تطرح أسئلة كثيرة حول ما جرى؟ أو تشكك وتنتقد

أو تـندد، ويجب إن نقـول هنا أن (النيويورك تايمز) التي غردت خارج السرب لم تنتظر نهاية العمليات الكبرى لكي تأخذ موقفا نقديا من الحرب، ففي أوائل آذار ٢٠٠٣ وقبيل الغـزو الأمريكـي قالت النيويورك تايمز ((إن بوش زج نفسه في طريق مسدود لا خيار فيه غـير خـيار الحـرب لـو كـان أدار المـواجهة مـع العراق بشكل أكثر اعتدالاً لكان اليوم في موضـع يمكـنه من الاستعانة بالأمم المتحدة وفق برنامج تفتيش أكثر دقة ويمكن إن يحسب نـصرا وأن يعـيد معظـم الجـنود إلى الـبلاد دون إراقـة الدماء))، ثمة ظروف تفرض على الـرئيس أن يتحـرك عـسكريا مهمـا كـان رأي مجلـس الأمن في ذلك وهذه الظروف غير متوفرة في حالة شن الحرب على العراق؟؟! .

فـلا أحـد يهـاجم الولايات المتحدة؟ وليست ثمة علاقة بين العراق والقاعدة ؟ وليس مـن المفـترض بالـبلدان إن تـشن الغـزوات بدافـع الحـدس والهـواجس أو المعلـومات الاسـتخباراتية المجزأة عندما يكون الهدف ضبابيا وغامضا؟ أو يقوم على أسس مشكوك بأمرها ؟ فمن الضروري التوقف والبحث عن مناهج وأساليب أخرى أقل تطرفا لتحقيق الأهداف المرجوة! .

(النـيويورك تايمـز) الـتي كـثيرا مـا تعتبر من أكثر صحف العالم نفوذا لم تكتف بعد انـتهاء العملـيات الكـبرى بانـتقاد إدارة بـوش وخـيار الحرب، بل ذهبت أبعد من ذلك وانـتقدت بقـوة تغطيـتها هي نفسها للأحداث التي سبقت الحرب ثم الحرب ووقائعها في نقـد ذاتي جريء وصريح ونادر ضمنته أفتتاحية بعنوان((التايمز والعراق)) في ٢٠٠٤/ ٥ / ٢٦ اعترفت الصحيفة الكبرى(بأن تغطيتها للأحداث التي أدت إلى وقوع الحرب كانت تفتقـر إلى الدقـة) وعـبرت عـن ندمها عما نشرته من أخبار مغلوطة وفي مقدمتها الأخبار المتعلقة بـ(أسلحة الدمار الشامل المزعومة) وذكرت أنها فشلت في مقاومة إغراء الركض وراء السبق الصحفي (وأنها وقعت ضحية تضليل مخبرين من ما يسمى المعارضة العراقية وفي مقدمـتهم أحمـد الجلـبي الـذين روجـوا بأخـبار تـؤكد وجـود أسلحة دمار شامل في العـراق)، وكـذلك وجـود معـسكرات سـرية لتدريب (مقاتلين إسلاميين) ومما زاد من صـعوبة عمـل الصحفيين في التعامل مع هذه الأخبار هو تأكيد الدوائر الأمريكية صحتها وتبنـتها بحمـاس ملفـت، كمـا نـشرت الصحيفة أخباراً تتحدث عن علاقات بين النظام العراقـي والقاعـدة وعـن أسـلحة غير تقليدية أرسلها العراق إلى سوريا وهي أخبار كما تقـول النـيويورك تايمـز في نقـدها الذاتي لم تتأكد صحتها حتى اليوم (معلومات مضللة

ودعائية) وبعد أربعة أيام من هذا النقد الذاتي وجه وسيط الصحيفة (دانيال أوكرا ند) نقدا أشد قسوة لصحيفته متحدثا في زاويته في٢٠٠٤/ ٥/ ٣٠ عما وصفه بـ(الصحافة المعيبة) التي لم تكتف بإهمال الدقة وبعدم التدقيق بصحة ما نشرته من أخبار وإنما لجأت أيضا في نهج عام إلى العناوين المثيرة والى تضخيم بعض الأخبار ونشرها في صفحتها الأولى من دون مبرر، ومسألة النقد الذاتي لم تقتصر على النيويورك تايمز ففي دراسة وضعها مركز الأبحاث(pew حول الرأي العام والصحافة نشرت أواخر أيار٢٠٠٤) انتقد(٥٥٪)من العاملين في الإعلام الأمريكي طريقة تغطية وسائل الإعلام الحرب ضد العراق وكيفية تعاطيها مع الإدارة الأمريكية ومجاملتها للرئيس بوش شخصيا وامتناعها عن توجيه النقد إليه والى إدارته.

لقد وجد النقد الذاتي مكانه في نقاش مستجد وإنما أساسي وحكمت الصحف عموما ومراكز الأبحاث والجامعات ومعاهد الصحافة والعديد من مواقع الإنترنيت في الولايات المتحدة بمقالات ودراسات وأبحاث تنتقد بشكل وبآخر دور الإعلام الأمريكي قبل وأثناء الحرب أو على الأقل تطرح علامات استفهام كثيرة حول هذا الدور المضلل وخداع الرأي العام الأمريكي والعالمي حول الحرب والذي مارسته الإدارة الأمريكية الحالية وساهمت به وبشكل رئيسي حكومة رئيس الوزراء السابق توني بلير وبتضليل وكذب واضح ومثير للسخرية؟ ما بني على باطل هو باطل- أين حق العراق المسلوب منذ خمس سنوات.

دور التضليل البريطاني في شن الحرب على العراق

شكلت فبركة الوثائق المزورة والاتهامات الباطلة إحدى قواعد السياسة الأمريكية البريطانية في العراق منذ خريف١٩٩٧ على الأقل، نقل الصحفي الأمريكي (سيمور هيرش) عن ضابط سابق في الاستخبارات أن أحد اعضاء فريق مفتشي الأمم المتحدة الذي كان يدعم الموقف (الانكلو أمريكي) (قام بفبركة عشرات التقارير السرية والمواد الإعلامية التي تشكل سبقا صحفيا) وكان يرسلها إلى جهازالاستخبارات البريطاني (M16) الذي كان يوزعها بدوره بالقطارة على وسائل الإعلام البريطانية وغيرها وكانت مهمة مكتب الدعاية في (M16) تنظيم الحرب النفسية والدعاية المعادية للعراق في أواخر التسعينات، ومع نشوب الحرب على العراق انفجرت في لندن حرب إعلامية أخرى تجسدت خصوصا في معركة شرسة تلك التي نشبت بين هيئة الإذاعة البريطانية

(بي بي سي) ورئاسة الوزراء البريطانية أي صحافة التحقيق وسياسة التضليل بين أجهزة الاستخبارات ودوائر اللف والدوران (SpinDoctors) وفجرت هذه المعركة أزمة سياسية خطيرة في بريطانيا أدت إلى استقالة أكثر من وزير والى استجواب رئيس الوزراء توني بلير ووزير الدفاع جو بري هون ورئيس هيئة الإذاعة البريطانية ريفيين ديفز(استقال لاحقا) والى استقالة المستشار الإعلامي لرئيس الوزراء ((أليستر كمبل-أمير التلاعب)) والمدير العام لـ(بي بي سي) غريغ دايك والصحافي في الإذاعة أندرو غلي فان واضطر بلير مُكرها لتشكيل ثلاث لجان تحقيق في محاولة تخفيف حدة الأزمة والفضيحة ومعالجة الانخفاض الشديد لشعبيته والحد من انتشار الأصوات المطالبة باستقالته والتي تتهمه بالكذب والخداع والتضليل(وتعتبره تابعا لبوش) وأدت الأزمة خصوصا وفي فصل مأساوي إلى انتحار الخبير في الأسلحة البيولوجية (ديفيد كلي) مما زاد في حرج موقف بلير الذي حسب وصف الكاتب البريطاني (جون لو كاريه) أن يصفه (الممثل- المحامي- الإنجيلي) . أكذوبة الـ(٤٥ دقيقة) ملف أعدته لجنة الاستخبارات المشتركة(jic) التابعة لرئاسة الوزراء.

مجلس العموم وحرب العراق

في الثالث من أيلول٢٠٠٢عقد بلير مؤتمراً صحفياً في دائرته الانتخابية (سد جف يلد) شمال شرق بريطانيا دافع فيه بقوة عن فكرة القيام بعمل عسكري ضد العراق بغية إقناع ناخبيه وجمهوره وتعهد بلير أن يقدم الاثباتات التي تؤكد أن بغداد تمتلك أسلحة دمار شامل وبالفعل في (٢٤من الشهر نفسه) كشف بلير أمام (مجلس العموم) ما عنده من إثباتات وردت في ملف كانت أعدته لجنة الاستخبارات المشتركة(jic)التابعة لرئاسة الوزراء والتي تضم ممثلين عن مختلف أجهزة الاستخبارات وعدد من كبار المسؤولين وممثلي الحكومة والخبراء من بينهم (ديفيد كيلي) ويتألف الملف من خمسين صفحة ومما جاء فيه ((تشير التقارير الاستخباراتية بوضوح إلى أن صدام حسين يعمل على زيادة ما عنده من أسلحة دمار شامل وأنه يوحي للبلدان الأجنبية أن بإمكانه استعمالها وتكشف هذه الوثائق أيضا إن برنامجه العسكري يسمح (استعمال بعض أسلحة الدمار الشامل في غضون(٤٥) دقيقة بعد إصدار الأوامر بذلك) ونعرف من أجهزة استخباراتنا أن العراق حاول الحصول على كميات كبيرة من اليورانيوم من أفريقيا وليس في العراق أي برنامج نووي مدني وبالتالي ليس ثمة ما يبرر الحصول شرعيا على اليوارنيوم)) وفي ٣١ آذار

٢٠٠٣ وفي مقال نشره في صحيفة (ذا نيويوركر) سيمور هيرش عندما أثير في واشنطن ولندن حول مزاعم محاولة العراق شراء(٥٠٠)طن من اليورانيوم من النيجر أي ما يكفي لصنع قنبلة نووية قال هيرش انه في٢٤أيلول٢٠٠٢وبينما كان الكونغرس يستعد للتصويت على قرار يسمح للرئيس بوش بإعلان الحرب على العراق قدم عدد من المسؤولين عن الأجهزة السرية ومن بينهم مدير وكالة المخابرات المركزية جورج تنت أمام أعضاء لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ تقريرا سريا حول ترسانة العراق (أسلحة الدمار الشامل) وكانت هذه الجلسة حاسمة بالنسبة لإدارة بوش فعشية هذا الاجتماع انتقد نائب الرئيس السابق (آل غور) بشدة خيار إدارة بوش باللجوء إلى الحرب (الحرب الوقائية ـالحرب الإستباقية) التي رأى فيها مبدأ يدعو إلى إستبدال (القانون الدولي) بقانون آخر يخضع لمشيئة الرئيس الأمريكي، ويضيف هيرش خلال هذه الجلسة أعلن تينيت (استقالته من منصبه في ٢ـ٦ـ٢٠٠٦) بفعل ما تعرضت له الوكالة من انتقادات شديدة بسبب تسويق المعلومات المضللة لشن الحرب وبما يسمى (اللقمة السائغة) حول أسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة واكتشاف أمرها في التلاعب والتضليل، كما أثار في حجته القائلة بان العراق وضع برنامجاً نووياً بمعلومات جديدة وقال تينيت أن (سي أي إيه) تلقت معلومات مؤخرا تؤكد أن العراق حاول خلال الفترة ما بين ١٩٩٩ ـ ٢٠٠١شراء (٥٠٠)طن من اليورانيوم من النيجر وفي اليوم نفسه نشرت حكومة بلير الملف الذي يتحدث عن اليورانيوم النيجيري الذي تتولى نقله إلى العراق حسب (ذا غار ديان)ـعصابات أفريقية.

وبعد ذلك بيومين وفي اجتماع مغلق من لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ تحدث وزير الخارجية (كولن باول)عن محاولات عراقية لشراء اليورانيوم من النيجر معتبرا ذلك اثباتاً اكيداً على طموحات هذا البلد النووية، وفي تقدير (سيمون هيرش) أن شهأدتي-تينيت-باول غيرتا موقف الديمقراطيين ففي غضون أسبوعين حصلت الموافقة على قرار شن الحرب على العراق.

كيف استطاع الإعلام خداع الكونجرس الأمريكي بالحرب

خطاب الرئيس بوش إلى الأمة في٢٠٠٣/ ١/ ٢٨ أشار إلى شراء اليورانيوم من النيجر وأنابيب الألمنيوم معتمدا على لندن كمصدر في هذه المعلومات، كان المطلوب من بلير

ليس فقط إقناع البريطانيين بضرورة المشاركة بغزو العراق وإنما أيضا المساهمة في إقناع الكونغرس بضرورة الموافقة على شن الغزو، والحقيقة أن بلير لم يبخل على بوش بالدعم الشامل في التعاطي مع أكذوبة (أسلحة الدمار الشامل العراقية) وعلى امتداد أسابيع وأشهر كرر التصريحات والمداخلات مؤكدا قناعته بوجود أسلحة دمار شامل وبرامج إنتاجها، بل إنه في ٢٠٠٣/ ٣/ ٢٥ ذهب إلى حد القول ((أن هذه الأسلحة تمثل تهديدا للملكة المتحدة والعالم بأسره)) وبعد مضي نحو ثلاثة أشهر على انتهاء العمليات الكبرى في حرب العراق لم يتم العثور على أي دليل أو اثر لأسلحة الدمار الشامل، وفي ٢٠٠٢/ ٩/ ٩ ترأس أليستر كمبل (أكثرهم براعة في التضليل والكذب والتلاعب والتسويق السياسي) اجتماعا عقد في مقر رئاسة الوزراء وخصص لبحث استراتيجية الإعلام حول العراق ويبدو أن أحد المشاركين في الاجتماع ذكر نقلا عن عميل عراقي كبير شغل منصباً كبيراً بعد احتلال العراق أن باستطاعة صدام حسين استخدام ما عنده من أسلحة بايولوجية وكيميائية في غضون٤٥دقيقة، لم تكن هذه المعلومة صحيحة ولا يمكن إثباتها ولكنها سوقت لأنها تتفق مع احتياجات فريق بلير الإعلامي إذ إنها تؤكد أن صدام حسين يشكل((تهديد مباشراً ووشيكاً لا بد من تحييده)) فلماذا لا يتم استعمال هذه المعلومة في ملف الإثباتات؟ لم تقتصر المسألة على هذه المعلومة فقط بل أتضح مع الوقت أن المعلومات التي اعتمد عليها بلير في تقريره حول اليورانيوم من النيجر مأخوذة حرفيا من أطروحة عمرها(١٢) عاماً للباحث العراقي (إبراهيم المراشي) كانت قد نشرت في مجلة (نيريا) التي تصدر عن مركز في (إسرائيل) يملكه (باري رابين) الذي عبر عن سروره لأن الدراسة التي نشرها استعملت أداة للدعاية وانكشف الأمر وتلقفت وسائل الإعلام في بريطانيا وفي العالم الخبر باهتمام شديد (الصاندي تايمز) عنونت على صدر صفحتها الأولى ((رقم عشرة يتلاعب بالملف العراقي)) (والد يلي تلغراف)((بلير خدعنا باستمرار)) واستمر بلير بعد انهيار إعلامه بتكذيب الاتهامات المستمرة التي تلاحقه مع أليستر كمبل.

التلاعب هو ((مناورة تهدف إلى الخداع))

هو الاحتيال المتخفي هو الحيلة والتمويه وكما حول الخطاب السياسي الإعلامي الأمريكي العراقيين إلى (شيعة وسنة وأكراد وتركمان وآشوريين وكلدانيين) كما ورد في بيان قمة عقدها بوش مع رؤساء الحكومات البريطانية والأسبانية والبرتغالية في ٢٠٠٣/

٣/ ١٦ الشعب العراقي لم يعد عربيا في هذا الخطاب صار مجموعة مذاهب وطوائف وأعراق، فإن التلاعب الأمريكي البريطاني ركز كثيرا على تلك المسميات وركز كثيرا على انتفاضة البصرة التي لم تحدث بالرغم من الحرب النفسية ووسائل الدعاية المضللة الموجهة ضد الشعب العراقي مع أن أهالي البصرة قاتلوا قتالا مشرفا ضد القوات الغازية لأكثر من عشرين يوما ولم تخرج المدينة للترحيب بالقوات الغازية، التي حاصرت مدينتهم ومنعت عنها الماء والغذاء والكهرباء الأمر الذي لفت انتباه الكثيرين، فبعد أيام القصف الدموي والحرمان والعطش والجوع جلبت قوات الاحتلال شاحنات محملة بالمواد الغذائية والماء وأوقفوها على أطراف المدينة وهرع عدد من الأهالي المحاصرين للتزود بالماء والغذاء صور المصورون تلك اللحظة وأرسلوا صورهم إلى وكالات الأنباء ووسائل العلام ليبعثوا برسالة مفادها((أن المنقذين وصلوا وهم يوزعون الخبز والمرطبات والمياه)) مقالة أرو نداتي روي لوموند أي تضليل وخداع واستغباء شامل للعالم مارسه هؤلاء القراصنة ؟؟

المحور الثالث

سيطرة أمريكا على أخبار الحرب من خلال حصرها بالناطق العسكري الأمريكي

فى حوار لها نشرته صحيفة الرأية القطرية وصف زوريا ميلر نفسه بأنه من المصورين القدامي الذين قاموا عبر السنوات الطويلة الماضية بتوثيق حروب وكوارث بالصورة وذلك على الرغم من أن هذا المصور الصحفي الأمريكي لا يتجاوز ٣٢ سنة من العمر.

بعد مضي وقت قصير فقط على الحديث معه يتضح على الفور أنه كان في أكثر مناطق النزاعات حدة في العالم: أفغانستان، باكستان، المناطق الفلسطينية خاصة غزة وإسرائيل. واستطاع أن يكسب شهرة من خلال الصور التي التقطها بعد وقوع كارثة تسونامي في نهاية عام ٢٠٠٤. في المدة الأخيرة ركز عمله على توثيق حرب العراق. في هذا البلد بالذات، الذي تحتله الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ٢٠٠٣، بدأ ميلر يتعرض إلى الرقابة وهذا ما لا يعرفه طيلة عمله وأصبح بالنسبة إليه أشد خطرا من المعارك العسكرية التي يزج بنفسه فيها ويخاطر بحياته من أجل التقاط صورة تحكي أكثر من ألف كلمة.

وعندما جاء ميلر إلى العراق وكان قبل ذلك قد خضع لتدريبات عنيفة على التصرف في المواقف الصعبة مثلا إذا وقع في أسر جماعة ما أو التحرك خلال القتال، لم يكن يتصور أبدا أن نتاجه الصحفي سوف يخضع إلى رقابة ومن الجيش الأمريكي بالذات. وقال إن عمله الصحفي في العراق يبقي حتى الآن الأصعب في حياته العملية.

كان ميلر يرافق دورية سيارة لجيش الاحتلال الأمريكي في محافظة الأنبار ضمن مجموعة أخري من الصحفيين الذين تحملهم السيارات العسكرية الأمريكية لكي يكتبوا ويصوروا ما يتفق مع الدعاية الأمريكية وإيصال أخبار إيجابية عن الحرب إلى الولايات المتحدة بعد أن تراجعت شعبية الحرب بشكل كبير.

وتابع قوله أن الدورية توقفت في مكان كان قبل وقت قليل على ما يبدو ساحة قتال عنيف ودلت الأثار على وقوع تفجيرات فيه أدت إلى مقتل عشرين شخصا بينهم ثلاثة جنود أمريكيين. قفز ميلر على الفور من العربة العسكرية الأمريكية ليلتقط صوراً للأشلاء والجنود الجرحي وبقع الدم وبعد ثلاثة أيام نشر هذه الصور في موقعه الإلكتروني ورسالتها كانت واضحة: الحرب ما زالت مستمرة في العراق.

كـان ذلك بداية النهاية لمهمته في العراق. فقد طلبت قيادة الجيش الأمريكي في العراق أن يغـادر ميلـر الـبلد علـى الفـور وطلـبوا مـنه حـذف صـور الجنود الأمريكيين القتلي والجرحـي المعروضـة علـى مـوقعه الإلكترونـي. وعـندما حاول الاعتراض بحجة حرية الـصحافة والتعـبير عـن الرأي وإقناع قيادة الجيش ببقائه أجبره عدد من الجنود على حمل متاعه وأخطروه أنه خسر اعتماده كمصور صحفي في العراق وقاموا بإبعاده.

في محاولـة لتبريـر ما قام به الجيش الأمريكي صرح الضابط بريان بلوك المتحدث باسم القـوات المـتعددة الجنـسيات في الفلـوجة أن ميلـر خـرق الـضوابط التي يفرضها الجيش الأمريكي على الصحفيين في العراق من خلال نشر صور الحرب دون موافقة قيادة الجيش علـى موقعه الإلكتروني وأضاف أنه لم يعد يسمح له بتصوير عمليات الجيش الأمريكي في العراق.

مـن وجهـة نظـر ميلر هذه رقابة بعينها وفي أبشع صورها. فالولايات المتحدة بالذات تدافـع عـن حـرية التعـبير عن الرأي وتنتقد الدول التي فيها رقابة على الصحافة. وتابع قـوله أنـه نـشر قبل وقت صورا على موقعه دون أن يتعرض إلى مشكلات وقال: عندما يحاول أحد فرض ما يجب على تصويره وما لا يجب تصويره فهذه الرقابة بعينها.

حـاول ميلـر العودة والعمل في صفوف وحدة عسكرية أخري لكن الجيش الأمريكي رفـض طلـبه وتم إبلاغـه عـدم رغـبة أي وحدة بقبوله وعندها لم يبق أمامه سوي نسيان مهمة العراق. هكذا تخلص الجيش الأمريكي من أحد منتقدي الحرب وقطع الطريق على إرسال صور لا ترغب وزارة الدفاع الأمريكية أن يراها الرأي العام الأمريكي.

وكـان الجـيش الأمريكـي قد سعي قبل سنوات من أجل منع محطة تلفزيون(الجزيرة) بـث صـور عـن قتلي وجرحي الجيش الأمريكي في العراق عندما ضرب مكتبها في بغداد وأصـبحت تعـتمد علـى مـا يـردها مـن صور ومعلومات من وكالات الأنباء ومراسلين محليين.

ميلر آخر مثال يكشف الضغط الذي يمارسه جيش الاحتلال الأمريكي في العراق على الـصحفيين. وقـال موقـع(شـبيغل أونلايـن) أن مجمـوعة كـبيرة مـن الـصحفيين أكدوا المعلـومات الـتي نـشرتها مؤخـرا صـحيفة(نيويورك تايمز) الأمريكية وذكرت أن الجيش الأمريكـي في العـراق يعـرقل عملـهم ويمنع المصورين على سبيل المثال من الاقتراب من سـاحات القـتال أو الأمـاكن التي وقعت فيها مواجهات أو تفجيرات لعدم التقاط صور

مثيرة للمشاعر وتؤلب الرأي العام الأمريكي ضد الحرب كما عهد إلى وحدات الجيش الأمريكي منع مجموعة معينة من الصحفيين من مرافقتهم.

يقول الجيش الأمريكي أن مثل هذه الصور تشجع(العدو) على استغلالها في دعايته المناهضة للولايات المتحدة إذا حصل عليها ومن شأنها أن تلحق الخطر بالجنود الأمريكيين أيضا. لكن الصحفيين يقولون أن الجيش الأمريكي يفرض رقابة عليهم ويتهمون بمحاولة طمس الحقائق لأهداف سياسية منها لغاية عدم تراجع شعبية الحرب بين أبناء الشعب الأمريكي.

وقال المصور الصحفي الأمريكي مايكل كامبر: مر أكثر من خمسة أعوام على عمر حرب العراق وليس هناك سوي خمسة أو ستة صور لجنود قتلي سقطوا في هذه الحرب. ويعمل كامبر حاليا كمصور في مكتب صحيفة(نيويورك تايمز) في بغداد وحسب كلامه مر بتجارب مريرة مع الرقيب العسكري الأمريكي وأوضح: كل ما يريده الجيش الأمريكي من التقاط صور لمشاريع إعادة التعمير لتلميع صورة الحرب لكننا هنا لتغطية حرب يسقط فيها كل يوم قتلي وجرحي من مدنيين وعسكريين.

ولا تختلف التجارب التي مر بها كامبر مع الرقيب العسكري الأمريكي عن التي مر بها ابن جلدته ميلر. وكان كامبر مع الصحفي الأمريكي تيم أرانجو أول من أثار في تقرير جريء نشرته صحيفة(نيويورك تايمز) الرقابة التي يمارسها الجيش الأمريكي في العراق على الصحفيين وأثار جدلا واسعا.

وقال كامبر أن سياسة التعتيم الإعلامي التي يتبعها الجيش الأمريكي في العراق تشبه إلى حد كبير السياسة الإعلامية التي عمل بها الجيش الأمريكي في حرب فيتنام. فعندما شعر الجيش الأمريكي حينها أن الرأي العام الأمريكي بدأ يعارض الحرب نتيجة صور الضحايا المدنيين والجنود والدمار سعي إلى منع المصورين من التقاط صور في مواقع القتال. وقد بدأ هذا الموضوع يكتسب أهمية سياسية متزايدة في واشنطن لأن حرب العراق من أهم القضايا التي تشغل اهتمام الناخبين الأمريكيين وأيضا معسكري أوباما وماكاين.

وينبغي على جميع الصحفيين الذين يريدون الانضمام مع الجنود الأمريكيين للعمل في العراق التوقيع على شروط تسمي قوانين أساسية وضعتها وزارة الدفاع الأمريكية. تقول هذه الشروط أنه ليس محظورا على وسائل الإعلام التقاط صور لجرحي وقتلي لكن هناك

شـروط : فصور الجنود الجرحي يجب أن تحظي بموافقة الجنود المصابين أنفسهم للنشر كما ينبغي الحصول على موافقة أقارب الجنود القتلي قبل النشر .

وقـال ميلـر الـذي تعـرض إلى غضب وسخط شديدين من قبل الجنود الأمريكيين أن الكـثير مـن المصورين الصحفيين تركوا العراق بسبب الرقابة العسكرية الأمريكية . ونفي أن يكون نشر صور الجنود الأمريكيين القتلي والجرحي لتكون وسيلة بيد(العدو) للدعاية وقال أن هذه تهمة ملفقة يوجهها الجيش الأمريكي باستمرار إلى المصورين الصحفيين .

واعـترف كامـبر الـذي يعمـل بـصورة رئيـسية لـصحيفة(نـيويورك تايمـز) أن عمله الـصحفي في العـراق أصـبح صـعبا للغايـة . في الـسابق كـان يعمل بحرية كبيرة أما الآن فأصـبح محظورا عليه التقاط صور لقتلي ومعتقلين وعمليات انتحارية وسيارات مفخخة ومستشفيات وبرادات الأموات وتساءل أين يكون الوجه الإنساني للحرب؟ .

ويـتحدث المـصور فـرانكو باغنـيتي مـن وكالة فوتو إيجنسي والذي كان بتكليف من مجلـة(تـايم) الأمـريكية في العـراق خـلال شـهر أبريل/ نيسان الماضي حيث منعه الجيش الأمريكـي مـن دخـول مدينـة الـصدر بحجـة تعرضه للخطر لكن باغنيتي سخر من هذه الحجـة وقال أنه كان في مناطق أشد خطورة مثل فلوجة ورمادي وديالي وأكد أن أحدا لـم يحذره من قبل من دخول هذه المناطق .

يعـتقد باغنيتي أن الإدارة الأمريكية تعمل الآن بسياسة ترمي إلى تلميع صورة الحرب في العـراق لإخفـاء حقـيقة أن الجـيش الأمريكـي مـا زال حتـى الـيوم يقـوم بالعملـيات العـسكرية ولـيس الجـيش العراقي كما ترغب إدارة بوش في الإيحاء للشعب الأمريكي . كما تم إبعاد كريس هوندروس مصور وكالة(غيتي) من وحدته العسكرية الأمريكية لأنه نشر صورا لجرحي مدنيين .

يقـول هـوندروس أن هـناك تناقـضاً ففي الماضي كان الجيش الأمريكي يرحب بنشر صور دامية للفوضي في العراق أما الآن حيث الوضع متوتر بنسبة ٩٥ بالمائة أصبح الجنود الأمريكيون يعترضون على نشر هذه الصور؟ وقال المصور تيم هثيرنغتون الذي حصلت صـورة له التقطها في أفغانستان في فبراير/ شباط ٢٠٠٧ على جائزة أفضل صورة صحفية لعـام ٢٠٠٧ أن الـصحفيين يـشعرون أنهـم دمـي بأيدي الجيش الأمريكي منذ أن حصل الغزو .

وقـال إنـه شخـصيا لـم يتعـرض للـرقابة لكـن بعـض الجـنود الأمريكيين توقفوا عن الحديث إليه بعدما نشر صورة دامية جدا عرضتها محطة ABC التلفزيونية الأمريكية.

في الغـضون غـير ميلـر مكـان العمل وانتقل إلى غزة آملا أن لا يملي عليه أحد الأوامر ويخضعه إلى رقابته.

مذبحة الفلوجة في صناعة التعتيم الإعلامي على لسان ديفيد ولش

مثلها مثل هيروشيما ونجازاكي دخلت مدينة الفلوجة العراقية التاريخ من الباب الذي تُسجل فيه المذابح والمجازر التي ارتكبتها القوة العسكرية الأمريكية الباطشة وما أكثرها منذ أن ظهرت الولايات المتحدة إلى الوجود قبل أكثر من قرنين من الزمان وبالتحديد عام ١٧٧٦ على يد جورج واشنطن. ف(الفلوجة) تلك المدينة السنية الواقعة غرب العاصمة العراقية بغداد كانت مسرحاً لعملية إبادة واسعة النطاق نفذتها قوات الاحتلال الأمريكي مدعـومة بـبعض وحدات من قوات الأمن التابعة لحكومة رئيس الوزراء العراقي المؤقت (إيـاد عـلاوي)، وهـي مذبحة تسربت أنباؤها إلى وسائل الإعلام على الرغم من التعتيم الإعلامي الشديد الذي حرصت واشنطن على فرضه على الجميع سواء داخل العراق أو خارجه. وقد أثار ما تسرب من أنباء غضب الرأي العام ووسائل الإعلام في كل مكان في العـالـم تقـريباً مـا عـدا الولايات المتحدة التي أصمت وسائل الإعلام فيها آذانها إلا قليلاً عن الجرائم التي ارتكبت في المدينة العراقية البائسة.. وقد كان هذا الصمت المشين محوراً لمقال للكاتب (ديفيد وولش)، تم بثه على موقع (وورلد سوشيالست ويب سايت) على شبكة الإنترنـت، نـدد فـيه الـرجل بقسوة بالصمت الإعلامي الأمريكي المطبق على ما شـهدته الفلـوجة مـن مجازر، مشيراً إلى أن هذا الموقف المخزي جاء على الرغم من إقرار العـالـم بأسـره بـأن هناك أحداثاً مروعة جرت في هذه المدينة العراقية. ولتوضيح هول ما جـرى في الفلـوجة اسـتعان (وولـش) بمـا ذكره مراسل صحيفة (التايمز) البريطانية بشأن صـورة المديـنة في أولى ليالـي المذبحـة الأمـريكية، حيث أشار هذا المراسل إلى أن القصف الـضاري الـذي تعرضـت لـه الفلوجة في ذلك الوقت حوّل الأحياء التي كان يعتقد أنها تشكل معاقل للمقاومة إلى أطلال، وأن ما رآه في تلك الأحياء من منازل مهدمة وجدران مدمـرة بفعل طلقات الرصاص ذكره بمشاهد مماثلة عايشها في العاصمة اللبنانية بيروت في ذروة الحـرب الأهلية هناك. رائحة الموت أما مراسل (كريستيان ساينس مونيتور) فيقول

إن رائحة الجثث المتعفنة لضحايا الهجمات الأمريكية كانت تفوح في العديد من المناطق، وأن تلك الرائحة كانت من القوة بحيث يصعب أن تزول بفعل العواصف الرملية التي تهب أحياناً على هذه البقعة من العراق. ويشير المراسل إلى أن العمليات العسكرية التي قامت بها القوات الأمريكية في المدينة واستعانت فيها بالدبابات والمروحيات قد أضافت مزيداً من الدمار إلى المناطق الأهلة بالسكان هناك، تلك التي تتكدس في مساحة لا تزيد على ميلين طولاً ومثلهما عرضاً. ويضيف الرجل حسبما ينقل عنه (وولش) قائلاً إن القطط والكلاب كانت تتسكع في طرقات الفلوجة المليئة بالأحجار والزجاج المهشم وخطوط الكهرباء الساقطة على الأرض وحواجز المرور المخلوعة، فضلا عن الجدران الحافلة بثقوب خلفتها الرصاصات، إلى جانب جدران تهدمت على يد جنود مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) الذين كانوا يدمرون الجدران وأبواب المنازل والمحال التجارية للقيام بعمليات مداهمة، كل هذا بالإضافة إلى جثث العراقيين التي ظلت ممددة في العراء. ويعود (ديفيد وولش) ليلفت النظر إلى ما أعلنته القوات الأمريكية من أن هؤلاء الذين يشاء حظهم العاثر الوجود في الفلوجة خلال الهجوم يعدون هدفاً مشروعاً لنيران قوات الاحتلال القاتلة، مشيراً إلى أنه لن يتسنى لأحد على الأرجح تحديد عدد المدنيين الذين سفكت القوات الأمريكية دماءهم خلال عمليتها الأخيرة. مطالبات دولية وفي هذا الشأن يستعين الرجل بما ورد على لسان (لويس آربور) أحد كبار مسؤولي الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان، من مطالبة بإجراء تحقيق لكشف ملابسات ما جرى في الفلوجة بما فيه من استخدام مفرط للقوة واستهداف للمدنيين، وتأكيد على أهمية أن يشمل هذا التحقيق كافة انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي التي حدثت في تلك المدينة الواقعة على بعد أربعين ميلاً من بغداد بما في ذلك شن هجمات عشوائية والإجهاز على الجرحى واستخدام دروع بشرية. وقد تغاضت وسائل الإعلام الأمريكية عن تصريحات (آربور) كأن لم تكن، حيث يؤكد (وولش) أن الانتهاكات التي شهدتها الفلوجة في الأسابيع الماضية لم تلق ولو انتقاد واحد من جانب الكتاب الأمريكيين، على الرغم من أنها لم تشكل فقط مخالفات أخلاقية بل ومثلت أيضا مخالفات قانونية باعتبار أن الهجوم على المدينة لم يكن إلا عملاً عدوانياً غير شرعي في إطار حرب عدوانية غير مشروعة بدورها. جرائم الحرب الأمريكية ويدلي (مارجوري كون) الأستاذ بكلية توماس جيفرسون الأمريكية للقانون ونائب الرئيس التنفيذي لنقابة المحامين الوطنية في

الولايات المتحدة بدلوه في هذا الموضوع قائلاً إن الهجوم على الفلوجة بدأ بانتهاك صارخ للقانون الدولي تمثل في هجوم القوات الأمريكية على المستشفى العام في المدينة ومن ثم احتلاله، وما ترتب على ذلك من منع للأطباء وسيارات الإسعاف من الدخول إلى المناطق الرئيسية من المدينة لإنقاذ الجرحى وهو ما شكل انتهاكاً مباشراً لبنود اتفاقيات جنيف. وأضاف كون حسبما جاء في مقال (وولش) أن التعذيب والمعاملة غير الإنسانية والقتل العمد كلها تمثل انتهاكات جسيمة لهذه الاتفاقيات التي صدقت عليها الولايات المتحدة، مشيراً إلى أن تلك الانتهاكات تعد من قبيل جرائم الحرب بموجب القانون الفيدرالي الأمريكي الصادر في هذا الصدد عام ١٩٩٦م. وينص هذا القانون على أن المواطنين الأمريكيين الذين يرتكبون جرائم حرب خارج البلاد يواجهون خطر التعرض لعقوبة السجن المؤبد، أو الإعدام إذا ما فارق ضحايا جرائمهم الحياة. كما أنه بمقتضى مبدأ (تسلسل القيادة) في الجيش الأمريكي يمكن مساءلة القائد العسكري لو أنه علم أو كان ينبغي عليه أن يعلم بجرائم الحرب التي اقترفها مرؤوسوه ولم ينجح في الحيلولة دون وقوع هذه الجرائم. ويخلص (وولش) للقول إن حرب الرئيس الأمريكي (جورج بوش) العدوانية ضد أبناء الشعب العراقي ستؤدي إلى مقتل المزيد والمزيد من الجنود الأمريكيين إلى جانب عدد لا حصر له من العراقيين، مشيراً إلى أن الوضع الراهن فيما يتعلق بحرب العراق يذكر المرء بعبارة قالها قبل نصف قرن من الزمان (روبرت جاكسون) الذي كان مدعياً عاماً خلال محاكمات نورمبرج والتي حوكم خلالها قادة النازية عقب الحرب العالمية الثانية من أن الإقدام على شن عدوان عسكري يعد التهديد الأخطر على الإطلاق في العصر الحديث، تلك العبارة التي لا تزال صائبة حتى وقتنا هذا. إرهاب بوش ويؤكد (ديفيد وولش) في مقاله أن الهجوم على الفلوجة لا مثيل له منذ غزو القوات الألمانية النازية واحتلالها لمعظم البلدان الأوروبية أثناء الحرب العالمية الثانية، مشيراً بصفة خاصة إلى ذلك القصف الذي تعرضت له العاصمة البولندية وارسو في الأيام الأولى للحرب في سبتمبر من عام ١٩٣٩، وكذلك القصف الإرهابي الذي استهدف مدينة روتردام الهولندية عام ١٩٤٠م. ويؤكد الرجل أن كل ما يقال عن (القنابل الذكية) التي تستخدمها القوات الأمريكية والقصف الدقيق) الذي يتحاشى المدنيين العراقيين ما هو إلا هراء لا قيمة له في نظر الرأي العام، مشدداً على أن عملية تدمير الفلوجة استهدفت إرهاب المواطنين العراقيين وأيضاً ترويع وإرهاب باقي مواطني منطقة الشرق الأوسط.

وينتقل (وولش) بعد ذلك للحديث المفصل عن المواقف التي اتخذتها وسائل الإعلام الأمريكية حيال مجازر الفلوجة، موضحاً أن أياً من هذه الوسائل لم يسع للحصول على تأكيد يثبت مزاعم واشنطن بشأن كون هذه المدينة (رهينة) بالفعل ل(المجرمين والإرهابيين الأجانب)، أو تساءل حول ما إذا كانت تلك العملية العسكرية التي قيل إنها تستهدف (اجتثاث) حفنة من الإرهابيين والمرتبطين بهم تستدعي تسوية المدينة بالأرض أم لا. حساب التاريخ ويقول الكاتب في مقاله إنه من الضروري وضع هذه المواقف في الحسبان لأن الناس ستسأل يوماً ما في المستقبل (ما الذي قلتموه عن الفلوجة خلال الفترة التي كانت فيها تتعرض للتدمير)؟. ولتأكيد وجهة نظره بشأن تهافت ردود فعل الصحف الأمريكية إزاء الجرائم التي ارتكبت بحق سكان الفلوجة، يضرب الرجل بعض الأمثلة في هذا الشأن يبدؤها بصحيفة (نيويورك تايمز)، مشيراً إلى أن العديد من كتابها شكوا من أن الهجوم على المدينة العراقية لم يتم بحسب الإسلوب النموذجي الذي يتبع عادة في عمليات قمع التمرد. ويقول إنه على الرغم من أن هؤلاء الكتاب أكدوا أن ما حدث من عمليات إبادة في الفلوجة يعد نصراً باهظ التكاليف بالنسبة للولايات المتحدة لأنه سيؤدي إلى نشر بذور الكراهية للأمريكيين وسط العراقيين السنة، إلا أنهم لم يشككوا على الإطلاق في مشروعية أو أخلاقية الهجوم على المدينة في حد ذاته. أما مجلة (التايم) فقد كان الهاجس الرئيسي لها حسبما يقول (ديفيد وولش) هو ذاك المتعلق بتأثير أحداث الفلوجة على الانتخابات العراقية المقبلة والتي يشير الكاتب إلى أنها ستكون حافلة بالغش والتدليس. وينقل الرجل عن المجلة قولها في هذا الشأن إن (المتمردين يصعدون من هجماتهم على مدينة الرمادي، وهي أكبر حجماً من الفلوجة وتقع على بعد ثلاثين ميلاً منها، بل وأقاموا قاعدة جديدة لهم في مدينة الموصل شمال البلاد، ومن المهم العمل على الحيلولة دون قيامهم بعرقلة الانتخابات المقررة في يناير).
سقوط الليبراليين ولم تختلف اللهجة التي ترددت بين صفحات ال(واشنطن بوست) كثيراً، فكما يقول (وولش) تحدثت الصحيفة عن أن (إعادة ترسيخ سلطة الحكومة العراقية والقضاء على ملاذ آمن كان يستخدمه (الإرهابيون) في الفلوجة يعد خطوة للأمام على طريق إتاحة الفرصة لفرض النظام (في العراق) بشكل قابل للاستمرار والتدعيم من خلال عمليات إعادة الإعمار والمشاركة في الانتخابات القادمة)، وذلك بالرغم من أن (واشنطن بوست) أعربت في الوقت نفسه عن قلقها إزاء الوضع على

المـدى البعـيد في الأراضـي العـراقية. ويـشير (ديفيد وولش) إلى أن هذه الصحيفة نقلت لقرائها الزعم القائل بأن نسبة المدنيين الذين راحوا ضحية هجوم الفلوجة منخفضة نسبياً دون أي دلـيل يثبت ذلك. الحجج نفسها رفعتها صحيفة (بوسطن جلوب) التي زعمت أنه لـم يكن بالإمكان ترك الفلوجة ساحة خالية أمام من سمتهم بآلاف المتمردين الطامحين إمـا في (اسـتعادة الدولة البوليسية الصدامية أو إقامة نظام حكم ديني متشدد) في العراق. ولكـن (وولـش) ادخـر هجومه الأعنف للصحف التي يقول إنها تعتبر (ليبرالية) ويخص بالذكـر (لـوس أنجلـوس تايمز) التي بررت المعركة في الفلوجة بأنها نشبت بعد أن وضع المقاتلون في المدينة القوات الأمريكية أمام خيارين أحدهما سيئ والآخر أسوأ، أما البديل الـسيئ علـى حد قول الصحيفة فهو شن هجوم واسع على المدينة يحمل في طياته إمكانية سـقوط ضـحايا بين المدنيين، وأيضا إمكانية اشتعال الغضب العربي في كل مكان. بينما تعتـبر (لـوس أنجلـوس تايمز) أن البديل الأسوأ يتمثل في أن تقف أمريكا مكتوفة الأيدي تاركـة الفلـوجة في يـد المقـاومين مما سيعد نموذجاً يحتذى به من قبل باقي المدن العراقية. ومـن هـنا تبرر الصحيفة الهجوم على الفلوجة بوصفه خياراً أفضل نسبياً من تركها لقمة سائغة في قبضة المسلحين، وهو ما يعلق عليه (وولش) بتساؤل حول تلك الجهة التي يعد الإحجـام عـن الهجـوم علـى الفلـوجة أمراً شديد الخطورة بالنسبة لها (هل هي الشعب العراقـي، أم المواطـنون الأمـريكيون، أم النخـبة الحاكمـة في أروقـة البـيت الأبـيض والبنـتاجون)؟. ويـشير الكاتـب إلى أن تـناول المؤسـسة الإعلامية الليبرالية في الولايات المـتحدة للعملـيات العـسكرية في الفلـوجة يكـشف عـن أن هذه المؤسسة تفضل احتلال العـراق على النمط الكولونيالي (الاستعماري) التقليدي بكل ما يرتبط بذلك من تبعات بمـا في هـذا تـدمير مديـنة (الفلـوجة). إلى متـى الـصمت؟ وإزاء موقف وسائل الإعلام الأمـريكية المخـزي تجـاه مـا جـرى في الفلـوجة، أكد (ديفيد وولش) أنه يشعر بأنه ملزم بطـرح تـساؤل مهـم مفـاده (متـى سيـشعر كـتاب صـحف مثل واشنطن بوست ولوس أنجلـوس تايمـز وغيرها بأن شن هجمات ضد المدنيين في العراق هو الخيار الأسوأ.. هل سيحدث ذلك بعد تدمير مدينتين.. خمس.. أم عشرات المدن؟.. هل سيحدث ذلك بعـد مقـتل مـائتي ألـف مـواطن عراقي.. نصف مليون أم مليون)؟. ولعل باعث هذا السؤال أيضا تمثل في ما لاحظه (وولش) من أن غالبية الصحف الأمريكية لم تكبد نفسها عـناء التظاهـر بإبـداء تحفظـات علـى الـثمن الـسياسي الباهظ الذي ستتحمله الولايات

المتحدة جراء هجومها على الفلوجة، مما حدا به للقول إن كتاب هذه الصحف يبدو أنهم يحبون رائحة الدماء! . فالرجل يشير إلى أن صحيفة (يو. إس. أيه. توداي) قد أعلنت في إحدى افتتاحياتها أنه لا مناص من (خوض المعركة) في الفلوجة، وأن عمليات تدريب قوات الأمن العراقية أرجأت الإقدام على هذه المعركة، إلا أن التجربة القاسية علمت الولايات المتحدة أن حروب العصابات أوسع نطاقاً من مجرد الاستيلاء على أراض، وأن السيطرة على الفلوجة ستشكل بداية لمرحلة جديدة من شأنها تحديد ما إذا كان المتمردون (في العراق) سيحظون بالحماية من قبل المدنيين أم أنهم سيصبحون منبوذين في سبيل إحلال السلام) في البلاد. إسلوب وضيع! ولا يغفل (ديفيد وولش) في هذا الشأن الإشارة إلى أن العديد من كتاب (كريستيان ساينس مونيتور) تناولوا الوضع في الفلوجة بإسلوب (وضيع) على حد قوله، حيث أكد أحدهم أن معركة الفلوجة ستسطر في التاريخ باعتبارها مثالاً نموذجياً لحرب المدن، حيث استخدمت القوات الأمريكية فيها أكثر الأسلحة تطوراً، وأفضل تكتيكات حروب الشوارع لتعقب المتمردين وتقليل الخسائر بين المدنيين إلى أقل حد ممكن . . ولكن الرسالة التي تشكلها معارك الفلوجة لا تتمثل في إظهار قوة الولايات المتحدة بل في تأكيد قدرتها على التذكر، إذ إن أمريكا التي فشلت في استعادة السيطرة على تلك المدينة السنية الصغيرة في إبريل الماضي لم يكن بوسعها أن تظهر ضعيفة مرة أخرى . . فبعدما تم تحديد موعد الانتخابات في يناير القادم كان من الواجب أن يرى العراقيون كيف ستقضي القوات الأمريكية بالتعاون مع الجيش العراقي على ملاذ آمن للإرهابيين وخاطفي الرهائن ومصنعي القنابل. حجج الديموقراطية نقطة أخرى يتناولها (وولش) في مقاله وهي تلك المتعلقة بتلك الحجة القائلة بأن استعادة السيطرة على الفلوجة تعد خطوة مهمة على طريق إرساء دعائم الديموقراطية في العراق، حيث يشير إلى أن هذه الحجة ترددت كثيرا في الصحف الأمريكية خلال الفترة الأخيرة. ويضرب مثالاً على ذلك من خلال ما قالته صحيفة (سانت لويس ديسباتش) من أنه (على الرغم من الخسائر التي لحقت بالقوات الأمريكية والعراقية في المدينة، إلا أنه لا يوجد شك في أهمية السيطرة على الفلوجة التي تشكل مركزاً رئيسياً للأقلية السنية في العراق، تلك الأقلية التي تعد مشاركتها ضرورية في الانتخابات العراقية وإلا اعتبرت هذه الانتخابات غير شرعية). أما (توليدو بلاد) التي تصدر في أوهايو فقد أشارت إلى أن استعادة الفلوجة من قبضة المقاومة أمر ضروري إذا

ما كنا نريد أن نسبغ المصداقية على انتخابات يناير . . فليس من الممكن أن يظل مركز سكاني مهم مثل الفلوجة خارج عن سيطرة الحكومة المؤقتة والقوات الأمريكية . في الوقت نفسه، تقول (موديستو بي) التي تصدر في كاليفورنيا إن القوات الأمريكية والعراقية تخوض قتالاً ضد حركات التمرد العأزمة على عرقلة عملية الاقتراع في الانتخابات التشريعية في العراق والتي تسعى في الوقت نفسه إلى أن تصبح البلاد بعيدة عن سلطة أي حكومة . . ولذا فإن واشنطن اختارت البديل الوحيد الواقعي وهو ضرب المتمردين في أي مكان يظهرون فيه على الرغم من أن ذلك ينطوي على المخاطرة بخسارة دعم السنة العراقيين . وبعد هذا الاستعراض المطول لما أبدته الصحف الأمريكية من ردود فعل مخيبة للآمال على ما ارتكبه الجنود الأمريكيون من مجازر في الفلوجة، يختتم (ديفيد وولش) مقاله بالقول إنه قد تبين أن تلك الصحف التي توصف عادة بأنها صحف حرة قد تحررت بالفعل ولكن من كل الالتزامات الواجب عليها الوفاء بها فيما يتعلق بقيم النزاهة والأمانة والالتزام بنقل الحقائق . قتل مجاني! من جانبه، فإن الكاتب (بيل فان أوكين) يستهل مقاله في موقع وورلد سوشيالست ويب سايت بالإشارة إلى أن المشاهد التي بثتها شبكات التليفزيون العالمية لجندي أمريكي يجهز على جريح أعزل في مسجد بالفلوجة قد أدت إلى إثارة موجة من الغضب في مختلف أنحاء منطقة الشرق الأوسط كما أدت إلى نشوب أزمة جديدة بالنسبة للمؤسسة العسكرية الأمريكية . ويلقي (أوكين) الضوء على رد فعل القيادة الأمريكية على هذه الجريمة، مشيراً إلى أنه تم إيقاف الجندي المتورط فيها، وفتح التحقيق معه لتحديد ما إذا كان ما أقدم عليه يعد من قبيل جرائم الحرب أم لا، لافتاً النظر في هذا الشأن إلى تصريحات أدلى بها الجنرال (جون ساتلر) قائد قوات المارينز في الفلوجة أكد فيها أنه يتم إتباع أقصى معايير المساءلة وكذلك الالتزام بقانون الصراع المسلح فيما يتعلق بعملية الفلوجة . وهنا يشير الكاتب إلى أن ذلك الحادث ظهر للعيان فقط لأنه التقط بكاميرا أحد المراسلين الذين تصطحبهم القوات الأمريكية معها، فيما يوجد الكثير من الحوادث المماثلة التي لم يتم الكشف عنها، والتي وقعت خلال حصار الفلوجة بسبب تطبيق الجنود الأمريكيين قواعد الاشتباك التي تجيز لهم (قتل أي شيء يتحرك! . كباش الفداء ويتوقع (بيل أوكين) أن يتمخض الجبل ويلد فأراً مرة أخرى كما حدث عقب تفجر فضيحة تعذيب المعتقلين العراقيين في سجن أبو غريب، وذلك من خلال قيام البنتاجون باستخدام المجندين

الـصغار كأكـباش فـداء، وهـو مـا يـناقض حقـيقة أن الهجوم على الفلوجة في حد ذاته يـشكل جـريمة حـرب هائلـة نفـذت بأوامر من البيت الأبيض وبدعم ضمني من مختلف قطاعـات المؤسـسة الحاكمـة في الـولايات المتحدة. ويقول الكاتب إن تدمير هذه المدينة العـراقية كـشف عـن الـوجه القبـيح للعـسكرية الأمـريكية أمام العالم، كما أثار أسئلة مـزعجة بـشأن طبيعة المجتمع الأمريكي نفسه. حيث يشير إلى أن أسباب القيام بالعملية العـسكرية في الفلـوجة تـنوعت مـا بـين رغـبة إدارة بوش في الانتقام لمقتل حراس الأمن الأمـريكيين الأربعـة في إبـريل الماضي في تلك المدينة وبين سعيها لتقديم عرض عسكري بـدم بـارد يكـون بمـثابة نموذج عقابي تحذر من خلاله كل من يعارض استمرار الاحتلال الأمريكـي للعراق. وبمرارة شديدة، يلفت (أوكين) النظر إلى أن الفلوجة باتت خراباً في الـوقت الـراهن بعد العمليات التي قامت بها القوات الأمريكية هناك وأعلنت أنها قتلت خلالهـا ألفـين مـن (المتمردين)، في معركة رد فيها الجيش الأمريكي على نيران الأسلحة الـصغيرة للمقـاتلين بغارات جوية مكثفة ألقت الطائرات الأمريكية خلالها قنابل بعضها يـزن ألفـي رطـل، فضلاً عن قصف مدفعي هائل وصواريخ جو أرض، يرافقها قصف بالـدبابات، ممـا أدى في الـنهاية إلى تـدمير المـنازل والمبانـي في المدينة بالإضافة إلى نصف مـساجدها الـبالغ عددها ١٢٠ مسجداً. حتى الأطفال ويستكمل (أوكين) رسم الصورة المؤلمة للفلـوجة المثخـنة بجراح العدوان الأمريكي بالقول إن شهود العيان أكدوا أن الآباء والأمهـات في المديـنة كانـوا مجـبرين علـى الوقـوف مكـتوفي الأيدي وهم يرون أطفالهم يـصارعون المـوت أمـام أعيـنهم، قـبل إن يـضطروا لدفنهم بعد ذلك إذا فارقوا الحياة في الحدائـق والأفنـية. أسـوأ مـن ذلـك أن الـرجل يـنقل عن مصدر موثوق منه أن القوات الأمـريكية قـتلت بأسلحتها الآلية أسرة مكونة من خمسة أفراد خلال محاولتهم الهرب من الفلـوجة سباحة في نهـر الفرات!. ويقول الكاتب إن هؤلاء الذين أصيبوا جراء القنابل والـصواريخ الأمـريكية تـركوا ينـزفون حتـى المـوت، خاصـة في ضوء أن الهدف الأول للحملـة العـسكرية التي شنها الجيش الأمريكي كان مستشفى المدينة الذي استولت عليه القـوات الخاصـة، فيما تم قصف المستشفى البديل مما أسفر عن مقتل العديد من أعضاء الطـاقم الطـبي إلى جانـب بعـض المرضـى. اللاجئون والمحررون! المأساة الإنسانية التي عاشتها الفلوجة تفاقمت أكثر وأكثر حسبما يقول أوكين مع حرمان السكان في المدينة من الخدمات الأساسية كالماء والكهرباء والمواد الغذائية لأيام طويلة مما أدى إلى حدوث كارثة

حقيقية هناك، تلك الكارثة التي تغاضت عنها وسائل الإعلام الأمريكية بشكل كامل تقريباً، بالرغم من أن المجزرة التي ارتكبها الجنود الأمريكيون بحق المدنيين في هذه المنطقة أسفرت عن تشريد مائتي ألف شخص وتحويلهم إلى لاجئين. ويشير (أوكين) إلى أن المفارقة الحقيقية تكمن في أن هؤلاء الذين صاروا لاجئين على يد الجنود الأمريكيين، هم أولئك الذين كان يفترض أن (تحررهم) القوات الأمريكية من نير نظام صدام حسين!.

ويتساءل الكاتب في مقاله عن الجرم الذي اقترفه سكان الفلوجة ليلاقوا هذه الوحشية من قبل الجيش الأمريكي، ويتساءل أيضا عن كيفية تبرير القوات الأمريكية لإقدامها على قتل مواطنين عراقيين لا لشيء سوى لأنهم كانوا يعيشون بداخل وطنهم!. ويشير (بيل أوكين) إلى أن الجنود الأمريكيين الذين أرسلوا إلى هذه المدينة كانوا قد لقنوا تلك الأكذوبة القائلة إن غزو العراق ما هو إلا جزء من الحرب ضد الإرهاب، وأن العنف الذي يمارسه هؤلاء الجنود ضد المواطنين العراقيين يمكن تبريره بوصفه انتقاماً من الهجمات التي وقعت ضد واشنطن ونيويورك في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، بالرغم من أنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم يكن هناك علاقة بين النظام العراقي السابق وهجمات سبتمبر وهو ما أكدته اللجنة الأمريكية المستقلة التي تولت التحقيق في ملابسات هذه الهجمات. وأكد الكاتب أن هذه الأكذوبة قأدت إلى حدوث حمامات دم في العراق، مشيراً في هذا الصدد إلى ما كشفت عنه مجلة (لانسيت) الطبية البريطانية من أن الغزو الأمريكي للعراق خلّف مائة ألف قتيل خلال عشرين شهراً فحسب. انحطاط أخلاقي ويرى الرجل أن الحرب في العراق تعكس رغبة أمريكية في تلقين العالم بأسره درساً يتلخص في أن الولايات المتحدة يمكن أن تقوم بشن حرب مماثلة لأي دولة أخرى في أي وقت ترغب فيه. ويضيف (أوكين) إنه إذا كانت المذابح التي تقترفها القوات الأمريكية في العراق أي على بعد خمسة آلاف ميل من بلادها تهدف لرفع معنويات المواطنين الأمريكيين وتعزيز وحدتهم الوطنية فإن ذلك يشير إلى أن المجتمع الأمريكي يعاني من انحطاط أخلاقي عميق منذ أمد طويل. هتلر الجديد وكما قارن (وولش) بين ما فعلته القوات الأمريكية في العراق وما قام به الجيش النازي في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، يقول (أوكين) إن هناك تشابهات بين ما فعله هتلر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي وما يقوم به (بوش) حالياً في العراق، من بينها أن العالم يشهد حالياً للمرة الأولى منذ الاحتلال الألماني لأوروبا قبل أكثر من ستين عاماً قوة استعمارية

كـبرى تـشن حرباً غير مبررة تؤدي إلى أن يخضع شعب بأسره لنير احتلال عسكري ينفذ جـنوده أعمـالاً مـن قبـيل العقـاب الجماعي ضد السكان المدنيين. نزعة عسكرية ويقول الكاتـب إنـه مـن المؤكد أن لمثل هذه الأفعال الشائنة جذوراً في التناقضات الاجتماعية في أمريكا، ويمضي محللاً ما يصفه بالجذور الاجتماعية للنزعة العسكرية في الولايات المتحدة قـائلاً إن هـناك عـوامل أيديولوجـية واجتماعـية تـسهم في تعزيـز هـذه النزعة في الوقت الحالـي، إلى جانب تلك المحاولات المحمومة التي يقوم بها الجمهوريون والديموقراطيون لتـصوير الحـرب علـى الإرهـاب باعتـبارها القـضية الأهـم التي تواجه أمريكا في الفترة الـراهنة. ومـن بين تلك العوامل كما يشير أوكين مصالح الأقلية ذات النفوذ الاقتصادي الـتي تهيمن على المجتمع الأمريكي، موضحاً أن تنامي ثروات عناصر هذه النخبة يرتبط بـشكل وثـيق مـع تـوجهات واشـنطن لبـسط سـيطرتها علـى العـالم واسـتخدام قوتها العـسكرية لـضمان بقاء هذه السيطرة وبالأخص على الاقتصاد العالمي. ويقول (أوكين) إن مـصالح هـذه الأقلـية تـشكل الـرؤى الفلـسفية والسياسية والدينية التي يتم نقلها إلى المواطـنين الأمـريكيين من خلال وسائل الإعلام. دور المؤسسة في الوقت نفسه، يضيف الكاتـب أن هـناك دوراً نـشطاً تـضطلع بـه المؤسـسة العسكرية الأمريكية نفسها في تعزيز الـتوجه نحـو النزعة العسكرية في البلاد، خاصة بعد تنامي دور هذه المؤسسة بشكل كبير خـلال العقـود الماضـية، وهـو مـا يتـبدى علـى سـبيل المـثال في الميزانية الهائلة للجيش الأمريكـي والـتي باتـت تقـارب النـصف تريليون دولار، أي ما يفوق مجموع الميزانيات العـسكرية في الدول العشرين التالية لأمريكا في ترتيب الدول الأقوى في العالم! . ويتمثل تـضخم دور المؤسـسة العـسكرية في الـولايات المـتحدة أيضا في هذا الحجم الهائل الذي وصل إليه الجيش بعد أن بلغ عدد عناصره سواء كانوا في الخدمة أو في الاحتياط إلى ٢,٥ مليون عنصر، يرتبط بهم مئات الآلاف ممن تتصل وظائفهم بصناعة السلاح التي صارت لا تلبي حاجة ماسة لدى (البنتاجون) فقط، وإنما أيضا أحد القطاعات المربحة فيما يتعلق بالصادرات الأمريكية إلى الخارج. وفي ختام مقاله، يؤكد (بيل أوكين) أنه في ظل أوضاع كـتلك الـسائدة حالـياً في المجـتمع الأمريكـي يمكـن القـول إن هـناك أعـداداً كـبيرة من الأمـريكيين سـيكونون عرضـة لحمـلات تـستهدف شـحنهم بغـضب عـارم ضد أعداء خارجـيين تقـدمهم الـسلطات الأمريكية باعتبارهم مصدراً للمشكلات التي تعاني منها الـبلاد، مـشيراً إلى أن هـدف مـثل هـذه الحملات هو الحيلولة دون أن يدرك الأمريكيون

جسامة الجرائم التي ترتكب باسمهم في الخارج، وكذلك التغطية على الطرق الملتوية التي تقوم من خلالها النخبة الحاكمة في واشنطن بتسهيل مصالحها في الداخل. ما بعد المجزرة زاوية مختلفة يتناولها الصحفيان الأمريكيان (بيتر جرير) و(فاي بويرز) في تقرير لهما بصحيفة (كريستيان ساينس مونيتور)، ألا وهي الإجابة على سؤال مفاده (ماذا بعد انتهاء الهجوم على الفلوجة؟). . ويؤكد الاثنان أن هناك أهمية كبرى للإجابة على هذا السؤال نظراً لأن باقي المدن العراقية تراقب عن كثب ما يجري في الفلوجة، وخاصة تلك الواقعة في المثلث السني مثل سامراء والرمادي وذلك حتى تقرر ما إذا كان تقديم المأوى للمقاومين يستحق المخاطرة أم لا. ويحذر الصحفيان الأمريكيان من أن الانتصار العسكري الأمريكي في الفلوجة قد ينقلب إلى هزيمة إذا ما أدت العمليات العسكرية التي دارت في المدينة إلى نتائج سياسية غير مرغوبة من قبل الولايات المتحدة. ويورد تقرير (كريستيان ساينس مونيتور) رؤية يطرحها جنرال أمريكي متقاعد وخبير إستراتيجي أيضا لا تزال له صلة بالبنتاجون مفادها أن ما جرى في الفلوجة لم يكن فقط بغرض القضاء على المسلحين الموجودين هناك، وإنما كانت له أيضا أغراض تتعلق بإظهار القوة العسكرية الأمريكية أمام العراقيين في المناطق الأخرى التي يتمركز فيها مسلحون. مزيد من التعقيد ويشير التقرير إلى أن الهجوم الذي تم شنه على الفلوجة لم يؤد حتى الآن سوى إلى زيادة تعقيد الوضع السياسي في العراق، إلى جانب أنه أدى إلى أن يذوب المسلحون الذين كانوا يتحصنون بهذه المدينة في مناطق أخرى من العراق، خاصة وأن الفلوجة لم تكن هي (المنطقة المحرمة) الوحيدة على الجنود الأمريكيين المنتشرين في الأراضي العراقية. من ناحية أخرى، يؤكد مسؤول سابق في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وهو صاحب خبرة واسعة النطاق بشؤون الشرق الأوسط أن الهجوم على مدينة الفلوجة السنية شكل نقيض ما كان يتوجب على الولايات المتحدة فعله لإغراء السنة بالانخراط في العملية السياسية في البلاد. ويضيف هذا المسؤول قائلاً: إن السبيل الوحيد لإنهاء (التمرد) في العراق أو على الأقل تقليص حدته هو إقناع السنة بأن لهم دوراً في بناء العراق الجديد، لاسيما وأن محاولة إنهاء هذا التمرد بشكل كامل أمر شديد الصعوبة.

إذا ما تعلق الأمر بالسياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط؛ فإنّ سوق المصطلحات التي تروجها إدارة الرئيس جورج بوش تحفل بما يشدّ الانتباه ويدغدغ الآمال في العالم العربي: الحرية والديمقراطية، وشيء من حقوق الإنسان. وبينما تنهمك إدارة بوش في مشروعها لدمقرطة العالم العربي، وغرس الحرية فيه، على طريقتها الخاصة تماماً؛ فإنها عمدت إلى تدشين محطتها للتلفزة الفضائية الموجهة لاستلاب اهتمام مئات الملايين من المشاهدين العرب، وتحت اسم ينبع من الخطاب السياسي لبوش نحو الشرق الأوسط: إنها الفضائية "الحرّة". في طريق الإعلام الموجه هذه المرة أيضا اختارت واشنطن اسماً بديعاً، يبدو امتداداً للإعلام الأمريكي الموجه، كإذاعة "أوروبا الحرة/ راديو الحرية"، التي وُجِّهت إبان الحرب الباردة من جنوب ألمانيا الغربية نحو المستمعين في العالم الاشتراكي، وكنماذج الإذاعات الأمريكية الناشئة في ما بعد، كتلك الفارسية الموجهة للإيرانيين في ظل الجمهورية الإسلامية، أو العراقيين الذين كان ينبغي تهيئتهم إذاعياً عبر الأثير لحقبة الاحتلال الراهن، من خلال صوت "العراق الحرّ". لم تفكر الولايات المتحدة حتى الآن في خيارات أخرى، من قبيل إرسال موجه لفلسطين، لحث الفلسطينيين على مواصلة انتزاع حريتهم من بين أنياب حالة احتلالية مزمنة، وإن كان التوجه الأمريكي الراهن يضع ضمن أولوياته الشرق الأوسطية؛ تحريض الفلسطينيين على قيادات السلطة الرسمية المتهمة بـ"الفساد" و"عدم الديمقراطية"، وتأليبهم على خط المقاومة الذي يحظى بالتفاف شعبي كونه "إرهاباً" في المفهوم الأمريكي الراهن. كان يمكن لفضائية "الحرّة" أن تحمل في واقع الأمر أيّ اسم آخر، باستثناء هذا الاسم تقريباً، الذي يبرهن على فجوات هائلة في الخطاب الإعلامي الأمريكي الراهن. فثمة هالة من الشكوك يمكن أن تحيط بأية وسيلة إعلامية اتُخذ القرار بشأن قيامها وطبيعة أدائها في دوائر حكومية، وتقع تحت إشراف سلطة تابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، بينما يتم تمويلها عبر مخصصات الكونغرس، الذي لا يتوانى في ما يتعلق بالمسائل شرق الأوسطية عن التماهي مع الرؤية العبرية في تل أبيب. وقد بدت الصفة الرسمية لهذه المحطة الجديدة طاغية عندما كان رئيس الولايات المتحدة هو ضيفها الأول، الذي "يتكرّم" عليها بحديث خاص بثّته على يومين، الرابع عشر والخامس عشر من شباط (فبراير)، مع تركيز شديد للاهتمام على تصريحاته لها، ضمن ما يشبه الطقوس الإعلامية لمحطات

التلفـزة العربية التقليدية، التي انصرف عنها المشاهدون إلى غير رجعة. نجاحات قد تقود إلى الفشل! العظة التي لم يستلهمها صانعو القرار الإعلامي في واشنطن هو أنّ النجاحات السـابقة تغـري بارتكاب أخطاء وخوض مجازفات بثقة زائدة عن الحد. فكثيراً ما سعت الـولايات المـتحدة في الـسنوات القليلة الماضية إلى أن تعيد، مع العرب والمسلمين؛ إنتاج تجـربتها في الإعـلام المـوجه في أوروبـا في مـا بعـد الحرب العالمية الثانية وفي حقبة الحرب الـباردة. ففـي ألمانـيا المهـزومة، قامت سلطة الاحتلال الأمريكية في ما بعد سنة ١٩٤٥، كمـا فعلـت في أجـزاء النمسا المحتلة أمريكياً؛ إلى إعادة تخطيط الساحة الإعلامية، على أمـل تـشكيل الـرأي العـام الألمانـي علـى أسـس جديـدة كلـياً. وفي واقـع الأمر؛ نجح المـسؤولون الأمريكيون في هذا المسعى إلى حد كبير، وكان من إنجازاتهم تأسيس صحف وتـسليمها تدريجـياً إلى طـواقم محلـية، لتـتابع المسيرة ضمن مسار وطابع يتفق مع الرؤى والمطالـب الأمريكية، حتى مع استقطابها لأقلام ومحررين من بقايا العهد النازي طالما أنه لم يكـن مـن ذلـك بـد، لتبقى هذه الصحف قائمة في معظمها حتى اليوم، مشكلة قصة نجـاح أمريكية، سيُصار إلى محاولة إعادة إنتاجها في بؤر مأزومة أخرى. كان ذلك في واقع الأمـر طلـيعة بـرنامج أمريكـي واسـع الـنطاق عُـرف باسم "إعادة التربية" للألمان ومن والاهم، وقد تجسّد ذلك في تركيز المؤثرات الأمريكية على المجالات الثقافية والتعليمية، فـضلاً عـن إعـادة تـصميم الإعلام والسياسة والاقتصاد، كما وجد ترجمة واضحة له في ثـنايا "خطـة مارشـال" الأمـريكية لإعـادة إعمـار أوروبـا الغـربية بعد الحرب. ثم أخذ المسؤولون الأمريكيون في السنوات الأخيرة يكثرون من استعادة هذه التجارب، مشددين علـى أهميـتها في الـتعامل مع العالم العربي والإسلامي باتجاه تحقيق التغيير الذي يبشر به بـوش، والـذي يجـري اختزاله في كلمات معدودة يصعب تحمل تأويلات لا حدود لها. وفي الأشـهر الأولى لاحتلال العراق كان يجري على ألسنة المتحدثين في إدارة بوش التغني بتجـربة الـولايات المـتحدة مـع ألمانـيا واليابان، وهي التجربة التي كان لها مسار إعلامي أيـضاً، باعتـبارها سـتكون الوصـفة الـناجعة في العـراق المحـتل أيـضاً، وهـو أمر بات المـتحدثون أنفسهم يتحاشـون التطـرق إلـيه لاحقـاً مـع الانغمـاس المتـزايد في المستنقع العراقـي. مـع هـذا التوجه الأمريكي متعدد المسارات؛ أصبح بالإمكان توفير مخصصات مالـية سـخية مـن الكونغرس لصالح برامج الإعلام الخارجي في وزارة كولن باول. ففي ظـل التهيـئة للهيمـنة العـسكرية الأمـريكية على أفغانستان؛ تم إطلاق بث إذاعي موجه

للمستمعين الأفغان في عهد طالبان، عندما كانت الإذاعة، ولا زالت إلى حد ما، هي وسيلة التواصل الأولى، وشبه الأخيرة؛ بين الأفغان والعالم، خاصة مع إلغاء طالبان للبث التلفزي بما كان هدية مجانية للغزاة المحدقين بالبلاد. وقد تزامن ذلك مع إلقاء أجهزة الاستقبال الإذاعي من الطائرات العسكرية الأمريكية بكميات سخية على مناطق تجمع الأفغان إبان تلك الحرب، لربطهم مع ما يقوله مذيعو أمريكا، إلى جانب استقبال بث "بي بي سي" المرغوب محلياً. كما جرى قبيل مرحلة التحول التي شهدتها أفغانستان إعداد كوادر إعلامية أفغانية في واشنطن، مع التركيز على النساء، وكان من السهولة استقطاب بعض المنتمين والمنتميات إلى الطبقة الإعلامية والثقافية المرتبطة سابقاً بالغزو السوفياتي لأفغانستان، أو من يمكن تسميتهم بـ"أفغان موسكو"، الذين باتوا اليوم، مع آخرين؛ "أفغان واشنطن" باستحقاق. كان ذلك يجري بينما مضت "إذاعة الحرية" الأمريكية في توجيه برامجها انطلاقاً من براغ بالفارسية والعربية، في إرسالين موجّهين نحو الإيرانيين والعراقيين. التجارب الموجهة للعالم العربي لكن المجهود الإعلامي الأمريكي الموجه نحو الجماهير العربية أخذ بالتطور والتبلور بصورة لافتة للانتباه، بصورة تتماشى مع تصاعد المجهود الحربي الأمريكي في المنطقة. وقد تم ذلك مع عناية أكبر بمخاطبة الفئات والشرائح بصورة أكثر تحديداً وانتقاء. تجلى ذلك في حالة إذاعة "سوا" الموجهة للشباب العربي، وهي تجربة إذاعية تقوم على خلط منوعات غنائية وموسيقية غربية بأخرى عربية، مع حشوها بصورة متقنة؛ بالرواية الأمريكية لأحداث المنطقة والعالم، المتمثلة في نشرة إخبارية رشيقة مقتبسة من إذاعة "صوت أمريكا" بالعربية. على التوازي من ذلك، وبصورة يصعب تصوّر براءتها من التساوق مع النهج الحكومي الأمريكي؛ دأبت وسائل إعلام أمريكية بارزة بالتعاقد مع وكلاء في المنطقة على استصدار نسخ عربية منها، بشكل مثير للشفقة أحياناً. فعلى صعيد الإعلام المطبوع؛ يمكن الإشارة إلى نموذج مجلة "نيوزويك" العربية التي تصدر من الكويت عن "دار الوطن" كل ثلاثاء. تعيد حالة "نيوزويك" هذه إلى الذاكرة تجربة مجلة "المختار للقراءة" التي نقلت إلى العربية، كما إلى العديد من اللغات الأخرى؛ عن النسخة الأم الأمريكية، ذات التوجه الليبرالي. لكنّ "نيوزويك" المسيّسة بطبيعتها كان عليها أن تُدخل من يقومون بإصدارها للقراء العرب في مواقف لا يُحسدون عليها، مثل الأزمة التي تسببت فيها قبل أكثر من سنة عندما نشرت تقريراً لصحافي يهودي يسيء إلى أحد

جـدران المسجد الأقـصى المبارك بوصفه "الجدار الملعون" ، ويؤكد ادعاءات الاحتلال ومجمـوعاته الـشوفينية في المسجد الأقـصى بصورة فاضحة، وهو انتهاك يمثل في جوهره مخالفـة لتنظـيم المطـبوعات الكـويتي، لكن العدد خرج إلى الأسواق بلا مشكلات، كما خـرج غـيره مما يحمل مساساً بالشعائر الإسلامية. حالة "نيوزويك" العربية، التي بقيت مجلـة مغمـورة لم يكـترث بهـا القـراء العرب؛ بوسعها أن تُفهم المراقبين أسباب إخفاق الـتجارب الـشبيهة القائمـة علـى تعـريب المـضامين الإعلامية الأمريكية بما يشبه الترجمة الحـرفية. ومـن الواضـح أنّ تجـارب "سـي إن إن العـربية" ، و"سي إن بي سي عربية" ليـست ببعيدة على هذا المشهد، بينما تأتي فضائية "الحرّة" ، بلا مواربة؛ في محاولة النفاذ بقوة إلى قلب التشكيلة الإعلامية الجديدة الخاصة بالعرب، التي لم يعد زمام الأمر المباشر فـيها مـرتبطاً بمراكـز صـنع القـرار الدولـي، وللمـرة الأولى في التاريخ الإعلامي العربي الحـديث. إنهـا الفـضائيات العـربية، الـتي بدأت منذ أواسط التسعينيات في الخروج من قمقـم الـسيطرة الحكومية على الإعلام التلفزي؛ هي التي أعادت قلب المشهد الإعلامي في المـنطقة، فـوجد العـرب أنفـسهم، وبـصورة لافـتة الانتـباه، على موعد مع "الرأي والـرأي الآخـر" ، وأصـبح بالإمكـان إدراك وجـود شـيء اسمه "الاتجاه المعاكس" أو الاعـتراف بأنّ هناك "أكثر من رأي" وحوار "بلا حدود" . لم ينحصر الأمر في "ظاهرة الجزيـرة" ، بـل تعـداه إلى جـزر هنا وهناك أخذت تطفو على سطح المشهد الإعلامي في المـنطقة المأزومة، المشهد ذاته الذي يعاني من تكامل مذهل بين حالتي الإغراق الإعلامي الرسمـي الممـل، والـتدفق الإعلامـي الغربـي أحـادي الاتجـاه، وبهذا أمكن توافر نجاح موضـوعي هائـل لأيـة تجـربة بـث بوسـعها أن تتحـرك في هذا الفضاء على أسس مهنية سـليمة. خـصوصية الحالة العربية حيث بدأ انعتاق الإعلام العربي من قمقمه حالة مثيرة للانتـباه، لـيس علـى مـستوى المـنطقة وحـدها؛ بـل علـى مـستوى العالم أيضاً. إنهم العرب، هذه المرة، الذين نجحوا، رغم كل ما يمكن أن يُساق من ملاحظات وانتقادات؛ في أن يـشكلوا حالـة إعلامية تنتمي إلى العالم الثالث لكنها قادرة على المنافسة، الجزئية، مع الأقطاب الإعلامية الذين ينتمون حصراً إلى العالم الأول، الغربي. وربما كانت "لجنة ماكبرأيد" التي شكلتها اليونسكو في النصف الثاني من سبعينيات القرن المنصرم؛ ستشير إلى هذا التحول، المفارقة، في تقريرها الموسع عن مشكلات اتصال والاحتلال الإخباري في العـالم؛ لـو أمكـن لهـا أن تحـدِّث نـتائجها الـيوم. فقد أكدت اللجنة في حينه النتيجة

المعلـومة سـلفاً: الأقلـية المتنفذة القابعة في الشمال تنتج كل المعلومات الإعلامية تقريباً، والأكثـرية البائـسة في الجـنوب النامي والفقير تكتفي بالاستهلاك؛ وخمس وكالات أنباء غـربية تدير الـسوق الإخـباري الدولـي برمته على أسس مجحفة ومختلة؛ وغير ذلك من الحقائـق الـتي يـدركها المعنـيون. لكـن الأمـور لا تبقـى علـى حالهـا في عالم المتغيرات المتـسارعة. فـرغم مـا بذلـه القطـب الأوحـد، الولايات المتحدة، من محاولات لتحقيق حـضور إعلامـي أكثـر فاعلـية لـه في المنطقة؛ جاءت المنعطفات ذاتها التي صنعتها إدارة جـورج بـوش علـى المـسرح الدولـي؛ لتحمل الإعلام الذي ينتمي إلى العالم العربي إلى مسرح المنافسة الدولية. تجلى ذلك في تغطية حرب أفغانستان في خريف سنة ٢٠٠١، ثم في الـصراع المحمـوم علـى كعكـة إعـلام الحـرب الأخـيرة علـى العـراق، بمفارقاتهـا وضـحاياها. مـا أثار المراقبين في حينه أنّ الولايات المتحدة وحليفاتها كانت قد استعدت جـيداً لحـرب إعلامـية مـوازية للـضربات العـسكرية، فـتم في طـيات ذلك حشد جيش الـصحافيين المـزروعين علـى ظهـور الـدبابات لـينقلوا روايـة من جانب واحد فقط من الجـبهة، في سابقة لم يشهد لها تاريخ المهنة الصحافية مثالاً. والمعادلة اتضحت للكثيرين الذين رأوا "جنديين" على ظهر دبابة واحدة، أحدهما يحمل قاذفة قنابل وثانيهما يحمل كـاميرا. إلاّ أنّ هـذا كلـه، بما في ذلك مجزرة الصحافة في بغداد عشية السقوط الكبير؛ لم يفلـح في كـسب الغزاة للجولة الإعلامية، فحققت وسائل إعلام عربية حضوراً متعاظماً علـى المـسرح الدولـي في طـيات حـرب العـراق. وإذا كان لهذه القفزة الإعلامية العربية أسـبابها المفهـومة، فـإنّ الأمـر يـتعلق، في جانب منه، زيادة على ذلك؛ بإعلام حروب وأزمات عالمية هي في الأصل متركزة في المنطقة ومستوطنة فيها، وطالما أنّ أهل مكة أدرى بشعابها، وأنّ الممارسة المهنية حاضرة، وأنّ التغطية المالية والإرادة السياسية يمكن العثور علـيهما محلـياً أيضاً؛ فإنّ النجاح على هذا النحو بات ممكناً. لكنّ المثير هو ما تمكنت منه هـذه القفـزة العـربية مـن اختراق حالة احتكار أسطوري، كان قد ساهم الجنوب ذاته في اسـتدامتها علـى هذا النحو لصالح الشمال. بالمقابل؛ كانت إدارة بوش التي تقف خلف "الحـرّة"؛ هـي أكثر من أبدى انزعاجه في السنوات الأخيرة من سقف الحرية "المرتفع" لفـضائيات عـربية اسـتُهدفت بالاسـم، دون أن تتطـرق للفـضائيات العـربية الـرسمية بـسقوفها المعـروفة، وهـذه مفارقـة إضـافية. وفي أتـون الحملـة مـتعددة الأوجـه ضـد الفـضائيات الإخبارية العربية، وبخاصة "الجزيرة" و"العربية" و"المنار" و"أبو ظبي"؛

تأتي مبادرات أمريكية رسمية من قبيل إطلاق "الحرّة". إسرائيل في الملعب إلاّ أنّ ذلك لا يبتعد بنا عما حاوله آرائيل شارون، عندما سعى جاهداً إلى تسويق سياسات الدولة العبرية وتجميل احتلالها ومجازرها للرأي العام العربي، بطرحه على مجلس وزرائه مقترحاً من بنات أفكاره يقضي إنشاء محطة تلفزية فضائية ناطقة بالعربية، على أمل أن تعيد أمجاد إذاعة "صوت إسرائيل من أورشليم القدس" الموجهة للعالم العربي. لكن سرعان ما أيقن شارون ذاته أنّ قوانين اللعبة قد تغيّرت، فتخلت حكومته الغارقة في إحباطاتها عن الفكرة التي لم تتمكن من شغل أي مساحة اهتمام لدى العرب، لتبيت على إحباط آخر. حالة فضائية شارون لن تكون استثناء من الدرس وعظاته: فكل من يحاول أن يسوِّق للعرب إعلاماً براقاً وخلاباً لن يكون بوسعه أن يستقطب الاهتمام الذي يأمله؛ طالما أطلّ عليهم بمواد إعلامية تترجم أولويات الأجندة السياسية لمشروعات الاحتلال والهيمنة، وتجمِّل برامج الانتقاص من الاستقلال والسيادة والهوية، بشتى نسخها وتفريعاتها. وبهذا يمكن التأكيد بأنّ الضخ المالي السخي، واستنفاذ تقنيات الإثارة الإعلامية؛ لن يجديا نفعاً في الإقناع والتأثير الأمثل، مع انتفاء عامل المصداقية. بدا "البلدوزر" شارون كمدير شركة ساذج، يظن أنّ بوسعه ترويج شراب ذي مذاق غير مستساغ بمجرد إطلاق حملة إعلانية ضخمة، لكنهم في واشنطن ما زالوا يفكرون بالمنطق ذاته، دون أن يلجأوا إلى تعديل المذاق الجوهري للسياسات، فالتعامل مع "صدمة" استطلاعات الرأي التي تعبر عن مناهضة العرب والمسلمين للأداء الأمريكي في العالم؛ يمكن أن يجري حسب رؤيتهم، ببساطة، عبر إعلانات محشورة بين فقرات ترويج مساحيق الغسيل وإطارات السيارات في الدول الإسلامية، وقد تبددت ملايين الحملة بجدارة دون جدوى قبل إن تتخطى مرحلتها الأولى. أما من سيثيرون الشفقة على نحو خاص؛ فهم أولئك الذين سيتوجب عليهم في هذه الوسيلة أو تلك؛ أن يركزوا على جوانب إيجابية في خطابات تحفل بمصطلحات "الحرب الوقائية" و"محور الشر"، وتعج بتحذيرات شديدة اللهجة من أولئك "الذين يكرهوننا" أو "الحاقدين على المجتمعات المتمدنة". الشفقة ذاتها ينبغي أن يحظى بها من تكون وظيفتهم تقديم صورة ناصعة لشخصيات نافذة في صناعة السياسة الدولية، من قبيل ديك تشيني أو بول ولفويتز، أو ربما أرنولد شفارتزينيغر مستقبلاً، فضلاً عن من سيحاول إقناعنا بامتلاك العراق لأسلحة دمار شامل قبل الحرب، وتلقيننا فنون التملّص من هذه القناعة بعدها.

المحور الرابع

التعامل العسكرى مع وسائل الإعلام العالمية التى نقلت أخبار الحرب من العراق

سجل بشهداء ومصابي الصحافة بالحرب

شهد العدوان الأنجلو أمريكي ضد العراق منذ بدايته يوم العشرين من مارس ٢٠٠٣ سقوط عدد من الصحفيين ما بين شهيد وجريح ومفقود، وفيما يلي استعراض لهم :

٨-٤-٢٠٠٣ : - لقي تاراس بروستيوك، ٣٥ عاما، مصور وكالة "رويترز" مصرعه نتيجة إطلاق دبابة أمريكية النار على فندق ببغداد يُستخدم كقاعدة للصحافة الأجنبية. وأصيب أيضا صحفي يعمل مراسلا للتلفزيون الأسباني و ٣ صحفيين آخرين لوكالة "رويترز".

قتل طارق أيوب، ٣٤ عاما، مراسل قناة "الجزيرة" القطرية نتيجة إطلاق صاروخ على مكتب الجزيرة في بغداد، وقد اتهمت الجزيرة القوات الأمريكية بتعمد قصف مكتبها.

٧-٤-٢٠٠٣ : - لقي "كريستيان ليبيج" مراسل إحدى الصحف الأسبوعية الألمانية و "جوليو أنجويتا بارادو" مراسل صحيفة أسبانية مصرعهما بعد هجوم صاروخي على مركز عمليات أمريكي. ٦-٤-٢٠٠٣ :

توفي الصحفي "دافيد بلوم"، ٣٩ عاما، المرافق للقوات الأمريكية قرب بغداد لأسباب طبيعية.

قتل "كاماران عبد الرزاق محمد"، ٢٥ عاما، وهو مترجم كردي يعمل مع الـ "بي بي سي" نتيجة قصف طائرة أمريكية لقافلة سيارات كردية أمريكية شمال العراق؛ أي نتيجة نيران صديقة. ٤-٤-٢٠٠٣ :

لقي الصحفي "مايكل كيلي" من صحيفة "واشنطن بوست" مصرعه، حينما غرقت السيارة التي كان يستقلها في أحد الأنهار، حينما كانت تحاول تجنب إصابتها بنيران عراقية قرب مطار بغداد. ٢-٤-٢٠٠٣ :

لقـي "كافيه جولـستان"، ٥٢ عامـا، المـصور الإيرانـي لـشبكة "بـي بـي سـي" البريطانية، مصرعه، حينما كان يغادر سيارته في المنطقة التي يسيطر عليها الأكراد شمال العراق. ٣٠ـ٣ـ٢٠٠٣:

لقـي "جابـي رادو"، ٤٨ عامـا، مراسـل شـبكة التلفـزيون البريطانية "آي تي في" مـصرعه، حيـنما سـقط مـن فوق فندق في السليمانية شمال العراق، ولم تعرف أسباب الحـادث. ٢٢ـ٣ـ٢٠٠٣: لقي المصور الأسترالي "بول موران"، ٣٩عاما، التابع لهيئة الإذاعـة الأسـترالية مـصرعه في هجـوم شمـال العـراق في بلـدة خـورمال تحت السيطرة الكـردية. ـ يعـتقد أن "تـيري لويد"، ٥٠ عاما، مراسل شبكة "آي تي إن" البريطانية قُتل بنيران أمريكيةـ بريطانية قرب البصرة. كما أن المصور الفرنسي "فريد نيراك"، ٤٣ عاما، والمترجم اللبناني حسين عثمان ما زالا مفقودين.

التعامل العسكري مع قناتي الجزيرة وأبو ظبي على طريق التعتيم الإعلامي للحرب

لقد كان الثلاثاء الثامن من إبريل ٢٠٠٣ يوم الصحافيين في العراق.. هو يوم من أيام دوس الاتفاقيات الدولية بأحذية العسكر الغليظة، بعد التباكي عليها طويلا.. رصاص يخترق أجساد الصحافيين.. مكاتب صحافية تُدمر.. عيون الكاميرا تُفقأ بأصابع غليظة من رصاص ومتفجرات وصواريخ لا تعرف سوى القتل وإراقة الدم.

دفعـت قـناة "الجزيـرة" الـتي طالمـا أَزعجـت الغـزاة، واستعـصت علـى عملـيات الترويض، حتى لا تعطي من الحقائق سوى ما يجمّل وجه الغازي البشع.. دفعت الثمن بـشهيد الـصحافة الحرة هذا اليوم، الشهيد طارق أيوب.. وقناة "أبو ظبي" ـالتي أبلت بـلاء حـسنا في نقل الحقائق وتقديم صورة ما يجري في بلاد دجلة والفرات وبغداد الرشيد الـتي تُغتـصب أمـام أنظـار الناس أجمعين ـ نالت نصيبها غير منقوص، ولكن الله سلم، وحفظ مراسليها.

الـناطقون العـسكريون والـسياسيون الأمـريكيون والـبريطانيون الـذين بـرروا قدوم جحافـل جيوشـهم الغازية لبلد الحضارة العريق بأنها جحافل تحرير وحرية وديمقراطية، لم يجـدوا أمـام جـرائم قـتل الـصحافين، بعد قتل الآلاف من العراقيين من تبرير سوى

القول بإنهم سيحققون في الأمر، وأن قواتهم لا تستهدف الصحافيين، وكأن شياطين هبطت من المريخ، وأطلقت الرصاص الأمريكي من الرشاشات والمدافع والدبابات الأمريكية، وألقت بحمم الصواريخ الأمريكية من الطائرات الأمريكية، من دون تحكم من الجنود الأمريكان.

بعد شهيد "الجزيرة" طارق أيوب، استهدف الجنود ـ الذين صاروا يضيقون ذرعا بالصحافيين الذين يحاولون رصد كل شيء، وتصوير كل شيء ـ فندق فلسطين، حيث يقيم المئات من الصحافيين، فسقط صحافي آخر من وكالة "رويترز" قتيلا، وجرح آخرون؛ لأن القرار الأمريكي بارتكاب مجزرة تدمير شامل في عاصمة العرب والمسلمين قد اتخذ، ولا مجال لبقاء الشهود؛ لأن بعضهم يمكن أن يروي تفاصيل المجزرة التي تستهدف عاصمة الحضارة بغداد.. هذه المجزرة التي تلبس حلل "الديمقراطية"، وتتزين بشعارات "تحرير العراقيين".. ربما تحريرهم من الحياة.

بالأمس إسرائيل الصغيرة تفوقت في استهداف الصحافيين، وحاولت تكميم أفواههم، حتى لا ينقلوا حقيقة جرائمها في فلسطين، في مواجهة شعب أعزل.. واليوم إسرائيل الكبيرة: أمريكا بطمهـا وطميمها وعظمتها وجبروتها جاءت للعراق، وتود إخضاعه بالقوة العارية، ولا تريد شهودا يروون تفاصيل المجزرة، فكان لا بد من استهداف الصحافيين.

كان الغزاة يمنون النفس بأن تنقل شبكات التلفزيون ووكالات الأنباء صور الاستقبال العراقي الحافل لهم بالورد والزغاريد، لكن تلك الأمنيات خابت، واستقبلهم العراقيون بما وسعهم من نار وبارود.. وصمدوا في وجوههم أياما وأياما، رغم الاحتلال الهائل في موازين القوى، وقتلوا من الغزاة من قتلوا، وأسروا منهم من أسروا.

وظلت عاصمتهم ـ التي تحاول آلة القتل الأمريكية الهائلة التهامها قطعة بعد قطعة ـ صامدة وهي تموت رافعة الجبين، فكان لا بد من كسر كبريائها، وتمريغ أنفها في التراب، عبر مضاعفة حجم الدمار أضعافا، لعلها ترضخ أو تلين، أو تحني هامتها العالية.. وما كان من الممكن تدمير بغداد حتى تُفقأ العيون التي تنقل الحقيقة إلى الناس، فكان القرار بقتل الصحافيين.

شاهد عيان: ضرب الجزيرة بالعراق كان قرار رئاسي من بوش

في مقاله الأسبوعي والذي حمل عنوان "لا عجب أن الجزيرة كانت هدفا" ٢٦ نوفمبر في صحيفة الإندبندنت قدم الصحفي البريطاني المرموق روبرت فيسك شهادة نادرة حول ما كشفته صحيفة الديلي ميرور قبل أيام عن أن الرئيس الأمريكي جورج بوش خطط لضرب قناة الجزيرة الفضائية.. فيسك كان شاهد عيان على محاولة مبكرة للقوات الأمريكية لضرب مكتب الجزيرة في بغداد، قبل ثلاثة أيام من ضرب المكتب بصاروخ بالفعل في ٧ أبريل ٢٠٠٣، أودى بحياة الصحفي الأردني -الفلسطيني طارق أيوب، وكان فيسك شاهدا أيضا على قصف المقاتلات الأمريكية لتليفزيون صربيا في ١٩٩٨.. إنها شهادة تستحق القراءة.. يقول فيها:

في ٤ أبريل ٢٠٠٣، كنت أقف على سطح مكتب الجزيرة في بغداد. في الأفق كانت ملحمة شاهقة من حرائق النفط والبنايات المحترقة. والأسلحة المضادة للطائرات في متنزه عام قريب من المكتب كانت تطلق القذائف إلى السماء وأزيز الطائرات يتردد عبر المدينة. وكنت على وشك أن أبدأ مقابلة مزدوجة مع مقر الجزيرة الرئيسي في قطر عندما مر صاروخ أمريكي فوق نهر دجلة من خلفي. وتسبب "حفيف" مساره في صراخ فني قطري التقط الصوت على سماعاته.

وسألني "هل كان ذلك كما اعتقدت؟". وأجبت إنني أخشى أن يكون الأمر كذلك، بينما اندفع الصاروخ كروز المدهون باللون الأبيض تحت أحد جسور دجلة واختفى في تياره. بعد انتهاء "مشاركتي" في البرنامج - طلب التليفزيون مشاهد من قمة السطح لبغداد حتى في هذا اليوم، بينما كان أغلب المراسلين محتجزين في مكاتبهم وفنادقهم بفرق المرتزقة المستأجرين - نزلت إلى غرفة أخبار الجزيرة حيث كان مدير المكتب الأردني - الفلسطيني، طارق أيوب، يحاول تجميع تقريره القادم. قلت له "أنت لديك أخطر مكتب تليفزيون في تاريخ العالم".

وأشرت إلى مدى سهولة أن يكون مكتبه في بغداد هدفا إذا أراد الأمريكيون أن يحطموا تغطيته - التي يشاهدها العالم العربي - للضحايا المدنيين جراء القصف الأنجلو- أمريكي للعراق. فأجاب طارق "لا تقلق، يا روبرت". "لقد أعطينا الأمريكيين موقع مكتبنا بدقة ولذلك لن نصاب بقصف" وبعد ثلاثة أيام، قتل طارق.

وكانت الجزيرة بالطبع قد أعطت إحداثي خريطة مكتبها إلى وزارة الدفاع الأمريكية. وبالفعل، ذهب ضابط الشئون العامة بوزارة الخارجية الأمريكية ـ وهو رجل من أصول لبنانية اسمه نبيل خوري ـ إلى إدارة المحطة في قطر في ٦ أبريل لطمأنتهم أن مكتبهم لن يتعرض لأذى. ثم في ٧ أبريل، بينما كان طارق أيوب يبث مشاهد من بغداد في الساعة ٧,٤٥ صباحا من نفس البقعة على السطح حيث كنت أقف قبل ذلك، عبرت طائرة أمريكية فوق نهر دجلة وأطلقت صاروخا واحدا على مكتب الجزيرة.
وأسفر الانفجار عن مقتل طارق على الفور. ولم يكن هذا هجوما خاطئا. وحسبما قال لي تيسير علوني زميل طارق أيوب فيما بعد "كانت الطائرة منخفضة جدا، لدرجة أننا اعتقدنا أنها ستهبط على سطح البناية".

تيسير يعرف ذلك. فقد كان مراسل الجزيرة في كابول في ٢٠٠١ عندما دمر صاروخ كروز مكتبه (الذي كان خاليا وقتها لحسن الحظ). كانت الجزيرة تبث تهديدات وخطب بن لادن من أفغانستان ولم يشك أحد في ذلك الوقت في أن الهجوم ـ الذي ادعى الأمريكيون أنه كان خطأ ـ كان متعمدا. وبعد مقتل طارق أيوب في بغداد في ٢٠٠٣، عبرت وزارة الدفاع الأمريكية في رسالة تفسيرية بلا روح عن أسفها لمقتل أيوب، لكنها لم تهتم بتقديم تفسير للهجوم. لماذا يجب أن تفعل؟ ومع ذلك، وفي نفس اليوم، أطلقت دبابة أمريكية طراز أبرامز إم ـ١ ـ إيه ـ١ قذيفة على فندق فلسطين، فقتلت ثلاثة صحفيين آخرين. وقال الأمريكيون إن نيران أسلحة خفيفة كانت تطلق من مبنى الفندق. وكان ذلك أكذوبة.

ولم أكن مندهشا. تذكرت ما حدث في بلجراد في عام ١٩٩٨، عندما شاهدت الأمريكيين يقصفون مقر تليفزيون صربيا، وهو عمل، حسبما كتبت في الصباح التالي، يسمح لمنظمة حلف شمال الأطلسي بضرب أهداف هي كلمات قالها رجال ونساء ـ وليس أعمال ارتكبوها. يالها من سابقة يمكن تكرارها في المستقبل؟ كان على أن أحذر.

ما وجه الغرابة إذن في رغبة جورج بوش في قصف الجزيرة في ٢٠٠٤؟ وما وجه الغرابة في أن اللورد بلير لورد "كوت العمارة" **ـ الذي يفترض أنه أقنع الرئيس الأمريكي بالعدول عن هذا الجنون الأخيرـ يهدد الآن الصحافة البريطانية بناء على قانون حماية أسرار الدولة خشية أن يفصحوا عما بداخل علبة الديدان بالكامل، في توافق تام مع تكبر القوة الذي ارتبط بتحالف بوش ـ بلير الآن. لقد كرر الوزراء البريطانيون بخسة

أكاذيب أمريكا عندما قتلت طائرة أمريكية أبرياء في بغداد في ٢٠٠٣ وهم سيغطون بسعادة رغبة بوش الدائمة في قصف أعدائه المفترضين، مهما كانوا أبرياء.

عندما بدأت الجزيرة إرسالها في انحاء العالم العربي، رحب الأمريكيون بظهورها كرمز للحرية وسط دكتاتوريات الشرق الأوسط. وأشاد كاتب نيويورك تايمز الصحفي التبشيري توماس فريدمان بها كمشعل للحرية ـ وهي سابقة خطيرة أن تأتي هذه المقولة من فريدمان ـ بينما اعتبر المسئولون الأمريكيون مواد المحطة دليلا على أن العرب يريدون حرية التعبير. وكان في هذا جانب من الحقيقة. وعندما بثت القناة سلسلة رائعة من ١٦ حلقة عن الحرب الأهلية اللبنانية ـ وهو موضوع تتحاشاه محطات التلفزيون اللبنانية لحساسيته ـ أصبح كورنيش البحر المزدحم عادة أمام بيتي في لبنان مهجورا.

لكن عندما بدأت الجزيرة نفسها إذاعة كلمات بن لادن، خفت حماس فريدمان ووزارة الخارجية الأمريكية تماما. وبحلول عام ٢٠٠٣، ادعى نائب وزير الدفاع الأمريكي بول وولفويتز ـ ذلك المثل الأعلى للديمقراطية الذي تساءل لماذا ليس لدى جنرالات تركيا "شيء يقولونه" عندما منع البرلمان التركي المنتخب ديموقراطيا القوات الأمريكية من استخدام أرضهم لاحتلال العراق ـ كذبا أن الجزيرة "تعرض حياة القوات الأمريكية للخطر". ورئيسه دونالد رامسفيلد كذب كذبة أكبر: هي أن الجزيرة تتعاون مع المتمردين العراقيين. وقضيت أياما أتحرى هذه الادعاءات. واتضح أنها جميعا خاطئة. أشرطة هجمات الفدائيين على القوات الأمريكية كان تصل بشكل مجهول إلى مكاتب المحطة، ولم تقم طواقم العمل بالجزيرة بتصويرها. لكن الموت كان اختيارا. وأثبتت الحكومة العراقية المنتخبة حديثا أوراق اعتمادها الديمقراطية بطرد الجزيرة من البلاد ـ بالضبط مثلما هدد صدام بعمل ذلك في مطلع ٢٠٠٣.

بالطبع، الجزيرة ليست الطفل العبقري في الصحافة. وبرامجها الحوارية يضعفها في أغلب الأحيان استضافة إسلاميين متشددين، وموازنتها تقديم خطب بن لادن المتعبة بمقابلات مع زعماء غربيين هو أقسى من أي أسئلة توضع أمام قيادة القاعدة الملتحية. لكنها صوت حر في الشرق الأوسط ـ ولذلك هاجمها الأمريكيون في كابول وفي بغداد. وكادوا أن يفعلوها في قطر. ولذلك سيقمع اللورد بلير، لورد "كوت العمارة"، الصحفيين البريطانيين الآن إذا تجاسروا على كشف آخر نقطة من الهوة المظلمة والدامية التي أسقطنا فيها السيدان بلير وبوش.

بوصف فيسك لرئيس الوزراء البريطاني توني بلير بتعبير "لورد كوت العمارة" يشير الكاتب إلى أسوأ هزيمة في تاريخ الجيش البريطاني ١٩١٥ – ١٩١٦ والتي خسر خلالها أكثر من ٢٣ ألف رجل عندما حاصرهم الأتراك من مطلع ديسمبر ١٩١٥ وحتى ٢٩ أبريل ١٩١٦ في كوت العمارة بالعراق، واضطرت القوات البريطانية إلى الاستسلام في النهاية.

(سجناء الطابق الثالث من فندق فلسطين) أخطر ما كتب عن تعتيم إعلام الحرب

في كتابه «فندق فلسطين.. الوقائع غير المنتظرة لحرب بغداد» الصادر عن دار غراسيه بباريس، يرى الصحافي باتريك فورستييه كبير المحققين في مجلة «ماتش» الواسعة الانتشار ان فندق فلسطين تحول إلى ما اسماه بـ«مصدر حرب اخرى». ولعل الصورة التي نشرت على الغلاف الأمامي للكتاب ـ جندي أمريكي يغطي وجه صدام بالعلم الأمريكي على تمثاله قبل إسقاطه ـ من أفضل الصور التي التقطتها عدسات المصورين الذين نزلوا في فندق فلسطين المطل على التمثال المنهار ومنهم رمزي حيدر صاحب الصورة التذكارية.

ويقص فورستييه في كتابه ما حدث في كواليس الفندق وحيثيات خروج صحافيي أشهر الصحف والقنوات التلفزيونية الأمريكية قبل إنطلاق الحرب ولعبة التضليل بين الصحافيين وموظفي وزارة الإعلام ودور رجال المخابرات العراقية والمخبرين السريين: «انها حكاية هزيمة معلنة على الرغم من الدعاية العبثية لنظام منهار بقي يؤمن بأكاذيبه الخاصة، كما انها حكاية الفيلم الكبير لما حدث بعيدا عن ميدان الحرب العسكرية».

في «فصل الحرب» كتب فورستييه واصفا حال الهلع الذي اصاب الصحافيين لحظة اهتزاز الفندق بفعل دوي القنابل التي بدأت تنهار على قصور صدام والوزارات في الوقت الذي دخل بعضهم في صراع مع رجال المخابرات العراقية الذين راحوا يمنعون الصحافيين والمصورين من الصعود إلى سطح الفندق. الهلع الذي دفع ببعض الصحافيين إلى اللجوء إلى المخبأ السفلي شأنهم شأن جيران الفندق الذين يعرفون أحد الموظفين العاملين فيه، وهو الهلع نفسه الذي استولى على رجال المخابرات العراقية

المكلفين مطاردة الصحافيين وعرقلة عملهم حتى لا يتمكنوا من التصوير والاتصال الهاتفي في السطح أو الشرفات: «للأسف. . لم يتمكن رجال المخابرات من القيام بمهمتهم وتمكن العالم من متابعة انطلاق الحرب مباشرة وقناة مثل «الجزيرة» كانت قد ثبتت كاميراتها الاتوماتيكية على سطح مركز الصحافة صوب قصر صدام ومقر التلفزيون قبل إنطلاق الحرب».

وتوقف الصحافي الفرنسي عند ظاهرة الصحاف «وزير الحقيقة» العراقي على حد تعبيره في فصل «قلق تحت القنابل» وكتب يقول: «انه في الوقت الذي كانت فيه القوات الأمريكية تكتسح بغداد، استمر الصحاف في كذبه على الرغم من صور قناتي «سي. إن. إن» و«الجزيرة». ومما جاء في تصريحاته الشهيرة التي اضحت نموذجا للمهازل التراجيكوميدية في كافة القنوات التلفزيونية الغربية قوله ان القوات العراقية تمكنت من سحق الجنود الأمريكيين في الجنوب وأسر عدد كبير منهم وعلى الرغم من جرائمهم البشعة، سنطبق عليهم اتفاقية جنيف كما امر الرئيس صدام حسين. أننا ألحقنا بهم خسائر ثقيلة. قادة التحالف الأمريكي والبريطاني يكذبون ويحاولون القيام بالمستحيل للتغطية على هزيمتهم. لقد خطفوا مدنيين في الفاو وقدموهم لوسائل الإعلام على اساس انهم جنود. انهم يخدعون مسؤوليهم الكبار وسنسحقهم اكثر، الامر الذي سيدفعهم إلى الكذب من جديد».

زعيم الدعاية الإعلامية العراقية الكاذبة ومسؤول وزارة «الحقيقة» محمد سعيد الصحاف وصف في تصريحه بفندق فلسطين ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر مارس ان «الكلب المجرم» دونالد رامسفيلد هو المسؤول الاول عن الجرائم الأمريكية ومنها قنبلة قصر السلام القريب من المطار وقصر الزهور الذي كان قصرا ملكيا قائلاً: «سنقطع رؤوس كل الأمريكيين الذين يقودون الاعتداء ضد العراق».

كذب الصحاف المفضوح لم يكن الوسيلة الدعائية والسيكولوجية الهابطة النوعية الوحيدة التي عرفها فندق فلسطين في ظل موازين قوى سياسية وعسكرية وإعلامية غير متكافئة بالمرة، فالمطاردة الامنية للصحافيين لم تقل غباء وانهزامية عن أسلوب الصحاف في تقدير الكاتب الفرنسي الذي استشهد بمثال الصحافي البريطاني نايت تاير. لقد خطف رجال المخابرات العراقية صديقته الأمريكية في الفندق قبل أن يضربوه بشكل مبرح حتى الساعة الخامسة صباحا. هذا الصحافي الذي يراسل عدة صحف بريطانية ـ بعد أن عمل

مراسلا في بانكوك لمجلة اقتصادية تصدر في هونغ كونغ ـ فوجئ بزيارة اربعة رجال فتشوا غرفته رقم ١٠٠٢، وحقيبته وخزانات الغرفة وضربوه قبل مغادرتهم الغرفة برفقة صديقته الأمريكية: «لقد قلت لهم انها زوجتي طمعا في تفهمهم ورحمتهم وحتى عدي الذي قابلته طالبا المساعدة لم يحرك ساكنا لمساعدتي وقال لي لا أستطيع أن أفعل شيئا وهذا الامر ليس من شأن وزارة الإعلام».

موازاة للحرب العسكرية التي كانت تدور قريبا من فندق فلسطين، كانت الحرب الإعلامية والنفسية ضد الصحافيين الانجلوساكسونيين تزداد ضراوة بدورها.

ولم تتوقف عند ضرب الصحافي تاير واعتقال صديقته أو «زوجته الوهمية». رجال المخابرات العراقية زاروا أيضا الصحافي جون برنس مراسل «نيويورك تايمز» في جنح الليل وبعد ان نجا من الضرب والاعتقال اضطر إلى تغيير الغرفة: «لقد تقاسمت غرفتي مع زميل آخر حتى يكون شاهدا في حال اعتقالي أو اختفائي».

ملاحقة المخابرات العراقية للصحافيين لم تتوقف عند زيارة بعضهم في غرفهم، وطالتهم في مواقعهم المهنية بعد ان اضطروا إلى العمل في السرية التامة اثر اصرار عدي على عملهم في مركز الصحافة وليس في فندق فلسطين كما تمنوا وطلبوا حتى يتمكنوا من العمل اثناء الليل، وعملوا المستحيل للتغلب على المخابرات والشرطة السياسية العراقية المنتشرين في فندق فلسطين: «لم يكن أمامهم الا خيار العمل في الظلام في غرف مغلقة والتحدث بهدوء شديد لحظة اتصال بمسؤوليهم ولولا الهواتف المرئية لما تمكنوا من ارسال تغطياتهم وصورهم السيئة النوعية».

في الوقت الذي استمر فيه «الاسطورة» الصحاف المسؤول الاول في وزارة «الحقيقة» في أكاذيبه: «اننا نسيطر على الوضع.. ولقد طغت حال الهستيريا على الجنود البريطانيين بعد ان الحقنا بهم خسائر فادحة في ميدان المعركة وسوف لن يخرجوا سالمين من مستنقع الموت الذي رميناهم فيه» ضاعف عدي من ايقاع مطاردته للصحافيين على الطريقة العراقية. وفي ندوة صحافية نظمها في فندق فلسطين، أعلن ان قواعد اللعبة قد تغيرت مؤكدا انها ستكون صارمة اكثر من اي وقت مضى.

وقبل كل شيء راح يتحدث متوجها للصحافيين «من اليوم فصاعدا ممنوع التنقل فرادى من دون مرشد مرخص من الوزارة. والصحافيون الموجودون في بغداد يجب ان يعنوا بتغطية ما يحدث استنادا للمصدر العراقي وليس لشيء آخر وسيطرد الصحافي الذي

سيخالف هذه التعليمات. من جهة أخرى، على الصحافيين الذين لم يدفعوا بعد مستحقات وزارة الإعلام الإسراع بالدفع والا كان مصيرهم الطرد، لا ينقصنا رجال الإعلام هنا في بغداد والكثير ينتظرون التأشيرة في عمان وباستطاعتنا تعويض المطرودين وغير المرغوبين ببساطة وسهولة. بالمناسبة اعلمكم بأن لون البطاقة الصحافية التي جددت قبل اسبوع ستتغير من جديد وستصبح صفراء اللون».

عند حديثه عن من أسماهم «بمساجين الطابق الثالث عشر» استطاع الكاتب فورستييه ان يرسم لنا صوراً مؤثرة عن وقائع الحصار الإعلامي الذي ضربته السلطة الأمنية والإعلامية العراقية خوفا من نقل الحقيقة التي ادعى وزير الإعلام العراقي السابق انه يملكها.

مراجع الدراسة

١ . الإرهاب والحروب الإعلامية الأولى، يحيى اليحياوي، جريدة العلم، ٩ يونيو ٢٠٠٢

٢ . مجلة العالم ، عدد: ١٣ ، ٠٧/ ٠٣/ ٢٠٠٥

٣ . ملامح الاستراتيجية الأمريكية للتضليل الإعلامي ، محمد جمال عرفة ، اسلام اون لاين نت ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٤

٤ . التضليل الإعلامي من خلال الحرب على العراق، عز الدين الوافي، شبكة العرب نيوز الاخبارية

٥ . مذابح الفلوجة تكتشف مأزق واشنطن في العراق، إسلام السعدني، مجلة الجزيرة، العدد : ١٠٨ ، ٧ / ١٢ / ٢٠٠٤

٦ . استخدام الدعاية والتضليل في حرب بوش على العراق، اللواء الركن مهند العزاوي، جريدة البصائر ، ٢٠٠٣/ ٤/ ٩

٧ . قناة الحرة الأمريكية . . . الإعلام في خدمة الحرب ، حسام شاكر ، اسلام اون لاين نت، ١٧ / ٤ / ٢٠٠٤

٨ . سجل بشهداء ومصابي الصحافة بالحرب ، باريس ـ أ ف ب ـ / ٨ـ٤ـ٢٠٠٣

٩ . الجيش الأمريكي يمارس رقابة مشددة على الإعلام بالعراق، برلين ـ سمير عواد، الرأية القطرية ، ١٨/ ٨/ ٢٠٠٨ .

١٠ . تدمير بغداد . . دون شهود ، لندن ـ (نور الدين العويديدي)، قدس برس ، ٨ـ ٤ـ٢٠٠٣

١١ . ليس غريبا أن تضرب أمريكا قناة الجزيرة ـ روبرت فيسك ، الاندبندت الربيطانية، ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٥ ، ترجمة ، أيمن شرف ، موقع شخصى ، ١/ ١٢/ ٢٠٠٥

١٢ . فندق فلسطين . . الوقائع غير المنتظرة لحرب بغداد ، باتريك فورستييهم ، دار غراسيه ـ باريس، ٢٠٠٦

الفصل الرابع

تداعيات الحملة الإعلامية الأمريكية على العراق

(رؤية تحليلية في الآثار والنتائج المترتبة لإعلام الحرب الأمريكية في العراق على المستوى الأمريكي والعربي والدولي)

مقدمة الدراسة

الميديا الأمريكية وصناعة أكبر انقسام في تاريخ الرأي العام بالعالم

عندما تقع قراءتنا لحدث ما فريسة سهلة في شباك منطلقات أيديولوجية مغلوطة، تكون النتائج التي نتوصل اليها خاطئة لا محالة، لكن عندما تتحول هذه القراءة المؤدلجة إلى ثوابت ومسلمات عالمية يرددها الكل من دون تفكير، عندها نكون قد وقعنا ضحايا لأكبر عملية نصب سياسية وإعلامية في العصر الحديث. وهذا هو ما حدث بالضبط لقراءة الإعلام العالمي وقسم كبير جدا من النخب السياسية، للحرب الأمريكية في العراق، على الأقل في سياقها التاريخي والعلاقة السببية التي تربط بين العوامل المتداخلة في هذه القضية المعقدة الشائكة، والتي أخضعت بكل سهولة وبساطة لأكبر عملية تسطيح.. ولكن لنبدأ من البداية.

بعد شد وجذب كبيرين، أعلن الرئيس بوش عن إستراتيجيته الجديدة في العراق، وجاءت هذه الاستراتيجية نتيجة لعملية مراجعة للإستراتيجيات القديمة التي تبناها الرئيس الأمريكي في الماضي. القراءة العالمية لهذا الحدث تقول بأن تراكم الأخطاء التي ارتكبتها هذه الإدارة في العراق، أدى إلى نكسات عسكرية وسياسية وأمنية، مما خلق حالة انقسام داخلي أمريكي، وهذا الانقسام الذي تسلل إلى كل مفاصل الإعلام والسياسة في أمريكا هو الذي حتم على الرئيس بوش العمل على مراجعة إستراتيجيته القديمة ومحاولة تبني استراتيجية جديدة. مشكلة هذه القراءة هي أنها سطحية إلى درجة كبيرة، ومغلوطة لأنها تخلط الأمور ببعضها البعض وتشوه الترتيب الزمني للأحداث ولتأثيرات العوامل المتداخلة في القضية.

في مراجعة سريعة للحرب في العراق، نجد أن الحقيقة مغايرة تماما لهذه القراءة التي أخضعت لعملية تعميم عالمية بحيث تحولت إلى نوع من أنواع المسلمات، وبذا فقد

أصبحت القراءة العالمية الوحيدة التي يلجأ إليها الإعلام العالمي في نظرته لهذه القضية التي هي في حقيقتها قضية عالمية. فالترتيب الزمني للأحداث كما وقعت فعلا، لا يؤيد هذه القراءة، بل بالعكس تؤدي بنا إلى نتائج مغايرة تماما. هذه الإدارة ارتكبت في العراق من الاخطاء ما يصل إلى مستوى الحماقات، وهي لا تنفي انها ارتكبت أخطاء كثيرة، حتى ان الرئيس الأمريكي قد اكد في مناسبات عديدة انه يتحمل شخصيا نتائجها. لذا فالمسألة ليست مسألة الإقرار بوقوع أخطاء، أو الدفاع عن سياسات أمريكية معينة والقفز على الحقائق ومحاولة التغطية على اخطاء لم تنفها الإدارة الأمريكية نفسها، فلماذا نقوم نحن بذلك؟ لكن المسؤولية الأخلاقية والسياسية تحتم علينا توخي الدقة في قراءتنا حتى نتوصل إلى حقيقة الأمور كما هي، لا كما يحاول البعض تحميلنا إياها.

المؤكد هو ان هذه الحرب قد خلقت اكبر انقسام في العالم، هذا الانقسام طال حتى اقطاب الإدارة الحالية. لكن هذا الانقسام لم يأت كنتيجة للهزائم الأمريكية في العراق، بل هي ظهرت حتى قبل البدء بالعمليات العسكرية، لا بل إن ظهورها يسبق تلك الفترة بكثير. الإدارة الأمريكية حاولت التوصل إلى انتزاع نوع من انواع الاجماع الدولي لحربها في العراق، وعندما فشلت في كل هذه المحاولات قررت دخول الحرب مع بعض من حلفائها، وهو ما اعتبر حينها انفرادا أمريكيا يستهدف فرض الهيمنة على كل العالم.

إذن فالانقسام كان موجودا قبل الحرب وبقوة، وهو لم يأت كنتيجة للهزائم الميدانية، كما تحاول القراءة المؤدلجة أن تصور لنا. والحقيقة هي ان العلاقة السببية التي تربط بين حالة الانقسام ووقوع الاخطاء الأمريكية في العراق معكوسة تماما. فالانقسام الذي كان موجودا هو الذي أدى إلى خلق ظروف كان النجاح فيها مستحيلا. . هذه الظروف شكلت المناخ العام الذي حدثت في ظله كل هذه الأمور، وفي ظل هذه الظروف وقعت الإدارة الأمريكية في شرك معركة داخلية مع اطراف حاولت التشكيك في النصر منذ البدايات الاولى لبلورة فكرة غزو العراق وإطاحة نظام صدام، مما ادى إلى خلق حالة تردد أصابت مفاصل القرار الأمريكي في صميمه. وهذا الكم الكبير من التشكيك والتردد اسهم بشكل كبير في منع الإدارة من تنفيذ افكارها وخططها بالشكل الذي كانت تراه، وترتب على كل ذلك، الهزائم الكثيرة في الميدان. فالفشل جاء كنتيجة حتمية لعدم تنفيذ الأفكار والخطط كما ينبغي. . وكما رأينا فإن عدم التنفيذ هذا جاء بدوره كنتيجة للانقسامات الكبيرة التي طالت حتى أقطاب الإدارة الحالية، والحقيقة أنه ليست هذه هي

المرة الاولى التي تؤدي فيها الانقسامات الداخلية إلى كوارث سياسية في أمريكا، وهي لن تكون المرة الأخيرة بالتأكيد، فطبيعة الحياة السياسية في أمريكا تسمح بحدوث مثل هذه الأمور.

في نهاية التسعينات من القرن الماضي وقع الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر ضحية انقسام وصل إلى حد صراع شرس ومرير بين وزير خارجيته سيروس فانس ومستشاره لشؤون الأمن القومي زبيغنيو بريجينسكي. حدة الصراع بين هذين الرجلين واختلاف رؤيتهما المتناقضة مع بعض اوصلا الرئيس والإدارة إلى ما يشبه حالة العجز التام، وحولت الرئيس كارتر إلى احد اضعف الرؤساء في كل تاريخ أمريكا. وأدى الأمر إلى ان خسرت الولايات المتحدة الأمريكية إيران، لا بل إنها خرجت من إيران بفضيحة فشلها العسكري في إنقاذ رهائنها من داخل الاراضي الإيرانية، فكانت هزيمة سياسية وعسكرية واستراتيجية بكل المقاييس. التذكير بهذا المثل لا يستهدف سوى التأكيد على ان هذه الحالة ليست طارئة على الحياة السياسية الأمريكية، وأنها يمكن أن تتكرر في كل زمان ومكان.

بقي ان نقول بأن القراءة الأيديولوجية المغلوطة التي قدمها الإعلام العالمي لما حدث فعلا، ليست بريئة إلى الحد الذي يمكننا من وصفها بالسذاجة، وللدقة يجب ان نقول بأن النسبة التي فرضت هذه القراءة منذ البداية تشكل اقلية ضئيلة. . وهي لم تفعل ذلك عن عدم دراية، بل هي فعلت ذلك عمدا وعن سبق اصرار وترصد، مستهدفة بذلك فرض قراءتها المؤدلجة على كل العالم ويجب ان نعترف بأنها نجحت في ذلك، أما البقية من الإعلام العالمي وبقية العالم فقد وقعنا ضحية لأكبر عملية تضليل سياسي وإعلامي في العصر الحديث. من هنا تشكل عملية اعادة قراءة الأمور مهمة تستهدف الوصول إلى الحقائق وبعيدا عن محاولات التضليل الأيديولوجي، وتشكل في نفس الوقت مدخلا للحديث عن انعكاسات هذه القراءة المغلوطة في مناسبات أخرى.

المحور الأول

الإعلام المقاوم

جزء من تداعيات الإعلام الأمريكي المغلوط

لا أعرف ان كان هناك من أحمق في هذا العالم مازال يصدّق ما يقوله الإعلام الأمريكي والإدارة الأمريكية. لقد تبيّن من خلال محطّات تاريخية عديدة ومتكرّرة أنّ الحقيقة التي تستطيع أمريكا التفوّه بها هي "الكذب".

إنّهم يكذبون في أفلامهم، ويكذبون في تاريخهم، ويكذبون في ديمقراطيّتهم، ويكذبون في حروبهم، ويكذبون على أنفسهم قبل إن يكذبوا على الآخرين وفي كل شيء يكذبون، الحقيقة عندهم هي الكذب.

يبدو إنّ الحريّة الأمريكية والانفتاح لم يعد مجديا في هذه المرحلة من التاريخ. فإبّان الحرب الباردة، كان الهمّ الأمريكي يتركّز على ايصال أكبر قدر من المعلومات والحريّة إلى المسجونين المكبوتين داخل الستار الحديدي الأحمر. امّا الآن فيبدو انّ هذا الانفتاح قد كشف حقيقة أمريكا المزيّفة للشعوب وبالتالي أصبحت الولايات المتّحدة تقود حملة عكسيّة يكون هدفها تقليص مصادر المعلومات وحجبها عن الناس وشن حرب افكار لغسل عقول الناس وتشويه الحقائق على العادة التي اتّبعوها من قبل.

الهدف هذه المرّة هو الإعلام المقاوم الذي يفضح الأكاذيب الأمريكية حول المعارك التي تجري في كل مكان من العالم مع الجيش الأمريكي. حيث النكوص الإعلامي والانهزامي العربي يقف متفرجا، يقوم ثلّة من الشباب المقاوم إعلاميا ومواقع الانترنت التي كرّست نفسها لهذا الغرض بفتح معركة خلف ستار المعارك المسلّحة، إنّها المعركة الإعلاميّة التي انتصر بها هؤلاء ضدّ آلة البروبجندا والتزييف والتشويه الأمريكية.

١٤« توب تن » والإعلام الجهادي افرازات صراع إعلامي

في اطار ما يعرف بـ "الجهاد الإعلامي" يستخدم تنظيم القاعدة والمنظمات المرتبطة به أو المشابهة له التقنيات الاشد تطورا في الحرب الإعلامية وذلك بالتوازي مع الحرب الميدانية الدامية مع قوات الاحتلال الأمريكية في العراق. ولطالما فضحت اللقطات المسجّلة والمصوّرة والموثّقة بالتاريخ والمكان والزمان كذب الأمريكيين وأظهرت ضعفهم وانهيارهم العسكري، لكنّ الإعلام العربي غير الموجود (كما هو حال الدول والأنظمة العربية) إلاّ على صعيد "الفيديو كليب الإباحي" فشل في اظهار هذا الانهيار الأمريكي بل ولم تعد بعض فضائياته الشهيرة بقادرة على نقل حقيقة الصورة كما كانت تفعل، فيما راح القسم الآخر يزيّف الحقائق لدرجة استغباء المشاهد وما زلت أذكر تكرار نفس الجملة عدّة مرّات على قناة فضائية منافسة للجزيرة وهي "انفجار يصيب رتلا أمريكياً يؤدي إلى مقتل عراقيين!!!".

وفيما يتعلّق بالجهاد الإعلامي، نشر موقع اسلامي على الانترنت الشهر الفائت فيلما بعنوان "توب تن" (العشرة الاوائل) ومدته نحو ١٧ دقيقة أخرجته "الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية" ويتميز بنقاء ملحوظ للصورة وينتقي عشر هجمات شنتها مجموعتان مسلحتان على القوات الأمريكية في العراق في إطار "الحرب على الجبهة الإعلامية" التي تقوم بها الجماعات التابعة للقاعدة وللمقاومة العراقية. وبث المجموعة على موقعها وثيقة تشرح فيها للمقاتلين كيفية استخدام الكاميرا والإستفادة منها اثناء العمليات، ومن النصائح المقدمة في هذه الوثيقة "تصوير مكان العملية بأقرب ما يمكن قبل تنفيذها" و"إجراء مقابلة مصورة مع الاستشهادي مع تصوير وصيته" وتصوير مشاهد العملية بأكثر ما يمكن من الوضوح لتسهيل استخدامها.

وجاء في العدد الاخير من الدورية الالكترونية للقسم الإعلامي للقاعدة، "ذروة السنام"، إن "الغاية هي ليست في ان تنفذ العملية . . . بل إيضاح أسباب تأديتها بهذه الصورة أو تلك . . . وعكس صورة طيبة عن المجاهدين فكم خسرت الأمة من معارك بسبب الإعلام. . . وبفعل الإعلام الانغلو-صهيوني".

وتقول كتيبة "الجهاد الإعلامي" التابعة للـ"الجبهة الإعلامية الاسلامية العالمية" في إحدى وثائقها "إذا رافق بيان التبني شريط للعملية فستكون بمثابة ضربة في الصميم لا يمكن تفاديها . . . ولا مجال للتكذيب أو النفي. . . . لأن تدمير آلية صليبية دون نشر

شـريط العملية يمكن نفيها من قبل العدو . . . . والعدو لا يهمه ان انفجرت احدى آلياته في اي مكان في العراق " ولكن يهمه الاثر الإعلامي والنفسي للعملية . وهذا ما حصل .

ويـبدو انّ هذا الإعلام المقاوم أثار استياء الولايات المتّحدة الأمريكية فسارعت بعد أن ادركت خسارتها للمعركة الإعلامية ، إلى إنشاء " قوّات خاصّة معلوماتيّة " بعد أن قامت الإدارة الأمـريكية وبـشخص جورج بوش بتعيين كارين هيوز (المستشارة المؤتمنة للرئيس الأمريكـي جـورج بـوش الـتي طالمـا ساعدت في رسم صورة إيجابية لسياسته عبر النفاق والتـشويه) هـذا الـشهر في منـصب مـساعدة لوزيـرة الخارجـية مكلفـة بـ " الدبلوماسية العامـة " . وقـد حرص بوش ـدلالة على أهمية المنصبـ على حضور أداء اليمين في مقر الخارجية الأمريكية ، وهو ما لا يفعله إلا نادرا وعندما يتعلق الأمر بالمناصب الحساسة .

ووصـف الرئيس الأمريكي هيوز بأنها ذات قدرات كبيرة في مجال الاتصال ، ومهمتها بأنهـا حـيوية في الحرب على ما سماه الإرهاب ، وقال إنه يتعين على الولايات المتحدة أن تـشرح سياسـاتها بـشكل فعـال وإنه " يجب هزيمة الإرهابيين ليس فقط في ساحة المعركة لكن أيضا في ساحة الأفكار " .

فـيما يمكـن تلخـيص دور هـيوز وفـق مـا قالت بما يلي : تطوير ما أسمته " رؤية أمل إيجابية " في تنمية الديمقراطية في العالم وعزل من اسمتهم المتشددين الدينيين وخلق شعور بوحدة القيم مع الثقافات الأخرى .

كما ركزت هيوز في كلمتها على سلاح الإعلام ، وقالت إن خلية للرد السريع ستنشأ في وزارة الخارجـية لمراقبة وسائل الإعلام ومساعدة واشنطن في الوصول إلى تعامل سريع مـع الإشـاعات والمعلـومات الـتي تفـتقد الدقة وخطابات الكراهية ، داعية إلى استغلال الفـرص الـتي تتـيحها التكنولوجـيا . وأكـدت بدء استخدام مكثف للتكنولوجيا خاصة الانترنـت في نـشر المعلـومات مـن خـلال غـرف الدردشة على الانترنت وصور الفيديو الرقمية وحتى الرسائل النصية عبر الهواتف النقالة .

و هـذا إن دلّ علـى شـيء لإنمـا يـدل علـى انّ المعـركة الإعلامـية الـتي تجري خلف الكواليس هي حامية الوطيس لدرجة أنّ الإدارة الأمريكية لم تعد قادرة على تحملها .

الخارجية الأمريكية تشنّ حملة إعلاميّة على مواقع الأخبار المقاومة على الانترنت

تحت عنوان، ثلاثة مواقع إنترنت تطلق معلومات كاذبة: "مفكرة الإسلام"، و"محمد أبو نصر" و"جهاد أنسبن"، شنّت الخارجية الأمريكية هجوما عنيفا على المواقع الاخباريّة التي تنقل وجهة النظر الاخرى والصورة الحقيقة للمعارك في العراق وأفغانستان وفي كل مكان بعيدا عن التبعية لأمريكا والدعاية وتشويه الحقائق والكذب.

إن اهتمام الخارجية الأمريكية بهذه المواقع بل واصدار ثلاث نشرات خاصّة للتهجّم عليها يشير إلى انّ هذه المواقع نجحت في دخول المعركة الإعلاميّة، بل وتكسبها وهو ما من شأنه ان يطيح بجميع الجهود الإعلاميّة الأمريكية والتابعة لها العربية والغربية التي تسعى لنقل ما تريده من أخبار وما يتناسب مع اكاذيبها عن الديمقراطيّة والحريّة والإرهاب.

ومن هذا المنطلق كانت حملة وزارة الخارجية ضد "نشطاء الإنترنت" من الجماعات المستقلة والمواقع ذات الطابع الإسلامي والقومي، بعدما أدت الأخبار التي تنشر عن المقاومة، خصوصا في العراق، لإثارة بلبلة عالمية حول السياسية الأمريكية.

ونشرت الخارجية الأمريكية وسفاراتها في الخارج إثر ذلك بيانات وأخباراً تنتقد بشدة وتهاجم هذه التقارير "الكاذبة"، كما تسميها، التي تصدرها هذه الجماعات والمواقع العربية التي تروج أخبار المقاومة العراقية وتعمل على نشرها على نطاق واسع، وحذرت بشكل أساس من تجاوز هذه المواقع حالة الخطر بنشرها أخباراً وتقارير باللغة الإنجليزية بدأت تتسرب إلى الصحافة العالمية وتثير انتقادات زعماء عالميين وصحف كبرى للسياسة الأمريكية.

واهتمت الخارجية الأمريكية بالمواقع الثلاثة هذه على إنترنت باللغات العربية والإنجليزية على وجه الخصوص قالت إنها تطلق معلومات كاذبة عن المقاومة العراقية هي "مفكرة الإسلام"، و"الصوت العربي الحر" و"جهاد أنسبَن"، واتهمت المسؤولين عن هذه المواقع ومن ينقلون عنهم هذه المعلومات عن المقاومة العراقية بأنهم يشوهون القوات الأمريكية في العراق ويروجون للعمليات الاستشهادية في العراق وفلسطين!!! ومن جهتنا نقول: إذا كانت هذه المواقع وغيرها من المواقع التي تنقل ما تسميه الخارجيّة الأمريكية "أكاذيب، وتضليلات" فلماذا تهتم بها هي لدرجة اصدار عدّة تقارير تشنّ من خلالها هجوما كاسحا عليها؟! ثمّ إذا كانت هذه المواقع تنشر

"الاكاذيب" فما حاجة الولايات المتّحدة إلى إنشاء مركز خاص "للدبلوماسيّة العامّة" (وهو تعبير ملطّف بدلا من مركز ترويج الاكاذيب وغسل الأدمغة وشراء الإعلام)، وما هي حاجة الولايات المتّحدة إلى إنشاء "قوات خاصّة معلوماتية"؟! ثمّ إذا كان لديها كل هذه الوسائل من الدعاية والإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة التي تقدر ان تؤثّر في عقول الناس فلماذا تهتم بثلاثة مواقع على الانترنت من اصل ملايين المواقع الاجنبية؟!! ثمّ انظروا من الذي يتحدّث عن الأكاذيب!! انّها صاحبة كذبة العصر "العراق يمتلك اسلحة دمار شامل"، انّها صاحبة اسلحة الكذب الشامل التي لم توفّر كذبة الاّ واستخدمتها.

تأسيس لنظريات جديدة في إعلام الحروب من تداعيات حرب العراق

إعلام الغزو الأمريكي للعراق ـ فضائيات وإنترنت وموبايلات ـ لماذا تسقط الولايات المتحدة وبريطانيا في مأزق الكذب والتزوير؟ ـ الإعلام والحرب أو قصف العقول ـ الوعي إذ يقدم جاهزا ومعلبا لم تكن الحروب تقوم بمعزل عن الإعلام والدعاية والحرب النفسية، لحشد الرأي العام ورفع معنويات الجيوش، ومواجهة العدو وتحطيمه، وقد بقيت فنون الاتصال والإعلام على علاقة وثيقة بالحرب، ولكنها في هذا العصر الذي يتميز أساسا باتصالات والمعلوماتية تكاد تتحول برمتها إلى الإعلام والدعاية، والحرب في جوهرها تبادل منظم للعنف، والدعاية في جوهرها عملية إقناع منظمة، فإذا أمكن إقناع الخصم فلا حاجة للحرب العسكرية ابتداء. إعلام الغزو الأمريكي للعراق إن العمل الإعلامي المرافق للغزو الأمريكي للعراق من أهم الحالات الدراسية في كليات الإعلام في جامعات العالم وفي المؤسسات الإعلامية المحلية والعالمية، فهي المرة الأولى التي تدخل فيها الفضائيات والإنترنت إلى جانب الصحافة ووكالات الأنباء والإذاعة والتلفزيون المحلية في حرب كبيرة أقرب إلى العالمية وتشغل جميع الناس تقريبا، وربما كانت الانتفاضة الفلسطينية الثانية تجربة عملية في هذا المجال وإن كانت أقل اتساعا واهتماما من الغزو الأمريكي للعراق. ويتذكر المتابعون لحرب الخليج الثانية الأداء الإعلامي المرافق لها، ولا بد أنهم يلاحظون الفرق الكبير بين الحربين في هذا المجال، فقد اختفى الخطباء عن المسرح، ولم يعد يعرفهم أحد، واستبدل بهم الناس بدائل كثيرة جدا من الفضائيات ومواقع الإنترنت من كل البلاد والاتجاهات واللغات والمواقف، وأصبح

المواطن العادي يملك المعلومات من جميع المصادر وبسهولة فائقة، ولم يعد يتميز عليه المحللون العظام والخطباء العباقرة والمسؤولون الرسميون والصحافيون المدعون بشيء يذكر. وربما يفسر هذا اختلاف المشاعر وردود الأفعال والاستجابات للأحداث، فالعرب والمسلمون، وإن كانوا أكثر تأييدا وتعاطفا مع العراق في هذه الحرب ذلك أن الموقف العراقي هذه المرة لا تشوبه شبهة احتلال الكويت والموقف الأمريكي لا يملك أي غطاء دولي أو أخلاقي فإنهم يبدون أكثر هدوءا وأقل هياجا، وعلى قدر كبير من التوازن ومعرفة الأحداث والمعلومات والإحاطة بالمصادر المختلفة ومقارنتها ومناقشتها، ولا يكاد يوجد فرق كبير في التحليل والتقدير بين المحللين الذين تستضيفهم الفضائيات وبين المواطنين العاديين الذين يتابعون الأحداث والأنباء بنفس المستوى والشمول الذي يتابعه هؤلاء الخبراء. وبالطبع فإن هذا الحال سيكسب الناس العاديين مزيدا من النضج والتروي والقدرة على التحليل، ويضع الإعلاميين في مواجهة تحد جديد لعلهم لم ينتبهوا إليه جيدا، فماذا يمكن تقديمه لهؤلاء الناس الذين صاروا يملكون مستوى عاليا من المعلومات والإحاطة الجارية والمستمرة؟ وأعتقد أن وضع الكتاب والمحللين والمعلقين صار محزنا جدا، وقد يتحول الكثير منهم إلى ديناصورات أو جزء من الماضي، مثل أولئك الخطباء الذين استولوا على آفاق الدنيا عام ١٩٩٠ و ١٩٩١ لأن الناس سيتجاوزونهم ويتفوقون عليهم أيضا. . لقد دخل الإعلام فعلا في مرحلة جديدة لكن الإعلاميين أكثرهم لم يدركوا بعد هذه التحولات، وما زالوا يعتقدون أنهم يمكنهم الاستمرار في العمل بنفس الوتيرة التي تعودوا عليها من الكسل والاسترخاء والغيبوبة والاكتفاء بالنصائح والادعاء والاستعراض والظهور بمظهر العارف ببواطن الأمور. وهذه التقديرات قد تحتاج إلى وقت حتى يمكن التأكد من صحتها، ولكني أتوقع في السنوات العشر القادمة أن تختفي اسماء كثيرة تتصدر اليوم الصحف والفضائيات وتظهر خبرات وأنواع جديدة من المعالجة والتفكير والتحليل، ولا أتمنى بالطبع حربا أخرى ليثبت ذلك ولكن الزمن وتحولاته العادية والعفوية ستفرض مراجعة شبيهة بما جرى بعد عام ١٩٩١.

فضائيات ومواقع أنترنتية صنعتها الحملة الأمريكية فى اتجاه عكسى

ولكن التحولات التي جرت في المسرح الإعلامي ليست كلها إيجابية ومفيدة، بل إنها تشكل تحديا كبيرا للمجتمعات والمؤسسات، وتكشف أيضا عن الفجوة المعلوماتية الكبيرة بيننا وبين الآخرين يمكن ملاحظتها بسهولة لدى تصفح الإنترنت ومقارنة المواقع العربية بتلك الأجنبية، وتبدي عجز الخطاب العربي عن الوصول إلى الناس حتى العرب منهم. فضائيات وإنترنت وموبايلات أظهرت الفضائيات العربية لأول مرة وبخاصة الجزيرة قدرة غير متوقعة لمنافسة الإعلام الغربي الذي كان في العادة يجول في الميدان وحده ويحتكر المعلومة والصورة، وبالطبع لا تستطيع الجزيرة والقنوات العربية تعويض الفجوة الكبيرة في تدفق المعلومات والصور التي تقدمها الوكالات الغربية فهي تصاحب الجيوش الغازية وتستخدم إمكاناتها، ولكن القنوات الغربية تتحرك وحدها في الساحة العراقية، وإن كان بعضها أيضا يرافق القوات الأمريكية والبريطانية. لقد استطاعت الجزيرة والمحطات العربية أن تكشف كثيرا من التناقضات فيما تبثه الوكالات والمحطات الغربية وتجبرها على التراجع، والأمثلة كثيرة جدا، منها على سبيل المثال: الادعاء بعدم وجود قتلى وأسرى أو سقوط طائرات في الأيام الأولى للحرب حتى نشرت الصور في الجزيرة، وأجبرت الناطقين الأمريكان والبريطانيين على الاعتراف، ثم تحولت المعركة الإعلامية إلى الانتهاكات العراقية لاتفاقية جنيف لأسرى الحرب بعد أن كانت إنكارا لوجودهم ابتداء، وانتقد كل من بوش وبلير والقادة العسكريون قناة الجزيرة بالاسم لنشرها صور الأسرى. وتتراجع الولايات المتحدة وبريطانيا -اللتان تلهثان وراء أي أخبار سارة من ميدان المعركة- بشكل يومي تقريبا عن مزاعم بتحقيق انتصارات في العراق بعد التسرع بإعلان هذه المزاعم ضمن حرب الدعاية. فتراجعت القوات البريطانية عما زعمته الأحد عن أسر ضابط كبير في الجيش العراقي برتبة لواء في اشتباكات مع رجال المقاومة بجنوب العراق. وقالت إنها لم تتمكن من تحديد هوية هذا الضابط. وجاء التراجع البريطاني بعد إجراء قناة الجزيرة مقابلة مع الجنرال الذي زعمت القوات البريطانية أسره. وفي مؤتمر صحفي مع الرئيس الأمريكي جورج بوش زعم بلير أن العراق أعدم جنديين عرضت قناة الجزيرة صور جثتيهما. وتراجعت الحكومة البريطانية في وقت لاحق عن هذا الاتهام بعد أن قالت قريبة أحد الجنديين لصحيفة بريطانية إن الجيش أبلغها أن الجندي قتل في العمليات العسكرية. لماذا تسقط الولايات المتحدة وبريطانيا في مأزق الكذب والتزوير؟ إن جزءا من المشكلة يعود إلى أن بريطانيا والولايات المتحدة تتعرضان

لضغط سياسي يدفعهما إلى تصوير هذه الحرب على أنها تحقق نجاحا مضطردا، وهذا الأمر يأتي على خلفية حاجة ماسة لمواكبة اللهاث المحموم لوسائل الإعلام التي تغطي تطورات الحرب دقيقة بدقيقة على مدار الساعة على شاشات التلفزيون مباشرة. ويقول جيمي كولينغ الباحث في معهد أبحاث السياسة العامة في لندن "هناك حاجة ماسة كي تبقى مبتهجا ومتفائلا باستمرار" ويقول روجر مورتيمور المحلل السياسي في مؤسسة موري بلندن إن المسؤولين البريطانيين والأمريكيين يتعرضون للضغط لإصدار بيانات وهم غالبا ما يفعلون ذلك دون أدلة كافية. وكانت الأنباء في حرب جزر الفوكلاند على سبيل المثال تحتاج إلى يومين حتى تصل إلى وسائل الإعلام ولكنها في هذه الحرب يمكن بثها بالصورة والنص والصوت في لحظات قليلة، وهذا يجعل القادة العسكريين تحت ضغط تقديم الانتصارات المتتالية، من قتل وأسر واكتشاف لمصانع الأسلحة الكيماوية والتعذيب، ولا بأس من التراجع عنها بعد ساعات أو أيام. "إنهم غدوا مثلنا" جملة رُددت بفخر واعتزاز في معظم الصحف والمحطات الإذاعية والتلفزيونية العربية، فهم أي الإعلام الغربي وبخاصة الأمريكي يكذبون ويلفّقون ويبالغون مثل الإعلام العربي، وبرغم طرافة التعليق فإنه يوضح أن المتلقي العربي مازال غير مكترث أساسا بالاحتراف والنوعية والتنافس وكسر الاحتكار. ولكنه لا يختلف عن الإسلوب الغربي أيضا في الخطاب الأمريكي والغربي، أنظر مثلا الاقتراح الذي صوت عليه الكونغرس الأمريكي بغالبية ساحقة (٩٠٪) أي بجمهوريه وديموقراطيه ليوم صيام وصلاة في الولايات المتحدة لنصرة الجندي الأمريكي !ويتساءل إعلامي عربي (مارك صايغ) معلقا على المشهد: هل هذه الحرب ستعيد الحضارة عقوداً إلى الوراء؟ أم أن التغطية الإعلامية لها، وعدم أحادية هذه التغطية، سيمنعان في نهاية الأمر تكريس الأفكار والمعتقدات الأكثر تخلفاً؟ بالطبع فإن وجود "الجزيرة" والمحطات التلفزيونية العربية الأخرى يمنع تعميم الكذب والتلاعب بالأخبار كما كان قد جرى خلال حرب الخليج السابقة، حيث احتكرت محطة "سي ان ان" المشهد الإعلامي، وقد انتظرنا سنوات لمعرفة بعض الحقائق، وفضح بعض الأكاذيب التي لفقتها الـ"سي ان ان" ووكالاتها الإعلامية، أما اليوم فالأخبار الكاذبة حول موت زعماء عراقيين أو وجود مصنع لأسلحة الدمار الشامل، أو إطلاق صواريخ "سكود" عراقية، أو سقوط مدن، أو اعتقال مسؤول عسكري... فقلما تعيش أكثر من ساعات قليلة، ومن ثم تضطر وسائل الإعلام التي لفّقتها إلى تكذيب الخبر والاعتذار للمواطن العالمي. الإعلام والحرب أو قصف العقول تقدم الأحداث

مناسبة لاستذكار كتب ودراسات سابقة تساعد على الفهم والتحليل وتذكر الناس بمقولات وآراء عما يجري لم تجد فيها مفاجأة، وبرغم أن منهجية البحث عن أدلة وشواهد لفكرة جاهزة ومعدة يضلل الفهم ويستدرج الناس إلى غير الحقيقة وبخاصة عندما تحشد إمكانات معرفية كبيرة ومتقدمة لحشر هذه الفكرة في أذهان الناس وتأكيدها في عقولهم، فإن بعضا من هذه التقاليد تساعد على الفهم وتنبه على "التلاعب بالعقول" الذي يمارس بدهاء وتحت غطاء من الديمقراطية والحياد والموضوعية والحرية الإعلامية والسياسية. وربما يساعد على فهم فلسفة الإعلام والحرب استحضار كتابين في الموضوع هما "قصف العقول"، تأليف فيليب تايلور، وقد صدر الكتاب مترجما في سلسلة عالم المعرفة الكويتية في شهر نيسان من العام الماضي، وكتاب "المتلاعبون بالعقول" من تأليف هربرت شيللر أستاذ الإعلام والاتصال بجامعة كاليفورنيا والذي نشره أيضا المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت الذي يبدو اليوم أكثر أهمية برغم التطور الإعلامي الكبير، ولكنها تطورات تؤكد مقولة الكتاب وفكرته عن التلاعب بالعقول الذي تمارسه وسائل الإعلام الأمريكية. وقد يساعد هذا العرض على فهم كثير مما يجري الآن من أداء صحفي وإستراتيجيات إعلامية، مع الأخذ بالاعتبار أن الصحافة مصطلح يستخدم كثيرا ويقصد به كل وسائل الإعلام وبخاصة الأخبار والتحليلات. والإعلام في الحرب يهدف إلى إقناع الناس بالقتال أو تأييده أو إقناع الخصوم بترك القتال والاستسلام فهو في جوهره عملية حربية، وقد كان التحرك العسكري الواسع في آسيا حلما يراود كثيرا من العسكريين الأمريكيين وشركات التصنيع العسكرية في الولايات المتحدة، ولكنه لم يكن يحظى بتأييد شعبي بسبب الاتجاه الغالب في الولايات المتحدة إلى العزلة وتخفيف التدخل في العالم وتقليل النشاط العسكري الخارجي والانشغال بالرفاه والاقتصاد عن السياسة العالمية. وكانت أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول فرصة لتيار التفرد بالهيمنة العالمية وشركات التصنيع لحشد الرأي العام والتأييد الشعبي للمساعي الأمريكية نحو الهيمنة وعدم السماح حتى للقوى الصديقة والمؤيدة مثل أوروبا بالمنافسة أو المشاركة في القيادة العالمية، ومررت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) صفقة قيمتها مائتي بليون دولار مع شركة لوكهيد لتصنيع ثلاثة آلاف طائرة مقاتلة من طراز إكس ٣٥. وتبدو مقولة إنه ينبغي السماح للرأي بأن يتطور بشكل طبيعي دون أي تدخل خارجي وهما في الدول الديمقراطية كما في الدكتاتورية فالرأي العام ظل دائما توجهه وتتدخل فيه آلة الحرب والعسكريون وما نعرفه عن الدول في كثير

مـن الأحـيان سواء ما تبثه وسائل الإعلام أو الدراسات أو المناهج المدرسية هو تعبير عن الـتوجهات الدفاعـية . وفي كـثير مـن الأحـيان كانـت الحـرب الإعلامـية بـديلا للحرب العـسكرية وهـذا مـا حـدث تمامـا في الحـرب الـباردة بـين المعـسكر الشيوعي والمعسكر الرأسمالـي ، فقـد انتـصرت الولايات المتحدة بالضربة القاضية وانهار الاتحاد السوفييتي بدون حرب عسكرية ولكن بفعل الدعاية والتأثير الإعلامي . ويكاد التاريخ يكون دعاية ، فقـد أثبـتت دراسة حديثة عن الكتب المدرسية في ألمانيا واليابان أن كتب التاريخ في هذين الـبلدين تقـول عـن الـزمن الـذي كتبت فيه أكثر مما تقوله عن الماضي ، ولن يساور أحدا الـشك بهـذا الـشأن فيما يتعلق بنظام كالنظام النازي الألماني أو النظام الستاليني ، ولكن أيضا درجة الاختلاف في إعادة كتابة تاريخ روسيا الحديثة بعد انهيار الشيوعية أبقت على الـتلاعب بالحقـيقة التاريخـية ، وإن نظـرة علـى كـتب الـتاريخ الأمريكـي الـتي تتـناول الخمـسينات أو علـى الكـتب المـؤلفة في بـريطانيا في ذروة عصر الإمبراطورية تؤكد على الجانـب الدعائـي والتعبـئة المـستخدمة في صياغة الرأي العام والمناهج التدريسية . وعبادة الحـرب أقـدم عمـرا مـن عـبادة الـسلام بكـثير ، والدعاية الموجهة لدفع الناس للقتال في الحـرب عملـية أقـدم كـثيرا مـن الـشكل غير المتطور نسبيا للدعاية الموجهة لجعل الناس يقاتلـون مـن أجل السلام ، وتاريخ الشعوب وتراثها يزخر بقصص البطولة والقتال أكثر مـن أي شـيء آخـر . والدعايـة صـارت علمـا قائما بذاته من العلوم الإعلامية وهي فن الإقـناع ، الـذي تقوم قواعده على كسب مظهر الصدق (ليس بالضروة أن تكون الرسالة صادقة) لكسب ثقة الجمهور المتلقي المراد إقناعه ، والبساطة والتكرار للوصول إلى أذهان الـناس بـسرعة ، والـنفاذ إلى ذاكـرتهم الـتي لـن تتذكـر إلا ما استوعبته بسهولة وكثرة ، واسـتخدام الـرموز وضـرب الأمـثلة ، فالذاكـرة البـشرية يـسهل أن تختزن وأن تستدعي الصور ذات الدلالة المرتبطة بمخزون الذاكرة الموروثة أو المكتسبة . ويكاد لا يكون ثمة فرق يذكـر في وسـائل العمل الدعائي بين الدول الديمقراطية والدكتاتورية ، فقد لجأت جميعها إلى أسـاليب التأثير والعواطف وتحريك الحماس والحقد والكراهية والتمجيد ، لا فرق في ذلـك بـين الـنازيين في الحـرب العالمـية الثانـية أو الـشيوعيين البلاشـفة في مخاطبة العمال والمـثقفين والفقـراء أو الـراسماليين الأمـريكيين الـذي يدعـون إلى الليبرالية والحرية ، أو الـثوار الفرنـسيين ، إنهـا دائما عند أصحابها وسيلة لتحقيق هدف والعبرة بالمحصلة ولا بـأس بإخفـاء الحقائق أو التدخل في تفسيرها أو حتى قلبها . لقد تحولت الحرب الإعلامية في العـصر الحـديث مـن اسـتهداف الجنود والمقاتلين سلبا أو إيجابا للتوجه إلى المجتمعات

والأمم، ويمكن ملاحظة ذلك في الغزو الفكري والثقافي وتعميم أنماط الحياة والاستهلاك والطعام والأزياء وقصات الشعر، وصار الإعلام حربا شاملة على ثقافات الأمم وحضاراتها وتاريخها وتراثها، بل لقد اختفت ثقافات ولغات كثيرة ولم تعد موجودة ولا يعرفها حتى أصحابها، وباتت لغات وثقافات أخرى مهددة بالانقراض. وبذلك يمكن القول بحق إن الدعاية صارت أهم الاستعدادات الحربية وتعد جزءا رئيسيا من المجهود الحربي، فهي كما يقول تايلور قذائف من الكلمات التي تختار بعناية وتصاغ بحساب دقيق مستهدفة تشكيك شعب دولة العدو وجنوده في قضيتهم وهدم ثقتهم بقيادتهم وفي حكومتهم وفي قدرتهم على تحقيق النصر أو هي كما يعبر عنها عنوان الكتاب "قصف العقول" الوعي إذ يقدم جاهزا ومعلبا تمثلت العبقرية المرعبة للنخبة السياسية الأمريكية في قدرتها على إقناع الشعب بالتصويت ضد أكثر مصالحه أهمية دون حاجة للقمع والاضطهاد، فيقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها، تلك الصور والمعلومات تحدد معتقدات الناس ومواقفهم، بل وتحدد في النهاية سلوكهم، وهذه الدراسة النقدية لوسائل الإعلام والاتصال في الولايات المتحدة تعني العالم كله فالإعلام الأمريكي (كما السياسة الأمريكية) يصوغ مواقف العالم واتجاهاته، والثقافة الأمريكية يجري تصديرها عالميا، وقد أصبحت بالفعل النموذج السائد في العالم. وحيث يكون التضليل الإعلامي هو الأداة الأساسية للهيمنة تكون الأولوية لتنسيق الوسائل التقنية للتضليل وتنقيحها على الأنشطة الثقافية الأخرى، وتجتذب وسائل الإعلام طبقا لمبادئ السوق أذكى المواهب لأنها تقدم أعلى الحوافز وهكذا ينتهي الأمر بالدارسين الموهوبين من حاملي أعلى الشهادات العلمية والأكاديمية إلى العمل في الإعلانات والإعلام، . . والتضليل. تتم السيطرة على أجهزة المعلومات وفق قاعدة بسيطة من قواعد السوق فامتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها شأنه شأن الملكية الأخرى متاح لمن يملكون رأس المال والنتيجة الحتمية لذلك أن تصبح محطات الإذاعة وشبكات التلفزيون والصحف والمجلات وصناعة السينما ودور النشر مملوكة جميعها لمجموعة من المؤسسات المشتركة والتكتلات الإعلامية ويصبح الجهاز الإعلامي جاهزا للاضطلاع بدور فعال وحاسم في عملية التضليل. وتحت غطاء حماية الملكية الخاصة وحراسة رفاهية الفرد وحقوقه يتم تشييد هيكل كامل من التضليل الإعلامي فهذه الشركات العملاقة من الاحتكار الإعلامي تسوق على أنها مثال للجهد الفردي، ولكي يؤدي التضليل الإعلامي دوره

بفعالية أكبر لا بد من إخفاء شواهد وجوده. أي أن التضليل يكون ناجحا عندما يشعر المضللون بأن الأشياء هي على ما هي عليه من الوجهة الطبيعية والحتمية، أو بعبارة أخرى إن التضليل الإعلامي يقتضي واقعا زائفا هو الإنكار المستمر لوجوده أصلا، فقد شاركت وسائل الإعلام على اختلافها في الترويج لأسطورة المباحث الفيدرالية بوصفها وكالة لا سياسية عالية الكفاءة لتنفيذ القانون، ولكن جهاز المباحث استخدم في الواقع في إرهاب وتطويق أي سخط اجتماعي. ويبرر المسيطرون على وسائل الإعلام ما تحفل به برامج التلفزيون من جرائم قتل تعرض كل يوم بالعشرات بالقول إنهم يقدمون للناس ما يحبونه ثم يقولون بلا مبالاة: إن الطبيعة الإنسانية تتطلب للأسف ثماني عشرة ساعة من الإيذاء والقتل. ويبدو في الظاهر ثمة تنوع كبير في البث الإعلامي مستمد من العدد الكبير للصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون ولكن النتيجة كما لو كان ثمة مصدر واحد، فالمادة الترفيهية والأخبار والمعلومات العامة والتوجهات والأفكار يجري انتقاؤها جميعا من الإطار المرجعي الإعلامي نفسه من جانب "حراس" للبوابة الإعلامية تحركهم دواع تجارية لا يمكن التخلي عنها. وقد يختلف الإسلوب والتعبير المجازي لكن الجوهر واحد، فقد تبين أن من بين الأساطير الشائعة عن التلفزيون الأمريكي أنه يعمل بوصفة ديمقراطية ثقافية تستجيب كلية لإرادة أغلبية المشاهدين فيما يتعلق باستمرار برامج معينة واختفاء أخرى، والأدق أن يقال أنه يمثل رغبة واتجاه المعلنين وأن المصمم الحقيقي للبرامج هو صناع المواد الغذائية والأدوات المنزلية ومستحضرات التجميل والسيارات والأدوية، والواقع أن برامج كثيرة اختفت برغم شعبيتها والإقبال عليها لأنها لم تجذب اهتمام المعلنين. وبرغم ذلك فإن شرط التعددية اتصالية هذا والخالي تماما من أي تنوع حقيقي هو الذي يوفر أسباب القوة للنظام السائد لتعليب الوعي فالفيض الإعلامي المتدفق عبر العديد من القنوات يخلق الثقة ويضفي المصداقية على فكرة الاختيار الإعلامي الحر في الوقت الذي يتمثل فيه تأثيره الأساسي في توفير الدعم المستمر للوضع القائم في حين يعتقد المشاهد والمستمع والقارئ أنه في جو تلقائي من الحرية والتعددية وتختفي الحقيقة فأجهزة الإعلام لا تلفت أنظار جمهورها لإسلوب عملها. وعند وقوع أزمة فعلية أو كاذبة أو مفتعلة ينشأ جو هستيري محموم بعيد تماما عن المعقولية ويؤدي إلى الإحساس الزائف بالطابع الملح للأزمة المترتب على الإصرار على فورية المتابعة يؤدي إلى النفخ في أهمية الموضوع. ومن ثم تكون الخطوة التالية هي إفراغه من أهميته ونتيجة لذلك تضعف قدرة الجمهور على التمييز بين درجات الأهمية فالإعلان متلاحق السرعة عن تحطم

طائـرة وعـن هجـوم إرهابـي وعن جريمة ما واختلاس وعن إضراب وعن موجة الحر أو الـبرد يـتحول العقـل إلى غربال تصب فيه التصريحات والإعلانات أقلها مهم وأكثرها لا أهمـية لـه . وبـدلا مـن أن يـساعد الإعلام في تركيز الإدراك وبلورة المعنى نجده يسفر عن الإقرار الضمني (اللاشعوري) بعدم القدرة على التعامل مع موجات الأحداث المتلاحقة الـتي تطـرق بإلحـاح علـى وعـي الـناس فيـتعين عليه دفاعا عن النفس أن يخفض درجة حـساسيته واهـتمامه ، فتكنولوجـيا الاتـصال باسـتخداماتها الحالية تروج لتوجهات بلا تـاريخ فـيه تـوجهات مـضادة للمعـرفة . وهكـذا يبقـى الجمهور في دوامة من الأحداث والـتدفق والإغـداق ولا يجـد فـسحة للتأمل والتفكير والتحليل ويقدم إليه الوعي جاهزا ولكـنه وعي مبرمج ومعد مسبقا باتجاه واحد مرسوم . وعندما يجد البعض فرصة للتساؤل والـشك فـإنهم يـتحولون إلى أقلـية تفكـر عكـس التـيار وتخالف المجموع العام ويبدون مغفلين ومجانين ولا يفهمون ، وقد يضطرون (وهذا ما يحدث غالبا) إلى إخفاء تساؤلاتهم وقناعـتهم وهاتـف ضـميرهم ويتظاهـرون بأنهم مثل كل الناس ويقتلون بالتدريج ملكة التساؤل والضمير المزعج أو يقبلون على مضض ويمارسون سرا متعة اللوم والتأنيب كأنما يهربون من أنفسهم أو يكفرون عن ذنوبهم .ـ

المحور الثانى

الرأي العام العربي

الفوارق الفكرية بين العرب والأمريكان من نتائج الحرب

استضافت جامعة جورج واشنطن في العاصمة واشنطن ندوة شارك فيها مجموعة من الخبراء والمختصين في القضايا الإعلامية والشئون الدولية منهم الدكتور كلوفيس مقصود- رئيس مركز دراسات عالم الجنوب بالجامعة الأمريكية في واشنطن والدكتور جيمس زغبي- رئيس المعهد العربي الأمريكي في واشنطن وأيضا ديفيد تشمبرس David Chambers- وهو خبير أمريكي في الإعلام. وقد ناقشت الندوة كما ينقل تقرير واشنطن: كيف يمكن أن يؤثر الانحياز الإعلامي على علاقات الدول الغربية مع العالم الإسلامي، والوسائل التي يمكن بها معالجة تلك الظاهرة. وتعتبر هذه الندوة الخامسة الذي ترعاها كلية اليوت للعلاقات الدولية The Elliott School of International Affairs بالاشتراك مع منظمة أمريكيون من أجل نشر الديمقراطية Americans for Informed Democracy. حاولت الندوة مناقشة اتهام البعض للإعلام العربي بالضعف في الإشكالية والمضمون، وذلك في ظل انعدام الديمقراطية والغياب النسبي لمختلف عوامل الإبداع. وأشار المشاركون إلى أن تاريخ الإعلام العربي لا يوازي حجم المتغيرات والأحداث التي مرت المنطقة العربية، وما مر به العالم على الصعيدين الثقافي والسياسي. كما أن انشغال الدول العربية بمشاكلها الداخلية والإقليمية، واستخدامها لوسائل الإعلام من أجل تحقيق مصالح سياسية ضيقة أدى إلى ضعف في الضوابط المهنية اللازمة للإعلاميين من أجل تطوير مهاراتهم. وكان نال وليام مدير منظمة امديست Amideastفي واشنطن والباحث في معهد الشرق الأوسط في واشنطن قد تحدث في لقاء له مؤخرا عن صورة الإعلام العربي السلبية، لا في الغرب وحده، ولكن بالنسبة لكثير من المثقفين العرب أنفسهم. ورجح الباحث أن يستمر ذلك طالما ظل هناك غياب في الديمقراطية الحقيقية، ومع استمرار سيطرة كثير من الحكومات على المؤسسات الإعلامية. ويؤكد وليام بعد درسته لتاريخ تطور الإعلام العربي، أن الإعلام العربي تطور في الآونة الأخيرة مقارنة بما كان علية منذ عقد أو عقدين من الزمان. قال جيمس زغبي رئيس المعهد العربي الأمريكي " إن المشاهد الأمريكي كان يعتقد أن سماح وزارة الدفاع بإلحاق مئات من المراسلين بالوحدات

الأمـريكية في العـراق سـيتيح لـه مـتابعة تغطـية حية للمعارك والاشتباكات على الهواء مباشـرة، ولكـن كـل مـا وصـل إلى المـشاهد الأمريكـي اقتـصر على مشاهد لتحركات الـدبابات والعـربات دون أي تفاصـيل" . واتهـم زغبي وسائل الإعلام المختلفة بتضليل الأحـداث والمـداولات بالإضـافة إلى نقـل الأخبار المشوهة والخاطئة . كما انتقد أيضا لما وصـفه بقـيامها بإثارة المشاعر وإشعال الرأي العام بقضايا ثانوية، وتشجيع الكراهية بين الشعوب . وكان قد نشر مؤخراً تقرير لمنظمة "صحفيون بلا حدود" اتهمت فيها القوات الأمـريكية الـبريطانية بعـدم احترام عمل المراسلين الصحفيين المستقلين . كما ذكر زغبي الحاضـرين بمقـتل مراسـل قـناة الجزيرة القطرية في بداية الحرب في العراق (عندما تعرض مكـتب القـناة للقـصف في بغـداد)، وتعرض مكتب قناة أبو ظبي وفندق فلسطين الذي يقـيم بـه الـصحفيون العرب والأجانب للقصف، إضافة إلى إصابة خمسة صحفيين ثلاثة مـنهم يعملون بوكالة رويترز . وعاتب زغبي الإعلام الغربي عموما والأمريكي خصوصا بمخـتلف أقـسامه علـى نقله صورة سلبية وغير منطقية عن العرب والمسلمين . وقال إن الإعلامـيين الغربيين لم يبادروا أنفسهم بتقديم صورة حقيقية وواضحة عن الوجه الحسن للـشعوب العربية والإسلامية المتمثل في التسامح والعادات الحسنة والشخصيات المرموقة في مجتمعاتها، بل إنعكست وجهة نظرهم (أي الأمريكيين) على السلبيات التي تتمثل في الـتخلف والإرهـاب . وأشار زغبي إلى خوف المتخصصين في الإدارة الأمريكية من دور الإعـلام وتـأثيره علـى توجـيه الـرأي العـام . وأكـد عدم معرفة الأمريكيين باهتمامات الـشعوب العـربية وتطلعـاتهم وأيـضا عدم معرفة العرب بالتفكير الأمريكي في المقابل . وأشـار زغبي إلى ظاهرة جديدة ملئت جوانح العرب الأمريكيين بالسرور الذين لم يألفوا أن يعـبأ الإعـلام بهـم، حـيث وجدوا أنفسهم مؤخرا محوراً للحوار في وسائل الإعلام . وكانـت شـبكة "أي بـي سـي ABC" الأمريكية قد قدمت في حلقاتها الشهيرة "قائدة القـوات" Commander in Chief نمـوذجا مثاليا لشاب أمريكي من أصل عربي يعمـل في البـيت الأبـيض . ويعتـبر زغـبي هـذه الصورة الايجابية الوحيدة التي شاهدها الأمـريكيون العـرب مـنذ عقـود طـويلة . وقـد أشـار عـدد مـن الطلاب الأمريكيين أن انطـباعاتهم الأولى عـن العـرب أخـذت مـن وسـائل الإعـلام وأفـلام هوليوود وأخبار التلفـزيون . وفي رد للدكـتور زغـبي على سؤال عن مدى تأثير قناة الجزيرة على الشارع العربي حيث شبه قناة الجزيرة بقناة فاكس نيوز التي تحركها شريحة معينة من الأفراد الذين يتمـتعون بـتأثير علـى معطـيات الأحـداث في المنطقة والعالم . أما الدكتور مقصود فقد

كانت لـه وجهـة نظـر أخـرى حيث شـدد على أهمية التفريق بين مفهوم الإلمام بحقائق الأمـور مـن خـلال توفّـر المعلـومات الـصحيحة مـن مصادرها الموثقة في عصر القنوات الفـضائية والإنترنـت، وبـين القـدرة علـى التحلـيل لـتحويل المعلومات إلى معرفة، أو تحـويلها إلى مـا تملـيه علـيها الحكومات والأنظمة الحاكمة. وحمل مقصود مسئولية انعدام الـشفافية والموضـوعية في الإعـلام علـى المعنيين في المجال الإعلامي وطريقة تغطية بعض المراسـلين وبعـض المعلقـين الـذين يـتخذون مـن الفضائيات منبرا لهم. وقال إن خلط وسـائل الإعـلام بين المقاومة والإرهاب بشكل يوصم المقاومين بالإرهاب، يضر بالعالم العربـي وبـصورة خاصـة العـرب والمـسلمين وبالتالـي يدفـع الجمـيع الـثمن علـى حد تعـبيره. وأشـار الدكتور مقصود إلى الوضع الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية وبـشكل خـاص الـسؤال الـذي شـغل الشارع الأمريكي عن سبب كراهية العرب لهم، وقـال إن العـرب لا يكرهون الأمريكيين ولكنهم غير راضيين عنهم. " وأضاف أن خطر الإرهـاب لـيس مقـصورا علـى الـولايات المتحدة وحدها بل هو خطر على العالم برمته مـشيرا إلى أن الـدول الإسـلامية تعانـي من ظاهرة الإرهاب كذلك. وشدد مقصود على أهمـية الاهـتمام بالتعلـيم الـصحفي والإعلامـي في المؤسـسات العـربية حتـى لا تصبح المؤسسات التعليمية مصدرا لخرّيجين لا يملكون القدرة على تحمل المسئولية والوصول إلى المعرفة التي تمكّن الإنسان العربي من المنافسة والقدرة على مجابهة الإعلام الخارجي. كما شـدد علـى ضـرورة تـوفير الحـريات الأساسـية للـشعوب العـربية وإقـرار مبدأ العدالة والـتداول الـسلمي للسلطة وحرية الانتخاب والتنظيم وتبادل الآراء. وأشار إلى صعوبة الفـصل بـين تـوفير الحـريات والديمقراطية وتحقيق التنمية. وأكد على أن مشكلة نقص المعـرفة وكـذلك الحـريات في العـالم العربي أدت إلى تركم السلبيات وهجر العقول. أما ديفـيد تـشمبرس فقـد بـدأ كلمـته بـسؤال عـن الطـريقة التي يتعامل بها الإرهابيون مع الإعـلام. ويرى الخبير الأمريكي أن الإعلام هو السلاح الأكثر خطورة في الحرب الحالية علـى الإرهـاب. وأشـار إلى قـدرة الإرهابـيين على استخدام السلاح الإعلامي لترويج أفكـارهم وتـسجيل عملـياتهم حـسب رأيـه. وأوضح تشمبرس انه إذا ما كان الهدف الرئيـسي لأيـة وسـيلة إعلامية هو إعطاء رأي معين، أو تسويقه بين المواطنين، وذلك بما ينسجم مع توجهات فئة معينة، فإن هذه الوضعية تأخذ منعطفا خطيرا بالنسبة إلى وسائل الإعـلام الكـبيرة ذات الرصيد الجماهيري الضخم بصورة عامة. إذ إن القسم الأكبر من هـذه المؤسـسات يـريد إقـناع الـشعوب بـدلا مـن مـنحها المعطـيات لكي يحكموا عليها

بأنفسهم، وتستلزم عملية الإقناع التركيز على الجوانب التي تخدم مصالح مجموعة ما دون غيرها، وهو ما لا يمنح الفرصة الكافية للأفراد لكي يكونوا آراءهم بحرية وبأنفسهم. كما يعتقد أن هناك مشكلة أساسية في مسألة الدبلوماسية العامة التي لا يمكن فصلها عن السياسة العامة، والمشكلة أن العالم العربي مستهدف بهذه الدبلوماسية وانه من الصعب معرفة ما إذا كان الإعلام الأمريكي يخاطب الأنظمة العربية الحاكمة التي لا تمثل شعوبها لأنها أنظمة غير منتخبة، أم يخاطب هذه الشعوب بصورة مباشرة، وفي نفس الوقت أشار تشمبرس إلى وجود دبلوماسية عامة مضادة يمارسها الإعلام العربي وينقل بها ما يحدث في العراق وفلسطين مما يولد نقيضا بين الإعلاميين. وأكد تشمبرس على تأثير الإعلام في تحديد خريطة الدبلوماسية العامة والعلاقات الخارجية للدول علاوة على تعامل الحكومات مع شعوبها.

المقاطعة العربية للمنتجات الأمريكية لم تكن نتاجا للحرب فقط بل لإعلام مضاد للإعلام الأمريكي

إن أحد العوامل التي تدفع الاقتصاد الأمريكي للتراجع هو غضب المستهلكين الأجانب بسبب حرب/ احتلال العراق. ولا يقتصر الأمر على الكثيرين من الـ ١,٥ بليون مستهلك في العالم الإسلامي ممن قرروا الامتناع عن شراء المنتجات الأمريكية، بل أيضا الكثير من المستهلكين في العالم.. من فرنسا إلى البرازيل وإلى كندا والهند..
هل تتذكر مظاهرات الملايين من الغاضبين في العالم ممن نزلوا للشوارع مطالبين بوش الامتناع عن غزو العراق؟

عندما يلجأ الأجانب إلى التوقف عن شراء المنتجات الأمريكية عندئذ يتجه الميزان التجاري الأمريكي نحو الأسوأ. وهذا يُترجم في تسريح العمال، غلق المصانع، تخفيض الإنفاق الاستهلاكي. يذكر مكتب الإحصاء السكاني Census Bureau أن عجز الميزان التجاري للسلع والخدمات في الولايات المتحدة ارتفع إلى ٦٣ بليون دولار في أكتوبر.. وهذا أحد عناصر تراجع الاقتصاد الأمريكي يُفيد تقرير لوكالة رويترز في يوليو الماضي: لا زالت لدى الأجانب رغبة قوية لشراء السلع والخدمات الأمريكية، " ولاحظت الوكالة أن الشركات الأمريكية المتعددة الجنسية سجّلت أرباحاً قياسية. لكن هذه الأرباح كانت ستتصاعد لو لم يكن هناك مزاج ضد الحرب.

بمتابعة استقصاء الرأي العام في يوليو الماضي "لوحظ تصاعد المعارضة العربية / العداء ضد أمريكا منذ العام ٢٠٠٢ وأن هذا الإحساس/ الموقف المضاد زاد عمقاً ضد أمريكا

هذا العام، " وحسب تقرير رويترز "انخفض التصنيف التقديري/ التعاطف favorable rating تجاه أمريكا في ٢٦ من مجموع ٣٣ بلداً توفرت إمكانات هذه الدراسة فيها، مع وجهة نظر سلبية حادة تجاه أمريكا، بخاصة في الشرق الأوسط. " وحسب اقتباس رويترز من Joseph Quinlan- مؤسسة بنك أمريكا. "قلّما كانت المعارضة/ العداء تجاه أمريكا بهذا القدر الذي ظهر منذ السنوات الخمسة الأخيرة. دفعت هذه الظروف المستجدة الكثيرين،

ونحن معهم، لإظهار قلقنا من احتمال مقاطعة boycott أو بروز حركة ارتجاعية backlash ضد السلع والخدمات الأمريكية. "

حالما بدأ بوش بالغزو، انفجرت سلسلة عارمة مستمرة من مقاومة المنتجات الأمريكية وعلى مستوى العالم: تصاعدت موجة المحتجين لمقاطعة شركة الكوكا كولا في , البلدان العربية والشرق الأوسط، حتى على مستوى العالم قررت عشرة مطاعم في هامبورغ/ ألمانيا تحريم التعامل مع الأغذية الأمريكية، سكاير مالبورو الأمريكية، والبطاقات البنكية الأمريكية

، حسب تقرير USA Today.

في استقصاء للرأي العام من قبل في منطقة الباسفيك الآسيوي، تبين أن واحداً من كل أربعة من المبحوثين امتنعوا عن شراء المنتجات الأمريكية.

* بعد الغزو/ الهجوم مباشرة، طالب أعضاء في البرلمان الهندي بمقاطعة الهند فوراً للمنتجات الأمريكية، وبخاصة مقاطعة شاملة للكوكا كولا والبيبسي، مكدونالد، علاوة على مقاطعة بعض المنتجات البريطانية. وكذا الحال في مدن باكستانية عديدة. كما وأصدرت المجموعات الدينية قراراتها/ فتاواها بالدعوة لمقاطعة مستمرة، حسب تقرير The Nation Magazin.

* في ٢٥ مارس العام ٢٠٠٣، ذكر تقرير لرويترز: "يظهر أن الغضب الرافض للمنتجات الأمريكية في تصاعد. المتظاهرون في باريس حطّموا نوافذ مكدونالد، مما أُجبرت قوة مكافحة الشغب على التدخل. ألصق المهاجمون منشورات بالمقاطعة. . "

* مع حلول ديسمبر العام ٢٠٠٤، كتب Jim Lobe في AntiWar.com عن مسح ميداني تم تنفيذه من قبل Global Market Insite- سيتل الأمريكية.
جاء في تقرير حصيلة الدراسة: "إن المنتجات الأمريكية مثل سكاير مارلبورو، مكدونالد، ايكسون موبيل، وAmerican Online هي، بخاصة، في حالة خطرة."
وذكر أن ٢٠٪ من المبحوثين في أوربا وكندا يتجنبون المنتجات الأمريكية احتجاجاً ضد سياساتها.

وحسب About.com الإعلانية- جزء من مؤسسة The New York Times، فقد صدر تقرير يتضمن حصول "تجمعات بشرية في كل من مصر، البحرين، عمان، قطر، السعودية، تونس، المغرب، الجزائر، يدعون إلى مقاطعة كاملة لأي شيء يعود للولايات المتحدة."

ذكر John Quelch- هيئة التسويق الدولية: "لم يحدث أبداً في السابق قلق عالمي من السياسة الخارجية الأمريكية وإلى حدود تهديد سلوك المستهلك."
وأضاف بتاريخ ١٧ يوليو العام ٢٠٠٣ في الـIndependent البريطانية "نحن لا نتحدث عن الموقف الضخم المشترك لمجموعة من الطلاب في سياق مقاطعة مؤقتة. بل نُشاهد حصول تغير سريع في موقف المستهلك على مستوى واسع عالمياً باتجاه رفض الرأسمالية الأمريكية، السياسة الخارجية الأمريكية، والمنتجات الأمريكية."

عندما يستطيع هؤلاء القابعون في المؤسسات التنفيذية تشخيص هذه النتائج، فإن جانباً من هذه المؤسسات يمكن أن يتجه نحو شراهة البنتاغون لممارساته العدوانية الغبية ذات الآثار السيئة على بقية المكونات الأمريكية، وليس فقط آثارها السيئة تجاه الحياة البشرية. (وختاماً أليس من المخجل أن يدافع أحرار العالم عن قضيتنا ونحن متخمون بالمنتجات الأمريكية والقادة العرايا يركعون ويرقصون لاستقبال بوش في زيارته الأخيرة!!؟؟)

أعترافات الفشل فى التأثير على الرأى العام العربى

طـوال نحـو أربعـة أعـوام، قـدم المـسؤولون العـسكريون الأمـريكيون الايجـازات للـصحفيين في بغـداد مـن وراء منـصة خـشبية مهيـبة. لكـن الأمر لم يعد كذلك. ففي الأسـبوع الماضـي، اسـترخي الـناطق باسـم القـوات الأمـريكية المـيجور جنـرال ويليام كالـدويل مـع الـصحفيين حـول طاولة صحفية مستديرة. وقد استعاض عن سماعات الـرأس المـزعجة الـتي اسـتخدمها ذات يوم للترجمة العربية بسماعة أذن خفية. واختصر تـصريحه الافتتاحي، مفسحاً المجال لمزيد من النقاش التفاعلي. لكن حتى والعراق يخرج مـن أكثـر الـشهور فـتكاً بالجنود الأمريكيين عام، ٢٠٠٦ فقد حافظ كالدويل على هذره المتفائل الذي لا ينتهي والذي أصبحت إيجازاته تتميز به. وقال كالدويل بفخر: ان الفرق الأساسـي الـذي ستـشهدونه عام ٢٠٠٧ هو ان هذا العام هو حقاً عام التحول والتكيف. عـام آخـر، ورسـالة اخـري، ففي الولايات المتحدة سيتعرض خطاب الرئيس جورج دبلـيو بـوش الذي يطرح فيه إستراتيجيته الجديدة في العراق هذا الأسبوع للتمحيص بحثاً عـن التفاصـيل، الـزيادة المـتوقعة في عـدد الجـنود، اموال إعادة الإعمار، وبرامج ايجاد الوظائـف. لكـن قـدرة بوش على الإقناع قد تكون حرجة بالقدر نفسه. وتظهر مسودة تقريـر كتبـتها أخـيراً مديرة اتصالات الاستراتيجية في سفارة الولايات المتحدة في بغداد، جينجر كروز، وحصلت نيوزويك عليها، الرهان بشكل واضح: دون توافر دعم شعبي لهـا من قبل سكان الولايات المتحدة، هنالك خطر بأن يتم سحب القوات. . وعليه فإن هناك حاجة حيوية ماسة لتوفير الدعم الشعبي عن طريق الرسائل . وتحت عنوان رسائل داخلية تمضي كروز

لتوصـي بــ ١٦ موضوعا يتم تعزيزها لدي الرأي العام الأمريكي. ومن المرجح ان بوش سـيتطرق إلى بعـضها: نجاحـنا أمـر شـديد الأهمـية والحـيوية، نعمل بنشاط على ايجاد مقاربـات جديـدة، ليست هناك ايجابات سريعة أو سهلة. ما يشي بأكثر من ذلك هو ان الرسـائل العـراقية ـ القـسم التالـي مباشرة ـ ما زالت قيد التحديد. وبالفعل فإن الوثيقة تعترف تقريباً بأن الولايات المتحدة خسرت معركة كسب الرأي العام العراقي بالرغم من إنفـاق مئات الملايين من الدولارات: المتمردون، والعناصر الطائفية، وغيرهم يسيطرون علـى الرسـائل علـى المـستوي الـشعبي . أشرطة فيديو لجنود من الولايات المتحدة وهم يتعرضون لإطلاق النار أو يتم تفجيرهم، والأعمال الدموية لفرق الموت الطائفية منتشرة في كـل مكـان الآن. وتلـهم الـصور مجـندين جـدداً، وتـرهب اولـئك الـذين قد يقفون

ضـدهم. وتحـذر المسودة مـن ان السيطرة غير الملائمة على الرسائل تغذي دائرة العنف المتـصاعدة . (يدعـي ناطـق باسـم سفارة الولايات المتحدة ان الوثيقة تمثل مواقف كروز الشخـصية وهـي ليـست سياسة رسمية). أصبح المتمردون السنة بشكل خاص خبراء في اسـتخدام التكنولوجـيا للتأكـيد علـى فعاليتهم، البعض سيقول للمبالغة فيها، وقبل إن يعـود اللفـتانت جنـرال بـيتر كياريلـي، الآمر الأسـبق للقوات الأمريكية في العراق، إلى وطـنه، قـال لنـيوزويك إن العـدو يتقدم بشكل كبير في استخدام وسائل الإعلام . ويتم الآن تـصوير معظـم الهجمـات الكـبيرة ضـد القوات الأمريكية، وغالباً ما يتم ذلك عبر زوايـا تـصوير متعددة، بكاميرات عالية الوضوح والحدة. ويتم توليف الصور ببراعة في أشـرطة سـردية درامـية: صور سريعة لعربات همفي وهي تنفجر أو جنود أمريكيين يتم صـرعهم برصـاص قناصـة تضاف إليها موسيقي دينية ملهمة أو أناشيد، وهو ما يضفي علـيها شـعوراً بالنـصر. ويعـتقد مـسؤولون أمـريكيون أن المتمـردين يهاجمـون القوات الأمريكية في بعض الحالات لتوليد أشرطة جديدة بشكل أساسي. سعي رجال العصابات دائمـاً إلى تكنولوجـيات بديلـة لإضـعاف أعدائهم المسلحين تسليحاً أفضل. وما يختلف الآن هـو قـوة مـثل هـذه الأدوات وسـهولة الحـصول عليها. فأعمال الإنتاج التي كانت تتطلب وجود استوديو في السابق يمكن تجهيزها الآن على كمبيوتر محمول. وتابع أقراص مدمجة تحمل مجموعات من أشرطة الفيديو التي تصور هجمات ضد القوات الأمريكية في أسـواق بغـداد بمبالغ زهيدة تصل إلى ٥٠ سنتاً. وقد جعل التقدم في تكنولوجيا الهواتف الخليوية مثل هذه الأدوات مفيدة بشكل خاص. إذ يسهل تحميل ملفات الفيديو الصغيرة فـيها بـشكل خاص ونشرها، فعملية تصوير شنق صدام حسين لم تحتج إلى أكثر مما يزيد بالكـاد علـى مـيغابايت واحد. ويقول آندرو غارفيلد الخبير البريطاني في مكافحة التمرد الـذي قـدم المـشورة للقـوات الأمـريكية في بغداد: حرفياً، لا تمر إلا ساعات بعد القيام بهجـوم حتـى يتوافـر (الفـيديو). يمكنك بالفعل ان تقول انها على مسافة مكالمة خليوية واحـدة . مـا يفهمـه المتمردون بشكل أفضل من الأمريكيين هو كيفية استهلاك العراقيين للمعلـومات. فأشـرطة قطـع الـرؤوس مخـزنة على الهواتف الخليوية جنباً إلى جنب مع صـور الأطفـال وفـيديو الأعـراس. وتـبث المحطات الفضائية العربية الشعبية كالجزيرة والعـربية صـوراً أكثر تصويرية بكثير مما يرى نموذجاً على شاشات التلفزيون الأمريكية، ممـا يعطـي انطباعاً. كما يقول مسؤولون عسكريون أمريكيون، بأن الولايات المتحدة في وضـع الهـروب، وتتـسم قـناة الـزوراء، الـتي يديـرها البرلمانـي الـسني السابق مشعان

الجبوري الذي هرب إلى سوريا العام الماضي بعد اتهامه بالفساد. بالتطرف. (يقول الجبوري انه يلاحق لأسباب سياسية وإنه يستطيع العودة إلى العراق وقتما يشاء). وتفيض القناة منذ نوفمبر بسلسلة لا تنتهي من أشرطة الفيديو التي تظهر الجنود الأمريكيين وهم يقتلون في هجمات القناصة والعبوات الناسفة المحلية الصنع. وترافق مقتطفات الصور تعليقات، غالباً باللغة الإنجليزية، تحث العراقيين على تركيز غضبكم العارم ضد قوات الاحتلال.

وقد أصبحت الزوراء واحدة من أكثر المحطات شعبية بين السنة، بل حتى بين بعض الشيعة في العراق. ويتباهى الجبوري وهو يقول: تصلني رسائل بريد الكتروني من فتيات من بلدان عربية في العشرينيات من العمر، بعضهن غنيات جداً. ويعرض بعضهن العمل مجاناً، ويعرض البعض الآخر المال. من الناحية الأخري، تقتصر الردود العسكرية الأمريكية عادة على القنوات التقليدية كالبيانات الصحفية. ويمكن لها ان تستغرق ساعات قبل إن تجهز. وغالبا ما تكون قد فقدت قيمتها عند إصدارها. ويشكو اللفتانت كولونيل باري جونسون، مدير العمليات الصحفية العسكرية في بغداد حتى سبتمبر الماضي، من ان جميع المعلومات المتعلقة بالعمل العسكري يجب ان تعالج باتجاه متصاعد عبر سلسلة مرهقة وبيروقراطية من القيادات. ويقول جونسون: إن القوات المسلحة تريد ان تسيطر على البيئة المحيطة بها، لكننا ونحن نحاول (القيام بذلك)، نصبح اكثر بطئاً، وفي أحايين كثيرة فإن القرار الأسهل الذي نتخذه هو عدم الحديث عن الحدث إطلاقاً، ومن ثم فإنك تفقد كلياً قدرتك على صوغ ما يدور. يقول مسؤولون أمريكيون آخرون ان الرسالة نفسها قد تكون مشكلة أكبر من ذلك. إن أشرطة الفيديو التي تبثها الزوراء قوية بالضبط لأنها تؤكد المفاهيم المسبقة التي يملكها العراقيون حول الاحتلال.

ويجادل الكولونيل ويليام دارلي، محرر مجلة ميليتاري ريفيو الواسعة النفوذ في مركز الأسلحة الموحد (كومبايند آرمز سنتر) في ليفينزوورث، بتكساس ان مجرد تغيير المنصات وحده في غرف الإيجاز يضيع الفكرة: بإمكانك ان تطبخ نوعاً ما من حملات الدعاية الماكرة على طراز مدينة نيويورك حول نوع ما من أصابع السكاكر، لكن إذا كان طعم إصبع الحلوى سيئاً فلا يمكنك ان تبيعه. إذا لم تكن هناك كهرباء في العراق، وإذا كانت الرعاية الطبية متفاوتة في نوعيتها، وكان الأمن منعدما، فإننا لن نستطيع النجاح. تبعات خسارة المعركة الدعائية حقيقية. روبرت ستيل، الضابط السابق في استخبارات مشاة البحرية الأمريكية، يقول: إن أي شريط للمتمردين يساوي فرقة من الدبابات.

إن أشـرطة المتمـردين لا تجـذب المجـندين والتـبرعات فحـسب، بـل إنهـا لا تقـدم للعـراقيين العاديين الكثير من الحوافز للتعاون مع الأمريكيين. وتثير أشرطة الفيديو التي تصدرها فرق الموت الطائفية، كتلك التي عرضها معهد سايت للمراقبة على نيوزويك، والـتي يقـوم فـيها رجـال ميليشيا من السنة بنشر رأس سجين شيعي بسكين طولها خمس بوصـات، غـضب المجـتمعات المحلـية المستهدفة، وقد دفع الفيديو الفظيع لعملية شنق صـدام حـسين آلاف الـسنة في محافظـة الأنـبار للاحتجاج، وأعاد سكان الفلوجة، التي كانـت هدفاً لعملية كسب عقول وقلوب كلفت ملايين الدولارات، تسمية الطريق العام الرئيـسي في الـبلدة باسـم شـارع الـشهيد صـدام حـسين. الضرر يتجاوز العراق. ذراع القاعـدة الإعلامـية، السحاب، حسنت بشكل مماثل نوعية وتردد أشرطتها التلفزيونية، وكمـا يقـول مستـشار وزارة الخارجـية الأسـبق فيلـيب زيليكو، فإن المجموعة تستخدم الانترنت لتوفير نوع ما من الهوية الافتراضية الآن بعد ان تم تدمير معسكرات تدريبها في أفغانـستان إلى حـد كـبير. وتـتلخص المسألة في كيفية رد الصاع في عصر تتلاءم فيه أكثر التكنولوجيات جبروتا ـ شبكة الانترنت، الهواتف الخليوية ـ بشكل أفضل مع المنظمات الـصغيرة الـنابهة. ويقـول دونالد شو، استاذ النظرية الإعلامية في جامعة نورث كارولينا بتـشابل هيل الذي كتب عن الاصلاحات لضباط الشؤون العامة العسكرية، إن الزعماء القومـيين كانـوا يـستطيعون الـسيطرة بشكل كامل تقريباً على طريقة صوغ رسائلهم في الثلاثينـيات مـن القـرن الماضي. أما الآن فد فقدت المنصة تأثيرها. وهي رسالة واضحة جداً، على الأقل بالنسبة إلى من وقفوا ذات يوم وراءها.

المحور الثالث

الرأي العام الأمريكي

منهجيا لا بد من سرد سريع للأهداف بغية تقييم ما تحقق و ما لم يتحقق حتى الآن ونتائج " النجاح " و الإخفاق و كلفة تلك النتائج و ذلك من منظور أمريكي بحت وهو المنظور الذى طرحته الإدارة الأمريكية على الشعب الامريكى لتبرير الحرب. و الكلفة لها عدة أبعاد منها تقاس بشكل مادي و مالي و منها معنوية يصعب قياسها بشكل ملحوظ و لكنها باتت في منتهى الوضوح. أما الأهداف للحرب على العراق فهي أولا حسب مزاعم الإدارة نزع سلاح الدمار الشامل و القضاء على معقل أساسي لما تسميه "بالإرهاب". بات واضحا أن هذه المزاعم الملفّقة كشفت عن هزالة مصادر المعلومات وإخفاق الأجهزة الاستخباراتية والأمنية في استكشاف و تقصّي الحقائق مما أصاب تلك الأجهزة في صميم مصداقيتها. أما الهدف الثاني فهو إيجاد نظام موالي للولايات المتحدة يعترف بإسرائيل ويكون نموذجا تقتاد به دول المنطقة. إلاّ أن الحكومة الحالية لا تسيطر إلاّ على جزء من بغداد وحتى هذه السيطرة تكون بالكاد! إذن الهدف السياسي الإستراتيجي المرجو من الحكومة التابعة للولايات المتحدة ما زال بعيدا عن تحقيق النموذج الذي ستقتاد به دول المنطقة. ومن الأهداف التابعة لتلك الرؤية تفتيت المجتمع العراقي ونزع عروبته عبر تغذية النعرة المذهبية و العرقية لتبرير بقاء قوات الاحتلال إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل بسبب وعي الشعب العراقي وقيادات مكوّنات المجتمع العراقي و وطنيته وعراقة ثقافته القومية العربية. أما الهدف الثالث من الحرب على العراق من منظور أمريكي فهو السيطرة المباشرة على منابع النفط العراقية بغية التحكّم بالأسعار و بالتالي التحكم بسياسات الكتل و الدول المنافسة للولايات المتحدة. حتى الآن ما زالت الولايات المتحدة عاجزة عن توفير الحماية لأنابيب النفط مما أدّى إلى تعطيل التصدير بشكل منتظم و الاستفادة من النفط العراقي.

يمكن تحديد أربعة أنواع من كلفة الحرب: أولا هناك الكلفة البشرية ـ ثانيا، هناك الكلفة الأمنية ــ ثالثا، الكلفة الاقتصادية ــ و رابعا، الكلفة الاجتماعية. هذه المجموعة من التكاليف تنعكس بشكل واضح على الخطاب السياسي والإعلامي و خاصة خلال الحملة الانتخابية الرئاسية.

والـتكلفة البـشرية ربما هي الكلفة التي تثير مشاعر المواطن الأمريكي بشكل مباشر . الإحـصاءات في هذا الموضوع متغيّرة بشكل يومي و على تصاعد رغم التعتيم الإعلامي علـيها فمـنذ بدايـة الحـرب في ١٩ آذار\مارس ٢٠٠٣ و حتى ١٦ حزيران\يونيو ٢٠٠٤ سـقط لقوات التحالف ٩٥٢ قتيل منهم ٨٣٦ أمريكي . أن الأرقام المعلنة قد تكون دون الحقـيقة إذ تحـاول القـيادة العـسكرية الأمـريكية إخفـاء الخسائر . و هناك أيضا عدد من القتلـى لـل "المقـاولين" الأمنـيين و أو العـسكريين مـن القطاع الخاص- أي المرتزقة- يتّم التستّر عنهم بسهولة أكبر لأنهم لا يخضعون للمراقبة من قبل السلطات الأمريكية .

الكلفـة الأمنية . جعل الرئيس بوش الحرب على الإرهاب الحجر الزاوية لولايته بعد أحـداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ . و كما ذكرت إن أحد الأهداف للحرب على العـراق كـان و مـازال القـضاء علـى معقـل أساسـي للإرهـاب علـى حـد زعم الإدارة الأمـريكية . و لا يـتردّد الرئيس بوش في تكرار مقولة أن العالم عامة و الولايات المتحدة خاصـة أصـبحا أكثـر آمانًـا من السابق . فما هو واقع الحال؟ تفيد تقارير المعهد الدولي للدراسـات الاسـتراتيجية أن عـدد الملـتحقين بتنظيم القاعدة أصبح ثمانية عشر ألفًا منهم ألـف مقاتـل في العـراق . تجمع كافة الاستطلاعات الرأي على أن الحرب وما حشد لها من ترسانة إعلامية أضّرت بمكانة و مصداقية الولايات المتحدة في العالم .

اسـتطلاعات الـرأي العـام في ثمانـي دول أوروبية و عربية أشارت إلى أن الحرب على العراق قد أساءت إلى الحرب على الإرهاب كما أن ٥٤ في المائة من المستفتين في الولايات المتحدة يعـتقدون أن الحالـة في العـراق و النـتائج المحققـة حتى الآن لا تبرّر الذهاب إلى العـراق و الحـرب علـيه أو حتى البقاء . كما أشار عدد من العسكريّين السابقين بما فيهم القائـد الأسـبق للقـيادة المركزية الوسطى الجنرال انطوني زيني أن الأخطاء التي ارتكبتها الإدارة الأمـريكية هـي فبركة الذرائع المغلوطة و التخلّي عن تحالفاتها التقليدية و الاتكال علـى معلـومات المعارضـة العـراقية المنفية ذي المصداقية المنقوصة و خاصة في عدم إعداد خطّـة لمـا بعـد الحـرب- كـل هذه الأخطاء جعلت الولايات المتحدة أقّل آمانًا . و أخيرا تفـيد التقاريـر الـتي أعدّها الجيش الأمريكي هذه السنة أن ٥٢ في المائة من عناصر الجيش يـشكون من انخفاض معنوياتهم و حوالي ثلاث أرباع يشكون من رداءة القيادة إضافة إلى افتقار المعدات الضرورية لحماية القوات المسلحة .

الكلفـة الاقتصادية . الكلفة الاقتصادية المباشرة تتمحور حول ما تمّ من إنفاق مباشر على الحرب . تتراوح التقديرات والتى لم يستطع الإعلام الامريكى نفسه نفيها بين ١٢٥ مليار دولار و١٣٥ مليار دولار حتى آخر أيلول\سبتمبر ٢٠٠٤ . و يعتقد أن القيمة الفعلية للنفقات هي أقرب إلى ١٤٩ مليار دولار . لكن ماذا تعني كل هذه الأرقام؟ فبالنسبة للمواطن اللبناني توازي تلك الكلفة أكثر من تسعة أضعاف الناتج القومي و إذا لم يكن لهذا الرقم أي دلالة فلنقل أن الكلفة توازي أربعة أضعاف الدين اللبناني! أما بالنسبة للمواطن الأمريكي فهذا المبلغ يعني أن الكلفة تشكّل أكثر من ثلث العجز في الموازنة المقدّر لسنة ٢٠٠٥ ب٤٤٥ مليار دولار .

التأثير على الاقتصاد الأمريكي . الواضح أن الولايات المتحدة تعاني من مشكلة معقدة للغاية . فمن ناحية تمّر الولايات المتحدة بأزمة بطالة هيكلية لم تستطع الإعفاءات الضرائبية من تخفيفها و ذلك بسبب تصدير الوظائف إلى الخارج . أن قضية البطالة تعكس النتيجة الحتمية لتوجهات الاقتصاد الليبرالي الجديد و النمط الفكري السائد عند النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة و التي أعطت الأولوية لتوزيع القيمة المضافة المنتجة لرأس المال و على حساب اليد العاملة وهو الذي انعكس بقوة على الرأى العام الامريكى ولم تستطع الاله الإعلامية السيطرة عليه أو التخفيف من حدته . أما المشكلة الثانية و المباشرة فهي قضية العجز المتفاقم في الموازنة حيث تتوقع الإدارة أن يصل العجز إلى ٤٤٥ مليار دولار عام ٢٠٠٥ . المشكلة الثالثة هي قضية النفط والذى حاول الإعلام الامريكى جعلها غنيمة فى وجهة نظر الرأى العام حيث كان الرهان قبل الحرب أنه بإمكان الولايات المتحدة السيطرة المباشرة على منابع النفط في العراق تمهيدا للسيطرة على سائر المنابع في المنطقة بعد أن استكملت إعادة رسم خريطتها السياسية . إلا أن المقاومة الباسلة استطاعت تعطيل تلك السيطرة عبر ضرب الأنابيب . أن عدم تحقيق برامج الضخّ المتوقعة تلازم مع ازدياد الاستهلاك العالمي مما أدّى إلى ارتفاع ملحوظ بسعر برميل النفط الذي تجاوز ٤٥ دولار . و المصادر النفطية في الولايات المتحدة تتوقع ارتفاع سعر البرميل إلى أكثر من ٥٠ دولار .

الكلفـة الاجتماعـية والتى يدفعها المواطن الامريكى مباشرةوهى الكلفة الحقيقية هي الفرص المهدرة التي كان بإمكان المواطن الأمريكي أن يستفيد منها وهي بمعظمها نفقات ذات الطابع الاجتماعي .

عندما أحرق الراهب البوذي الفيتنامي ثيش كوانغ دك نفسه احتجاجاً على النظام الفيتنامي الجنوبي المدعوم أمريكياً في أحد شوارع سايغون عام ١٩٦٣، انتشرت صورته كالنار في جسده في مختلف وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية. ومنذ ذلك الحين، تحولت وسائل الإعلام الأمريكية أكثر وأكثر إلى غول جشع لاستهلاك وإنتاج الأخبار المثيرة، السطحية منها بالأخص، وذات المغزى أحياناً. . . فالتنافس على السبق الإعلامي بينها يعادل الصراع على المادة الخام القابلة للتحويل في ظل العولمة الإعلامية إلى ما يسميه خبراء الإعلام Info-tainment، أي الترفيه الإخباري، وهو مصطلح مركب من كلمتي معلومات Information وترفيه Entertainment، لوصف نزعة وسائل الإعلام الأمريكية لتحويل الأخبار والأحداث إلى مسلسل ترفيهي يجتذب المشاهدين.

ولعل التنافس التجاري بين وسائل الإعلام المنتشرة بالآلاف العامل الأهم في بروز ظاهرة تسطيح الأحداث وإفراغها من مضمونها لتحويلها إلى إثارة. ولكن في النهاية لا تنفصل وسائل الإعلام عن بنية المجتمع والاقتصاد والسلطة، وبالتالي عن تحيزات ومصالح تلك البنية. وعندما قام مواطن أمريكي اسمه مارك ديفيد ريتشر، ويلقب مالاكاي ريتشر Malachi Ritscher، بحرق نفسه في وسط البلد في ٣/ ١١/ ٢٠٠٦ في مدينة أمريكية كبرى هي مدينة تشيكاغو، أمام نصب فولاذي عملاق يحمل اسم "شعلة الألفية"، احتجاجاً على الحرب على العراق، قبيل الانتخابات النيابية بأيام، تجاهلت وسائل الإعلام الأمريكية ذلك الخبر تماماً، علق كثيرٌ من مناهضي الحرب على العراق بأن ذلك التجاهل الغريب لاحتجاج مالاكاي ريتشر على الحرب كان يسير عكس المصلحة التجارية أو التنافسية لشركات الإعلام الأمريكية، ومع مصالحها السياسية المرتبطة بالنظام الأمريكي. فليس من المعقول أو المنطقي أن تترك مئات وسائل الإعلام الأمريكية المتنافسة على السبق الإخباري قصة احتراق مالاكاي تمر هكذا دون استثمارها، ولو بشكل سطحي، إلى الحد الأقصى! ولم يكن مالاكاي ريتشر من الأقليات مثلاً أو شخصاً غير معروف. بل كان يعتبر من الفئة المحظوظة في الولايات المتحدة، فهو مواطنٌ أبيض، وكان في الثانية والخمسين من عمره عندما أحرق نفسه، وكان معروفاً في مدينة تشيكاغو كعازف لموسيقى الجاز، وكمهندس تسجيلات موسيقية، وكناشط بارز في حركة مناهضة الحرب على العراق. وكان معروفاً لمئات

الـناس على الأقل، وسبق أن اعتقل في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣ يوم بدء الحرب على العراق، ثم مجـدداً في ٢٠٠٥، خلال إحدى التظاهرات ضد الحرب، وقد كسب دعوى قضائية ضد الدولـة بعـد الاحتجاز الثاني باعتباره اعتقالاً غير مشروع وعندما أحرق مالاكاي ريتشر جسده احـتجاجاً على الحرب على العراق والنظام السياسي الذي أنتجها، كما يقول في الرسـالة الأخـيرة التي تركها على موقعه على الإنترنت، فعل ذلك أمام نصب "الشعلة الألفـية" صـبيحة يوم ٣/ ١١/ ٢٠٠٦ في وسط البلد في عز زحمة السير الصباحية. ولكن باسـتثناء خـبر قـصير من بضعة أسطر في الصفحات الداخلية لجريدة تشيكاغو سن-تايمز Chicago Sun-Times يـوم ٤/ ١١/ ٢٠٠٦، يوحـي بأن معتوهاً ما أحرق نفسه في وسـط البلد، فإن وسائل الإعلام الأمريكية الرئيسية تجاهلت الخبر بصورة مثيرة للريبة علـى حـد وصـف أصـدقاء وأنـصار ريتشر، أي بتعبير أوضح، بصورة تكشف التحيز الـسياسي لوسـائل الإعـلام عندما تخرج المعارضة في الشارع عن النص المكتوب من قبل النخبة الحاكمة ومرت أسابيع، وبدا وكأن وسائل الإعلام الأمريكي نجحت بقتل الرسالة الـسياسية لاحـتجاج مالاكـاي ريتشر ضد الحرب على العراق عن طريق تجاهل ما قام به تمامـاً. ولم نـسمع نحن في الوطن العربي عن الحدث، بالرغم من أنه مثل علامة بارزة في تفكك التأييد للحرب في الشارع الأمريكي، حتى قبل استعادة الديموقراطيين للأغلبية في مجلسي النواب والشيوخ.

وشـرع أصدقاء وأنصار ريتشر يخططون لنشاطات في مدينة تشيكاغو رداً على تجاهل وسـائل الإعـلام للاحـتجاج الحـارق ضـد الحـرب صبيحة يوم ٣/ ١١/ ٢٠٠٦وحدثت بالفعـل احـتجاجات في الأسـبوعين الأخيرين من شهر ت٢ نوفمبر على ما يبدو لم تنل قـسطاً كبيراً من الاهتمام الإعلامي أيضاً، سوى أنها نجحت بطرح القضية على المستوى المحلي. ولكن عصرنا هذا هو أيضا عصر الإنترنت، عصر الفضاء الافتراضي المفتوح، وشـبكة الإنترنـت خارجة عن سيطرة القوى المهيمنة في النظام الدولي الجديد أكثر بكثير مـن الفـضائيات. ومـن هـنا انطلقـت حملة شعبية شبه عفوية شبه منظمة على الإنترنت لطرح قضيتين مترابطتين: ١) احتجاج مالاكاي ريتشر وتجاهله من قبل وسائل الإعلام، و٢) الاحتجاج ضد الحرب على العراق.

واشـتعلت معـركة في الفضاء الافتراضي، وبدأ عشرات آلاف الناس يناقشون قضية احـتجاج مالاكـاي ريتـشر ضـد الحـرب علـى العراق، ولم يعد بإمكان وسائل الإعلام

الرئيسية، أو بعضها على الأقل، أن تتجاهل الأمر. ثم بدأت الحملة المضادة، على الإنترنت أيضاً، ضد مالاكاي ريتشر، وبعد شهر تقريباً، أي في ٢/١٢/٢٠٠٦، بدأت تظهر القصة في بعض وسائل الإعلام الرئيسية، ولكن دوماً بسرعة، وبشكل "موضوعي متوازن" على الطريقة الأمريكية، أي بشكل يعطي وزناً متساوياً لمن يقولون أن مالاكاي ريتشر كان "مجنوناً" و"مريض نفسياً" "يعيش وحيداً ولا يعرف أحد ماذا يدور برأسه"، ومن يقولون من أصدقائه أنه كان صديقاً عطوفاً كريماً ومثقفاً وقارئاً جيداً وشخصاً لا حدود لالتزامه السياسي.

المهم أن الزخم الشعبي أعاد طرح قضية مالاكاي، ومعها الموقف من الحرب على العراق، على بساط البحث، ولو بعد حين، وثمة مئات من الرسائل على النت اليوم التي تتناول قضية مالاكاي، وعشرات المناظرات الحامية حوله على المواقع الأمريكية، وقد أقام أنصار مالاكاي ريتشر موقع إنترنت خاص به يحمل عنوان "لقد سمعناك يا مالاكاي"، وتجدونه على الرابط التالي:

وهناك صفحة على موسوعة ويكيبديا، أكبر موسوعة شعبية على الإنترنت، تتضمن قصته والعديد من الروابط المتعلقة بها، ولكنها تتناول احتجاجه من زاوية صحته النفسية أساساً، والتشكيك بها، :

ومن الملفت للنظر أن المناهضين لمالاكاي ريتشر يستغلون شهادة ابنه المشككة بصحة أبيه النفسية، ويبدو أنهم قاموا بنبش وتضخيم تاريخ كل مشاكله الشخصية في محاولة لتشويهه وإفقاده المصداقية، فمرة يتهم أنه تعالج من الإدمان على الكحول عام ١٩٩٠، كبوش الابن من قبله مثلاً، ومرة يتهم بأنه كان على علاقة سيئة مع عائلته فاستعاض عنها بمئات المعارف وعدد من الهوايات والمهارات المتميزة، لتسخيف علاقاته الواسعة ومواهبه المتعددة... على كل حال، حتى في أمريكا، من الغريب أن يتحدث ابنٌ عن أبيه هكذا عند موته. أنصار ريتشر يقولون أنه "شهيد السلام ومعارضة الحرب"، ومناوئوه يقولون أنه "معتوهٌ انتحر"، ولا شك أننا في ثقافتنا العربية الإسلامية لدينا وسائل أخرى، غير حرق الذات، للاحتجاج على الظلم حتى الموت عندما نصمم على الشهادة. ولكن هذا المعارض السياسي، القادم من مجتمع وثقافة أمريكيين، أعطى زخماً قوياً لحركة مناهضة الحرب في بلاده، وقد ترك على موقعه على الإنترنت رسالة طويلة

تـشرح دوافعـه بهـدوء وذكاء وعمق، وبمسحة روحية متسامية غير متشددة، ولا يسمح المجال هنا بترجمتها كاملة:

وكـان ممـا جـاء فيها: "تقولون باسم الله والوطن. . . !! ماذا حدث لبلادي؟! لقد أصبحنا أسوأ من العدو المتخيل ونحن نقتل المدنيين مسمين ذلك ضرراً مصاحباً أو مكملاً ﴿للعملـيات العـسكرية﴾، ونحن نمارس التعذيب، وندوس على حقوق الإنسان داخل وخـارج حـدودنا، ونحـن ننتهك دستورنا عندما يناسبنا ذلك، ونحن نكذب ونسرق يمنةً ويـسرةً، ونحـن أكثر اهتماماً بمتابعة المباريات الرياضية على التلفزيون وبنوع الأنغام التي نضعها على هواتفنا النقالة منا بمستقبل العالم. . . ".

ويـضيف: "أنا أيضا أحب الله والوطن، وأشعر بنداء الواجب، ولكني آمل فقط أن تكون تضحيتي الخاصة أكثر قيمة ﴿عندكم﴾ من تلك الأرواح الشجاعة التي أزهقناها عـندما هاجمنا بلداً عربياً تحت خديعة أسلحة الدمار الشامل. إن تدخلنا حطم ذلك البلد تمامـاً، وزعزع استقرار المنطقة بأسرها، وكل من يدفع الضرائب ﴿منكم﴾ ثمة دماء على يديه".

وفي حكمـة مـا أزمـع القيام به يقول: "كثيرٌ من الناس يرى أنني لا يحق لي أن أختار موعد وطريقة موتي. ولكنني أرى أن المرء لا ينال في عمره إلا ميتةً واحدة، ولذا أريدها أن تكون ميتةً جيدة" . . .

هل أنقذ الإعلام الأمريكي بوش من الرأي العام الداخلي

بيـنما كانـت اتجاهـات الرأي العام تلعب دورا رئيسيا في رسم السياسة الأمريكية تجاه أغلـب القـضايا وفي مقدمـتها الحـرب الدائـرة في العراق التي تحولت إلى حرب استنزاف للأمـريكيين ماديا وبشريا فقد نشرت صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) تقريرا موسعا عـن تـوجهات الـرأي العـام الأمريكـي بـشأن الحـرب. تقول الصحيفة إن تراجع التأييد الـشعبي الأمريكـي للحرب في العراق بدأ بعد أسابيع قليلة من اجتياح القوات الأمريكية للعاصـمة العـراقية بغـداد وتحطيـم تمـثال الـرئيس العراقي الراحل صدام حسين في قلب سـاحة الفـردوس بوسط العاصمة العراقية. ولكن منذ الخريف الماضي بدأ معدل تراجع تأيـيد الأمـريكيين للحـرب التي تخوضها إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش في العراق يتـسارع بـشدة مـع انتشار الشك في إمكانية تحقيق النصر ليشمل ليس فقط الديموقراطيين

والمستقلين في الولايات المتحدة وإنما أيضا الجمهوريين الذين يسيطرون على البيت الأبيض. وبعد أن عانت الأمة الأمريكية من تداعيات تلك الحرب التي اشتعلت منذ أربع سنوات جاء أحدث استطلاعات الرأي ليظهر أن نسبة الذين يشعرون بالأسف بسبب قرار الحرب يتجاوز نسبة الذين يؤيدون القرار بمقدار ١٤ نقطة مئوية. ويقول خبراء استطلاعات الرأي العام أن تسارع وتيرة تراجع تأييد الحرب في العراق ارتبط بتقرير مجموعة دراسة العراق وهي تلك اللجنة غير الحزبية التي شكلتها الإدارة الأمريكية لدراسة الموقف الراهن في العراق والتي انتهت إلى القول بأن عملية تحرير العراق من حكم صدام حسين انتهت إلى ما يشبه الحرب الأهلية وهو ما يعني تلاشي أي أمل تقريبا في تحقيق النصر الأمريكي المنتظر. ويفسر البعض تراجع الدعم الشعبي للحرب في الولايات المتحدة بضعف الإرادة الشعبية الأمريكية وغياب الإصرار والعزيمة عن الشخصية الأمريكية في حين يرى البعض أن سبب التراجع هو فقدان الثقة في إدارة الرئيس بوش نفسها. ويقدم خبراء الرأي العام رغم ذلك صورة دقيقة مشيرين إلى أن الرأي العام يعيد باستمرار تقييم نتائج الحرب في العراق ويرى ما إذا كانت تكلفة مواصلة الحرب أصبحت أعلى مما يمكن أن يتم الحصول عليه من الحرب. حرب أهليةوهذه النتيجة توصلت إليها عضوة في الحزب الجمهوري وتدعى كاثي كاير من هوتشيسون بولاية كانساس الأمريكية وهي خلاصة توصل إليها الكثير من الأمريكيين وتقول: (أعتقد أن حربا أهلية تدور هناك وهذا يجعلني حزينة للغاية). وقد أصبح حوالي ٥٥ في المئة من الجمهوريين في الولايات المتحدة يؤمنون بهذه القناعة وفقا لاستطلاع رأي أجري في يناير الماضي. وتقول جاير التي تحدثت ثلاث مرات عن دعمها لابنتها التي تخدم كطيار لطائرة مروحية في العراق (كنت أكثر إيمانا بأن الحرب صحيحة تماما عندما كانت ابنتي هناك). ولكنها الآن بدأت تعيد حساباتها ولم تعد ترى أن غزو العراق كان قرارا حكيما وهو تغيير تم ببطء شديد وبدون وعي. تقول جاير (كنت اعتقد أن الحرب كانت القرار الصائب لفترة طويلة ولم أكن انظر إلى الأدلة الواضحة على فشلها. فلم أكن أريد أن أتخلى عن الإدارة الأمريكية في هذا الموقف) ولكنه حدث. وتقول السيدة الأمريكية جاير إنه كان لديها بعض التحفظات على الأسباب التي روجتها الإدارة الأمريكية للحرب ولكنها أيدت قرار الرئيس بوش (لأنني كنت أعتقد أنه يعلم أكثر مني). ولكن الديموقراطيين والمستقلين الأمريكيين الذين كانوا يؤيدون الحرب في البداية كانوا أقل ثقة في الرئيس الأمريكي ولذلك فإن تراجع تأييدهم للحرب

كـان أسـرع . انقسام الرأي الأمريكي ولكن جاري جاكوبسون أستاذ العلوم السياسية في جامعـة كاليفورنـيا بـسان دييجو يـرى أن انقـسام الـرأي العام على أساس حزبي بشأن الحـرب في العـراق ساعد الرئيس الأمريكي جورج بوش في وقت من الأوقات لكي يبرر قـراره بـشن الحـرب اعتمادا على هؤلاء الذين يثقون في قيادته . ويضيف جاكوبسون (إن هـناك انقـساما هـائلا علـى أسـس حـزبية بشأن الحرب . وهذا الانقسام أكبر بشأن هذه الحـرب وهـو الأكـبر من نوعه تجاه أي صراع عسكري خاضته أمريكا في وقت سابق منذ الحـرب العالمـية الثانـية) . ويـشكل الجمهوريون حاليا شريحة كبيرة من الأمريكيين الذين يـؤيدون الحـرب وتـبلغ ٤٠ في المـئة مقابل ٥٤ في المئة وفقا لاستطلاع الرأي الذي أجراه مركـز بـيو لدراسـات الرأي العام في واشنطن . وحتى وقت قريب كان دعم الجمهوريين قـويا للحرب في مواجهة دعوات الانسحاب من العراق الصادرة من المستقلين وقطاعات مـن الديموقراطيين . وفي خطابه الأخير طالب الرئيس بوش الأمريكيين بالتحلي بالصبر . وقـال إن مهمـة مـساعدة الحكـومة العراقية في تحقيق أمن العاصمة بغداد سوف تستغرق شـهورا وأن أقـل مـن نـصف قـوة الـدعم الـتي تقـرر إرسالها إلى العراقي قد وصل إلى بغـداد . حماقـة تأيـيد الغـزوومن غـير المحـتمل أن يكون لنداء الرئيس بوش صدى لدى العديـد مـن الأمـريكيين أمـثال كـيث فريـزر الذي تلاشى دعمه لقرار الحرب منذ وقت طـويل . يقول فريزر وهو جندي بحري سابق (لم أكن من المؤيدين بقوة للحرب ربما منذ العـام الأول والآن فأنـا عـندما أنظـر إلى الـوراء أدرك كـم كنت أحمق عندما أيدت قرار الغـزو) . ولم يختر فريزر الرئيس بوش في الانتخابات الماضية ولكنه عشية انطلاق الحرب الأمـريكية ضـد العـراق وجـد نفسه في موقـف المؤيد للحرب على أساس أنها يمكن أن تؤدي إلى إنهاء العديد من المواقف العالقة في المنطقة منذ حرب عاصفة الصحراء أو تحرير الكويت . كما أن العرض الذي قدمه وزير خارجية أمريكا السابق كولن باول أمام الأمم المتحدة الـذي ربـط فـيه بـين صـدام حسين وهجمات ١١ سبتمبر والحديث عن وجود أسـلحة دمـار شـامل لـدى العـراق سـاعد في دعـم مـوقفه المـؤيد للحـرب في ذلـك الـوقت . ويضيف أن (عدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق كان الضربة الأولى لإيمانه بـصواب قـرار الغزو . فما أن تسلل إلى الشك في صحة ادعاءات الإدارة الأمريكية بشأن هـذه الأسـلحة حتـى اتـسعت دائـرة الـشكوك لتشمل أشياء أخرى منها هل كان تنظيم القاعدة مرتبطًا بصدام حسين بالفعل كما زعم كولن باول؟ ونظل تتساءل عما إذا كانت كـل الأشياء التي سمعتها كانت صحيحة؟ محاكمة بوش أيضا أثر فشل الإدارة الأمريكية

في العثور على أي أسلحة دمار شامل بالعراق على فرانك هيلتس وهو شرطي متقاعد. ففي بداية الحرب كان هيلتس يعتقد أن غزو العراق ليس فقط مبررا أخلاقيا وإنما أيضا كان ضروريا من أجل الأمن القومي الأمريكي والحرب ضد الإرهاب. وبعد أن اتضح أنه لا توجد أسلحة دمار شامل في العراق تحول موقف هيلتس وهو غير منتمٍ لأي من الأحزاب الأمريكية وصوت لصالح الرئيس بوش في انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٠ من التأييد الحذر للحرب إلى الدعوة القوية لمحاكمة الرئيس بوش بتهمة خيانة الأمانة وطالب بالكشف عن الأسباب (الحقيقية) للحرب بالإضافة إلى اتهام الإدارة الأمريكية بسوء إدارة الحرب نفسها. وأصبح الرأي لديه أن الإدارة الأمريكية ضللت عن عمد الرأي العام الأمريكي بشأن مزاعم أسلحة الدمار الشامل العراقية. وأدرك الجميع الآن أن هذا التضليل المتعمد كان السبب الرئيسي الذي دفع حوالي ٥٤ في المئة من مؤيدي الحرب منذ أربع سنوات إلى تأييدها وفقا لاستطلاع الرأي الذي أجرته شبكة سي إن إن ومركز أبحاث الرأي العام منذ أسابيع قليلة. ويقول هيلتس إن الحرب الدائرة في العراق (لم تعد حربنا بعد الآن) وإنما هي حرب أهلية عراقية عراقية. وطوال السنوات الأربع الماضية ظلت الأنباء الجيدة القادمة من العراق تعمل على زيادة التأييد الشعبي الأمريكي للحرب وإن كان بصورة مؤقتة. فمثلا اعتقال الرئيس الراحل صدام حسين ساعد في زيادة الدعم الشعبي ثم الانتخابات العامة العراقية ومقتل زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي. يقول المحللون إن هذا التحسن في مؤشرات الدعم الشعبي للحرب بعد كل إنجاز أمريكي يشير إلى أن الرأي العام الأمريكي يعيد باستمرار تقييم الموقف في العراق على أساس التكلفة والعائد. فعندما أجريت الانتخابات العراقية الأولى وتجاوز حجم التصويت والمشاركة التوقعات شعر الأمريكيون بالتفاؤل بشأن احتمالات قيام حياة ديموقراطية في العراق وهو ما تحول إلى تحسن في مؤشرات الدعم الشعبي للحرب في العراق.

تكلفة الحرب: يقول كريستوفر جلبي الأستاذ في جامعة ديوك الأمريكية والذي يدرس الرأي العام الأمريكي واستخدام القوة إن التفاؤل بشأن تحقيق تقدم يلعب دورا رئيسيا في حساب الرأي العام لتكلفة الحرب والعائد من ورائها. ويضيف: (يزداد القلق بشأن تكلفة الحرب عندما يكون التقدم الذي يتحقق بسيطا ولكن القلق بشأن التكلفة يصبح أقل عندما يكون هناك تقدم ملموس. . ولكن المشكلة أن عدد الأحداث الجيدة كان قليلا جدا وجاءت في ظل تدهور مستمر في الموقف الأمريكي على الأرض

بالعـراق). وحتـى وقـت قريب لـم يكن لسيل الأنباء السيئة القادمة من الحرب في العراق تـأثير كـبير علـى هؤلاء المؤمنين حقا بالحرب. ويتابع جلبي: (هؤلاء الذين يعتقدون أن الحـرب فكـرة جيدة لديهم نظرة أشد تفاؤلا بشأن التقدم الذي يتحقق أكثر مما هو حادث علـى الأرض بالفعـل . . هـذا الـتفاؤل بـين الجمهـوريين أنفسهم بدأ يتراجع بشدة منذ سـبتمبر الماضي). فقد تراجعت نسبة الأمريكيين الجمهوريين الذين يرون أن الحرب تسير علـى مـا يرام من ٧٧٪ إلى ٥١ ٪ خلال العام الماضي وفقا لاستطلاع مركز بيو لدراسات الـرأي العـام. ووفقا لنموذج جلبي لدراسات الرأي العام فإن تراجع تفاؤل الجمهوريين يـشير كـم المـشكلات الـتي تـواجهها الإدارة الأمـريكية بـشأن مستويات دعم الجرب في المستقبل. ولكـن الـبعض يـرى أن تأثير تلك الأنباء السارة يكون محدودا جدا وأن تزايد حجـم الخـسائر البـشرية في صـفوف القـوات الأمريكية بالعراق يلعب الدور الحاسم في تحديـد اتجاهـات الرأي العام بشأن الحرب. ولكن البيت الأبيض ينظر بقليل من الارتياح إلى هذه الرؤية لأن التاريخ الأمريكي يقول إن الدعم الشعبي للحرب يتراجع كلما ارتفع حجـم الخـسائر البشرية. مسارات متشابهةوالحقيقة أن اتجاهات الرأي العام بشأن الحرب في العراق وحرب فيتنام وقبلهما الحرب الكورية تسير في مسارات متشابهة على حد قول جـون موللـر مؤلف كتاب (الحرب والرؤساء والرأي العام). فرغم أن الحرب في العراق تـشهد عـددا أقـل مـن حـيث الخـسائر البشرية مقارنة بالحربين السابقتين فإن التراجع في التأيـيد الـشعبي لهـا يـسير بنفس وتيرة التراجع في الحربين السابقتين. ويفسر موللر هذا التـناقض بالقول إن هذا يعني أن الرأي العام الأمريكي يعتبر الحرب في العراق أقل أهمية مـن الحـرب في فيتـنام والحرب الكورية ولذلك يبدي قدرا أقل من التسامح تجاه الخسائر الـتي يتكـبدها الشعب الأمريكي. ولكن القلة التي مازالت تؤمن بقوة بالحرب في العراق مازالـوا يرون لها معنى أعمق. ومن هؤلاء سائق الشاحنة بريان جرين من ولاية فلوريدا الـذي صـوت لصالح الرئيس بوش في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠ و٢٠٠٤ ومازال يـؤيد جهـوده في الحـرب ضد الإرهاب وهي الإطار الأشمل الذي ينظر من خلاله جرين إلى حـرب العـراق أيـضا. يأمـل جـرين في نجـاح مهمـة الرئيس بوش في العراق وتحقيق الاسـتقرار هـناك وسـحب الجزء الأكبر من القوات الأمريكية في العراق بعد ذلك. وهو يقـول إنه مازال يؤمن بأن قرار الحرب كان قرارا صائبا تماما. وأكثر من يثير حماس جرين لـدعم الحـرب هـو ذلـك الإصـرار الذي يتحلى به الرئيس بوش من أجل اتمام مهمته في

العراق. ويقول جرين (إن الناس تنسى خطورة الأمر . . واليوم أصبحت المسألة مرتبطة بالشعبية بين هؤلاء الذين يكرهون بوش أكثر وهذا النوع المقزز من السياسيين).

الرؤية التسويقية بين جورج بوش عن الحرب وبين رؤية الجنود العالقين في العراق

المقارنـة بـين الـرؤية التـسويقية للرئيس الأمريكي جورج بوش عن الحرب الأمريكية علـى العـراق، وبـين رؤيـة الجنود الأمريكيين العالقين في حرب لا تبدو لها نهاية، تقدم فكـرة واضـحة عـن حجـم الهـوة بين الطرفين، وهذه الهوة مرشحة للاتساع في الشهور المقبلة، لتضيف معول هدم جديد في السياسة الخارجية الأمريكية القائمة على التوسع.

وبين أيدينا مقالان مترجمان، يعرض أولهما نظرة نقدية لرؤية بوش عن تلك الحرب، والثاني عبارة عن رسالة كتبها جندي أمريكي ونشرتها الجارديان، يكشف فيها مشاعره، ومشاعر زملائه من حرب العراق.

المقال الأول: كم هو كبير الفرق الذي يمكن أن تعنيه شهور قلائل!

«في نهاية شهر أبريل ٢٠٠٣م، أي قبل شهور، وقف دونالد رامسفيلد مزهوًا في مقرّ الكولونيل تومي فرانكس في قطر، يقارن النصر الأمريكي في العراق بسقوط جدار برلين وبتحرير باريس.

لقد كان سقوط جدار برلين بمثابة الإعلان عن نهاية الحرب الباردة وتوحيد الشرق مع الغـرب، وفي المـثال الآخر قام سكان باريس فعليًا بالترحيب بقوات التحالف كمحررين من وطأة النازيين في الحرب العالمية الثانية. ولكن في كلتا الحالتين لم يكن ضروريًا الإبقاء علـى قـوات أمـريكية كقـوات احتلال، وفي كلتا الحالتين لم يكن هناك نفط محط أطماع حكومة الولايات المتحدة!

وبيـنما كان رامسفيلد معتزًا بتفوق الجيش الأمريكي جعجع متفاخرًا: «لم يسبق أبدًا أن وجـد هـذا العـدد الكـبير من المخطئين بهذا الشكل الكبير بشأن هذا العدد الكبير من الأمور» وكان على الأرجح يشير إلى «العدد الكبير» من المشككين في الأساليب العسكرية الأمـريكية المـستخدمة في الحـرب، وليس إلى أولئك الذين يعتقدون بأن هذه الحرب غير خلقـية، وغير شرعية، وغير ضرورية، وكان قاصدًا بتصريحاته إلى العالم أنه كان مصيبًا منذ البداية!

بعـدها بأيـام قلائـل، ظهـر جـورج بـوش منتشيًا، بزي طيّار مقاتل، بعد نقله جوًا لمسافة ثلاثـين مـيلاً تقـريبًا مـن سـاحل كاليفورنـيا إلى ظهـر حاملة الطائرات الأمريكية «أبـراهام ليـنكولن». وأعلـن بوش للقوات المحتشدة على ظهرها بأن العمليات الحربية الكبرى قد انتهت.

وصرح بوش وقتها: «بالأساليب الجديدة وباستخدام الأسلحة متناهية الدقة، التي يمكن عن طريقها أن نحقق أهدافنا العسكرية بدون توجيه العنف ضد المدنيين». ولكنه لم يذكر أن عدد المدنيين الأبرياء الذين قضوا في حرب العراق كان تقريبًا ضعف عدد أولئك الذين ماتوا في ١١ سبتمبر ـ الرقم الحقيقي يتجاوز عشرة آلاف ـ كما لم يذكر الضحايا من أطفال العراق الذين فقدوا أذرعًا وأرجلاً ووالدين نتيجة للحرب، وما سيترتب على ذلك من معاناتهم المستمرة طيلة حياتهم، واستمر مقلّدًا الطيّار المقاتل قائلاً: «وإنه لتقدم كبير عندما يكون لدى المذنب تخوف أكثر بكثير من الحرب مقارنة بالبريء». وكان عليه أن يضيف أن يكون هذا حقيقةً خصوصًا عندما يكون هو وزملاؤه، ولا أحد غيرهم، من يقرّر من هو المذنب ومن هو البريء!

ومع متابعة كاميرات التلفزيون، استمر بوش قائلاً: «إن معركة العراق تعدّ واحداً من الانتصارات في الحرب على الإرهاب والتي ابتدأت في ١١/ ٩/ ٢٠٠٢م، ولا تزال مستمرة».

وبعد مضي أربعة شهور لعل ما يعدّه نصراً هو مسألة تثير الاستفهام، كما يبقى مفقوداً وجود رابط فعلي بين نظام صدّام حسين وبين «إرهابيي ١١ سبتمبر». كما كان مخطئًا أيضا باستنتاجه أن «معركة العراق» كانت نصراً أو أنها قد انتهت.

وفي الوقت الذي يتم تسويق دمية لبوش بزي عسكري في عموم البلاد ﴿تدعيمًا لشعبيته﴾، هناك شبان أمريكيون في قوات الاحتلال يُقتلون يوميًا تقريبًا، في حرب على ما يبدو أنها حرب مستمرة للتحرر من الأمريكيين.

فهناك من يقوم بتفجير وحرق أنابيب النفط، وبتعطيل إمدادات الماء، ومهاجمة عمّال الإغاثة التابعين للأمم المتحدة. بينما تظهر قوات الاحتلال الأمريكية غير قادرة على إيقاف «الإرهابيين الجدد» الذين توالدوا نتيجة هذه الحرب.

وكان رئيس منتسبي الجيش السابق، الكولونيل أريك شينسكي، قد طالب بإرسال قوات احتلال للعراق أكبر بكثير مما تمّ استخدامه، لكن رامسفيلد تجاوزه بحكم رتبته العسكرية الأعلى موقنًا أنه لا حاجة لقوات أكثر. ويظهر الآن بأن شينسكي كان على صواب ورامسفيلد كان على خطأ.

وأسلحة الدمار الشامل التي روجت لها إدارة بوش كي ترعب الشعب الأمريكي وتسوِّغ شن الحرب لم يعثر عليها، على الرغم من أننا كنا قد أخبرنا وقتها بأن ديك تشيني كان يعلم بمكانها تحديداً!

وهكذا وبعد أربعة شهور من تفاخر رامسفيلد وتشبيهه ما حصل بتحرير باريس، وبعد إعلان بوش انتهاء عمليات القتال الرئيسية للحرب، هناك حرب استنزاف مميتة ومستمرة ضد القوات الأمريكية والبريطانية في العراق. وأمريكا أبعد ما تكون عن الترحيب بها كمحرر، بل إنها خلقت لها عداوات أكثر في الشرق الأوسط، كما يبدو أن «الإرهابيين» أضحوا أكبر عدداً وأكثر جرأة.

واستعارة لمقولة رامسفيلد، الذي كان بدوره مستعيراً لمقولة تشرشل، يمكن إعادة صياغتها كما يلي: «لم يسبق أبداً أن وجد هذا العدد القليل من المخططين بهذا الشكل القليل بشأن هذا العدد الكبير من الأمور!» رامسفيلد، وبوش، وتشيني وولفويتز هم زعماء القلّة من المتمردين وقليلي النظر. فلم يكن هناك نصر في العراق، ووفقاً للظروف الحالية فليس هناك نصر محتمل.

ما نحتاجه الآن هو نقاش عام حول كيفية إخراج أنفسنا من الوضع الخطير الذي خلقه هؤلاء الرجال قبل إن نصبح متورطين في حرب نظيرة لحرب فيتنام مع فارق أنها حرب تقودها الأطماع في النفط.

إن نقطة البداية لإنهاء هذا الخطر هي بإيقاظ الشعب الأمريكي بتحقيق شامل ومفتوح من قبَل الكونجرس للنظر في تضليلات إدارة بوش فيما يتعلق بمزاعم أسلحة الدمار الشامل للعراق واستخدامها كحجة لشن الحرب. ولذلك ينبغي على قوات الولايات المتحدة والتحالف التحرك الفوري لتسليم سلطة إدارة العراق إلى الأمم المتحدة، وسيسمح ذلك بتقاسم العبء الأمني في العراق والذي سيمكن بدوره عودة أسرع لقوات الولايات المتحدة الموجودة حاليًا في العراق».

كاتب المقال: ديفيد كريجر، من مؤسسي «مؤسسة سلام العصر النووي» كاليفورنيا ـ الولايات المتحدة، ورئيسها منذ عام ١٩٨٢م. باحث ومحاضر وله مؤلفات عدّة حول مواضيع السلام والسياسة والقانون الدولي وغيرها. وحاصل على جوائز عالمية عديدة في هذا المجال.

المقال الثاني: نحن نتعرض للموت في العراق بدون سبب!

رسالة من جندي أمريكي يخدم في العراق يدعو من خلالها إلى إنهاء احتلال مبنيّ على الأكاذيب صحيفة الجارديان البريطانية، الجمعة، ١٩/ ٩/ ٢٠٠٣م.

«مضت ستة أشهر وأنا مشارك فيما أعتقد بأنه كذبة العصر الكبيرة: عملية حرية العراق!

بعد أحداث ١١سبتمبر المرعبة، وأثناء المعركة في أفغانستان، كان العمل التمهيدي لغزو العراق قيد الإعداد. و «الصدمة والرعب» كانت الكلمات التي استخدمت لوصف استعراض القوة الذي كان العالم سيشاهده عند بدء «عملية حرية العراق». والذي أريد له أن يكون أقرب إلى عرض مثير للقوة العسكرية والتكنولوجيا المتقدمة من ترسانات الجيش الأمريكي والبريطاني.

لكني وكجندي يُعَدّ للمشاركة بدور في غزو العراق، كان لكلمتَي «الصدمة والرعب» صدىً في أعماق نفسي. ومع تهيئنا للمغادرة بدا أن هاتين القوتين العظميين كانتا على وشك كسر نفس تلك القواعد التي يطالبون الآخرين بالتقيّد بها. فقامت الولايات المتحدة وبريطانيا بغزو العراق بدون موافقة الأمم المتحدة، متجاهلين لالتماسات مواطنيهم. «الصدمة والرعب»؟ نعم! هاتان الكلمتان تصفان بصورة سليمة وقع التأثير النفسي والعاطفي على عندما باشرنا بعمل ليس من العدالة في شيء، بل هو من النفاق.

لقد استحكم النفاق منذ اللحظة التي أطلقت فيها الطلقة الأولى فيما سمي بحرب التحرير والحرية هذه. فبعد بث الصور المسجلة لأسرى وقتلى من جنود الولايات المتحدة من قِبَل محطات التلفزيون العربي، توعد القادة الأمريكان والبريطانيون بالانتقام بينما كانوا يوجهون الإهانات الشفوية لشبكات البث تلك لعرضها مثل هذه الصور المؤثرة. لكن ﴿وعلى صعيد مماثل﴾ قامت الحكومة الأمريكية وبعد ساعات فقط من قتل ولدَيْ صدّام حسين بنشر صور مرعبة للأخوين الميتين كي يتفرج عليها العالم أجمع. ومرة أخرى نجد أن السيناريو هو «افعلوا كما نأمر وليس كما نفعل»! نحن وكجنود يخدمون في العراق أُخبرنا بأن غرضنا هو مساعدة شعب العراق بتجهيزهم بما يحتاجونه من مساعدة بصفتنا العسكرية وكذلك من خلال الجهود الإنسانية. ولكن أخبرني أين هي الإنسانية في الحدث الذي كتبت عنه صحيفة الـ (Stars and Stripes)

جريدة القوات المسلحة الأمريكية، والذي يذكر قصة طفلين هرعت بهما والدتهما إلى معسكر أمريكي لطلب العناية الطبية. الطفلان كانا يلعبان عن جهل بذخيرة متفجرات كانا قد عثرا عليها، والذي نتج عنه تعرضهما لحروق شديدة. المقالة في الصحيفة تذكر كيف أنه بعد انتظار دام ساعة كاملة تم رفض تقديم المساعدة الطبية للطفلين من قِبَل طبيبين عسكريين. ووصف أحد الجنود هذه الحادثة بأنها واحدة من «جرائم بشعة» كثيرة ارتكبها جيش الولايات المتحدة كان قد شهدها.

ولعلّي أكون شاكراً؛ لأني لم أكن شخصيًا شاهداً على بشاعات ارتكبت ـ إلاّ إذا كنتم، بالطبع تعتبرون، كما أظن أنا نفسي، أن حرب العراق هذه هي البشاعة بعينها!

وإني أتساءل: ما هو الغرض من وجودنا هنا؟ هل سبب هذا الغزو هو، كما سمعنا مراراً، أسلحة دمار شامل؟ إذا كان كذلك، فأين هي؟ هل قمنا بالغزو للتخلص من زعيم ونظامه؛ لأنهم كانوا على علاقة وثيقة بأسامة بن لادن؟ إذا كان الأمر كذلك، فأين الدليل؟

أم أن الأمر كان لصالح اقتصادنا نحن؟ حيث إن نفط العراق يتمتع بخاصية كون كلفة تكريره هي الأرخص في العالم. وعليه فإن ما يبدو أن هذه حملة صليبية عصرية، ليس من أجل تحرير شعب مضطهد، أو لتخليص العالم من دكتاتور شيطاني مهووس في سعيه للغزو والهيمنة، بل هي حملة من أجل السيطرة على الموارد الطبيعية لشعب آخر. النفط ـ على الأقل بنظري ـ يبدو أنه هو السبب الحقيقي لوجودنا هاهنا.

وهناك حقيقة واحدة، وهي أن هناك أمريكيين يموتون؛ فهناك حوالي ١٠ إلى ١٤ هجوماً يوميًا على جنودنا في العراق. وبينما عدد القتلى آخذ بالازدياد، يبدو أنه ليس هناك نهاية وشيكة في الأفق.

كنت في الماضي أعتقد أنني أخدم في الجيش من أجل مبدأ «التأييد والدفاع عن دستور الولايات المتحدة». أما الآن فلم يعد عندي تصديق بذلك؛ لقد فقدت قناعتي، وكذلك إصراري. لم يعد بمقدوري تسويغ خدمتي العسكرية على أساس ما أعتقد بأنه حقائق غير متكاملة وأكاذيب ملفقة.

مع التقدم بالسنّ تأتي الحكمة ﴿كما هو في المثل الشعبي﴾، ومع بلوغي سن ٣٦ عامًا لم يعد ممكنًا اقتيادي على نحو أعمى للتصديق بدون مساءلة. منذ وصولي، في شهر نوفمبر، إلى ﴿وحدتي العسكرية في﴾ فورت كامبيل في كنتاكي، كنّا نسمع كلامًا حول

نـشر القـوّات للخوض في حرب، وعندما تحول الكلام إلى تحضيرات فعلية، انتاب قلبي الهلـع وازدأدت شـكوكي. ومـنذ ذلـك الحـين لم تتـضاءل شـكوكي؛ بل حصل ذلك لعزيمتي والتزامي!

لقـد أتممـت فـترة خـدمتي تقـريبًا، وكـذلك الحال مع كثير ممّن خدمت معهم. وقد واجهـنا جمـيعًا الموت في العراق بدون سبب ومن غير مسوّغ. كم من جنود أكثر يجب أن يموتـوا مـنّا؟ كـم دمـوع أكثـر يجـب أن تسيل قبل إن يصحو الأمريكيون ويطالبوا بعودة الرجال والنساء ﴿في الجيش الأمريكي﴾ والذين مهمتهم حماية الشعب الأمريكي، وليس حماية مصالح زعيمهم؟». .

احباطات الرأى العام الأمريكي بين إعلام الحرب والإعلام الداخلي

الأخـبار والتقاريـر الـواردة من العراق، والتي تضاءل اهتمام الصحف الأمريكية بها بعـد إجـراء انـتخابات ٣ ينايـر ٢٠٠٥، عـادت لتحـتل مـن جديـد مكـان الصدارة في الـصفحات الأولى، بـسبب التـصاعد الهائـل في حجـم العملـيات المـسلحة التي تنفذها المقاومة ضد قوات الاحتلال، وتزايد المأزق الأمريكي، نتيجة فشل القوات الأمريكية في تحقـيق الحـد الأدنى من الأمن والاستقرار، وتضاعف خسائرها المادية والبشرية، وهو ما أدى إلى تـصاعد حالة الإحباط لدى الرأي العام الأمريكي، وتزايد الضغوط على الإدارة الأمريكية من أجل سحب قواتها من العراق.

تحـت عنوان "الولايات المتحدة نفذ صبرها في العراق"، نشرت صحيفة "يو إس أيه توداي" على صدر صفحتها الأولى نتيجة استفتاء أجرته وشمل عينة ممثلة لكافة قطاعات الشعب العراقي، وكانت الأسئلة تدور بالأساس حول ما يجب على الولايات المتحدة أن تفعلـه إزاء تـصاعد أعمـال العـنف ضـد قـواتها، وقد أكد ٦ ٪ ممن شملهم الاستطلاع ضـرورة إجـراء انـسحاب كلـي أو جزئـي للقـوات الأمـريكية من العراق، فيما اسمته الجريدة بالرؤية الأكثر تشاؤمًا للحرب منذ بدايتها في عام ٢٠٠٣.

أمـا صـحيفة "فيلادلفـيا أنكوايـرر"، فقـد نـشرت في صفحتها الأولى تقريراً بعنوان "القـوات الأمريكية عاجزة عن هزيمة المقاومة العراقية"، أشارت فيه إلى أن معظم القادة العـسكريين الأمريكيين في العراق أصبح لديهم قناعة بأنه ليس بالإمكان التوصل إلى حل عـسكري لأعمال العنف والعمليات العسكرية التي يشنها رجال المقاومة العراقية يومياً،

والـتي أسـفرت خـلال العامين الأخيرين عن مقتل الآلاف من العراقيين، فضلاً عن نحو ١٣ جنديا أمريكيا.

الـصحيفة أبرزت تأكيد نائب الرئيس الأمريكي "ديك تشيني" منذ أسبوعين على أن رجـال المقاومـة العـراقية يلفظـون أنفاسـهم الأخيرة، ثم أعقبته بحديث مع أحد الضباط العـاملين في مجـال تـدريب القـوات العراقية، الذي صرح قائلا: "لن نستطيع أن نقضي على المقاومة العراقية، لأن لديها احتياطيات بشرية بحجم الشعب العراقي، وعندما نقتل واحداً منهم، يخرج علينا ثلاثة يريدون الأخذ بالثأر له".

أمـا صـحيفة "نـيويورك تايمـز"، فقد نشرت تقريراً ملخصه أن عملية تدريب وبناء الجـيش العراقـي الجديـد قـد تستغرق سنوات، مشيرة إلى أن كبار قادة الجيش الأمريكي الـذين توقعـوا مـنذ أربعـة أشـهر قيام الإدارة الأمريكية واشنطن بالبدء في سحب قواتها الـبالغ عـددها ١٤٠ ألف جندي بنهاية هذا العام، يتحدثون الآن عن أن هذا الانسحاب قد يتم في غضون عامين.

وبالتأكيد فإن هذه الرؤية تعد أكثر تفاؤلاً، مقارنة بالتقرير الذي نشرته الصحيفة ذاتها قـبل أيـام بعـنوان "تـدريب القـوات العراقية . . المهمة المستحيلة"، والذي كتبه أنطون شـديد، الـصحفي الأمريكـي الـذي يجيد الـتحدث باللغـة العـربية بطلاقـة، بناء على مقـابلات ميدانـية أجـراها في العراق. التقرير أشار إلى تزايد حالات العصيان المدني بين الجـنود العـراقيين المتلقين لتدريبات على يد القوات الأمريكية، وعدم وجود رغبة لديهم في تولي مهام أمنية نيابة عن القوات الأمريكية، التي فشلت في مواجهة المقاومة العراقية، رغم ما تتمتع به من معدات تكنولوجية حديثة، وأجهزة مخابرات ذات خبرة عالية

أحـد ضـباط الاحتـياط ويدعـى "كينريك كاتو" تحدث ساخراً من تصريحات البيت الأبـيض والبنـتاجون عـن أن قـوات الأمـن العـراقية سـتكون جاهزة قريبا للقضاء على المقاومـة العـراقية، وقـال: "إنـني على يقين من أنهم لن يكونوا جاهزين قبل إن أغادر العـراق، وربمـا أعود مرة أخرى بعد ثلاث أو أربع سنوات، ولا أعتقد أيضا أنهم آنذاك سيكونون جاهزين".

صـحيفة "بوسـتون جلـوب" قالت إن العراق بعد فترة من الإطاحة بصدام حسين، تحـول إلى سـاحة لحـرب عـصابات كلاسيكية. وبالرغم من محاولات القوات الأمريكية لضمان الاستقرار والأمن في المدن والشوارع، وادعائها بقتل أو أسر ما بين ألف إلى ثلاثة

آلاف من رجال المقاومة شهرياً، فإن عدد الهجمات اليومية للمقاومة تضاعف خلال الأربعة أشهر الأخيرة، وأصبحت الولايات المتحدة تفقد نحو ثلاثة من جنودها يوميا.

الصحيفة أشارت أيضا إلى استفتاء أجري في العراق مؤخراً، وكشف أن ٤٥ ٪ من السكان يساندون أعمال المقاومة، في حين عبر ١٥٪ فقط ممن شملهم الاستفتاء عن مساندتهم لقوات الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة. مسئولو الإدارة الأمريكية يخشون من المعلومات التي تشير إلى مساندة بعض أعضاء الحكومة العراقية المنتخبة لرجال المقاومة، وتحولهم إلى مصدر تهديد للوجود الأمريكي في العراق.

وبالتأكيد، فإن هذه التقارير تساهم في ضعف الدعم والمساندة من جانب الشعب الأمريكي للعملية العسكرية الأمريكية بدرجة كبيرة، وتؤثر على اتجاهات الرأي العام، الذي أصبح أكثر من نصفه، وفقاً لاستطلاعات الرأي الأخيرة، يعتقد أن الغزو الأمريكي للعراق لم يجعل الولايات المتحدة أكثر أمنًا، ونحو٤ ٪ من الأمريكيين أصبحوا يشبهون الوضع الحالي في العراق بما حدث في حرب فيتنام.

كان مجلس النواب الأمريكي قد رفض مؤخراً قراراً يتضمن التوصية بسحب القوات الأمريكية من العراق، وذلك بأغلبية ٣عضواً مقابل ١٢٨، ونتيجة التصويت تضمنت تأييد ١٢٢ عضوا من الديمقراطيين (مقابل ٧٧) لخطة الانسحاب، إضافة إلى خمس أعضاء من الجمهوريين، من بينهم ثلاثة كانوا قد ساندوا قرار شن الحرب على العراق.

استطلاعات الرأي كشفت أن توجهات أعضاء الكونجرس بشأن القضية العراقية لا تختلف كثيراً عن توجهات الرأي العام، وأن قرابة ٧٢ ٪ من الديمقراطيين و٦٥ ٪ من المستقلين، إضافة إلى ٤١ ٪ من الجمهوريين عبروا عن تفضيلهم لانسحاب القوات الأمريكية كلياً أو جزئياً من العراق.

الانسحاب الأمريكي لن تكون له تداعيات أسوأ من الوضع الحالي بالنسبة للعراق أو الولايات المتحدة على حد سواء، خاصة في ضوء فشل القوات الأمريكية في السيطرة على الأمور، وتصاعد فاتورة استمرار بقائها في العراق مادياً وبشرياً، وبرحيلها قد تصبح الأجواء أكثر ملاءمة لوقف الأعمال المسلحة، والبدء في عملية بناء الدولة. أما بالنسبة لواشنطن، فإن الانسحاب سيوقف نزيف الخسائر الأمريكية، وسيحفظ لإدارة بوش ما تبقى لها من ماء الوجه أمام العالم، وأمام الرأي العام الأمريكي أيضاً.

المحور الرابع

الرأي العام الدولي

أسلحة الدمار الشامل فى نظرية الخداع حولت الحرب لنتيجة حتمية فى وجه العالم

إرتكـزت الحملة العسكرية لاحتلال العراق في آذار/ مارس ٢٠٠٣ بشكل أساسي إلى حملـة تعبوية إعلامية مُضلِّلة بدعوى امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل، واستمراره في تطويـرِ تلـكَ الـبرامجِ بعـدَ حـرب العام ١٩٩١ . ولقد برهن الباحثان في ورقتهما القيمة كـذب مـبرِّرات حملة الخداع الشامل التي ساقتها الإدارة الأمريكية في تسويق حربها على العـراق واحـتلاله، الأمـر الـذي يقـودنا إلى طـرح مسألة المسؤولية القانونية عن الخسائر المترتِّبة عن شنّ الحرب اللاقانونية على العراق وبشكل خاص مسؤولية شهود الزور .

لقـد بـدأت حملـة الافـتراءات تلـك مـنذ أوائـل التـسعينات، و تم دق طبولها بشدة وتقديمها بدءاً من نهاية آب/ أغسطس ٢٠٠٢ وحتى لحظة الاحتلال، كسبب مُباشر له .ً وسـتبيّن الأيـام أبعاد أذى الدمار الشامل الذي ألمّ بالعراق وشعبه ومؤسساتهً . ويتصّدر قائمـة المـساهمين في هـذه الحملـة الإعلامـية المُـضلِّلة، بالإضـافة إلى الدوائـر المخابراتية الأمـريكية والإنكليـزية والإسـرائيلية، اسمـاء عـراقية و شخـصيات صـحفية أمـريكية سخرّت جُلّ جهدها، وصوّبته باتجاه تزييف الحقيقة وتشويهها .

أحمد الجلبي شخصية من رجالات الحملة الخداعية

رئـيس المؤتمـر الـوطني العراقـي والـذي غـذّى حملـة احـتلال العـراق مـنذ منتصف التـسعينات بـشهادات ملفّقـة مـن قـبل مصادر عراقية عسكرية التجأت إلى منظمته التي ادعـت المعرفة بامتلاكٍ العراقً أسلحَة كيميائية وبيولوجية . و بسبب علاقاته الوطيدة مع أبرز المُحافظين الجُدد الذين قادوا الحملة الإعلامية لاحتلال العراق مثل ولفوفيتز وتشيني و بـيرل، تم تسريب هذه الافتراءات إعلامياً ولفترة تناهز العشر سنوات، ولا سيما عبر جـوديث ميلـر الـصحفية في جـريدة النيويورك تايمزً التي ذهبت بنفسها إلى العراق لمدّ َيد العـون والإرشـاد لقوات الاحتلال في حمّى البحث على أي دليل ماديٍ لمقالاتها العديدة،

دون جـدوى . وعلـى الـرغم مـن الدعم المادي للمؤتمر الوطني من قبل وكالة المخابرات الأمـريكية والـذي وصل إلى حدود مئة مليون دولار ، فإن رئيس المؤتمر لم يجد حرجاً من الاعـتراف مؤخـراً بأنـه لا يكترث بحقيقة عدم صحّة التلفيقات بشأن الأسلحة المزعومة ، والـتي روّجها سابقاً ، ما دام احتلال الأمريكان قد تمّ وأصبح "بطلاً بالخطأ" ، بل أبدى بـشهامة بالغة إستعداده لتحمل تبعات ذلك ، وربما يعني حصّته من عقود الباطن بموجب تبوئه مكانةً في مجلس الحكم .

عمـل في الطاقـة الذرية العراقية منذ عام ١٩٧٢ وحتى غاية العام ١٩٨٩ بعد وتوسّط بعـد هروبه إلى شمال العراق عام ١٩٩٤ أحمد الجلبي لإيوائه تحت مظلة وكالة المخابرات الأمـريكية الـتي رفضت طلبه ، مما دفعه إلى التدريس في ليبيا . ولقد حالفه هروب حسين كامـل إلى الأردن في إعـادة اهـتمام الـوكالة اهـتمامها بأمـره وجلبه إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث عمل مع ديفيد ألبرايت في مؤسسة

Institute for Security and International Security

و صـدر عـن ذلـك باكـورة التقاريـر في الادعـاء والتنويه الباطل باستمرار العراق في تطويـر برنامجه العسكري النووي . ولقد عزله ألبريت من العمل في مؤسسته بعد أن عمل فـيها مـدة سـنتين ، بسبب الشكوك التي ساورته حول مدى دقة معلومات حمزة . (ولكن أبقـى ألـبرايت على نشر سيرة خضر حمزة على صفحة إنترنت مؤسسته أعلاه ليدل "من يهمـه الأمـر" حـول تبجـيل حمـزة لتأريخه الزائف الذي قدمّه عن نفسه ، على حد تعبير ديفيد في مكالمة خاصة) .

بعدها قام حمزة وبالتعاون مع جيف ستاين وهو مسؤول سابق في المخابرات العسكرية الأمـريكية ، بإصدار كتابه "صانع قنبلة صدام" في نهاية العام ١٩٩٩ ، والذي ضخّم فيه بـشكلٍ سافر من دوره في البرنامج النووي العراقي ، و أحجم عن ذكر السبب الحقيقي في إبعاده مِن البرِنامج ومن ثم تقاعده في العام ١٩٨٩ .

بـدأ نجمـه كمحاضـر في الـبروز علـى منصّات المؤسَّسات الأمريكية اليمينية ، وعلى سبيل المثال ، محاضرته في مؤسَّسة Carnegie Endowment Institute في نهاية العـام ٢٠٠٠ حـيث ادعـى في حينها باطلاً بأنه كان مساهماً ، بعد حرب العام ١٩٩١ و حتى هروبه عام ١٩٩٤ (علماً بأنه كان محاضراً في كلية أهلية في بغداد طيلة تلك الفترة) ، في تطويـر مـنظومة التخـصيب الغـازي ، بعـيداً عن أنظار مفتشي الوكالة الدولية للطاقة

الذرية، كما حذّر من أن العراق مستمرٌ في العمل في هذا المجال، ومن الممكن ان يحصل خلال سنتين أو ثلاثة على ما يكفي لصنع نواة القنبلة . وعندما سُئل عن مقترحه لوقف البرنامج النووي العراقي، ركّز حلّه على قيام الإدارة الأمريكية بقلْع العلماء والمهندسين العراقيين من العراق إذ إنهم في صدد إعادة بناء المنشئات النووية وتشغيل منظوماتها . وختم محاضرته بإمكانية تمكّن حصول العراق حينئذ (أي في العام ٢٠٠٠) على السلاح البيولوجي أيضاً .

ثم صاعد حمزة من تهويلاته في مقابلات عديدة باسطاً و مُضخّماً الأطروحات الأمريكية حول علاقة العراق مع القاعدة وبن لادن، وإمكانية توفير العراق للمواد الجرثومية التي نُشرت في أمريكا عقب أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠١، كما ردّد مُجمل إفتراءاته تلك أمامَ لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأمريكي عام ٢٠٠٢، والذي كان في صدد إتخاذ قرار بتخويل الرئيس بوش باحتلال العراق .

وحتى آخر الأيامَ الَتي سبقت احتلال العراق، وفي أحدى المقابلات التلفزيونية، ألح المُراسل على أن يجيب حمزة عن سؤال محدّد : "منذ عدة سنوات وأنت تدّعي بأن العراق على وشك امتلاك السلاح النوويً خلاًل بضعة سنوات . هًل يمتلك العراق السلاح النووي الآن أم لا ؟ " أضطر حمزة إلى الجواب بالنفي، ولكنه سارع وإستدرك وتوعّد : "هل انت مُستعدٌ أن تنتظر سنتين للتأكد من أن العراق لن يمتلك السلاح حينئذ؟ " بمعنى انه بمقدور العراق امتلاك السلاح النووي خلال سنتين فقط ؟!

إلا أنه، وبعد أن رجع إلى العراق على ظهر الدبابات الأمريكية، و مكث هناك طيلة الأشهر العشرة المنصرمة، يرفض حتى الآن الإجابة على تساؤلات الصحافيين حول مزاعمه الباطلة، والتي عكف على بثها طيلة العشرة أعوام المنصرمة . على عكس الشفافية المالية لمكتسبات أحمد الجلبي من حملة الإعلام التضليلية، يُغفل حمزة عن ذكر الراتب المُغري جداً والذي يتقاضاه الآن في بغداد من "مجلس إعادة أعمار وتنمية العراق" التابع إلى المؤسسة التي عمل فيها ديفيد كاي لعقدين من الزمن

خسارة الإعلام الأمريكي عالميا من تداعيات الحملة

" لا حرب من أجل النفط " ، " لا دماء من أجل النفط " . شعاران شقيقان تعاني منهما الإدارة الأمريكية ، التي تعودت على ربح حروبها العسكرية في الميدان الإعلامي قبل ربحها في ميدان الحروب والقتال ، بما يخلق شعوراً متزايدا لديها بأنها قد خسرت إلى حد كبير المعركة الإعلامية ، وهي ترى عشرات الملايين في مختلف قارات المعمورة ينتفضون ضد سياستها التي صارت توصف بالفجاجة واللاأخلاقية ، وتُتهم بأنها إنما تخوض الحروب ، وخاصة حربها المتوقعة ضد العراق من أجل النفط من دون مبالاة بما تسببه الحروب من سفك دماء ومعاناة . ولهذه الأسباب يسعى بعض الكتاب والصحافيين المقربين من الإدارة الأمريكية ، ومن وزارة الدفاع تحديداً ، إلى الدفاع عن السياسة الأمريكية ، ومحاولة تفنيد هذين الشعارين الأكثر رواجًا في العالم اليوم "عبر سيل هائل من الكتابات والندوات " .

عندما استهل الكاتب ماكس بوت ـالعضو البارز في مجلس العلاقات الخارجية الأمريكيـ مقاله الذي نشرته صحيفة "نيويورك تايمز" في الثالث عشر من شباط (فبراير) ٢٠٠٣ ؛ فإنه كان يضع نصب عينيه هدفًا جوهريًّا محدداً ؛ هو تقويض حجة " لا حرب من أجل النفط " . وكأنما حاسته السياسية جعلته يستشعر أن هذا الشعار سيعلو مع مئات الآلاف من اللافتات المرفوعة بعد ذلك بيومين فقط ، في مظاهرات الرفض للحرب التي اجتاحت الكوكب المضطرب . فبعد أن احتشد سبعة ملايين شخص حول العالم ، يوم الخامس عشر من شباط (فبراير) ٢٠٠٣ ، رافعين هذا الشعار اللاذع ، ومصوِّرين سيد البيت الأبيض على هيئات عدة لا تغيب عنها السخرية أو براميل الذهب الأسود ، وكانت الشعارات التي تقرن الحرب والدماء بالنفط قد شاعت في الأصل إبان التحضير لحرب الخليج الثانية ؛ إذ وجدت طريقها بسرعة إلى وعي الرأي العام العالمي ، وباتت لا تخطئها العين في أي من مدن العالم ؛ عبر لافتات وملصقات وشعارات جدارية ، فضلاً عن التحركات المتعاظمة ضد الحرب الأمريكية الجديدة ضد بلد عربي لا يقل مخزونه النفطي عن ١١٢,٥ مليار برميل ، بينما يعتقد أنه ينطوي على كميات هائلة غير مكتشفة على ضوء الشعور المتزايد بأن واشنطن تريد اليوم أن تحصد ما زرعته قبل عقد من الزمان .

فلم يتردد بوت أن يثير هذا التساؤل في مقاله "هل تتوجه أمريكا إلى العراق سعيًا وراء الذهب الأسود، كما تعتقد أغلبية دول أوروبا في أن الجشع هو الدافع وراء رغبتنا الإطاحة بصدام حسين؟".

ويعلق بوت على ذلك بالقول: "إن الاتهام جدير ظاهريًّا بالتصديق؛ لأنّ العراق يملك ثاني أكبر احتياطي معروف للنفط في العالم"، ومقابل هذا الاتهام سعى الكاتب إلى حشد الأدلة العددية التي يرى أنها كفيلة بتقويض الحجة القائلة بوجود أطماع نفطية أمريكية من وراء الحرب المحتملة، ولكن ذلك لم يمنعه من الإقرار بأن "الفائدة الاقتصادية الأخرى المحتملة في العراق هي أن تفوز الشركات الأمريكية بعقود لإخماد الحرائق (في آبار النفط)، وترميم معامل التكرير، والمساعدة في إعادة تشغيل صناعة البترول، كما فعلت في الكويت"، حسب ما يستنتج.

وهو يرى بالتالي أنه "لو كانت عُصبة راسمالية هي التي تشرف على إدارة الحرب لكان عليها أن تتوصل إلى نتيجة، مفادها أنها ليست عملية مربحة"، على حد تعبيره.

وفي محاولة لدفع التهمة عن بلاده، والدفع بالكرة إلى الملعب الآخر، ذهب بوت إلى حد القول بأن "الأوروبيين يلصقون سلوكهم بنا. إنهم يعرفون أن الجشع كثيرًا ما كان في الماضي الدافع لسياساتهم الخارجية".

ورغم كثافة المادة الصحافية الرامية لنزع الأطماع النفطية عن الحرب المحتملة؛ فإن المنابر الإعلامية التي تحفل بالتعليقات التي تأتي في هذا السياق تبدو في تناقض يسهل العثور عليه بقليل من التأمل.

ففي الصفحات السياسية ومساحات الرأي تتزاحم الحجج الرامية لإضفاء الطابع الأخلاقي على الحرب المكروهة من الرأي العام العالمي؛ فيأتي مثلاً تعليق لصحيفة "فايننتشال تايمز" منشور في الثاني والعشرين من شباط (فبراير) تحت عنوان "ليست حربًا من أجل النفط". بينما تغيب مثل هذه التعليقات تمامًا في الصفحات الاقتصادية لصالح ما يوحي بنقيضها. فلقد خصصت الصحيفة في عدد اليوم السابق لذلك ٢١ من شباط (فبراير) صفحة كاملة في إصدارها الألماني عن الاحتياطات النفطية للعراق، وتشير التقارير المنشورة في هذه الصفحة إلى أن "الخبراء يعتقدون بوجود مخزون نفطي هائل لم يُعثر عليه بعدُ غربي العراق"؛ وهو ما سيمثل "منافسة لمناطق الإنتاج الواقعة حول بحر قزوين"، حسب تقديرها.

اقتسام الخسارة.. أمريكيون وبريطانيون

ويستعرض تقرير آخر في "فاينتشال تايمز" الألمانية أبعاد الصراع بين الشركات الدولية متعددة الجنسية على الفوز بعقود التنقيب عن النفط واستخراجه، مشيراً إلى مساعي الأمريكيين والبريطانيين لتعزيز نفوذهم في الحقول النفطية العراقية على حساب الروس والفرنسيين.

ويؤكد التقرير الذي أعدته كورولا هويوس من نيويورك أنه "حتى قبل إن تبدأ حرب ضد العراق تتصارع شركات النفط فيما بينها وراء الكواليس على الخروج بمراكز جيدة قدر الإمكان في مرحلة ما بعد الحرب".

ورغم أن الصمت ما زال سيد الموقف في أوساط عمالقة الصناعة النفطية في العالم؛ فإن الأمر قد لا يبقى على هذا النحو مع اقتراب ساعة الحسم المحتملة. ومن المفاجآت التي ينتظرها المراقبون طبيعة الصراع المقبل بين الشركات الأمريكية والبريطانية على اقتسام الكعكة العراقية في مرحلة ما بعد التغيير المفترض في بلاد الرافدين، والذي قد ينعكس على متانة الاصطفاف البريطاني في المسار الأمريكي.

ولأن المقارنة المفزعة بين الدماء والنفط باتت هاجساً يؤرِّق الساهرين على القضية؛ فإن الانتقادات التي واجهتها السياسة الأمريكية، وكذلك الرئيس الأمريكي جورج بوش تحتاج إلى أعجوبة لتفريغ الشعار ذي الإيقاع الرشيق من محتواه.

ويبدو أن الثقافة الأمريكية نالت حظها من الانتقاد، وذلك في حديث يوهان غالتون ـ النرويجي الباحث في دراسات السلام والحائز على جائزة نوبل البديلة ـ الذي نشرته أسبوعية "فيلت فوخه" السويسرية في عددها ٣٨ الصادر في خريف ٢٠٠٢. إذ يرى غالتون أن "الأمريكيين مقتنعون بأن الرب اختارهم، وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي أرض الميعاد خاصتهم، وأنهم في علو كبير بما يجعل القوانين الطبيعية للإنسانية أو حتى القوانين الدولية لا تسري عليهم إلا فيما يخدم أهدافهم".

ولم يخلُ الأمر من تسرب مشاعر السخط والرسوم الساخرة من الرئيس الأمريكي بوش إلى الصحافة الأوروبية بالتدريج، ودون تحفظات تذكر.

تحالف "الراغبين" ـ تحالف "المضطرين" = ٣٪

وفي وسط هذه الأمواج من الانتقادات بينت دراسة حديثة أعدها أحد مراكز الدراسات السياسية في الولايات المتحدة أن الإدارة الأمريكية تواجه مصاعب جمّة في حشد التأييد اللازم لحربها على العراق. وأشارت إلى أن واشنطن أخفقت حتى الآن في حشد أي تأييد، سواء كان داخليًّا أو خارجيًّا لهذه الحرب.

وحللت الدراسة علاقة الولايات المتحدة مع الدول التي أيدت الحرب على العراق، وباتت معروفة باسم "تحالف الراغبين"؛ حيث بين هذا التحليل أن دعم دول "تحالف الراغبين" للحرب الأمريكية كان نتيجة "الضغوط والمضايقات والرشاوى من قبل واشنطن لهم، أو التهديد المبطن بعمل عسكري أمريكي يعرض مصالح هذه الدول بشكل مباشر للتهديد؛ لدرجة أن الدراسة وصفت التحالف بأنه تحالف المضطرين، الذي يتعارض بشكل مباشر مع قيم الديمقراطية، التي تحاول واشنطن أخذها في الحسبان".

وبعض الدول الأخرى تخشى مضاعفات عدم تعاونها مع القوة العظمى الوحيدة في العالم، والتي هدَّد رئيسها علنًا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ بأن دول العالم عليها أن تقف "إما معنا أو مع الإرهابيين".

ومع أن الإدارة الأمريكية ترفض إصدار قائمة رسمية باسماء هذه الدول؛ فإن التقارير الصحفية تظهر أن هناك ٣٤ دولة مؤيدة لموقف الولايات المتحدة. ويقول المسئولون الأمريكيون: إن هذا يشكل دعمًا متعدد الأطراف بشكل قوي للموقف الأمريكي، لكن من المفيد القول بأن هذه الدول لا تشكل أكثر من ١٠٪ من سكان العالم.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن ٧٥٪ من سكان هذه الدول الأعضاء في "تحالف الراغبين" يعارضون الحرب على العراق؛ فبالإمكان الاستنتاج أن ٣٪ فقط من سكان العالم يؤيدون الحرب. وإذا ما نظر المرء عن قرب إلى لائحة الدول الأعضاء في هذا "التحالف" فإنه يجد أنها جميعًا معرضة للضغوط الأمريكية بشكل كبير، وأنها رضخت بسبب مصالح عسكرية أو مصالح اقتصادية، وفق ما أوردته الدراسة.

وبذلك يتوجب على كتّاب الأعمدة ومعلقي التلفزة والمحاضرين في الندوات العامة أن يستميتوا في محاولة إقناع هذه السيول البشرية التي حملت اللافتات الرافضة للحرب من

أجـل الـنفط بـأن خـروجهم في منتصف شباط (فبراير) إلى الميادين الكبرى لم يكن قراراً صائبًا.

الإعلام الألماني يكشف تزوير تقارير إعلام الحرب الأمريكي

أثـار إعلامـي ألمانـي الكـثير مـن الـشكوك حول مصداقية الأنباء والتقارير التي يبثها الـصحافيون والمراسـلون الأمـريكيون والبريطانيون من ميادين الحرب ضد العراق. فقد لفـت الـصحافي أولاف بـول، الذي يعمل لصالح محطة التلفزة المركزية الألمانية "زد دي إف" انطلاقـاً من قاعدة العديد بقطر، مقر قيادة العمليات الحربية الأمريكية في الخليج؛ الانتـباه إلى افتقار تقارير المراسلين الميدانيين العاملين مع القوات الأمريكية والبريطانية إلى المصداقية.

وحـذر بـول، وهـو مراسل بارز، خلال حديثه اليوم لبرنامج "المجلة الصباحية" في المحطـة الألمانـية، مـن الانسياق وراء ما يبثه عدد من المراسلين الأمريكيين والبريطانيين، محذراً من أنّ "الدعاية الحربية" الأمريكية تجد ضالتها في مثل هذه التقارير الصحافية.

وأوحـى الـصحافي الألمانـي ضـمناً بمـشاعر غبن تسود أوساط الصحافيين والمراسلين بسبب الامتيازات التي أتيحت لعدد من الصحافيين الأمريكيين والبريطانيين، عبر فرص مـرافقة القـوات العسكرية في خطوطها الأمامية المتوغلة في الأراضي العراقية، في ما يبدو بشكل انتقائي.

وألمـح أولاف بـول إلى أنّ هـؤلاء المراسـلين الميدانيين في الجبهة الحربية يقيمون علاقة تعـاون وثـيقة مـع القـوات العـسكرية الأمـريكية، تجعلهم بمثابة أبواق دعائية ضمن آلة الحرب النفسية ضد العراق.

وجـاءت هـذه الإفـادة في الـوقت الـذي تـضاربت فـيه الأنـباء الـتي يبثها المراسلون الميدانـيون، خاصـة العـاملين مـنهم مع محطات تلفزة أمريكية، أو وكالات أنباء غربية، حـول مدى توغل القوات الأمريكية والبريطانية في عمق الأراضي العراقية فجر الجمعة، بينما تبين خطأ بعض الأنباء التي أذيعت عن سقوط مدينة أم قصر خلال ذلك.

في هذه الأثناء أثار مراقبون إعلاميون شكوكاً حول مصداقية تقرير بثته محطة "إم إس إن بي سي" الأمريكية مع بداية اليوم الجمعة. ويتعلق الأمر بتقرير ميداني بثته المحطة من

موقع قالت أنه متقدم في الأراضي العراقية جنوباً، دون أن يظهر في المشهد سوى جنديين أمريكيين يقفان أمام جانب من مدرعة قد تكون عراقية، ولم يظهر ما يحيط بالمدرعة.

وكانت قيادة القوات الأمريكية قد منعت الصحافيين في حرب الخليج الثانية (١٩٩١) من تغطية التطورات الحربية ميدانياً، واكتفت بتزويدهم بمواد إعلامية محدودة ومعدة سلفاً عبر مؤتمرات صحافية يومية كانت تعقدها القيادة العسكرية لـ "عاصفة الصحراء" آنذاك. ودأبت الدعاية الحربية الأمريكية خلال تلك الحرب على بث لقطات فيديو مسجلة تظهر "إصابات دقيقة للقنابل الذكية"، ما كان في حينه تطوراً نوعياً في التغطية الحربية، وهو ما تبين في السنوات اللاحقة أنها مشاهد لم تكن تعكس الواقع الميداني على حقيقته، وأثير الكثير من الجدل حول حقيقتها، خاصة مع حلول حرب كوسوفا (١٩٩٩).

واختارت القوات الأمريكية في الحرب الجارية حالياً السماح لصحافيين، تنتقيهم بعناية فائقة، بمرافقة قواتها العسكرية خلال أعمال التوغل العسكري في الأراضي العراقية، الأمر الذي يمثل تجربة جديدة من جانب الولايات المتحدة في التأثير على الرأي العام خلال تطورات الحرب الضارية، برأي مراقبين إعلاميين.

كيف كره العالم السياسة الأمريكية

لو أردنا أن نستعرض آثار ما خلفته الحملة الأمريكية في العالم بالتفصيل، لما أمكننا استيفاء ذلك بسبب عمق المآسي وكثرتها، وربما يكفي بديلاً عن كل هذا أن نعرف ما هو رأي صناع القرار الأمريكيين أنفسهم من هذه المناورات التي رفعت لواء (مكافحة الإرهاب) شعاراً لها، في حين أنها مارست الإرهاب وجلبت الدمار والخراب والفوضى لكثير من الدول الإسلامية.

في تقرير نشره الكونغرس الأمريكي قبل أيام (عرضت مضمونه وكالة الأنباء الفرنسية ونقلته العربية نت في ٠٧ جمادى ١٤٢٩هـ/ ١١ يونيو ٢٠٠٨)، أكد الخبراء الأمريكيون ما اسموه (انتشار مشاعر مناهضة لأمريكا في العالم بمستويات غير مسبوقة، بسبب الحرب على العراق وكذلك إضفاء صفة (النفاق) على واشنطن فيما يتعلق باحترام قيم الديمقراطية التي تنادي بها).

وقالت لجنة في مجلس النواب: إن الآراء المؤيدة للولايات المتحدة تراجعت بشكل قياسي منذ ٢٠٠٢ خصوصا في الدول الإسلامية وأمريكا اللاتينية. وخلص التقرير إلى أن مسألة المهاجرين ومنح تأشيرات ساهمت في دعم (القناعة المتنامية في العالم الإسلامي بأن الولايات المتحدة استخدمت (الحرب على الإرهاب) ذريعة للقضاء على الإسلام).

هذا التقرير الأمريكي الجديد يكشف نسبياً جزءاً من نتائج السياسة الأمريكية الكارثية التي جرت سيلاً من الفوضى والدمار والخراب للعالم الإسلامي: في أفغانستان والعراق وفلسطين، وغيرها، سببها المعلن هو (مكافحة الإرهاب) وتخليص المنطقة من أسلحة الدمار الشامل، في حين أن كثيراً من المفكرين الأمريكيين أنفسهم يعتبرون تأمين مصادر الطاقة الهاجس الأكبر الذي يؤرق واشنطن ويدفعها إلى التحرك بعنف في كل الاتجاهات.

ونذكّر هنا بتقرير باحثين من جامعة جون هوبكنز الأمريكية حول عدد القتلى في العراق إلى سنة ٢٠٠٦ الذي نشرته مجلة (لانست) الطبية البريطانية أن أكثر من ٦٥٥ ألف عراقي قد قتلوا نتيجة لغزو العراق واحتلاله.

لم يعد أحد من العالم الإسلامي يحب أمريكا، ولا حتى أولئك الذين تغنوا بالديمقراطية التي كانت تعد نموذجها الأرقى سوى من لا يخفى أمرهم ووصفهم، لأن الواقع كشف عن النتائج المؤلمة والدموية التي تقود إليها السياسات الفاشلة المتسترة تحت غطاء الحرية واحترام حقوق الإنسان والديمقراطية، والتي خلفت في سنوات قليلة ملايين القتلى والمشردين ودولا تغرق في التخلف والفوضى والعنف والعبثية.

هذه الحقيقة المؤلمة التي تكشّفت لأمريكا اليوم بعد سنوات الحرب والدمار، وعلى مشارف انتهاء عهدة الرئيس الأمريكي جورج بوش، جعلت زعيم البيت الأبيض نفسه يتحدث بتحسر عن الانطباع الذي لازم ـ وسيلازم ـ فترة حكمه، بوصف أنه (رجل حرب دموي لا رجل سلام).

لقد خسرت أمريكا حرب العقول وحرب النفوس في العالم، لأنها حصدت ما زرعته من ثقافة الكراهية والتمييز العنصري والتفرقة الطائفية وغيرها، ولكن ماذا ربحنا نحن الذين كنا وقود هذا الصراع الدموي ولا نزال؟ فنحن المسلمين موضوع الصراع ومسرحه ووقوده ورماده، ولسنا طرفا فيه.

للوهلة الأولى، يبدو وكأن العالم الإسلامي أصبح قطبا من أقطاب الصراع العالمي الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وذلك بسبب موجة العداء الغربي التي ووجه بها بعد انـدحار المعسكر الشيوعي، في حين أن الواقع يكشف يوما بعد يوم أن المسلمين ليسوا طرفا في هذا الصراع العالمي الجديد بقدر ما هم موضوع ومكان له، بمعنى أنه يُتخاصم عليهم لا معهم، طمعا في ثرواتهم النفطية الكبيرة التي تضمن استقرار المستقبل الصناعي للدول الغنية.

ومن ثمرات هذا الصراع الذي استخدمت فيه كل الوسائل غير المشروعة المُتاحة، أصبح العالم الإسلامي اليوم ـ وأكثر من أي وقت مضى ـ عرضة لانعدام الاستقرار السياسي واحتلال الوضع الاجتماعي وخطر ذوبان الثقافة الأصيلة في ثقافة أمريكا بفعل العولمة ونظام القرية الكونية. كما أنه صار عرضة ـ أكثر من أي وقت سابق ـ إلى تمييز عنصري وديني وثقافي موجه ضده، بل وحتى المواطنون المسلمون في الدول الغربية وقعوا ضحية الأحكام التعسفية والنظرات المسبقة وما صار يُسمى اليوم (إرهاب الإسلام) أو (الإسلاموفوبيا).

بسبب التعسف الإعلامي والحرب الدعائية ضد المسلمين، صار كل مسلم اليوم محل شبهة وشك أينما حل وارتحل، وأصبح بفعل ثقافة الكراهية والحقد وصدام الحضارات عدوا إرهابيا مُدانا إلى حين ثبوت براءته، ولهذا يتعرض المسلمون كل يوم لحملات عدائية قوامها الدعاية الكاذبة التي تهدف إلى تشويه صورتهم والدعوة إلى رفض التعايش معهم والتضييق على مؤسساتهم الدعوية والخيرية بدعوى (مكافحة الإرهاب).

وتحول المسلمون اليوم بسبب وكالات الأنباء العالمية وشركات صنع الأفلام الأمريكية إلى دمويين، المتدين منهم إرهابي وغير المتدين مُجرم سفاح، بمعنى أن غاية الدمار تجمع بينهم، وتختلف العباءات التي تتدثر بها هذه القناعات بين فئة وأخرى.

الجرح الآخر الذي فُتح في عالمنا الإسلامي هو الجرح الطائفي، فالجميع كان يعلم أن الدول الإسلامية تحوي طوائف دينية وعرقية متعددة، سواء داخل الإسلام، أو حتى خارجه في بعض الأحيان.

الطائفية اليوم هي الجرح العميق الذي أحدثته أمريكا في قلب العالم الإسلامي، ولهذا أصبحت كل الدول ـ تقريبا ـ تعاني من هذا الخطر الذي يفتح عليها باب الحروب الأهلية والفتن الداخلية.

فالعـراق كـشف عن هول المأساة وحجمها، وهو الذي تحولت بعض فرق الشيعة فيه إلى ميليـشيات تقـتل على الهوية، وكذا الوضع في أغلب دول الخليج العربي الذي بدأت ريـاح الفتـنة الطائفية تعصف به، وستكون عاقبتها وخيمة لولا ستر الله ولطفه أولا، ثم الحكمـة الـتي ينبغـي أن يـتعامل بها مع الموقف من طرف العلماء والسياسيين والمفكرين وحملة الأقلام ثانيا.

ولهـذا فـإن المعـركة الأولى الـيوم في عالمنا الإسلامي هي محاولة استباق الفتن الطائفية ومعـرفة أمـثل الـسبل للـتعامل مع الخلافات الحاصلة بين الطوائف، من جميع النواحي، لتجـنب الوقـوع فريـسة للتـشرذم والتفـرق والخـلاف الـذي يفتح الباب أمام الفتن التي تعصف بالمجتمعات والشعوب، وتفتح بابا للفوضى الهدامة - لا الخلاقة - التي سعى إلى تسويقها نظام البيت الأبيض الأمريكي.

مصادر الدراسة

١ . حرب العراق . . والقراءة الإعلامية المغلوطة، سردار عبد الله، الشرق الأوسط، الثلاثاء ١٨ جمادى الثانى ١٤٢٨ هـ ٣ يوليو ٢٠٠٧ العدد ١٠٤٤٤

٢ . معالم الحرب الأمريكية على الإعلام المقاوم، على حسين باكير، العرب نيوز

٣ . المسرح الإعلامي للحرب الأمريكية على العراق، إبراهيم غرايبة، الجزيرة ، السبت ٧/ ١/ ١٤٢٩ هـ ـ الموافق١٢/ ١/ ٢٠٠٨ م

٤ . تأثير الإعلام والإعلام المضاد على علاقات الولايات المتحدة مع العالم العربي، شبكة النبأ المعلوماتية ـ الأحد ٣٠/ نيسان/ ٢٠٠٦ ـ ١/ ربيع الثاني/ ١٤٢٧

٥ . التضليل الإعلامي و تداعياته، عماد خدوري، ندوة "احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً" ، مركز دراسات الوحدة العربية، ٨ـ١١ آذار ٢٠٠٤ في بيروت ـ لبنان

٦ . لا دماء من أجل النفط" خسارة أمريكية للحرب الإعلامية، حسام شاكر ، خدمة "قدس برس، ٢٠٠٣/ ٠٣/ ١٨

٧ . مخاطر الحرب على العراق وتداعياتها الأمريكية، محاضرة ، د. زياد الحافظ، شبكة البصرة الجمعة ٢٧ جماد الثاني ١٤٢٥ / ١٣/ ٨/ ٢٠٠٤

٨ . المقاطعة بسبب حرب العراق عامل تراجع للاقتصاد الأمريكي، عبدالوهاب حميد رشيد ، الحوار المتمدن ـ العدد: ٢١٧٢ ـ ٢٠٠٨ / ١ / ٢٦

٩ . بعد أربع سنوات على غزو العراق تآكل الدعم الأمريكي لسياسة بوش، أشرف البربر، مجلة الجزيرة، الثلاثاء ٢٢ ، ١٤٢٨ العدد ٢١٤

١٠ . كيف يسوّق بوش لإنجازاته في العراق بدون كهرباء وصحة وأمن؟!! ، سكوت جونسون، عن نيوزويك العربية

١١ . حرب العراق بين بوش وجنوده ، تيم بريدمور ، صحيفة البيان الإماراتية،

١٢ . أخبار الحرب في العراق تصيب الأمريكيين بالإحباط ، عبدالله صالح، مجلة العصر » تقارير إخبارية ٢٤ـ٦ـ٢٠٠٥

١٣ . لماذا يكره العالم السياسة الأمريكية؟، الجزيرة، ٢٠٠٨ـ٠٨ـ١٩

الفصل الخامس

الإعلام العربي والحرب

سؤال يتردد على ألسنة الجميع في الشارع العربي

هل أصبحت الصحافة والفضائيات العربية الصدى للحملة الإعلامية الأمريكية والبريطانية من خلال ما تنشره وتبثه الصحافة والقنوات الغربية من الحرب النفسية الموجهة إلينا؟

الصحافة المكتوبة والقنوات العربية في أغلب الدول العربية هي بمثابة المرآة التي نعكس من خلالها أعمال الحكومة في شتى المجالات السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

وهذا مما يميز الصحافة في الوطن العربي. بل هو يشكل سمة من أبرز سمات صحافة العالم الثالث التي تختلف عن مثيلاتها في البلدان ذات الأنظمة الديمقراطية.

والصحافة في الدول العربية هي في أغلبها صحف تابعة للحكومات تنطق باسمها وتروج سياستها حتى إذا كانت تمس المصالح القومية والوطنية لم يحدث من قبل ما يحدث الآن في وسائل الإعلام من النزعة العدوانية التي تمارسها هذه الأجهزة والتي تصب لصالح القوى العدوانية للإمبريالية حيث كونت لها قاعدة إعلامية منتشرة حول العالم متكاملة الملامح هدفها الهيمنة الثقافية والسياسية والعسكرية على مقدرات ومستقبل شعوب العالم وخاصة العالم الثالث الذي يسعى إلى التحرر والاستقلال والخروج من دائرة الهدفية الاستعمارية الإمبريالية التي تريد أن تفرض ثقافتها على هذه الشعوب من خلال ما تبثه وتنشره في إعلامها.

تقف اليوم احتكارات الإعلام قريبًا من دائرة البنتاجون والبيت الأبيض وتخضع لها مباشرة وتشترك مع الجهات العسكرية والاقتصادية بحصص النهب الآتية من البلدان النامية.. وتتاجر بمنتجاتها التي تبيع منها بمئات من ملايين الدولارات سنويًا في دول العالم الثالث.

لم يحدث ما يحدث اليوم من تأثير الإعلام على سلوك ونفسية الفرد الذي يتأثر بالطابع التكويني للأثر الإعلامي. حيث يتدخل في تكوين التفكير والسلوك والأخلاق والعادات اليومية.

تقوم وسائل الإعلام الأمريكية بدور رئيسي في التأثير على ثقافات أمم وشعوب العالم الثالث. وإمكاناتها لتطوير شخصيتها الثقافية القومية.

ويمكن قياس عمود هذه التأثيرات من خلال المقارنة. ففي العقد الماضي ارتفعت الأصوات أكثر علواً من السابق في دول أوروبا الغربية. وهي تتحدث عن الأخطار المحدقة بالهوية الثقافية الخاصة بشعوبها من جراء ما تمارسه وسائل الإعلام الأمريكية من تأثيرات تستند على الهيمنة الأمريكية على وسائل الإعلام الأوروبية.

إن الاحتكارات الإعلامية الأمريكية قد أحكمت سيطرتها من خلال ملكية وكالات الأنباء. وما نشاهده اليوم من خلال التهيؤ للحرب ضد العراق من خلال هذه الوكالات والصحف بالأخبار والتحقيقات والتحليلات التي تبث وتنشر من خلال متخصصين في هذا المجال هو غزو فكري وسياسي يكرس هذه السيناريوهات الأمريكية ضد العراق.

وما يردده الإعلام العربي هو صدى لما يبثه الإعلام الأمريكي ويروج له ويسهم في نشر الإحباط لدى المواطن.

إن الحملة الإعلامية الأمريكية ليست منفصلة عن ارتباطها السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي للعلاقة التي تربطها ببعضها.

الوطن العربي يجابه اليوم مشاكل رئيسية كبرى. ينبغي على رجال الإعلام العربي من مثقفين ومفكرين أن يضعوا سياسة جديدة مغايرة للواقع ويصوغوا نظريات من وحي معطيات المجتمع العربي ومتطلباته تستهدف إنعاش عقول الجماهير من جديد.

إن وظيفة الإعلام هي إطلاع الجماهير على الأحداث التي تعنيهم حيث نجد أن هناك هوة عميقة بين الجهتين فالجماهير فقدت الثقة فيما تذيعه نشرات الأخبار. وبدأت تشكك في مصداقيتها. وهي كثيراً ما تستمع إلى محطات معادية أو مأجورة تبث أفكاراً ترضي المستمع العربي الذي فقد الثقة في كل الوسائل الإعلامية.

هنالك علاقة تحكم الأفعال بين الإعلام والحرب. وإن الإعلام بحاجة إلى أن يرتبط نفسه بالوضع العسكري. إذ ليس بإمكان الإعلام مهما كان قوياً أن يحول الإخفاق إلى تفوق أو الهزيمة إلى انتصار.

وللحرب النفسية في الإعلام علاقة مهمة للإيماء لترويج الحدث والإيحاء به وهنا يعرف العالم النفساني الاجتماعي «كيمبال يونج» الدعاية بأنها استخدام مقصود ومخطط للرموز عن طريق الإيحاء وغيره من الوسائل النفسية. يرمي إلى تغيير وتوجيه الآراء والأفكار والقيم والاتجاهات توجيهاً مقصوداً نحو غاية بعينها.

ويقـول الكاتـب الأمريكـي «ولترليـبمان» تعـريف آخر يقول «إن الدعاية هي محاولة التأثير في شخصيات الأفراد والسيطرة على سلوكهم لأغراض تعتبر غير علمية . أو ذات قيمة مشكوك فيها في مجتمع ما في زمن بالذات» .

وإذا كان علماء الدعاية والاجتماع قد دأبوا على تصنيف الدعاية والتفرقة بين أنواعها تجاريـة ودينـية وسياسـية . فـإن الدعايـة السياسية بالذات هي التي تستهدف التأثير على الـرأي العـام . حـيث عرف هذا النوع من الدعاية من قبل ولكنه لم يمارس بشكل علمي إلا في القـرن العـشرين وبعـد أن مهدت لذلك أحداث القرن التاسع عشر وما شهده من تطورات في جميع المجالات .

كـل هذا أسهم في خلق كتل جماهيرية متعطشة للأخبار ويمكن التأثير فيها وحثها على اتخـاذ ردود فعـل معـاكس . وحـيث إنه على السياسة الخارجية أن تحسب حساباتها على أسـاس توتـر أو هدوء الرأي العام . فقد كانت الحروب الحديثة هي التي مهدت الأرض أمـام الدعاية وحيث حلت محل الحروب العسكرية مما أكده «ج . مونرو» في قوله إن قوى الهـدم الكامـنة في العواطـف والأحقـاد الإنـسانية ، يمكـن استخدامها وتدجينها من قبل المختصين شأنها في ذلك شأن المتفجرات المادية الصرفية .

إعلامـنا العربي يدعي قراءته للأحداث الجارية ، بينما الحقيقة هو متخلف عن متابعة الأحـداث . وما تنشره اليوم بعض الصحف يدل على الجهل والغباء في قراءة الأحداث . وحـيث إن التحلـيلات الـسياسية تـدل علـى وجود رفض تام للحرب ، يطالعنا إعلامنا العربـي بأنه يروج لهذه الحرب ويضخم الآلة العسكرية للحرب ضد العراق . وما تنشره مـن صور للبوارج والطائرات والصواريخ ومناشيتات ضخمة . كل ذلك يدل على عجز إعلامنا على تجسيد الحقيقة أمام الرأي العام العربي . والتحيز نحو الإعلام المعادي للعرب الـذي تنـشره هـذه الصحافة والتلفزة الغربية . وبث ما تريد أن تنقله هذه الوسائل للرأي العام الغربي من حرب نفسية وإحباط وفزع من ما تنشره .

وأبـسط تحيـز لإعلامنا العربي عن الحقيقة . عندما يخفي الحقيقة عما قدمه العراق من تـنازلات وإعلانـه بما أثبته المفتشون عن عدم تملك العراق أسلحة الدمار الشامل وغيرها من الأسلحة . ويشكك في مصداقية العراق بهذا الإعلان .

ولكـن نجـد أن إعلامـنا العربـي يركـز على أن العراق يملك ويخفي ويناور ويماطل في تنفـيذ القرارات الدولية ويردد ما تردده الأجهزة الإعلامية الأمريكية ، بل نجد للأسف أن

هـذا الإعـلام يحـرض علـى العـدوان علـى العراق. بتأكيده أن العراق لا يفي بالتزاماته الدولـية. بل يدعم خطاب كولن باول أمام مجلس الأمن والذي أثبتت الحقيقة كذب كل مـا جـاء بـه وكـان تكـذيب بلـيكس أمـام مجلـس الأمـن هو الصفعة القوية له وللإعلام العربي.

ولـذلك من حق المواطن العربي أن يتساءل عن موقف هذا الإعلام ودوره في الترويج للحرب ومساندة الولايات المتحدة فيما تدعيه من أكاذيب.

إن إعلامـنا العربـي أسـهم مـساهمة فعالـة في تـبني السياسة العدوانية الأمريكية ضد العـراق وفلـسطين. ممـا روجـه لهـذه الـسياسة ولـذلك يتحمل المسئولية الكاملة في هذا الوضع المأساوي الذي تعيشه الجماهير العربية في كل مكان.

لقـد هـزم إعلامنا قبل وبعد الحرب.. لأنه إعلام مبني على توابع السلطة التي يروج لـسياستها حتى إذا كانت ضد مصالحنا القومية وأمننا القومي العربي الذي يتعرض اليوم للهيمنة الأمريكية الصهيونية.

الإعلام العربي في ميزان حرب العراق

المبحث الأول

الإعلام العربي والخطاب الإعلامي المغلوط

لا يستطيع أحد الادعاء الجازم بوجود إعلام عربي بالمعنى المنظومي للكلمة أو عطفا على توفره على هوية أو مرجعية محددة أو بالقياس إلى تصنيف من التصنيفات معتمد.

فلكل دولة عربية إعلامها (أو لنقل طريقتها في الإعلام) ولكل دولة قنواتها التلفزية العام منها والخاص، ولكل دولة خطابها الإعلامي، ولكل منها "مرجعيتها" . . . ولا تلتقي مجتمعة بالتالي إلا في لغة التخاطب وفيما رسم لها من خطوط حمراء ومتاريس ومحذورات.

والإعلام العربى كما النظام العربي الرسمي مبني على القطرية ومرتكز حول الحاكم ولا يعير كبير اعتبار لمقولة الرأي العام أو لمبدأ "نسبة المشاهدة" أو لغيرها.

قد لا تشد على هذه القاعدة كثير من الدول، فجل مكونات "الإعلام العربي" عمومية، حكومية رسمية، وما قد يعتبره البعض "إعلاما خاصا" إنما هو قول/ مجاز لا على اعتبار "دورانه" في فلك الأشخاص والمؤسسات التي تموله، ولكن أيضا بحكم عمل الحكومات العربية للالتفاف عليه وتطويع القائمين عليه.

لهذا السبب (ولغيره ربما) فإن ما يمكن اعتباره هنا تجاوزا ب "الإعلام العربي" لم يختلف البتة (في "مواقفه" كما في تعامله مع القضايا العربية الكبرى) عن مواقف وتعامل الأنظمة القطرية مع القضايا إياها سواء كانت ذات القضايا داخلية أم عربية أم ذات صبغة دولية.

لم يختلف الأمر كثيرا في المواقف إزاء ما ترتب عن انفجارات ١١ سبتمبر وما استتبع ذلك من ضرب لأفغانستان ونية قائمة على ضرب أنظمة (ومنظمات) أخرى صنفت قطعا ب "الإرهابية" أو على علاقة بالإرهاب:

فالإعلام العربي (إعلام القنوات الفضائية أعني هنا) ندد ب "الإرهاب" واستنكر ممارسات الجهة المنفذة له، تماما كما ندد النظام العربي الرسمي بذلك واستنكره.

و الإعلام العربي " تفهم الحرب على الإرهاب " التي دشنتها الولايات المتحدة وحلفاؤها، تماما كما " تفهم" النظام العربي الرسمي السلوك الأمريكي ولم يبد أي تحفظ بإزائه أو بإزاء الدول (والمنظمات) التي ستكون حالا (أفغانستان) ومستقبلا مادته وهدفه (العراق وغيرها).

والإعلام العربي (تلفزاته أقصد بالأساس) لم يسلم من الحرب السيميائية (التي فرضها الفكر الإستراتيجي الأمريكي وكبريات شبكاته في الإعلام) تماما كما لم يسلم النظام العربي من ذات الحرب: فانفجارات ١١ سبتمبر صنفت بالإجماع العربي (والعالمي) على أنها عمل إرهابي، والحرب المعلنة على إمارة طالبان وبن لادن وصفت دون حجج تذكر بأنها ضد "المشتبه فيهم الرئيسيين" وضرورة مكافحة الإرهاب غدت المطلب الأساس والهدف المركز. . . وهكذا.

هناك إذن، بالمحصلة، اصطفاف للإعلام العربي بجهة الموقف العربي الرسمي لا بخصوص " قضية الإرهاب" والموقف من "الحملة لاستئصاله"، ولكن أيضا بجهة باقي القضايا التي من شأنها رهن الواقع العربي وارتهان مستقبله.

خصائص الإعلام العربي

وهناك بالتالي، بهذه النقطة كما بغيرها، خاصيتان اثنتان غالبا ما تطغى على الإعلام العربي بعد ما تكون قد طبعت النظام العربي في شكله كما في الجوهر:

الخاصية الأولى وتتمثل في تعامل الإعلام العربي مع " قضية الحرب على الإرهاب" بالخصوص (ووسائل "استئصاله") من منطلق تعامل الموقف الرسمي معها.

فبقي من هنا باب الاجتهاد في التحليل كما في التعليق محكوما بذات الموقف، محتكما إليه سيان في ذلك (أو يكاد) الإعلام الرسمي والإعلام الذي يدعي الاستقلالية (القنوات الخاصة بالأساس).

قد لا يقتصر التجاوز في هذا الباب على تنبيه هذه القناة أو تلك، أو على تحذير هذه المحطة أو تلك، ولكنه قد يتعدى ذلك إلى تهديدها واستهداف القائمين عليها في الأرزاق كما في الأعناق.

الخاصية الثانية وتكمن في إمعان الإعلام العربي (كما النظام الرسمي سواء بسواء) على التعامل مع القضية إياها (أي قضية الإرهاب) من زاوية الدفاع ورد الفعل لا من منطلق الفعل والدور الفاعل.

لا ينحصر الإشكال هنا في تشديد الإعلام العربي (والنظام الرسمي) على مطالبته بضرورة التمييز بين الإرهاب والإسلام والتركيز على لا وجوبية أخذ الإسلام بجريرة بعض المسلمين، ولكن أيضا وبالأساس في تأكيده على أن لا طبيعة حضارية للحرب الدائرة بأفغانستان أو لتلك التي من شأنها أن تدور مستقبلا على أراض عربية أو إسلامية.

هو السلوك نفسه الذي نشهده اليوم في الإعلام والنظام العربيين، تماما كما شهدناه ونشهده في الحرب على العراق وعلى الفلسطينيين وعلى غيرهم من دول إسلامية أخرى، لا تنفر منه إلا القليل من الوجوه الملتزمة والجريئة.

لكن أين تساق، بالمقابل، تجارب إعلامية رائدة اختارت لنفسها البث من المهجر أو تغاضت حكوماتها عنها بالداخل لمسوغات شتى كما هو الحال بالنسبة لقناة الجزيرة أو قناة أبو ظبي أو القليل غيرها؟

لا يمكن أن تساق، في تصورنا، إلا في إحدى خانتين:

إما لكونها التزمت لنفسها خطا تحريريا حيث تغيت الموضوعية في الخبر والحرية في التعليق والحيادية النسبية في الموقف، كما هو حال قناة الجزيرة التي جعلت للنظام السياسي، في دولة متناهية الصغر، موطئ قدم على الجغرافيا وبالعالم. بالتالي فلم يكن هناك من سبب آخر(أقوى) يشفع لقناة الجزيرة " ديمومتها " سوى هذا السبب... وهو كاف إلى حد بعيد.

أو لكونها تعمل بدول ديموقراطية تتكفل دساتيرها بحماية حق الأفراد والجماعات في التعبير والتفكير ولا تعترض (أعني الدساتير) إلا على ما من شأنه أن يطال النظام العام أو يدفع بالتحريض أو يشجع على التمييز.

لكن محدوديتها، في الحالة الأولى كما في الثانية، في أكثر من نقطة وتنحسر على أكثر من مستوى:

فهي ليست موجهة للغرب بقدر ما هي موجهة إلى الشرائح العربية وإلى حد ما المسلمة المتحدثة باللغة العربية... وهو ما يجعلها، بداية المطاف ونهايته، غير قادرة على

إبلاغ رسالتها " للآخر " ، أي لغير العارف بلغة الضاد . بالتالي فهي تبقى كمن يحدث نفسه ويجتر الخطاب على أهله وذويه .

وهي تبقى ، في حال رفع التحفظ السابق ، محكومة بمنطق رد الفعل و لا إمكانية لها على الفعل .

هي تشكل في الأمرين معا ودون نقاش ، طفرة في الإعلام العربي الرسمي ، لكنها لم تستطع اختراق الرأي العام الغربي و لا صانعيه هناك . . . وهي بكل المقاييس نقطة ضعفها الكبرى .

من الجائز المراهنة على شبكة الإنترنيت (بما هي وسيلة إعلام واسعة ومفتوحة وغير ممركزة) لبلوغ ما لم يستطع إعلام المهجر بلوغه . . . أعني الغرب برأيه العام وصناع قراره .

لكنها (أي الشبكة) تبقى مع ذلك محدودة التأثير ونخبوية ولا قدرة لها على التأثير في الرأي العام . . . صانع القرار بالغرب ، بالتالي فلا سبيل لها في تغيير صورة العرب أو المسلمين أو الإسلام إلا في القليل النادر . . . أعني لدى النخبة في أحسن الأحوال .

وعلى هذا الأساس ، فبقدر إخفاق النظام العربي الرسمي (بكل وزاراته في الخارجية وجامعته العربية ومؤتمره الإسلامي وغيرها) في تحسين صورة العرب والمسلمين بالغرب ، بقدر إخفاق " النظام الإعلامي العربي " (بكل ما استجد لديه من تقنيات رقمية وأقمار صناعية وموارد مالية وكفاءات إعلامية) في تمرير صورة عن الإسلام شافية وعن العرب صافية .

لمتسائل يقول : وكيف استطاعت دولة من حجم إسرائيل لا يتجاوز عمرها خمسين سنة ، أن تفعل في الغرب وفي رأيه العام بقوة نادرة سواء تعلق الأمر بنجاحها في إلصاق صفة "الإرهاب" بانتفاضة الأقصى أو بربط تفجيرات نيويورك وواشنطن بالعرب وبالمسلمين أو بتفوقها في إيهام العالم بأن ما عرفته أمريكا يوم ١١ سبتمبر لا يعدو كونه تحاملا من العرب والمسلمين على الحرية والديموقراطية؟

قد لا يتعذر الجواب على الاستفهام إياه قياسا إلى واقع الحال : فإسرائيل (ومن خلالها اليهود) يسيطرون (بما لا يدع مجالا للمزايدة) إن لم يكن على معظم وسائل الإعلام العالمية فعلى الأقل على كبريات هاته الوسائل من شبكات تلفزية ومحطات إذاعية وصحف ومجلات ودور نشر وسينما وغيرها .

ليس غريبا، على هذا الأساس، أن يكون للوبي الصهيوني (بأمريكا كما بباقي الدول الكبرى) القول/ الفصل في ربط الإرهاب بالفلسطينيين أو ربط تفجيرات ١١ سبتمبر بالعرب والمسلمين وإقناع الرأي العام الغربي وصناع القرار بداخله على أنه القول/ الحق. . . وأن المؤامرة قائمة حقا ضد الحرية والديموقراطية والاقتصاد الحر.

لكن إذا كان التنظيم المحكم للوبي الصهيوني هو الذي مكنه من أن يكون قوة الضغط الإعلامية الأولى في العالم، فما الحائل دون تنظيم العرب وبلوغهم الرأي العام الغربي من داخل "حدوده" وبلغته؟ أو لا يقال مثلا إن النظام الأمريكي نظام مفتوح والمؤسسات الإعلامية شركات تتداول أوراقها بالبورصة وبمستطاع كائن من كان (بما فيه العربي والمسلم) أن يقتنيها ويؤثر بالتالي في قرارات وسياسات مجالسها الإدارية كأي شركة أخرى؟

وهو سبيل وارد، بصرف النظر عن باقي العوامل والإكراهات، لكن غياب التنظيم وضعف التنسيق بين مكونات النظام العربي هي التي تكون حائلا دون ذلك كما تحول دون دخولهم الجهاز التنفيذي أو التشريعي أو القضائي أو غيره على غرار ما استطاعه اللوبي الصهيوني وبامتياز في الغرب.

ثم اللوبي إياه يحدث كل دولة في الغرب بلغة أهلها وانطلاقا من معرفة دقيقة بثقافتها وميولاتها وعلى خلفية من " نقط ضعفها وقوتها" على عكس الإعلام العربي الذي لا يعرف الغرب جيدا و لا يتعامل معه (في الأغلب الأعم) ببعد نظر.

من الطبيعي إذن ألا يكون العرب والمسلمون إلا ما تريد عيون هذا اللوبي أن يكون، ومن الطبيعي ألا يصعب على المواطن العادي بالغرب أن يربط الإسلام بالإرهاب وأن يأخذ المليار ونصف المليار مسلم بجريرة بعض العرب أو بفعل بعض "المسلمين".

هذه مسلمة بديهية لا مجال للتحايل عليها: فبقدر ما هي صورتنا مشوهة بالغرب جراء النفوذ الصهيوني الطاغي على الإعلام العالمي، بقدر ما هي مشوهة بفعل قصور إعلامنا وتضييق النظام الرسمي على الفاعلين فيه.

لا يقتصر الأمر، في هذه المسلمة، على ظروف الاستثناء (كما هو الحال مع أحداث ١١ سبتمبر) ولا على فترات الحرب المعلنة (كما هو الشأن في حرب إسرائيل على الفلسطينيين)، ولكن أيضا في ظروف "الهدوء" العادية حيث العنف لصيق بالإسلام والشذوذ المختلف الألوان مرتبط بالعرب وبالمسلمين.

مـن المـشروع إذن أن يتـساءل الفـرد العربـي والمـسلم عـن مستقبل صورته بإعلامه وبـالإعلام الغربـي، ومـن حقـه "الانتفاضة" على واقع نظام عربي هو بالنهاية ضحيته الأولى.

ومـن المـشروع أيـضا أن يتـساءل الفـرد العربـي والمسلم عما يمكن القيام به لتحسين صورته وصورة الإسلام بالغرب.

قـد لا يكـون مـن المفارقـة في شـيء التأكيد بهذه النقطة، على تقصير النظام الرسمي وقصور الرؤية لديه في هذا الباب:

فالجامعـة العـربية لم تستطع إنشاء قناة فضائية عربية يكون إرسالها مبثوثا بأهم لغات العالم وموجها بكل جهاته.

لا تـنقص المـادة الإخـبارية والتحليلـية في ذلـك و لا تقـل الكفـاءات ولا تـضعف الإمكانات بقدر ما تنعدم الرؤية وتضعف العزيمة والإرادة.

والمؤتمـر الإسـلامي (وبداخلـه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة) لم يتمكن مـن خلـق قـناة إسـلامية تـبث بمـوازاة الأولى أو بالتـناوب معهـا، لأهـم مـناطق العالم وبلغاته. . . يكون الهدف منها نشر الإسلام الصحيح وتبيان نبل رسالته.

لا تـنقص الموارد هنا أيضا ولا الكفاءات ولا المادة المفروض عرضها، بقدر ما تنقص الإرادة والعزيمة.

لـن يكـون الاخـتلاف كـبيرا حول " طبيعة" الإسلام الذي من الوارد الدفاع عنه إذا اعتمد في ذلك على منهج يبث ما يجمع بين المذاهب وينبذ ما يفرق بينها، وهو ما سيكون عامل وحدة وتوحد.

ولن يكون تحفظ بعض الأنظمة (في حالة إنشاء قناة عربية) ذا جدوى ما دامت بدورها سـتنبذ مـا يفرق ذات الأنظمة وتعتمد ما يجمع بينها و لا تكون ناطقا باسم هذا النظام أو ذاك.

هذه قناعة جوهرية كبرى: لا سبيل لتحسين صورة العرب والمسلمين إلا سبيل توحد الـنظام الرسمـي في الحـد الأدنى وتوحد الجهد الإعلامي في حده الأقصى. . . عوض أن يبقى الإرهاب في معظم الحالات "عامل التوحد" الأساسي للعرب وللمسلمين في أعين الغرب.

الإعلام العربي والدور المفقود عبر التاريخ وصولاً لحرب العراق

عـايش العـرب مـنذ أقـدم العـصور نماذج من "المؤثرات الإعلامية" ربما كان أبرزها شـاعر القبـيلة مـثلاً، ذلـك أن الـشعراء، كما يقول المؤرخ جرجي زيدان، "كانوا حماة الأعراض وحفظة الآثار ونقلة الأخبار"، (التمدن الإسلامي، ج٣، ص٣٠).

قـدم الـباحث المـصري المعـروف د. محمـد السيد سعيد دراسة قيمة عن "الاتجاهات والقـوى الجديـدة في فـضاء الإعـلام العربي"، وقد نشر البحث مع مجموعة من الأوراق الـشيقة بعـنوان "الإعـلام العربـي في عـصر المعلـومات" تحـت إشراف مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (أبوظبي-٢٠٠٦).

تـأثير الـشعر فيـنا لا يـزال قـوياً، والعديـد من الأدوار التي لعبها الشعراء في الماضي للقبائل والدول انتقلت خلال القرن العشرين، وربما لا تزال، لبعض الصحف والقنوات التلفزيونية الرسمية وحتى الخاصة.

فقـد تحول "الإعلام"، وبخاصة منذ منتصف القرن العشرين، إلى قوة بالغة التأثير في الحياة العربية.

ولعل أول ما يستوقف القارئ في بحث د. سعيد، الخلفية التاريخية التي يعرضها.

فلقد بدأ الإعلام المطبوع في العالم العربي مع الغزو النابليوني لمصر، "ولكنه سرعان ما صار إحدى أدوات بناء الدولة المركزية الحديثة من خلال دولة محمد على في مصر"!

أمـا الـنقطة الثانـية المـثيرة للاهـتمام في هـذا العرض التاريخي، فهي تفوق مصر على لبنان.

يقـول: "لقـد كانـت الحـرية الداخلـية الواسـعة نـسبياً الـتي تمـتعت بهـا مصر قبل الاستعمار البريطاني -بل حتى في ظله- هي العامل الحاسم وراء ازدهار الصحافة في مصر على حساب لبنان، التي كانت تتعرض لموجة بطش شديدة من جانب العثمانيين".

ومـن المفارقات التي يرصدها الباحث، أن الصحافة بعد انتعاشها في العالم العربي في ظـل "التجـربة الليـبرالية"، ورغـم وجـود الاسـتعمار، انكمش دورها، لأن استقلال الـدول العـربية "غيَّـر جوهـرياً الـشروط الأساسـية للأداء الإعلامي، وخاصة في النظم الراديكالية".

فانقلبت الآية، وصارت الصحف اللبنانية هي التي تتمتع بقدر كبير من الحرية، بينما هيمنت حكومات عربية عديدة على صحافتها في مصر وبلاد الشام وغيرها.

بدأ التحدي الأول لدور الحكومات في احتكار المعلومات وإعطاء التراخيص الإعلامية والضغط على الصحافة، مع تنامي دور الصحافة العربية المطبوعة خارج العالم العربي ثم حل تدريجياً مع التطور المذهل في تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية وعصر الفضائيات.

وهنا يلاحظ د. سعيد أن العالم العربي "لا يزال يعيش خارج العملية التاريخية للتحول الديمقراطي، وجل ما أخذه منها هو وسائل للتأقلم تستهدف إنقاذ النظم الاستبدادية البيروقراطية".

فكما أننا لم نكن شركاء حقيقيين في تطوير تكنولوجيا البث الفضائي، فإننا كذلك، يقول، "لسنا بالضرورة مستعدين لإحداث التطورات المؤسسية، التي تتأقلم بسرعة مع شدة التجديدات المؤسسية في مجال تكنولوجيا المعلومات".

ويلاحظ الباحث أن "الخصخصة" لا تكفي! ويقول: "لا تشكل الملكية الخاصة لوسائل الإعلام ضماناً كافياً على الإطلاق لاستقلالية الرسالة الإعلامية، كما أن الملكية العامة لا تنفيها بصورة عامة".

إن الاستقلالية النسبية التي تتمتع بها الفضائيات، لا تزال بيد السلطات العليا، ولا تزال الصحافة الإلكترونية الأكثر تمتعاً بالاستقلالية بين جميع آليات الإعلام ووسائله في المنطقة العربية.

وبيد الحكومات الإمكانية الفنية للرقابة على الفضاء الإلكتروني، ولكنها غير متحمسة لممارسة تلك الرقابة على نطاق واسع "بسبب ضآلة حجم الجمهور المتعامل معها".

ومن أوجه المعاناة، أن الإعلام العربي ـ ولاسيما الصحافة المطبوعة ـ مكبل "بغابة من التشريعات المعادية لحرية التعبير".

ومن القضايا الأساسية في رسم توجهات الصحف والفضائيات العربية ما نرى من صراع وتداخل بين "رأس المال السياسي" و"استقلالية الرسالة الإعلامية"؛ وبخاصة في ظل واقع عدم إمكانية الاعتماد على الإعلان.

وفي تقدير الباحث، فإن الحجم الإعلاني الحالي، "لا يكاد يدعم وجود سوى حفنة من المؤسسات الإعلامية الكبرى على امتداد العالم العربي".

وقد أدى هذا إلى الاعتماد على الحكومات بشكل مباشر أو غير مباشر: "ولهذا تتسم الأوضاع المالية للمؤسسات الصحفية الكبرى بغياب الشفافية، حتى في حالة الملكية الخاصة للصحف".

ولم تعد استقلالية الإعلام العربي قضية "داخلية" بل صار غيابها موضع شكوى خارجية، بسبب المواقف الأمريكية المعادية لبعض الفضائيات العربية.

ويرى التحليل الأمريكي "أن الحكومات العربية توجه الإعلام بعيداً عن نقد أدائها السَّيِّئ في مختلف المجالات، نحو "عدو خارجي" هو إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يؤدي إلى خلق مناخ موات للتطرف والعنف".

ولعل أضعف أجزاء ورقة د. سعيد مناًقشته هذه النقطة بالتحديد. فهو يقوم بنقد وتعرية المؤسسة الإعلامية في العالم العربي في معظم الورقة، ثم ينحاز إليها، وبخاصة عندما يقتبس تصريحاً لاتحاد الصحفيين العرب يقول بأن "الولايات المتحدة وإسرائيل تحالفتا للضغط المستمر على الحكومات العربية لكي تكبت حرية الصحافة"، فالتحليل الموضوعي الذي قدمه د. محمد سعيد لواقع الإعلام العربي، وتحكم بعض الأنظمة بمختلف مؤسساته سياسياً ومالياً، يضعف تماماً تهمة "اتحاد الصحفيين العرب".

على الإعلام العربي صحافة وتلفازاً ونهجاً أن يكون موضوعياً في معالجته للتطورات السياسية والاجتماعية، وأن يتيح الفرصة لمختلف الاتجاهات للتعبير عن نفسها.

وهذا يحتم عليه، في اعتقادي، أن يكون "إعلاماً" قبل إن يكون "عربياً". ومثل هذا الشرط لا يزال صعباً في بلداننا، حيث "الإعلام" يُشكل بعض وظائف أجهزتنا وربما آخرها!

يقول د. سعيد مثلاً، بعد الإشادة بالفضائيات العربية التي "استعادت شيئاً من التوازن الإعلامي المفقود" خلال أزمة ٢٠٠٣ مقارنة بأزمة ١٩٩١ الخليجية، "إن بعض العوامل والاعتبارات الأخرى للمهنية، كانت غائبة في التغطية العربية لعملية غزو العراق والحرب الدائرة هناك.

ومن هذه العوامل القبول الضمني وغير النقدي للتصريحات التي صدرت عن المسؤولين العراقيين خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من الحرب، وهو ما جعل النتيجة

النهائية تبدو مفاجئة تماماً للمواطنين العرب، الذين شجعهم الإعلام على الاعتقاد بأن النتيجة ستكون مختلفة جذرياً عما جرى بالفعل ".

ومما بات يلاحظ على الفضائيات العربية للأسف بوضوح هذا التسابق المحموم لإرضاء التوجهات الجماهيرية والشعبوية لدى قطاعات واسعة من المشاهدين المُحبَطين.

وينعكس هذا التوجه على صياغة الأخبار واختيار الحوارات والمتحاورين، وعلى تجاوز الاعتبارات الواقعية السياسية والأخلاقية المهنية، ولقد شاهدت ذات مرة على شاشة محطة فضائية عربية، شعارها "الرأي.. والرأي الآخر"، مقابلة مع شخصية خليجية أكاديمية راديكالية متعاطفة مع تنظيم "القاعدة" أشد التعاطف، حيث كان مقدم البرنامج يزايد على كلام الضيف بدلاً من محاورته، فكان الأجدر أن يكون شعار هذه المحطة "الرأي والرأي الآخر المطابق"!

ولعل من أدق الاقتباسات التي يوردها الأستاذ الباحث في ورقته رأياً يقول: "الإعلام العربي أصلاً لا وجود له في الخريطة... لأن الإعلام في الأصل هو التحري عن الخبر وصحته وإيصاله إلى المتلقي بكل ما يملك من مصداقية، والأسطورة الإعلامية التي نُطلق عليها الإعلام العربي، هي الإعلام الذي فقد هويته وصار يتخبط في متاهات بعيدة".

ولعل مما يرفع معنوياتنا ويخفف الضغط وآلام "جلْد الذات" عنا، ما يحذر منه د. سعيد، من أن الإعلام العالمي حتى في دول الغرب.. إلى تدهور!

يقول: "تشير التجربة التاريخية إلى أن الدول المتقدمة تشهد ميلاً عارماً لسيطرة الصحف والمنابر الإذاعية والتلفزيونية الهابطة على سوق الإعلام، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تخطب مئات من المحطات الإذاعية ود المواطن انطلاقاً من أشد التفسيرات الدينية تخلفاً وعنفاً، كما أنها تقترب من أبسط المواطنين عبر خطاب إعلامي بالغ التدني من حيث مستواه المهني والثقافي، الأمر الذي يهدد بتحول الإعلام الجماهيري إلى أداة لانحطاط الحياة الثقافية للشعوب".

ومثل هذه المخاطر الإعلامية تهدد العالم العربي اليوم، حيث يتسع انتشار "الصحف الشعبية الأكثر استعداداً لمخاطبة الغرائز الجنسية، والمنحطة ثقافياً، مثل تلك التي تركز على التحريض العلني على الشخصيات ومحاولة اغتيالها معنوياً، والشائعات، والصور الخليعة.. ووصل حال بعضها إلى حد التحريض على الفتن الطائفية، والعنف والتشهير

بكـل الوسـائل " . ونـشاهد في محطات التلفاز مثل هذه التوجهات على نحو أوسع وأشد فـتكاً بالـذوق العـام وأكثـر اسـتغلالاً للـدين والـتراث والطـب الـشعبي وكـل ما يمكن الاستفادة منه في هذا الأتون الإعلامي المستعر .

و كل ذلك بحسب رأي الكاتب في المصدر المذكور نصا و دون تعليق .

رسوب الإعلام العربى فى أمتحان الحرب على العراق

نحن لا نتقن فن الإصغاء للصمت ولذلك دائما ما نفاجأ بالأحداث، وهذا هو ديدننا مـنذ نكـبة فلسطين وحتى فضيحة العراق، وهذا الذي أدى بنا إلى النتائج التي نراها . ان الـشخص المـريض الـذي يـتألم بـصمت ويفقد القدرة حتى على البكاء يكتشف مرضه الاطباء المهرة الذين يشخصون المرض ويدرأونه . بينما الكتاب والصحفيون لدينا تجذبهم الأصـوات العالـية والفلاشـات القوية، ويتناسون حقائق التغيير . التي تجري بصمت من دون أن توضـع تحت مجهر الإعلام في « الصنم » والعراق تعايشنا معه بكل ما فيه من قمع وتـزييف واوهـام، ولـذا جميعـنا نـتحمل مسؤولية المأساة التي حصلت. وبسقوط قلب بغـداد، انتهت حقبة سوداء في تاريخ العرب . إن السقوط المدوي لتمثال صدام في ساحة الفـردوس هـو سـقوط للأيديولوجـيات البالية التي استهلكت من عمر الشعوب عقودا طـويلة تغـني للـزعيم الأوحد وللنصر العظيم، وفشل للروح القومية المغلفة بالشعارات الواهـية والعـناوين الأخاذة، والمبطنة بالروح الشوفينية وشهوة السلطة . وتجسيد الانهيار حقبة الديكتاتوريات التي ادمنتها الشعوب واعتبرتها شهادة وفاة لمثقفي السلطة والمصالح والحـسابات الخاصـة، هـذه « الـصنم » صـمام أمـان لـبقائها وتنفـسها . إن سقوط هذا العناصـر الطفيلـية الـتي عاشـت ونمـت وترعـرت بين ظهرانينا تردد للشارع ما يجب ان يـسمعه وعـيونها تـرقب بقلـق الفرس الرابحة لتضمن مكانها بين الصفوف الأولى ضمن الجـوقة تغـني للـبطل . والـذي يدفـع الـثمن هذه الشعوب المطحونة بكلامها تفرح بكل خطـاب بـالأرض هو صفعة « الصنم » كبارقة أمل حتى لو كان كل ما في هذه الكلمات كـذبا غـير انها تبقى الحلم . واخيرا ارتطام رأس هذا الإعلام الغوغائية ومخاطبة الشارع . وهـو إدانـة لـتلك الوسائل الإعلامية التي في سبيل شغفها بالجماهيرية دهست المصداقية والمهنـية . وتحـولت لأبـواق لا تختلف عن إعلام الأنظمة الشمولية عدا اختلاف الأجندة والتطور التقني المبهر واذا كان الإعلام العربي شهد نقلة نوعية من خلال وجود المحطات

الفضائية وقيام بعض مؤسسات الإعلام من رحم القطاع الخاص، فإنه في معظمه مازال يعيش تحت سطوة السلطة وأجندتها السياسية، والأسوأ من ذلك ان بعض هذه المؤسسات وقعت تحت تأثير التيارات ذات الضوضاء الأعلى وليست بالضرورة الاصح، وافتقدت صوت العقل وسايرت لغة واهواء الشارع والإشكالية التي يعاني منها الإعلام العربي. في ثوبه الجديد، إذا صحت التسمية، انه يعيش مرتهنا لمرجعيتين اساسيتين، الأولى سيطرة المد الأيديولوجي القومي في صيغته الأحادية النظرة، ووجود عدد كبير من تلامذة هذا التيار في وسائل إعلام عربية نافذة مما اعطاهم منصة مهمة يرددوا من خلالها تلك الشعارات التي لا اثمرت ولا أغنت عن جوع، واثبتت النكسات المتوالية على العرب فشلها في تقديم الحل الذي طال أمده، ونحن كشعوب عانينا من الأيديولوجيات التي لم تكن إلا لخدمة السياسة، وبالاصح لخدمة أنظمة وظفت الأيديولوجيا لاضفاء الشرعية والاستمرارية للمجموعة الحاكمة. والمرجعية الثانية تتمثل في الخطاب المتطرف الذي يدعي انه يمتلك الحقيقة ويكتنز الحلول الناجعة بين يدية لمشاكل الأمة، وتلك الاصوات المتطرفة الأصولية، تعيش في فلسفتها على عداء الآخر وتحريض الشارع على معاداته. ورغم وجود الأصوات المعتدلة الكثيرة ضمن هذا الطيف العريض، الذي يمتلك قاعدة عريضة في الشارع العربي، فإن تلك الأصوات العالية غالبا هي التي تملأ الضجيج، وتغطي على السواد الاعظم من اصوات الفكر المتوازن. والنير، الذي يفترض أن يكون لهم الصوت الأعلى في وقت الأزمات، ومشكلة العرب تكمن في من يدعون انهم مفكرو ومثقفو الأمة، وهم في الواقع مصدر البلاء فالشارع العربي شارع عاطفي، يتأثر بالكلمات الحماسية والخطب الرنانة. وقد لجأت بعض القنوات الفضائية لإسلوب تهييج المشاعر ولو حتى على حساب الحقائق، واصيب الشارع العربي بعمى الألوان، فهو يسمع عن واقع ويعيش واقعا آخر، ويتفاعل مع مبشرين بالفوز والنصر العظيم، ليسمع لهم بعد أيام يلعنون النظام الجائر ويهللون للخلاص من الديكتاتور اللعين، وقد احرج السقوط الهزيل و كشف كلامهم عن المهزلة التي يعيشها الإعلام العربي ومدى. « بهزيمة تاريخية لقوات الغزاة » للنظام العراقي هؤلاء الذين تبنوا الاستخفاف بوعي الجماهير وفكرهم، والغريب ان الشارع أصبح يتقبل مثل هذه المتناقضات لانه يعيش هذا الخطاب الكاذب منذ سنين.

وقـد كـشفت الأحـداث عـن ازدواجـية المعـايير عـند هؤلاء الذين يدعون حمل لواء العـروبة كـثوريين يؤمـنون بقـضايا لا تتغير مع تغير المصالح، ويبدو أن المفكر السعودي عـبدالله القـصيمي قد تنبأ بخطرهم مسبقا عندما قال ما مضمونه ان الثوار هم الاشخاص الـذين فقـدوا الأمـل في أن يـسعفهم الحـظ ليكونوا في صف الثورة ومشكلة الجماهير أن عـواطفها، كمـا وصـفها غوسـتاف لوبـون في كتابه سيكولوجية الجماهير، تتميز بطابع مزدوج، بمعنى انها مضخمة جدا ومبسطة جدا، فالفرد المنخرط في الجمهور يقترب كثيرا من الكائنات البدائية فهو غير قادر على رؤية الفروقات الدقيقة بين الأشياء. والجماهير، كالنساء، تتجه مباشرة نحو التطرف. فالشعور بالاستحسان أو النفور يتحول مباشرة إلى مـشاعر مبالغ فيها عند انخراط الفرد في الجمهور. والواقع أن هؤلاء المثقفين استغلوا هذه الـنقطة عـند الجمـاهير وفتحت لهم الفضائيات المنصة التي خاطبت .هذا الجمهور الذي صـدق الأسـطورة وآمـن بهـا والتعامل مع الأحداث من الجانب الشكلي هو هروب من مـواجهة العقل والمنطق، فاقتناص الجزئيات الصغيرة لابرازها في الخطاب بشكل انفعالي بهـدف كـسب الـشارع إسلوب ضعيف في الحجة، وهذه واحدة من إشكاليات الخطاب العربـي الـذي يهتم بالخطاب على حساب العقل، ولذلك تلحظ في هؤلاء الذين يدعون الـثقافة اهـتمامهم بالـنغمة الموسـيقية والمحسنات البديعية في كلامهم حتى تجعل المستمع يهـتم بـنظام الكلمـات وإيقاعهـا بـدلا مـن الفكـرة ومحتواها. ومن الطريف، المضحك المبكـي، أن تجـد مـتحدثا معـروفا بتـشنجه ومحاولـته الدائمة لتجسيد شخصية الصحفي القومـي الغيورعلى أمته، على شاشة وهو يصرخ بأعلى صوته، كيف لبوش ان يداعب آلـبه في حديقـة البـيت الابيض قبل إن يعلن الحرب على العراق، وانفعل بحدة واعتبرها اهانـة للأمـة العربية وإذلالاً، وكأن بوش لو داعب! زوجته مثلا فلن تكون هناك مشكلة والمـثير للشفقة أن الخطاب الإعلامي الذي تطرحه بعض هذه القنوات هو مماثل في روحه لـنفس الخطـاب الإعلامي في ١٩٦٧ وأن السنين في عمر الشعوب لا تعني شيئا. وبعض المفكـرين ينجـرف نحـو نظريات المؤامرة والحروب الصليبية، ليس قناعة منه بهذه الآراء ولكـن لأن الجـو العام لايسمح بمعاكسة التيار، وهو يتماهى مع ايقاع الشارع لأنه يعتقد أن ذاكـرة الـشارع ضـعيفة، كما أن بريق أضواء الكاميرا يغري بابتلاع الحقيقة حتى ولو علـى مـضض. وأصـبح هـناك اتهـام مباشـر بـأن كـل مـا يأتي من الغرب هو شر مبين ويستهدف تدمير الأمة العربية والاسلامية، وبالتالي أصبح الإعلام العربي يعيش في اسر هـذا الـوهم الذي وضعه. والإشكالية التي وقع فيها كثير من المحللين انه أصبح يصنف

الاحـداث مـن خـلال هـذا المـنظور (المؤامرة)، ومثل هذه الافكار المعلبة تلقى رواجا في الـشارع لأنهـا تُغـني الـشخص عن التحليل والتعمق، مع أنها في الحقيقة تسطيح للفكر وتهمـيش للمنطق ونذكر كيف عندما طرحت مبادرة الشيخ زايد رأى فيها البعض، انها خضوع عربي للغطرسة الأمريكية واذلال للعزة والكرامة العربية، ولا أدري بعد ان أزيل النظام بالقوة وذهب ضحايا مدنيون ودمرت البنية التحتية، وتساقط عرابو النظام السابق يـسلمون انفـسهم واحدا تلو الآخر في صورة تنطبق بالفعل عليها مفردات الذل والهوان والخجـل. ايـن هـذه الاصـوات التي ساهمت في التدمير ورقصت على جسد الضحية؟ وهـل اختفت كما اختفى البطل الوهمي عن المسرح وترك شعبا بالكامل يدفع ثمنا لشهوة السلطة والمكابرة والغرور؟

والجانـب الـذي يؤثر في توجهات الإعلام هو قوى السوق التي لها سطوتها في توجيه الخـط التحريري للوسائل الإعلامية. فالقنوات الفضائية وكثير من الصحف كانت تسير في هـذا التـيار لأن عامـل الربح والخسارة يشغل هاجسهم، وتخوف البعض من ان يغني خـارج السرب فيخسر جماهيرية تثبت وجوده وتحقق عائدا له فقرر التضحية بشيء مقابل العائـد المنتظـر. ولكـن هـذه المؤسـسات نـسيت أنه من الخطر ان تتم المتاجرة في مشاعر الجمهـور، لأن ذلـك وان حقق نتائج آنية في جماهيرية الوسيلة الإعلامية، وربما في تفاعل الجمـاهير واحـياء الحماس، إلا ان ذلك سينعكس سلبا على المؤسسة الإعلامية نفسها، وعلى الجمهور الذين سيصابون بالاحباط وحالة من افتقاد التوازن وعدم الثقة ومع نهاية الكارثـة للأمـة العـربية، يأمل البعض في أنها بشرى لبداية عهد جديد، وتمر الأيام لنعيد نفـس الأمانـي، فـالإعلام العربي يتحمل مسؤولية كبيرة، واحداث حرب الخليج الثانية لـم تـزل في ذاكـرتنا، وكنا نسمع لوزير الإعلام آنذاك لطيف نصيف جاسم، (ياترى اين هـو الآن ومـاذا خـبأ لـه القـدر)، عن انتصارات ام المعارك، ووقتها كنت اقرأ في بعض الصحف عن أن صواريخ صدام سوف تضرب لندن ومرسيليا ونيويورك، لتنتهي القصة بمعاهـدة صـفوان ويـستمر المسلـسل حتى نصل إلى طيب الذكر، محمد الصحاف، وهو وعلـوجه وألفاظـه الـتي تعكـس بيـئة النظام ومستواه. ويأتي كاتب في إحدى الصحف العـربية لـيقول ان مـصطلحات الصحاف هذه تعكس شجاعة هذا الرجل، وأنها أقل ما يمكـن طالما أن القوات الأمريكية. تقصف اطفال العراق!! لم يتغير التفكير والإسلوب، تغـيرت فقـط الأسمـاء والملامح ان الحديث عن اسماء صحفيين وكتاب عرب استفادوا ماديـا مـن الـنظام العراقـي، وموجودة في ملفات الاستخبارات العراقية، سيجعلنا نرى الحقائـق بـالعين المجـردة للمـرة الأولى، ولكـن الـسؤال هل تصدم هذه الحقائق الشارع

العربي ليسقط تلك الاسماء ويحاكمها، أم أن أنها مؤامرة من القوى الغربية، » حالة السلبية وتساوي الأمور ستجعل الوضع كأن شيئا لم يكن، وربما يصرخ أحدهم في قناة فضائية وتستمر المعزوفة . . . « . فهي التي وضعت اسمي في هذه الملفات، لأنني كنت أشكل مصدر قلق وتهديد لمخططاتهم الامبريالية

المبحث الثانى

حرب العراق فى عيون الإعلام العربى

شرح الصورة: تخوض الفضائيات العربية منافسة حادة فيما بينها ومع المحطات الأجنبية لتغطية الحرب على العراق وتتبارى الفضائيات العربية في تغطية غير مسبوقة لوقائع الحرب في العراق، مسجلة ولأول مرة نقلة جديدة للإعلام العربي.

فلأول مرة في التاريخ، تتواجد قنوات فضائية عربية عديدة في ساحة القتال لتُعطي صورة مختلفة أو مكمّلة لما يقدمه الإعلام العالمي.

إنها المرة الأولى التي تجد وسائل الإعلام العربية المرئية نفسها أمام مثل هذا التحدي الذي يتطلب متابعة مستمرة على مدار الساعة، تتضمن الدخول في تفاصيل ومواقف من شأنها أن تزيد المنافسة بين تلك القنوات حدّة، إضافة إلى المنافسة التي تفرضها وسائل الإعلام الأجنبية الأخرى التي ظلت تُهيمن على تغطية الأحداث المهمة والساخنة على مدى الزمن. ولا يمكن استبعاد التأثير المباشر وغير المباشر الذي فرضته تقنية بث المعلومات والأخبار عن طريق القنوات الفضائية إلى جميع أصقاع العالم. ولم يعد جمهور المشاهدين منحصرا في مناطق جغرافية سياسية واحدة بعينها، بل صار بإمكانه التنقل بسهولة عبر مدار محطات مختلفة عربية وأجنبية على حد سواء.

ولعل هذه الميزة المهمة التي باتت علامة فارقة تعمل لصالح المشاهد الحديث المستنير، تحولت في ذات الوقت إلى مصدر اهتمام وقلق دائمين لدى مالكي ورؤساء تحرير المحطات الفضائية العربية، الإخبارية منها على وجه الخصوص.

هكذا غدت عملية تلبية رغبات ورضى المشاهد الحديث معقدة وقاسية تثقل كاهل مسؤولي الفضائيات، وتدفعهم إلى التفكير بحلول خلاقة للتوفيق بين ذوق المشاهد وقدرته على التمييز، وبين المواقف الرئيسية التي تحكم عمل هذه المؤسسات وفقا لمنشئها السياسي الجغرافي.

ولم تعد اللغة الواحدة والثقافة الواحدة قادرتين على تشكيل قاسم مشترك واحد لدى جمهور الفضائيات العربي المنتشر في شتى أقطار العالم، وهو القادر بفعل تقنية نشر المعلومات الحديثة، على الاطلاع على ما يشاء وقت ما يريد واختيار المصدر الذي يريد .

الحرب الموحدة للإعلام

بيد أن اندلاع الحرب وبدء القتال في الصحراء العراقية، سمح للفضائيات العربية بالاستفادة من المواجهة المباشرة التي فرضتها حالة الحرب، وإذ إنحسرت حالة التمايز التي يوفرها تعدد المصادر، راحت التغطية المتنوعة تتمحور حول المواجهة بين "الغزاة والمقاومين" .

ودون أي تخطيط مسبق، أو بفعل الموقف الرسمي الأمريكي البريطاني الذي فرض قيودا صارمة على طريقة تغطية الحرب، وجدت الفضائيات العربية نفسها أمام تغطية تتطلب تبني مواقف مسبقة: مع أو ضد الحرب؟

فراحت قناة الجزيرة تعمل تحت شعار "الحرب على العراق" وتستخدم مصطلح "الغزاة" وتبث مشاهد وصور القتلى والجرحى العراقيين والدمار الذي تحدثه آلة الحرب الأمريكية البريطانية .

أبو ظبي والعربية بدورهما، وإن ركزتا أيضا على مشاهد القتل والدمار وانضوتا تحت شعار ضد الحرب، فإنهما لم تظهرا ذلك بنفس النبرة السائدة في قناة الجريرة .

وتعمل قناة الجزيرة، وهي أول قناة إخبارية عربية على مراعاة الموقف الشعبي العربي العام المناهض للحرب والداعي للتمرد، وتقدم نفسها على أنها القادرة على توفير تغطية شاملة من خلال شبكة المراسلين الواسعة في مختلف المناطق، إذ إن لها تواجدا في شمال العراق وفي بغداد، وكذلك في المناطق الجنوبية .

الحرب التي توحد هي نفسها التي تفرق. فالفضائيات الإخبارية العربية الرئيسية (الجزيرة، العربية وأبو ظبي)، التي تتولى مهمة التغطية الرئيسية للحرب، تصطدم أيضا بالمواقف السياسية للدول العربية المختلفة التي تملكها أو تأويها .

ففي حين استطاعت الجزيرة أن تتواجد، بحكم خبرتها السابقة واتساع شبكة مراسيلها في مختلف مناطق الحرب في العراق، فإنها، وبسبب مواقف دول منها، لم

تـتواجد في مواقـع رئيسية مثل الكويت على وجه التحديد، وهو الأمر الذي تَـوفَّـر لكل من العربية وأبو ظبي.

في المقابـل، ظلـت العـربية وأبـو ظـبي، غـير قـادرتين على توفير نفس المستوى من الأخـبار الـذي قدمـته الجزيرة، خاصة فيما يتعلق بسياسات الدول تجاه الحرب، لاسيما مصر والسعودية والكويت.

كمـا أن الجزيـرة ركّـزت أكثـر في تغطيتها على إبراز حملات التعاطف والتضامن مع العـراق مـن خلال المظاهرات والاحتجاجات العربية المعارضة، مقارنة مع تغطية العربية وأبو ظبي، اللتين لا تتوسعان كثيرا في التغطية مراعاة لمواقف الدول التي تملكها.

الهروب بواسطة الرقابة

غـير أن الـرقابة الـرسمية التي يفرضها كل من العراق والولايات المتحدة على طريقة تغطـية الأخـبار، وفرت للقنوات العربية فرصة سانحة للتخلص من الإحراج الذي يمكن أن توفره معلومات وتحقيقات مستقلة.

فقـد ظـل الخطاب الرسمي والمعلومات عما يجري في ساحة القتال ومسرح العمليات مرتكـزا علـى مـا تقدمـه وزارة الإعـلام ومختلف المسؤولين العراقيين من جهة، والقيادة الوسطى الأمريكية والبنتاغون من جهة أخرى.

وباسـتثناء بعـض التقارير المستقلة إلى حد ما، التي بثتها الفضائيات من داخل مناطق مـثل البـصرة والموصـل، بقـيت المواقـع الرئيـسية للمعـركة خاضـعة لـرقابة الطـرفين المتحاربين، لاسيما بغداد، حيث تخضع التغطية هناك لرقابة صارمة، انحصرت في نقل وقائع المؤتمرات الصحافية الرسمية.

قـد تكـون الخطـوة العـراقية لتجميد عمل مراسل الجزيرة والطلب من الآخر مغادرة العـراق، دلـيلا قـويا علـى أن المـستقبل القـريب لـن يشهد تغييرا فيما يتعلق باستقلالية التغطية المباشرة من ساحة المعركة.

وهكـذا، انـتقلت التغطـية إلى المحللين والخبراء، الذين وظفتهم التلفزيونات العربية بكـثافة، وبات التنافس بين الفضائيات منحصرا في كم التحليل الذي بوسع كل محطة بثه على شاشاتها على خلفية الصور المتكررة التي تسمح الرقابة العسكرية ببثها.

ويـبدو أن الفـضائيات العـربية وجدت ملاذها وخلاصها من الإحراج الذي يمكن أن تتـسبب فـيه التغطـية المـستقلة في التحلـيلات التي يقدمها الخبراء العسكريون المتقاعدون وسياسيون مستقلون وغير مستقلين، لحرب لم تبدأ كتابة تاريخها بعد.

الأهرام المصرية والقدس اللندنية والقبس الكويتية فى صراع مصطلحات الحرب على العراق

هل هي "حرب تحرير العراق ،"أم "غزو جديد للعراق؟" وماذا يمكن أن يوصف شخص يقدم على تفجير نفسه عند نقطة تفتيش لقوات التحالف؟ هل هو "استشهادي" أم "انتحاري"؟

لعل مثل هذه الأسئلة وغيرها قد دفعت عددا من الصحف العربية والدولية وطواقم تحريرها إلى إثارة النقاش قبيل وأثناء الحرب على العراق، لتحديد "اللغة" التي ستتناول بها مجريات الحرب الدائرة بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا، مدفوعة برؤيتها وسياستها التحريرية أو بتوجهات قرائها.

ففي حين قرر عبد الباري عطوان رئيس تحرير صحيفة القدس العربي الصادرة من لندن، إلى جانب هيئة تحرير الصحيفة وصف الحرب على العراق بـ "العدوان والغزو" والقتلى العراقيين بـ "الشهداء" والعمليات الهجومية بـ"الفدائية والاستشهادية"، يرى وليد عبد اللطيف النصف، رئيس تحرير صحيفة القبس الكويتية أن الحرب الدائرة إنما هي "حرب تحرير العراق" والإبقاء على وصف القتلى من الجانبين وقوات التحالف بذات الاسم.

أما في صحيفة الأهرام المصرية، فلقد تم الاتفاق منذ بداية الحرب، كما يرى سلامة أحمد سلامة، مدير تحرير الأهرام، أن الحرب هي "ضد العراق" وليست "على العراق"، مشيرا في ذلك إلى أن استخدام كلمة "ضد" جاء لأنها موجهة "ضد العراق ونظامه وشعبه".

وبحسب سلامة، فإن الأهرام تصف القوات الأمريكية بأنها "قوات الاحتلال" أو "قوات الغزو."

وهو ما يتفق معه عماد الحمود نائب رئيس تحرير صحيفة الرأي الأردنية في أشارته لاستخدام صحيفته مصطلحات "غازية" لوصف القوات الأمريكية، و"شهداء" للقتلى العراقيين، والإبقاء على مصطلح النظام العراقي دون أوصاف، مع توصيف الحرب بأنها" حرب عدوانية".

مرجعية الوصف

"مرجعيتنا هي أخلاقية" . . كما يؤكد عطوان في جوابه على سؤال من الذي يحدد مرجعية اختيار المصطلح لوصف مفردات الحرب، ويضيف "بل كذلك فإن مرجعيتنا هي الأمم المتحدة، طالما أنها (المنظمة الدولية) لم تتخذ قرار العمل العسكري . "

ويتساءل الكاتب الصحفي عطوان "نحن نستخدم مصطلح الغزو العراقي للكويت، فلماذا لا ينطبق الحال نفسه على الولايات المتحدة والعراق؟ لقد جاءت أمريكا من مسافة ١٠ آلاف كيلومتر لتحارب العراق . "

غير أن القبس الكويتية، تستند في تلك المرجعية إلى رأي القراء، ويقول النصف لقد تم إجراء استفتاء وخلصت النتيجة إلى أن ٩٢ في المائة مع الحرب . . نحن مرتكزون للشارع الكويتي . "

أما في الأهرام فقد أوضحت التعليمات للمحررين "بتأييد الشعب العراقي في مواجهته لقوات الغزو، مع عدم إغفال ما يحدث من الطرف الآخر . "

ويؤكد سلامة المحلل السياسي كذلك في الصحيفة المصرية، أن هيئة التحرير هي التي اختارت هذه المصطلحات آخذة بعين الاعتبار "ألاّ تصطدم بالموقف الرسمي، وأن تعبّر في الوقت ذاته عن الشارع المصري . "

ومع أن "الحكومة الأردنية لم تستخدم مفردة العدوان لوصف الحرب على العراق"، كما يرى الحمود من الرأي، فإن "صحيفته استخدمتها (العدوان) منذ البداية، بعد أن اتفقت عليها هيئة التحرير باعتبارها المرجعية في ذلك . "

ويوضح الحمود أن استخدام بعض المفردات على غرار "الشهداء" إنما تعود "لكونها جزءا من مفرداتنا وتاريخنا . "

بقدر ما ساهم اختيار المصطلحات لكل صحيفة في زيادة عدد قرائها، فقد ساهم في إضفاء حرب جديدة خفية بين المؤسسات الصحفية في تشكيل رأي عام في الشارع العربي، مدفوعة في ذلك بخلفيات اقتصادية أو سياسية أو أيدلوجية .

فقد زادت نسبة التوزيع ـ على سبيل المثال ـ في القدس العربي بنسبة تتراوح بين ٣٠ إلى ٥٠ في المائة، في حين ساهمت شكل التغطية للأهرام في امتصاص انتقادات وجهت لها في البداية، وفي كسب تعاطف شعبي واضح انعكس في المظاهرات ضد الحرب .

ومن الأردن أكد الحمود على ضرورة الانسجام مع وسط القراء المستهدف بمخاطبته، والأمر نفسه في الكويت وإن اختلفت توجهات القراء، بسبب "الخصوصية

المنفردة التي عاشتها الكويت في تجربة الغزو العراقي لها عام ١٩٩٠ " ، كما يرى النصف .

قاموس الحرب فى الصحف العربية

ومثلما اختلفت المصطلحات والأوصاف الجديدة في وسائل الإعلام العربية وحتى الأجنبية ضمن اجتهادها لمتابعة الحرب ، أو تضمينا لمفردات وردت على ألسنة المسؤولين من كلا الجانبي ، فقد اختلف تقدير الصحفيين العرب لمستقبل هذه المصطلحات وعمرها الزمن ، ي أخذا بعين الاعتبار تداخل تقدير الموقف السياسي المستقبلي .

فعبد الباري عطوان يشكك في " أن تحقق الولايات المتحدة وبريطانيا أهدافهما ، ومن ثم فستكون هناك فوضى في العراق وأرضية خصبة لازدهار التيارات الإسلامية والقومية المتشددة ، ولهذا فموقف صحيفته ثابت طالما أن هناك احتلال وقوات أجنبية في أي دولة عربية "بحسب وصفه .

لكن ماذا لو توقفت الحرب؟ يقول عطوان " سيكون هناك نظام موال لأمريكا ولن نعطيه شرعية على صفحاتنا . " فيما يؤكد النصف على أن مستقبل المصطلحات حينئذ " يعتمد على رضا العراقيين .. وهي مسألة ليست سهلة . "

أما سلامة فيتوقع أن لا يجد النظام (الجديد) تأييدا من الشارع المصري أو الصحفيين ، "في حين يعتمد الأمر في صحيفة الرأي على طريقة تشكيل النظام القادم ، حيث" لا بد من الإشارة إلى طريقة تعيين هذا النظام " بحسب الحمود .

الخطاب الإعلامي العربي بين الحيادية والتوجيه

من جهته يرى الدكتور محمد عايش من جامعة الشارقة بدولة الإمارات ، أن متابعة التغطيات الجارية للحرب تشير إلى خط المؤسسة السياسي الذي تسير عليه ، ولذا فإن " المصطلحات قد تتشكل نتيجة لمزيج من ضغوطات الشارع ومصادر الأخبار . "

ويشير الخبير الإعلامي عايش ، إلى أن رصد خطاب " وسائل الإعلام الأمريكية ؟على سبيل المثال- يشير إلى أن هناك الكثير من الوطنية والقليل من المهنية ، وهو ما يتضح من خلال التزامها بالموقف الرسمي وعدم تذمرها من عدم تدفق المعلومات . "

ويؤكد عايش على أن قضية " التوازن والموضوعية ليستا واردتين في الإعلام الأمريكي تجاه الحرب ، بل تقتصران فقط على الساحة المحلية وهو ما ينطبق كذلك على

الـصحف العـربية ، حيث تعكس التغطيات الصحفية سياسة كل دولة . " مشيرا إلى أن " وسائل الإعلام تكون متواطئة مع الحكومة . "

حرب العراق فى الصحافة المصرية (نموذجاً)

اهـتمت الـصحف المـصرية الـصادرة بالـسياسة الأمـريكية الجديـدة في العراق المزمع إعلانهـا خـلال أيام ، وخاصة إعلان مجلس الشيوخ عقد (١١) جلسة استماع على الأقل خـلال الأسـابيع المقـبلة لمناقشة الحرب واحتمال إرسال المزيد من القوات الأمريكية كما نقلت تلك المقتطفات وكالة اصوات العراق .

جريدة صوت الأمة (إسبوعية مستقلة ليبرالية) خصصت ملفاً لحدث الإعدام ، وجاء فيه "بعد

إهانـة إعـدام صـدام . . . متـى تـستطيع الـشعوب العـربية محاكمـة حكامهـا وشنق طغاتها . . ؟ " ،

ونـشرت الـصحيفة عـناوين فـرعية أخـر ى لذات الموضوع تقول "سياسيون : على الـنظام المـصري أن يفهـم الرسالة . . . ويسرع بتداول السلطة " ، ومن هؤلاء السياسيين يقـول عـضو مجلـس الـشورى المـصري د . أسـامة الغزالي حرب "على مصر أن تعجل بالديموقـراطية . . . وهـناك حكـام عـرب إرتكـبوا جـرائم أكثـر مـن صدام ويستحقون القـصاص ، ولـم يـتم القـصاص مـنهم لأنهـم لعقـوا الأحذيـة في اللحظة الأخيرة لينجوا بأنفسهم . "

فـيما يقـول اسـتاذ القانـون الدكـتور عاطـف البنا "لا يوجد حاكم عربي لم يرتكب جرائم في حق شعبه . "

وسـألت الـصحيفة قـيادات جماعـات الإخـوان المسلمين " لماذا تهربتم من إصدار بيان بـشأن إعـدام صـدام . . ؟ " ، فكـان رد القـيادي في الجماعة الدكتور عصام العريان " إنها (عملـية الإعـدام) رسـالة للحكـام العرب " ، وقال النائب الأول للمرشد العام للجماعة الدكـتور محمـد حبـيب إن الإعـدام "يهـدد بإشـعال حـرب أهلية" في العراق ، وأضاف القـيادي الإخوانـي الدكـتور عـبد المـنعم أبـو الفـتوح "إنـه (صـدام) لم يكـن الطاغـية الوحيد . . . ويكفيه أنه أطلق صواريخه ضد إسرائيل . "

ونـشرت الجـريدة أيـضا موضوعا تحت عنوان "سجون النظام المصري لا تختلف عن سـجون صدام" ، وحاورت المفكر الشيعي المصري الدكتور أحمد رسام النفيس الذي دعا الإعلام "لعرض كل الجرائم التي ارتكبها صدام حسين في حق شعبه ."

وفي حوار لصحيفة (صوت الأمة)، اتهم محسن خليل السفير العراقي بالقاهرة في عهد صـدام الحكـام العـرب بأنهم " أضفوا شرعية على الإعدام" ، ووصف ذلك بـ "الموقف المخـزي" مـشيرا إلى أن جامعـة الـدول العـربية "خالفت ميثاقها . . وأيدت الاحتلال" الأمريكـي البريطانـي للعـراق، معتـبرا أن مـصير صـدام "يطـارد الزعماء العرب . . . ويفرض عليهم الذل والخضوع ."

وكتب رئيس التحرير التنفيذي للجريدة وائل الإبراشي مقالا يقول فيه "عام (٢٠٠٦) إنتهـى بإهانـة إعـدام صـدام . . . وعـام (٢٠٠٧) بـدأ بإهانـة تعمـد إسـرائيل قـتل الفلـسطينيين يـوم قمة مبارك ـ إولمرت . " وتساءل الأبراشي "إذا كان النظام (المصري) احـتج علـى إعـدام صـدام إسـتنادا إلى العـوامل الإنـسانية . . . فلمـاذا لا يفـرج عـن المعتقلين؟ "المصريين .

وصـدر إبـراهيم عيسى، رئيس تحرير الصحيفة نفسها، مقاله بصورة للرئيس المصري حـسني مـبارك مـع صدام حسين تعود لفترة تأسيس مجلس التعاون العربي بين البلدين، والذي كان يشارك به كل من الأردن واليمن الموحد خلال الفترة من (١٩٩٨ـ ١٩٩٩٠)

وكـتب الـصحفي محمد الرفاعي مقالا ساخراً عن "الذبح على الطريقة الأمريكية" ، نافـيا أن يكون إعدام صدام إهانة للعرب "فهو ليس رمزا للزعامة العربية، مع أن الإعلام جعـل مـنه زعـيما وحارسا للبوابة الشرقية للوطن . . ومع أن الوطن العربي كله ملوش أبواب من أصله" ،

وانتهـى الرفاعـي بنصيحة وجهها للحكام العرب "استخبوا في أي حتة (مكان) . . . محدش عارف الدور على مين بعد كده ."

وفي الأهرام، الـصحيفة اليومـية الحكومـية، تحدث نقيب الصحفيين المصريين الأسبق مكـرم محمـد أحمـد عمـا اسمـاه "صراع شيعي ـ أمريكي" ، وقال إن الخلاف بين الإدارة الأمـريكية وحكـومة المالكي حول الطريقة التي تم بها تنفيذ حكم الإعدام " تكشف عن أزمـة ثقـة عمـيقة بـين الجانـبين . . . وعـن تشكك الأغلبية الشيعية في استراتيجية بوش الجديـدة ، الـتي تهـدف إلى إنهاء الحرب الأهلية وتحقيق المصالحة الوطنية وإحداث توازن

بين مصالح الشيعة ومصالح السنة ، وحل الميليشيات وكبح جماح قوات الصدر في مطاردة السنة . "

وفي الأخبار (يومية حكومية تصدر عن دار أخبار اليوم) كتب جلال دويدار رئيس تحرير الجريدة السابق " لا تفاؤل بشأن العراق " وقدم من وجهة نظره أحد الدلائل على هذه التوقعات " ما تقوله أجهزة الإعلام عن نية بوش إرسال مزيد من القوات الأمريكية إلى العراق ليصل عددها إلى ١٧٠ ألف جندي وهو ما يعني سفك المزيد من الدماء وتوفير الدعم العسكري لمواصلة سياسة التمزيق والتفتيت والقضاء على وحدة هذا البلد "

وفي الجمهورية (يومية حكومية تصدر عن دار التحرير) ، كتب محمد العزبي تحت عنوان " الدكتاتور . . فناناً " منتقدا الدفاع عن صدام ، وقال " احتار الناس في أمر الزعيم . . . إذ اختلط مشهد النهاية أمام عيونهم ، ما بين صلابة الرجل وشجاعته . . مقابل إهانته ، فتعاطف معه كثيرون . . . حتى بعض الذين لم يحبوه حياً . "

وأضاف " أما المناحة التي تقام في أكثر من مكان بعواصم العالم العربي ، فلا تبدو جادة ولا معني لها . . . وبلغت النظرة ذلك العشق للطغاة . فهل نسي الناس أيام حكم صدام ، وما فعله بشعبه وبالعرب . . . وهل حقا تحب الشعوب حكامهم القساة ، وتعجب بهم؟ . . تلعنهم وتبكيهم ! . "

ويشير العزبي إلى أن هناك كاتبا عراقيا ، هو رياض رمزي ، أصدر في لندن مؤخرا كتابا باللغة العربية جعله قراءة في سيكولوجية الطغاة . . . متخذا من صدام حسين نموذجا ، واختار للكتاب عنوانا " الدكتاتور فناناً " . . . ويقول فيه " إن لسان حال الحاكم الطاغية ومنهجه وإسلوبه وفلسفته هي (اقتل . . . وإلا ستقتل) ، نعم يسقط الطاغية . . . ولكن بعد أن يسقط ويعاني العشرات والمئات والملايين من البشر ! . . ويتكرر المشهد . . وتغني الشعوب لجلاديها ، قبل الشنق . . . وبعد الشنق ! ! . "

وكتب أيضا بهاء الدين أبوشقة عن " الاستراتيجية الأمريكية . . . بعد إعدام صدام " ، وهو الموضوع الذي إستاثر باهتمام الكثيرين من كتاب الأعمدة في مختلف الصحف المصرية .

وفي الوفد ، وهي صحيفة يومية تصدر عن حزب (الوفد الجديد) الليبرالي . . . وهي أقدم الجرائد المعارضة ، كتب سعيد عبد الخالق " صدام خرج من الحياة . . . وأمريكا لن

تخرج من العراق !! . . " ، وساق لذلك التكهن أدلة منها أن " أمريكا ذهبت إلى العراق لأغراض اقتصادية بحتة . . . وعنوانها : الدولار البترولي في الشرق الأوسط ، ولتأكيد هذا الدور . . . إنتشرت القواعد العسكرية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، وخاصة حول منابع النفط . . . والأهداف محددة : دعم إسرائيل ، ونهب الثروات البترولية في المنطقة العربية . "

وقالت جريدة الفجر (أسبوعية مستقلة ليبرالية) إن إعدام صدام جاء موافقا لموعد أحد الاحتفالات اليهودية "وهو صيام العاشر من شهر طابات الذي يرمز لبداية عملية خراب الهيكل الأول" واعتبرت ذلك إهانة إضافية للمسلمين .

وفي أخبار الأدب (أسبوعية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار أخبار اليوم) حاور نائل الطوخي بعض الشعراء والنقاد تحت عنوان "بين غريزة الانتقام ولعبة الديمقراطية . . رسائل غرفة الإعدام . . الشنق في توقيت الأضحية . . التمثيل بالعروبة" منهم الشاعر عبد المنعم رمضان الذي رأى "أن حدث الإعدام كان تتمة الرسالة الأمريكية ذات الوجه الصليبي الواضح" .

أما الكاتبة والناقدة فريدة النقاش فقد أشارت إلى مقال روبرت فيسك في صحيفة (الإندبندنت) البريطانية والذي دار حول أن التعجيل بإعدام صدام كان يهدف إلى التخلص من أي أسرار قد يحملها معه" . بينما قال الشاعر محمود خير الله أن الحكومة العراقية تتصرف بشكل انتقامي عشائري .

وأضاف أن "الحزن العربي لم يكن على صدام و إنما لان إعدامه تم على يد الغزاة ، أما من حزنوا عليه من المصريين فهم الذين عاشوا في العراق ورأوا أن هناك توزيعا عادلا للثروة أكثر مما في مصر ، أما في سائر الشعوب فلم يكن هناك مجال للتعاطف مع دكتاتور"

ونشرت مجلة روزاليوسف (أسبوعية تصدر عن مؤسسة روزاليوسف) لشفيق أحمد على مقالا بعنوان " إعدام . . بوش" قال فيه "إذا كانوا قد أعدموا صدام بتهمة أنه قتل (١٤٨) عراقيا . . فكم مرة يجب أن يعدم بوش الذي قال "بعضمة" لسانه انه قتل ثلاثين ألفا من المدنيين العراقيين" .

كما أشار لما سماه أكذوبة المشروع التسليحي النووي العراقي مستعرضا التصريحات الأمريكية التي أقرت أن العراق لم يكن يشكل خطرا نوويا .

ونفس المعنى ذهب له سعيد عبدالخالق في صحيفة (الوفد) اليومية الناطقة باسم حزب الوفد الجديد الليبرالي وهي أقدم الجرائد المعارضة اليومية عندما كتب " صدام ورامسفيلد وشارون . . حماية أمريكية!! "في حين واصل في الوفد أيضا محمد مصطفي شردي ما كتبه السبت حول ما اعتبره الدور الإيراني المتعاظم بالعراق وأشار لما أعلنته القوات الأمريكية في العراق عن كشف عدة مخابئ لأسلحة إيرانية الصنع تم إخفاؤها في محافظة الأنبار (غرب بغداد) وكذلك اعتقال بعض المسئولين الإيرانيين في بغداد.

وقارن عبد الخالق بين تقاربين في التعامل مع شيعة المنطقة وقال "وبينما ننظر نحن لشيعة لبنان على أنهم أبطال يقودهم الزعيم حسن نصر الله ضد إسرائيل، تختلف نظرتنا عندما نتجه للعراق ويطرح تساؤلا أقرب للتخوف "إذن ما الذي تخطط له إيران بالنسبة للعراق؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نجيب عليه وأن نواجه خلفياته وأبعاده. أمريكا لن تستطيع الاستمرار في العراق إلى الأبد" .

أما المؤرخ والكاتب المعروف الدكتور جمال بدوي فواصل مقالاته حول العراق التي ينشرها في عموده اليومي بالوفد وكتب عما سماه "المحرقة العراقية" مستعرضا الجدل الدائر في الكونجرس حول زيادة القوات الأمريكية بالعراق متوقعا أن ينفذ بوش رأيه في النهاية مهما بلغ الاعتراض، بسبب الصلاحيات الممنوحة للرئيس دستوريا في مثل هذه الحالات.

ونقلت الجريدة عن شخصيات عراقية وجود تحركات تشهدها عمان وعواصم دول الجوار العراقي لدراسة إمكانية تنظيم مؤتمر إقليمي حول العراق يضم دول الجوار، إلى جانب مصر وجامعة الدول العربية، فيما لم تجزم بمشاركة دول الخليج العربي.

وقال الدكتور مؤيد الونداني ممثل جمعية حركة القوي الوطنية والقومية العراقية إن هذه التحركات تأتي في إطار ما نصت عليه توصيات تقرير (بيكر ـ هاملتون)، والتي دعت إلى عقد مؤتمر إقليمي يضم دول الجوار إلى جانب مصر، يليه مؤتمر دولي.

وكانت لجنة من الحزبين الجمهوري والديمقراطي برئاسة وزير الخارجية الأمريكي الاسبق جيمس بيكر قدمت تقريرا يوم ٦ من الشهر الماضي يتضمن (٧٩) توصية بشأن انقاذ الوضع في العراق واعادة النظر في الاستراتيجية الأمريكية في العراق وتضمن تهديدا بقطع الدعم عن الحكومة العراقية في حال عدم قيامها بإجراءات سريعة لتحسين الوضع في العراق.

أما مجلة (الأهرام العربي) وهي أسبوعية حكومية تصدر عن مؤسسة الأهرام فقد أفردت ملفا كاملا لإعدام صدام معوضة احتجابها الأسبوع الماضي بسبب الأعياد، وحملت مقدمة الملف التي كتبها رئيس تحريرها "أخطأت حكومة المالكي في العراق والإدارة الأمريكية بإعدام صدام حسين، تصور كلاهما أن الإعدام يمنحهما فرصة جديدة لتجميل السياسات الكارثية هناك، لكن الحقيقة أنهما كانا يهربان إلى الأمام غير مدركين بأن التداعيات السياسية الأمنية لقرار الإعدام كفيلة بالتعجيل بالنهاية السياسية المحتدمة لحكومة المالكي" .

ونشرت المجلة تسلسلا لحياة صدام حسين، والطريف أنها ذكرت أنه في عام ١٩٥٩ شارك في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم ثم فر إلى الخارج ولم تشر إلى أن هذا الخارج هو مصر لتقفز المجلة بعدها للعام ١٩٦٤ .

كما نشرت المجلة حوارا مع الشاعر العراقي الدكتور حاتم الصكر أكدفيه انتهاء زمن أمير الشعراء وأن الواقع العربي ضد الشعر .

ونشر مهدي مصطفى (الذي كتب في نوفمبر الماضي أن هناك خطة سرية سيطلق على إثرها صدام بعد شهرين ويعود للحكم!) موضوعا بعنوان "المالكي والحكيم والهاشمي نفذوا وعد بوش" نقل فيها ما تناقلته وكالات الانباء العالمية حول الحدث واصفا إياه "أسرار إعدام صدام حسين" كما نشرت المجلة ما اعتبرته " فرح في إسرائيل" كعاقبة للإعدام .

وفي جريدة الأهرام (يومية حكومية تصدر عن مؤسسة الأهرام) وبصفحتها الأولى ظهر الاهتمام الجلي بوضع القوات الأمريكية بالعراق ومناقشات الكونجرس في نفس الصدد

"جنود أمريكيون مثلوا بجثث ضحايا مذبحة حديثة بعد قتلهم . . مواجهة بين الديمقراطيين وبوش حول الحرب العراقية الدعوة إلى عدم إرسال قوات إضافية والانسحاب خلال ستة أشهر . . تحذير من أن الجيش الأمريكي معرض للانهيار دون تحقيق مكاسب" .

كما نقلت في صفحة الشؤون العربية "المالكي يهدد الدول المنتقدة لإعدام صدام ويتعهد بتنفيذ الأحكام القضائية ضد أعوانه . . القوات العراقية والأمريكية تبدأ قريبا خطة أمنية أطلقتها واشنطن للتصدي للعنف" .

أمـا المـصري اليوم (ليبرالية والأكثر توزيعا بين الصحف المستقلة اليومية) وفي صفحة الـرأي نـشرت مقـالا للدكـتور حـسن نافعـة أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة تحت عـنوان "حتـى لا يـصبح إعـدام صدام مقدمة لإعدام العراق" واعتبر صدام رئيسا قابلا للمحاكمـة الـتي كـان يجب أن تتم على يد شعبه، منتقدا إجراءات المحاكمة واقتصارها علـى قـضية واحدة مشيرا للحظات الأخيرة في عمره التي جعلت البسطاء يتعاطفون معه أكثر "وليس فقط النخبة المرتبطة بنظامه أيديوجيا أو مصلحيا".

وكـتب الدكـتور محمـود خلـيل أسـتاذ الإعلام حول ما بعد الإعدام ودور إيران التي سـتكون الـوريث الـشرعي لأمـريكا بالعراق وان أمريكا ستنسحب تاركة المجال لحرب مستعرة بين الدول السنية والشيعية-على غرار حرب إيران العراق- دون أن تسمح لأيهما بانتـصار نهائـي علـى الآخـر وستكـسب ساعتها اقتصاديا ببيع أسلحتها وتدمر التجربة الإيرانية بأيد غير أمريكية و ستعيد رسم خريطة الشرق الأوسط والخليج.

وكـتب الدكتور عبدالمنعم سعيد رئيس مركز الدراسات بالأهرام وقال انه كان يفضل خـيار المحاكمـة الدولية على المحاكمة المحلية، مشيرا إلى رفض كثير من الكتاب العرب الأولى لكنهم عادوا لانتقاد المحاكمة العراقية باعتبارها غير نزيهة.

واعتـبر ان الـتعاطف مـع صـدام هـو "نفـاق عربي جماعي وعاجز عن استقراء أصل القـضية وبالتالي كان فاشلا في استقراء مستقبلها" كما اعتبر أن مرحلة من تاريخ العراق انـتهت لكـن "يـبدو انـه لـيس في رد الفعـل العربي على إعدام صدام ما يدل على نهاية الشعارات أو أن الستار قد أسدل على مسرحية طالت أكثر من اللازم".

الهوية العربية في معالجة الصحافة العربية للحرب على العراق

كـان للأحداث التي مرت بها منطقة الشرق الأوسط في العقد الماضي تأثير سلبي على الهوية العربية زادت حدته بعد الغزو الانجلو أمريكي للعراق، وقد سعت دراسة إعلامية للدكـتور خـيرت معـوض مدرس العلاقات العامة بكلية الإعلام جامعة القاهرة لدراسة هـذه القضية تحت عنوان «الهوية العربية كمتغير في معالجة الصحافة العربية للغزو الانجلو أمريكـي للعـراق». وقـد تبنت الدراسة مدخلين اساسيين كإطار فكري هما مدخل بناء المعنـى والمـدخل العقلانـي واستخدام المدخل الاول للتعرف على المعاني والمضامين التي قدمـتها الـصحافة العـربية لماهـية الهوية العربية وما هي مرتكزاتها والى أي مدى اختلف مفهـوم الهـوية العـربية باخـتلاف تـوجهات الـنظم الوطنية واستخدام المدخل العقلاني للتعـرف على طبيعة الهوية التي ركزت عليها الصحافة العربية في معالجتها للغزو الانجلو أمريكـي للعراق وما إذا كانت الهوية القطرية هي الاكثر بروزا مقارنة بالهوية العربية والى أي مدى تم ربط هذه الهوية بالمصالح القطرية.

وقـد اعـتمدت الدراسـة علـى تحلـيل المـضمون كمـيا وكيفـيا للتعرف على سمات مـضمون الـصحافة العـربية فـيما يـتعلق بقضية الهوية العربية وللخروج بمؤشرات لمدى ارتـباط تلك السمات بالاعتبارات السياسية والإقليمية والدولية وامتدت فترة البحث من ١٠ مـارس (آذار) ٢٠٠٣ إلى ٢٠ ابـريل (نيسان) ٢٠٠٣ حيث راعت الدراسة ان تسبق الغـزو بعـشرة أيـام وتتبعها بنفس المدة وقد ركزت الدراسة على سبع صحف تمثل مصر وسورية والأردن والسعودية وقطر والإمارات وعمان.

وقـد كـشفت نـتائج الدراسـة ان الصحف العربية تجاهلت بدرجة كبيرة قضية الهوية بـشكل عام في تناولها للحرب على العراق حيث تجاوزت نسبة هذا التجاهل ٤٢٪ وهذا يعـني ان ١٢٤ مقـالا مـن اصل ٢٩٤ من افتتاحيات الصحف العربية موضع التحليل لم تشر إلى ربط تلك الحرب بقضية الهوية.

وفـيما يـتعلق بالمعالجـة الـتي تـناولت قضية الهوية وهي ٥٨٪ أي ١٧٠ مقالا نجد ان الصحف ركزت على الهوية العربية كهوية اولى ١ ,٣٨٪ مقارنة بالهوية الوطنية ٧ ,١٩٪ والهوية الاسلامية التي لم تظهر كهوية أولى وإنما كهوية ثانية ٤ ,٤٪..

وتوضـح النـتائج بـوجه عـام ان الـصحف العـربية عـندما تناولت موضوع الهوية في معالجـتها لغـزو العـراق كانت مدركة للتهديدات التي يمثلها الغزو للامة العربية وهويتها لـذلك يلاحظ ان الهوية العربية كمتغير تمثل ضعف النسبة المرتبطة بالهوية الوطنية، وقد

يشير غياب البعد الاسلامي أو ضعفه على أقل تقدير إلى تأثير الصحافة العربية بالدعاوى الغربية بالربط بين الاسلام والإرهاب وان غزو العراق هو جزء من الحملة على الإرهاب الدولي.

وفي تناولها لقضية الهوية العربية وضحت النتائج ان الصحافة العربية ركزت على مجموعة من المعاني التي تظهر التهديد الذي يمثله الغزو الانجلو أمريكي للعراق لهذه الهوية فهذا الغزو يمثل تهديدا للامن القومي العربي وللامة العربية وضرورة العمل العربي المشترك والحفاظ على وحدة العراق أيضا اهتمت الصحف العربية بالرأي العام العربي ومشاعر الجماهير العربية التي خرجت إلى الشوارع ونددت بالغزو واكدت رفض العدوان على العراق.

وأشارت النتائج إلى ان الصحافة العربية في معالجتها للهوية العربية والهوية الوطنية عكست توجهات النظم الوطنية كما ان معالجة قضية الهوية العربية في تناول الصحف العربية للغزو تطور مع تطورات احداث الحرب على العراق ومع ظهور المطامح الاستعمارية للقوات الغازية وما يمثله من تهديد للامة العربية.

وكشفت النتائج ان ٢٨,٢٪ من افتتاحيات الصحف رأت الحرب تهديدا للهوية العربية باعتبارها حربا على العالم العربي وتدخلا في الشؤون العربية وتنفيذا لمخطط صهيوني وهذه نسبة ضعيفة للغاية وفيما يتعلق بأسباب الحرب يلاحظ ان الصحف ارجعت الحرب لأسباب تتعلق بالهوية العربية بنسبة ٣٢,٧٪ مثل غياب العمل العربي المشترك وتأمين مصالح إسرائيل والعجز العربي والرغبة في الهيمنة على النفط اما نتائج الحرب المرتبطة بالهوية العربية (سلبيا) فتمثل ٣٤٪ مثل تفتيت الأمة العربية واخضاع العالم العربي للهيمنة وتقسيم العراق وإطلاق يدي إسرائيل في المنطقة.

وفي ضوء نتائج الدراسة حسب مدخل بناء المعنى فقد اوضحت النتائج ان الصحف العربية لم تركز على الهوية العربية بالشكل الكافي اثناء معالجتها لهذا الغزو فكانت رواية العلاقة بين الغزو وما يمثله للهوية العربية من تهديدات غير محددة وكان للتوجهات الوطنية تأثير مباشر على مضمون افتتاحيات الصحف ورؤيتها لغزو العراق فافتتاحيات الصحف الصادرة في دول ذات توجه قومي ركزت على الهوية العربية ومعانيها بنسبة اكثر من افتتاحيات الصحف التي تصدر من دول عربية محافظة.

وفيما يتعلق بالمدخل العقلاني الذي يربط هوية الدولة أو الأمة بالمصالح التي تحقق منها تشير النتائج إلى ان افتتاحيات بعض الصحف التي تم تحليلها اعتمدت هذا المدخل

في التأكيد على الهويات والمصالح والثوابت الوطنية على حساب الهوية العربية باعتبار ان التأكيد على الهوية العربية ومضامينها يعني ضمنيا الوقوف بجانب العراق ومعارضة الاستراتيجية الأمريكية وما قد يمثله ذلك من نتائج قد تبدو سلبية على مصالح بعض الدول لذلك ركزت افتتاحيات الصحف التي اعتمدت هذا المدخل على ضرورة العقلانية في معالجة الأزمة في اطار الأمم المتحدة والشرعية الدولية، وأشارت إلى صعوبة مواجهة الولايات المتحدة وطالبت الجمهور العربي بعدم الحماسة والاندفاع وذهبت بعض الافتتاحيات إلى ترحيب الشعب العراقي بالقوات الغازية وشددت على ضرورة اهتمام هذه القوات بحفظ الامن في العراق.

شراء الصحفيين العرب فى حرب العراق لصالح أمريكا

يقول د. فوزي الأسمر الكاتب والمحلل سياسي فى واشنطن فى مقال منشور له بصحيفة الحقائق اللندنية بتاريخ ٢٥ ـ ١٢ ـ ٢٠٠٥ أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية، يوم (الخميس ٢٣ـ١٢ـ٢٠٠٥م) عن وفاة مجلتها الدعائية باللغة العربية، والتي تحمل اسماً انجليزياً . . . هاي» .

فقد أرادت هذه الوزارة، من خلال مجلتها هذه، وبعض وسائل الإعلام الأخرى، على غرار قناة التلفزيون «الحرة»، وإذاعة «سوا» اجتذاب الشباب والشابات العرب، ومن ثم اختراق عقولهم بهدف تحسين صورة الولايات المتحدة.

وربما كان الهدف أيضا محاولة لإبعاد الشباب عن المحور السياسي العربي والقومي، ومن ثم إقناعهم بوجهة النظر التي تهدف إليها هذه الوسائل الإعلامية المسيّسة.

وقد انتقد أصدقاء أمريكا في المنطقة، وبعض الأمريكيين الخبراء في مسيرة المشرق العربي، هذا النوع من الإعلام الموجه شارحين في أكثر من مناسبة، ان عملية غسل دماغ الشباب العربي بمثل هذه الوسائل الهزيلة سيكون لها ردود فعل سلبية.

فقد تبين من أكثر من دراسة، واستطلاع للرأي العام العربي، أن جميع وسائل الإعلام التي تبنتها الإدارة الأمريكية، قد فشلت في اجتذاب شريحة كبيرة من الجماهير العربية.

وحتى محاولة دفع بعض الصحفيين العرب الذين يعملون في واشنطن ونيويورك مع بعض وسائل الإعلام العربية في العالم العربي، والذين يتبنون وجهة نظر الإدارة

الأمـريكية، ويقومـون بالـدفاع عنها في وسائل الإعلام العربية، فشلت أيضا في اختراق الحاجز النفسي لدى الجمهور العربي، وإقناعه بوجهة نظرها هذه.

وكل متابع لوسائل الإعلام العربية، خصوصاً المرئية والمكتوبة، يستطيع أن يميز هذه المدرسـة الفكـرية، والتي، حسب ما يقول بعض المطلعين على دراسات خصصت لهذا الموضـوع، أن هـذه المدرسـة فـشلت فشلاً ذريعاً في رسالتها، حيث يعتبر الكثيرون من أبـناء الـشعب العربي بأن أصحاب هذه المدرسة «مدسوسون» بشكل متعمد ولأهداف محددة، بعد أن مروا بمرحلة غسل دماغ.

وتـبين أن الـشباب العربـي الـذي تعجبـه الموسيقى الغربية والأغاني التي تبثها على سـبيل المـثال إذاعـة «سـوا» لا يـستمعون إلى نـشرة الأخـبار الـتي تبثها» إذاعة الدعاية الأمـريكية» حسب ما وصفها لي أحد الذين يستمعون لهذه الإذاعة أثناء زيارتي لإحدى الدول العربية.

كـذلك الوضع بالنسبة لقناة «الحرة»، ومهمتها الأولى طبعاً، إظهار «الوجه الإيجابي للسياسة الخارجية الأمريكية خصوصاً في منطقة الشرق الأوسط».

كـل هـذه المحاولات قد فشلت، ليس بسبب عدم كفاءة، أو عدم وجود ميزانية، أو عـدم جـودة الإنـتاج، بـل العكس هو الصحيح.. فقد استطاعت وسائل الإعلام هذه جلـب عـدد لا بأس به من الإعلاميين العرب القديرين، وخصصت لهم أموالاً طائلة، حيث تصل ميزانياتها إلى عشرات الملايين من الدولارات.

السبب في ذلك يعود إلى فشل المستشارين لهذه الإدارة في فهم حقيقة الواقع العربي، وحقـيقة الـتفكير العربـي، وحقـيقة الشعور العربي.. كما تبين أن المستشارين العرب الـذين اخـتارتهم هـذه الإدارة مـن سياسـيين وإعلامـيين، لعـبوا علـى وتـر المـصالح الشخصية.

وقد ظهر ذلك واضحاً بعد أن فشل العدوان الأمريكي على العراق من السيطرة على عقـل الشعب العراقي، وإقناعه بوجهة نظر العملاء الذين دستهم إدارة بوش داخل هذا الشعب.

وقـد وصـل الحـد بـأن يقوم الجيش الأمريكي بدفع أموال لصحفيين ووسائل إعلام عـراقية، كـي ينـشروا وجهـة نظـر هـذه الإدارة، خـصوصاً فـيما يتعلق بما يسمونه ب «الديمقراطية»، وأن دل ذلك على شيء فإنه يدل على إفلاس فكري كامل.

وزاد الاقتناع، على ما يبدو، في أعقاب الجولة التي قامت بها مبعوثة الرئيس الأمريكي، كيرن هيوز، إلى منطقة الشرق الأوسط، في محاولة من إدارة بوش، تحسين صورتها لدى الرأي العام العربي والإسلامي.

فقد واجهت السيدة هيوز عاصفة من الانتقادات في كل دولة وصلت إليها من المملكة العربية السعودية، إلى مصر إلى تركيا.. ووجدت السيدة هيوز ان شخصية أمريكا في الحضيض، وأن كل وسائل الإعلام الأمريكية الموجهة لم تثمر.. وهذا على ما يبدو، ما وضعته في تقريرها إلى رئيسها بوش.

إن خطب «استراتيجية الانتصار» التي ألقاها الرئيس بوش لإقناع الشعب الأمريكي بوجهة نظره، فشلت في ذلك لنفس الأسباب التي فشلت فيها السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وفشلت فيها وسائل دعايتها الناطقة بالعربية.

إن الشعب العربي حساس جداً لما يحدث على الأرض، وهو يقارن بين الحقائق على الأرض، وبين ما تبثه أجهزة الدعاية، والعاملون فيها، ويقارن بين مصداقية هذه الدعاية وبين الحقائق الظاهرة له.. وهو حساس أيضا لمحاولة بعض الصحافيين والكتاب العرب الذين يتبنون هذه الأفكار.. ولهذا فشلت «هاي» وستفشل» الحرة» و«سوا»، والبرامج التي يقدمها «أبطال بوش» في وسائل الإعلام العربية.

إن المقياس بالنسبة للشارع العربي هو: القضية الفلسطينية، والموقف الأمريكي من إسرائيل، والتصرفات الهمجية للمحتلين الصهاينة، والذين يعتمدون كلياً على الدعم الأمريكي.

كذلك التصرفات الهمجية للاحتلال الأمريكي للعراق، ومحاولة إقناع العالم بأن هذا الاحتلال يبني «ديمقراطية مثالية» والتي يريد تطبيقها على العالم العربي والإسلامي.

إن... «استراتيجية الانتصار» البوشية، يجب أن تكون مبنية على أساس العدالة للمظلوم، لا الدعم للظالم، وعلى أساس حرية الشعوب، لا قتلها واحتلال بلادها، وسرقة ثرواتها.. وعلى أساس إقناع الشعوب عن طريق ما يحدث على الأرض، لا عن طريق غسل دماغ فاشل وعن طريق إعلام فاشل، وشراء صحفيين مكتوب عليهم الفشل.

المبحث الثالث

عمومية فشل الإعلام العربى وأسبابها

الحقيقة الغائبة فى إعلام العرب في حرب العراق

أربع سنوات مرّت على حرب العراق..

مرة أخرى، إنها مناسبة للمراجعة ومحاولة فهم ما يبدو أن الجميع أقر بالعجز عن تفسيره، فالعنف ما زال منفلتا من عقاله، ومداه بلغ حدوداً تستدعي قدراً لم يعد متوافراً من العقلانية والتفكر.

قال جنرال أمريكي إن انتحاريين تعمدوا الأسبوع الماضي تفخيخ سيارة تقل أطفالا لتضليل العناصر الأمنية، التي تتمركز على حواجز التفتيش...

مجرد طرح الفكرة أمر يثير الرعب..

تلقف الإعلام الغربي المعلومة بسرعة وأظهرها على نحو بارز..

عربياً، ساد بعض التشكيك في صدقية الرواية، دلّ على ذلك الاستخفاف في التعامل مع المعلومة، التي تستدعي التوقف بجدية بالغة حيالها.

أقول تشكيكاً كي لا أقول استخفافاً، وهو أمر يرهب ربما أكثر من الأمر نفسه إذا ثبت حدوثه.

المذهل حقاً هو أن شيئاً لم يعد يخيف أحداً حيال الأحداث المتواترة من العراق، ولم تعد أخبار العراق تتصدر الاهتمامات، إلا من زوايا الأحلاف السياسية والطائفية المستجدة.

في الولايات المتحدة، التي انخرط التيار الغالب من إعلامها في حملة الترويج للحرب على العراق في عام ٢٠٠٣، تنشط اليوم محاولات تقوم بها منظمات وهيئات مستقلة، تحاول الضغط على وسائل الإعلام الكبرى وعلى الصحف الأبرز، كي يتم تناول أحداث العراق بشكل أفضل وأعمق وأكثر توازناً، مما كان عليه قبيل الحرب وبعدها.

الحملة الأمريكية تحمل شعار «قل الحقيقة!»، وهي تنطلق من مراجعة دقيقة موثقة لأداء الإعلام الأمريكي قبيل وخلال الحرب على العراق وبعدها.

وثقت الحملة أبرز ما قاله صحافيو ومعلقو كبريات المؤسسات الإعلامية الأمريكية وكيف تمّ الترويج لما زعمت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش بأنه مبررات للحرب، ثبت لاحقاً خطأها. كما تم توثيق آلية تعامل وسائل الإعلام مع حقيقة ما يجري في العراق لجهة إغفال معطيات أساسية أبرزها حجم الضحايا في صفوف العراقيين.

لا شك في أن التيار الغالب في الإعلام الأمريكي بحاجة لمراجعة نفسه حيال دوره في حرب العراق، خصوصاً أن تكتيكا مماثلا يعتمد اليوم في التعامل مع الملف الإيراني.

لكن المراجعة هذه يحتاجها وبإلحاح أكبر الإعلام العربي، الذي عجز عن تصوير واقع مأساة العراقيين الطويلة والمريرة، خلال حقبة نظام صدام حسين، وفشل في تصوير حقيقة الحرب، التي تم الترويج خلالها لهزيمة أمريكية في العراق، ثبت لاحقاً كذبها. والأفظع فشل الإعلام العربي في مواكبة حقيقة المعاناة العراقية الحالية، إلا من زوايا الاستعار الطائفي للأحداث.

المحاسبة والمراجعة معان ومفاهيم لا تزال غير مدرجة في قواميسنا.

استخدام أطفال في عمليات الانتحاريين ليس خبراً بارزاً، لكن أن يرتعش الأمين العام للأمم المتحدة من دوي انفجار استهدف المنطقة الخضراء، خلال مؤتمر يبث مباشرة من بغداد، فحدث يستحق التكرار والإبراز بشكل مبالغ فيه.

مؤسسات إخبارية عربية كبرى أعادت علينا مشاهد هلع بان كي مون من الانفجار في لحظاته الأولى بشكل ممجوج..

هذه المؤسسات نسيت وهي تستعيد كيف كانت ردة فعل بان كي مون، أن تعلمنا من سقط ضحية الانفجار المدوي ذاك..!

ثقافة الحب والكراهية في عورة الإعلام العربي

فى مقال له بصحيفة الشرق الأوسط اللندنية يقول الكاتب احمد الربيعى ان دان راذر، واحد من ألمع الإعلاميين الأمريكيين، وعندما كنا طلبة في أمريكا في الثمانينات كنا نحرص على نشرة الاخبار الرئيسية في C.B.S وعلى برنامج راذر الشهير «ستون دقيقة»، ومنذ التحاقه في ١٩٦٢ بشبكة الاخبار الأمريكية الشهيرة اكتسب شهرة كبيرة في احداث أمريكية ودولية مهمة.

بعـد أربعين عاما من العمل الصحافي المحترف يقع دان راذر ضحية لكراهيته للرئيس بـوش ومـن قـبله جـورج بـوش الأب، فيتـسرع في نشر وثائق ضد الرئيس بوش الابن للاسـاءة إليه في حملته الانتخابية، ثم يكتشف الجميع ان الوثائق مزورة، ولأن الإعلام في الـدول الديمقـراطية لا يمـزح «ولا يـسمح بـالخلط بـين نقـل الحقيقة كما هي وبين الرأي الشخـصي للإعلامـي في تلـك الحقـيقة، فـإن دان راذر اضـطر للاعتذار العلني في محطة C.B.S واضـطرت المحطـة أيضا للاعتذار، وهو امر أدى إلى اهتزاز صورة محطة عريقة في ظل منافسة إعلامية لا ترحم.

الحادثـة تدفـع الإنسان للتفكير في اوضاع الإعلام العربي وتحديدا الفضائيات، فهناك معلـومات مغلـوطة تذاع كل يوم تقريبا، وهناك خلط خطير بين مشاعر الصحافي ومحبته وكـراهيته لأيـة قـضية وبـين ضرورة نقل المعلومة بحيادية وصدق. ولذلك تجد كثيرا من المراسـلين في الفضائيات العربية يمارسون الخطابة والوعظ بينما هم ينقلون تقريرا اخباريا يفترض أن يتميز بأكبر قدر ممكن من النزاهة والموضوعية.

عـندما كانـت الـدبابات الأمـريكية تـتقدم نحـو بغـداد كـان الإعلاميون الأمريكيون يتحـركون معهـا، ولكـن لم يتجرأ احد بالقول «ان قواتنا الظافرة تتقدم» ولم يتجرأ احد بالقـول «النصر لأمريكا»، لأنه لو فعل احد مثل هذا الفعل لفقد وظيفته فورا. بينما نجد علـى الجانـب الآخـر صـحافة الفـضائيات العـربية تنشر معلومات الصحاف عن هزيمة «العلـوج» بكـثير مـن الثقة وتطفي عليها مصداقية كاذبة، دون ان تعنيها الحقيقة وصدق ودقة المعلومات. وعندما كنا في حرب ١٩٦٧ مع إسرائيل كنا نتحدث عن «إسقاط مائة طائرة للعدو» بينما كانت الفرق الإسرائيلية تحتل المدن العربية واحدة بعد الاخرى!!

القـضية ليـست ان صـحفيا كـبيرا مثل راذر يخطئ، فالخطأ طبيعة بشرية، القضية ان هـناك مؤسـسات محترمة لا تسمح بمثل هذه الاخطاء، وأن هناك رأيا عاما يحاسب بقوة، بيـنما لا يـتردد كثير من الإعلاميين العرب بالاساءة إلى الحقيقة وبتغليب آرائه الشخصية دون أن يرف له جفن.

دون تقليل من مسؤولية السياسيين: يتحمل الإعلام تبعة (نصف جريمة) النزاعات أو الصراعات العربية.. وهذا التقدير (الرقمي) ليس مجرد خاطرة ذهنية، بل هو ثمرة دراسة علمية رصينة.. ففي مبحث (أدوات الصراع) من كتاب (الصراعات العربية ـ العربية)، وهو كتاب قوامه دراسة علمية استطلاعية قام بها مؤلف الكتاب الدكتور أحمد يوسف أحمد.. في مبحث أدوات الصراع من هذا الكتاب نقرأ المعلومة التالية: «تظهر النتائج أن الأداة الدعائية (الإعلام) استأثرت كما هو واضح بما نسبته ٤٩,٣٤ بالمائة من مجموع تكرارات لجوء البلدان العربية إلى مجمل الأدوات التي يتضمنها الجدول رقم (٥٢)، أي حوالي نصف هذه التكرارات».

إن هناك خلافا سياسيا بين السعودية وسوريا حول هذه القضية أو تلك. هذا واقع: ليس من الواقعية نكرانه، بيد أن الخلاف السياسي لا يجوز للإعلام أن يهوله ويحوله إلى حرب أو حالة حرب بين البلدين.. لقد نشرت صحيفة لبنانية (أخبارا) تزعم أن القيادة السعودية (تتآمر) لأجل قلب نظام الحكم في سوريا «!!!!».. هكذا، وبهذه البداهة والعفوية والتلقائية. وكأن قلب أنظمة الحكم هواية تمارس كل صباح كما تمارس رياضة المشي مثلا!!..

ولما كانت الأخبار تنطوي على مخاطر أمنية واستراتيجية جسيمة فقد سارعت سوريا إلى نفيها: جملة وتفصيلا، جذرا وفرعا.. وهذه مسؤولية ناجزة تُحمد عليها سوريا: مسؤولية نقض أخبار كاذبة.. ومسؤولية أن الذي يقود الدول هم السياسيون لا الإعلاميون.. ومسؤولية أن العلاقة بين البلدين حتى على افتراض وصولها إلى الحافة في بعض الأحيان، فإنه يتوجب الوقوف بثبات وصلابة عند الحافة لئلا تهوي إلى القاع: أملا في مستقبل أفضل ذي مناخ أصح. وهذا هو (مضمون) الدبلوماسية الحصيفة، وهو مضمون أصّله المنهج القرآني، بمعنى أن هذا المنهج أرسى قاعدة ترك باب الصلات والعلاقات و(الوداد)! مفتوحا دوما حتى أمام المعادين من غير المؤمنين: «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم».

ولكي يظل باب العلاقات السويّة النافعة المريحة مفتوحا أبدا: يتوجب دفع الإعلام و(توجيهه)!! لأن يكون (أداة تفاهم) بين أمم الأرض كافة، فما بالك بين العرب والمسلمين.. أما أن يتحول الإعلام إلى (أداة) شقاق ونطاح وصراع، فإنه يتحول عندئذ

إلى مسعر حروب: باردة وساخنة (والحرب أولها كلام) كما تقول الحكمة العربية التي بثها شعر عربي.

والإعلام ما هو بمستطيع: أن يسمو إلى هذه المسؤولية الاجتماعية والسياسية والحضارية الواجبة حتى يتحرر (أو يُحرر) من مرضين وبيلين:

أولا: مرض صك أو ترويج مفردات ومصطلحات معينة، وتصنيف الناس والدول على أساسها، بعد حشرهم في مضايقها.. ومن هذه المصطلحات (الاعتدال) و(الراديكالية) مثلا.

١ ـ بالنسبة إلى الاعتدال نسارع فنقول: إنه مفردة عربية وإسلامية أصيلة وممدوحة ـ في الكتاب والسنة ـ: فكرا وفعلا وسلوكا، ذلك ان مقابل (الاعتدال) هو: الغلو والتطرف والتنطع ومجاوزة الحد في كل شيء. وهذا المقابل مقبوح مذموم في شريعة الإسلام. لكن طبّاخي المفردات السياسية ومحرّفيها يحرفون مفهوم الاعتدال بما يتوافق مع أهوائهم وأيدلوجياتهم وفخاخهم ومكايدهم.. مثلا: الاعتدال عند غلاة المحافظين الجدد في واشنطن (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون): الاعتدال في مفهوم هؤلاء ـ بالنسبة للسعودية ـ (وكذلك في مفهوم صداهم في الوطن العربي) هو: التخلي عن الإسلام من حيث إنه منهج متماسك ذو عقيدة وشريعة ومفاهيم اخلاقية واجتماعية، ومن حيث إنه (فلسفة) يقوم عليها نظام سياسي واجتماعي. وبموجب شرط (التخلي) هذا: يجردون السعودية من (الاعتدال) حتى وان (تكتكوا) ووصفوها بالاعتدال: إعلاميا وسياسيا!.. ومن ضمن مفهومهم المعوج لـ(الاعتدال السعودي): أن تهدر السعودية رصيدها التاريخي الفريد (السياسي والرسمي والشعبي والإنساني) في خدمة القضية الفلسطينية وأهلها.. مقابل ماذا؟.. مقابل لا شيء «!!!!!».. وثالث انحراف في هذا المفهوم المعوج للاعتدال: أن تضحي السعودية بمصالحها وعلاقتها الوثيقة بالأوبك في سبيل تقديرات أمريكية مضطربة لأسواق النفط. وذلك عن طريق زيادات هائلة في الإنتاج النفطي السعودي، فإن رفضت السعودية ذلك صاحوا: ان السعوديين متطرفون نفطيون، وثم ينزعون عنهم (صفة الاعتدال)، بل يطالب أعضاء في الكونجرس بمحاسبة السعودية، على حين أن الأمريكان أنفسهم متطرفون: بهذا المقياس.. يقول روبرت روبرتسون نائب شركة (شيفرون) النفطية الأمريكية: «ان الحكومة الفدرالية تحظر على الولايات الأمريكية: التنقيب عن النفط واستخراجه، ولو

سمح للولايات باستخراج النفط لتوافرت في الأسواق الأمريكية كميات كبيرة منه» . . فمن (المتطرف النفطي) في هذه الحالة؟!

وليتكشف الضوء على نقطة مركزية في هذا السياق وهي: ان السعودية نظام ملكي، أي أن الاعتدال ـ بمفهومه الصحيح الأصيل ـ من طبيعته، بل يتعزز الاعتدال بوصف آخر وهو (المحافظة)، فكيف يتهم الإعلام نظاما معتدلا محافظا بقلب أنظمة حكم؟ . . إن حرفة تغيير الأنظمة بالقوة هي من اختصاص (الراديكاليين)، فهل السعودية أصبحت دولة راديكالية . . عليكم أن تتفقوا أولا: هل نحن معتدلون محافظون أم راديكاليون ثوريون؟!

٢ ـ بالنسبة للراديكالية، فقد أطلق إعلام غربي ـ وعربي ـ هذا الوصف على أنظمة سياسية عربية ـ وغير عربية ـ (ظاهرها معأداة الغرب ومناهضة مصالحه، وباطنها العشق والود وتبادل المصالح والمنافع والمعلومات) الخ.

والوضوح جد مهم ها هنا. وهو وضوح يستوجب ضرب مثلين (سوريا وإيران) . . فالإعلام الغربي ـ وتابعه العربي ـ يصف هذين النظامين بأنهما راديكاليان أو ثوريان، فهل هما كذلك في حقيقة الأمر؟ . . من مفاهيم الراديكالية أنها (مذهب سياسي مثالي يقدّم الأيدلوجية على المصلحة ولا يرضى بالمكاسب النسبية ولا الحلول الوسط)، فهل تُدار السياسات السورية والإيرانية بهذا المنطق؟ . . لا . . طبعا:

أ ـ الهدف المركزي للسياسة الخارجية السورية هو: استعادة الجولان . . وفي سبيل ذلك أجرت مفاوضات مع إسرائيل منذ مدريد وحتى الآن، وبينما كان الإعلام يظهر النظام السوري في صورة راديكالية، كان الواقع السياسي مغايرا لهذه الصورة. فقد قال أيهود أولمرت: «إن المفاوضات مع سوريا تجري وراء أبواب مغلقة . . وهي مفاوضات تتم وفق أعلى مسؤوليات الجد والعمق والمسؤولية والوضوح» . . فالسياسة السورية تدار ـ من ثم ـ وفق منطق (نفعي) لا راديكالي.

ب ـ ويظهر الإعلام العلاقة بين أمريكا وإيران وكأنها مقدمات لـ(حرب حتمية) . . وحقيقة الأمر ليست كذلك . . فثمة مباحثات مكتومة بين الطرفين مجالها كل شيء تقريبا . . ومن ثمار هذه المباحثات: التهدئة النسبية في العراق . . والتعاون على إنجاح مؤتمر ستوكهولم الخاص بالعراق . . ومباركة إيران للمفاوضات السورية الإسرائيلية . . والتنسيق الخفي على إنجاز اتفاق الدوحة . . و. و. و . . وهذا منطق (نفعي) لا

راديكالي في السياسة الإيرانية: منطق الأولوية المطلقة لمصالح (الدولة الإيرانية)، ولا مجال للشعار الراديكالي في صميم هذه الحسابات.. لكن الإعلام آثر الغش والتضليل والتجهيل من خلال مرضه الأول ذاك (مرض المفردات المضللة).

ثانيا: المرض الإعلامي الثاني هو: (التعتيم الإعلامي) على (جرائم الإعلام) في الإضرار بالمصالح الحيوية الثابتة للأمة.. ولدفع الإيهام نقول: نحن بنا غيرة حقيقية على الإعلام فهو مهنتنا التدريسية، وهو مجال ممارستنا الكتابية، وهو ـ في تقديرنا ـ من أعظم عناصر القوة في عصرنا وعالمنا، بيد أن (الحقيقة) أعظم عندنا من الإعلام: حقيقة تقديم الحقائق والمعلومات للناس بما لا يزيف جوهرها وصورتها.. وبهذا المعيار يصعب وصف الإعلام العربي بأنه خدم الحقيقة والرأي العام في مجمل القضايا التي تعاطاها. فقد كان له دوره السلبي، بل التضليلي في الصراع العربي الإسرائيلي ـ في الحرب والسلم ـ وفي العلاقات البينية بين الدول العربية، وفي صورتنا المقدمة للغرب، وفي صورة الغرب المقدمة إلينا.. وفي الأزمات السابقة، والأزمات الراهنة، ومنها أزمة لبنان

معالم الخطاب الإعلامي العربي

من أبرز معالم الخطاب الإعلامي العربي بشكل عام أنه أحادي الاتجاه، بمعنى أنه يخضع لتوجيه السلطة القائمة ويؤكد النظام الابوي الذي يقوم في جوهره على تمجيد الرئيس والدعوة إلى طاعته. وتتسلسل هذه الطاعة من كل رئيس إلى مرؤوسيه في مختلف الانشطة الاجتماعية. وابتداء من المدرسة الابتدائية إلى الجامعة يتعلم الطالب العربي أن عليه ان يحفظ العلوم كما تقدم له وكلما كان حفظه كاملا كانت درجته اعلى. وعلى نفس المستوى كلما كان ايمانه بالرئيس اقوى كانت فرصه للترقي اكبر.

واليوم لا تكاد توجد وزارة للإعلام الا في المجتمعات العربية، فهي الوزارة المنوط بها توجيه الإعلام، وهي غالبا تهيمن على قنوات البث التلفزيوني والاذاعي، ومن الطبيعي في ظل هذا النظام ان يكون للرقابة دور اساسي بحيث يحذف اي شيء يتوهم انه ضار بقداسة النظام الأبوي، كما توجد تشريعات قانونية تحد من حريات الناس في التفكير والعمل وتجبرهم على المضي في خط الدولة السائد.

ومـثل هـذا الـنظام غالبا ما يلجأ إلى افكار جامعة من المفروض انها تستقطب الغالبية العظمـى مـن جمـاهير الدولـة، مـثل الفكـرة الدينية أو الطائفية أو العرقية التي قد تلبس الإطـار القومـي، وعـن طريق استثارة العاطفة الدينية أو القومية من الممكن الهيمنة على عواطـف الـناس وتوجـيهها لتتجاوز التفاصيل التي يعاني منها المجتمع، مثل البطالة أو الفـساد السياسي والاقتصادي والأخلاقي والتخلف الصناعي أو الزراعي وغير ذلك من المـشاكل الكـثيرة الـتي تفتك بالبنية الاجتماعية. وربما كان هذا النظام الذي يتحوط كل شـيء تقـريبا لا يـرى أمـنه إلا في توسـيع جهـاز الأمن وإعطائه صلاحيات مطلقة، مثل قوانين الطوارئ الاستثنائية فضلا عن القوانين الأخرى التي تجرم النشاطات السياسية غير المرضي عنها أو الافكار غير المسموح بها، وغالبا ما تزرع هذه الاجهزة الرعب في نفوس شـعبها حتـى لا يخرج احد عن الخط المرسوم أو يتلقى ردعا مخيفا. وكثيرا ما تتحوط هذه الأنظمـة فتقـبل ادنى الشكوك في شخص أو فعل فتأخذه بالشبهة مهما تكن بسيطة لمجرد الاحتـياط. ومـثل هـذه التحوطات الرهيبة تزرع الخوف في النفوس وما يترتب عليه من أعراض بالغة الضرر بكيان المجتمع في مجمله.

ولعل اخطر ما يلاحظ في الخطاب العربي بوجه عام هو غياب النقد واعتباره خصومة وعداوة وخروجا عن المتفق عليه وأن وراءه في الحقيقة مؤامرة ما أو تدبيرا عدوانيا.

وهـذا الـنوع مـن الخطـاب الـسياسي أو الفكـري لا يحب العقلانية ويرحب بالدوجما العقائدية ويستسهل استخدامها ويوظف هيمنته على وسائل اتصال الجماهيري لتأكيدها وشـيوعها وهـو بالتالـي عـدو للتنويـر في حقيقة الامر وعدو للتحديث، لأنه في جوهره محـافظ وتقلـيدي واتباعي. وهو في النهاية نتاج نظام سياسي ديكتاتوري يزيف المقولات الديمقـراطية ويـزيف الانـتخابات وينتـزع من الكلمة فحواها التنفيذي بتجريدها من أي تأثير على الواقع الذي تتحدث عنه. وكل هذه احتياطات وخبرات تعلمها واستفاد منها الـنظام الديكتاتوري الذي يقوم على القمع وعلى غسيل مخ شعبه بتلك الوسائل المجربة طوال عهود التسلط التي مرت بها الكثير من المجتمعات العربية.

الدعاية الأمريكية بوجوه عربية فى صحافة العرب

على مدى سنوات طويلة عرف الصحفيون الموضوعية كواحدة من الأخلاقيات الرئيسية التي ينبغي أن يتّصف بها الصحفيون والعاملون في وسائل الإعلام حتى لا تتأثر الأخبار والمعلومات بالأهواء والرغبات الشخصية.

ولكن الأمر ليس كذلك فالناس يعانون من تفشّي استخدام الدعاية بشكل جنوني في كل شيء والاعتماد على الوهم لا الحقيقة في مخاطبة الجماهير المتعددة؛ لدرجة لم يعد يستطيع المتلقّي التمييز بين الصدق والكذب فيما يقدّم إليه من معلومات عبر وسائل الإعلام المختلفة.

ومما زاد من وتيرة استخدام الدعاية والتضليل في وسائل الإعلام الأمريكية وحلفائها وأعوانها الدخول في حرب طاحنة اندلعت بين الغرب وحلفائه تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وبين الأمة الإسلامية التي تقودها «السلفيّة الجهاديّة» اليوم.

فقد جاء سير المعارك على غير ما اشتهى مخطّطو السياسة الأمريكية، و بخلاف ما اجتهد لأجله مسيّرو المعارك في بلاد الرافدين وبلاد خراسان ضد أهل التوحيد وحماة سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأنشأ البنتاغون زمن وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد بعد غزوتي نيويورك وواشنطن في أيلول ٢٠٠١ مكتباً اسماه "مكتب التأثير الإستراتيجي"، ومع مرور الوقت وانكشاف أمره أطلقت الصحافة الأمريكية عليه اسم "مكتب التضليل الإعلامي"، لأن مهمته الحقيقية هي ممارسة التضليل الإعلامي على الصحافة ووكالات الأنباء عبر تزويدها بطرق مباشرة، وغير مباشرة، بأخبار يختلط فيها الحقيقي بالمزيف، والصادق بالكاذب، وذلك خدمة لإستراتيجيات البنتاغون وأهداف الحكومة الأمريكية السياسية والعسكرية.

ولم تكن المعلومات المتدفقة إلى الصحافة ووكالات الأنباء المضللة تأتي مباشرة من هذا المكتب الدعائي ولكنها جاءت من خلال وسطاء عراقيين ومثلهم من سكان البلدان التي تقاتل فيها القوات الأمريكية ضد الأمة الإسلامية.

وقالت منظمة «أرشيف الأمن القومي» المستقلة في الولايات المتحدة إنّه أثناء الإعداد للعدوان على العراق في آذار ٢٠٠٣ أنشأت البنتاغون وحدة باسم «فريق الردّ الإعلاميّ

السريع» ، مهمتها التأكّد من التحكّم في وسائل الإعلام العراقية الرئيسة مع توفير «وجه» عراقي يعبر عن أعمالها .

وتكشف الوثيقة المسمّاة «الورقة البيضاء» أنّ ميزانيّة تلك الوحدة بلغت نحو ٥١ مليون دولار لتمويل «حملة معلومات استراتيجية» تستغرق من عام إلى عامين ، وتشغيل «مستشارين إعلاميين» أمريكيين ، يتقاضى كل واحد منهما ١٤٠ ألف دولار لمدة ستة أشهر من العمل . ويتم دفع ٨٠٠ ألف دولار لستة «مستشارين إعلاميين» عراقيين .

وطبقاً للوثيقة ، فإن الخبراء العراقيين الذين يقع الاختيار عليهم ، يقومون بتوفير التخطيط والإرشاد الموجّه لخبراء الولايات المتحدة ويساعدون في «اختيار المذيعين والناشرين وتدريبهم لمصلحة مجهود المعلومات الذي ترعاه حكومة الولايات المتحدة والتحالف» .

وكشفت منظمة أرشيف الأمن القومي حساباً قام به المفتش العام للبنتاغون بخصوص ٢٤ عقداً ، معظمها جرى بالإسناد المباشر ، تبلغ قيمتها الإجمالية ١٢٢,٥ مليون دولار ، بينها ١١١ مليون دولار قدمت لقاء ١٣ عقداً ، قدمتها وزارة الدفاع إلى ثلاثة مقاولين لديها قاموا بتنفيذ أنشطة تتعلق بوسائل الإعلام في العراق بعد العدوان عليه .

ودفعت «البنتاغون» في الخامس من آذار ٢٠٠٣ ، بتوجيه من نائب وزير الدفاع آنذاك بول وولفويتز ، ٣٣ مليون دولار لمجموعة من العراقيين المعارضين في الخارج تعمل باسم «مجلس إعادة الإعمار والتنمية العراقي» ، لقاء عقود عمل .

وتم تصوير فريق الرد الإعلامي السريع على أنه «جسر البداية السريعة» بين شبكة وسائل الإعلام التي تديرها الحكومة العراقية العميلة وبين «وسائل إعلام عراقية مستقلة» ، التي وصفها واضعو الورقة بأنها هدف طويل الأجل لهذا البرنامج حيث تقول الوثيقة «ستكون المهمّة إيهام جمهور العراق بنيّة الولايات المتحدة وحلفائها وعملياتهما من أجل استقرار العراق ، وخصوصاً منع تمزّق العراق بعد الحرب وتوفير أمل للعراقيين في المستقبل» .

هذه المعلومات التي تم كشفها فيما يتعلق بممارسة التضليل الإعلامي والدعاية والجهات التي تشكلت للقيام بها ، وكانت سريّة طيّ الكتمان حتى تمّ الإفراج عنها لأسباب متعددة من بينها فشل إستراتيجيات سبع للحرب وضعها ساسة البيت الأبيض ضمن السعي لمعرفة أسباب الفشل .

ومـثّلت الأفـلام المـصوّرة للعملـيات الجهادية والانتصارات الحيّة ونشرها على نطاق واسـع صـفعات قـويّة أربكـت المخطّطـين الإسـتراتيجيين الأمـريكان وأفشلت ألاعيب التـضليل الإعلامـي في الـداخل الأمريكـي وتأكـد العـالم بأجمعـه أن أمـريكا وحلفاءها يخسرون الحرب أمام المجاهدين.

ولقـد شـعر الأمريكان أنفسهم بخطورة ممارسة التضليل؛ وقالت "دبرا بوتر" المديرة التنفـيذية لنـيوزلاب: « فالحقيقة هي أنه في العالم المعقد الذي نعيش فيه الذي لم تعد فيه المعلومات سلعة نادرة، أصبح دور الصحفي أكثر أهمية مما كان في أي زمن مضى.

وعلـى النقـيض ممـا يفعلـه مـروجو الدعايـة أو الشائعات، فإن الصحفي يقوم بفرز المعلـومات المتوفـرة لديـه ثـم يقـرر مـا يرى أن له قيمة ويمكن الوثوق به قبل إن ينقله إلى جمهـوره. فما يرد في الأخبار من حكايات، سواء كانت أخبارا جادة أو خفيفة، يجب أن تكـون حكايـات دقـيقة وصـادقة. فالـصحفيون لا يكـتفون بجمـع مـا يحتاجون إليه من معلـومات لكـي يتمكـنوا مـن الحديث عن الموضوع، وإنما عليهم أن يتحققوا من صحة المعلومات قبل استخدامها . . . الصحافة ليست مجرد نشر معلومات صحيحة وصادقة. فالدعاية يمكن أن تستند أيضا على أساس الحقائق، لكن تلك الحقائق تقدم بطريقة معينة بحيث تؤثر على رأي الجمهور ».

ولكـن الـصحافة الأمـريكية والغـربية تعـتمد بـشكل كـبير علـى الدعايـة والتضليل فالموضـوعية لم تعد جزءاً من أخلاقيات مهنة الصحافة الأمريكية منذ العام ١٩٩٦ الذي أسـقطت فـيه نقابة الصحفيين الأمريكيين كلمة "موضوعية" من ميثاق أخلاقيات المهنة الـذي كانـت قـد وضعته، معللة ذلك بأن الصحفيين هم بشر قبل أي شيء آخر، وهم حريـصون علـى ألا يفقـدوا وظـائفهم، كمـا أنّ لهـم آراءهـم الخاصة، والادعاء بأنّهم موضوعيون تماما يفترض أنهم لا يؤمنون بالقيم.

وممـا لا شـك فـيه أنّ فقـدان الأمـريكان وحلفـائهم للسيطرة في كثير من المناطق التي يحاربـون فـيها ضـد الإسـلام والمسلمين يجعلهم يكثفون من حملات الدعاية والتضليل، وبفـضل مـن الله أوضـحنا أشـكالا مـن تلك الدعاية وذلك التضليل الذي تبثه الولايات المتحدة من خلال وسائل الإعلام وذكرنا مثلا كيف مارست قناة الجزيرة في قطر التضليل الإعلامـي مـع العملـية الجهادية الكبيرة التي أتقنها جنود الإمارة الإسلامية في أفغانستان وحرروا الأسرى بدون خسائر في جانب المسلمين وأن الجزيرة استخدمت ذات الأساليب

التي اعتمدت عليها الـ CNN الأمريكية والـ BBC البريطانية في التضليل. ﴿لمزيد من التفاصيل بالإمكان الرجوع إلى مقالة الإمارة الإسلامية في أفغانستان تقدم صنعة إبداعية لتحرير الأسرى تخفيها الوسائل الإعلامية﴾.

وفي كتاب مجموع رسائل امسك وسيلة إعلامية معادية الذي صدر مؤخرا أشرنا إلى أساليب الدعاية والتضليل والحرب النفسية التي تتبعها وسائل الإعلام المرافقة للحرب الصليبية على أمة الإسلام وشمل ذلك تغطيتها للأخبار في كثير من ساحات الجهاد، والحرب على العقائد وبحمد الله كشف الكتاب عددا من الوسائل المتخفية في أقنعة كمفكرة الإسلام وإسلام أون لاين.

لذلك نجدد الدعوة إلى التركيز فيما يأتي من أنباء وعرضها على أساليب الدعاية والتضليل الإعلامي والحرب النفسية المبينة في الكتاب أو أي كتب علمية أخرى تصل إليها أيدي القراء والمستمعين والمشاهدين و المتصفحين حتى نميز الحقيقة من الوهم، والصدق من الكذب، ونتمكن من اتخاذ موقف سليم صائب.

وجه آخر للإعلام العربي فى حرب العراق

لاشك أن الإعلام يستطيع أن يلعب دوراً مؤثراً وفاعلاً في صناعة قناعات الشعوب وتحديد اتجاهات أولوياتها وغرس بذور الحب والكراهية وتنميتها تجاه قضايا وأشخاص. لكن الإعلام ليس سوى عامل مساعد ومضخم ومغذٍّ للحقائق. ومتى ما تضاربت الحقائق مع سياق الخطاب الإعلامي يتحول الإعلام إلى أضحوكة ومادة للتندر والسخرية.

والشعوب العربية من أغنى شعوب العالم تجربة في كوارث الشحن الإعلامي بجرعات مؤذية ومضرة بالأمن القومي العربي وكارثية فيما يتعلق بثقة الشعوب بأقوال الحكام. فتجربة صوت العرب وما بنته من آمال على زعامة عبدالناصر وجبروت جيشه وما أعقب ذلك من هزيمة مذلة مدمرة كانت أول مسمار يدق في نعش المصداقية الإعلامية العربية. وتلا ذلك تجربة الرئيس المهيب القائد الملهم صدام حسين وأم المعارك وقادسيته وما جلبته للعراق بل للأمة بأسرها من حسرة وندم وما جرت العراق إليه من ويلات مازال يقاسي ذيولها.

الأمـريكيون يـبدو أنهـم أسـاءوا تقدير الحس الإعلامي العربي وتشكك العرب فيما يـسمعون ويـشاهدون مـن أخـبار (وخـصوصاً إذا ما كانت أمريكية المصدر)، فاعتقدوا واهمـين قـبل غـزو العـراق أن سـبب مشاكلهم مع الشعوب العربية هو الإعلام الوطني العربـي المحـرض علـى كـراهية الغـرب وخصوصاً أمريكا، وحدد الأمريكيون محطات بعيـنها علـى أنهـا مـصدر الـبلاء وحجـر العثـرة الأكبر الذي يحول دون سير مخططاتهم بـسلاسة في المـنطقة، خاصـة وأنها تقدم تحت شعارات جذابة مثل الديمقراطية، وإحلال الـسلام، وتمكـين الإنسان مـن نـيل حقـوقه الـتي افترستها الأنظمة الشمولية القمعية، وكانـت "الجزيـرة" علـى رأس القائمـة وتعرضـت مكاتـبها للقـصف خـلال حـرب "أفغانـستان" وخلال اقتحام بغداد. ووضع مراسلوها تحت الرقابة الصارمة والتحريض حتـى إن "إسـبانيا" اعتقلت مدير مكتبها هناك وألقت به في السجن دون تقديم مبررات مقنعة.

وانطلاقاً من تلك القناعة اعتقد مخططو السياسة الأمريكية أنهم وبحكم كونهم أساتذة الإعـلام المعاصـر بكل فنونه فإنهم قادرون على التصدي لهذا الإعلام العربي المبني على الكراهية والتحريض، فأسسوا محطة إذاعية لم تقم لها قائمة منذ انطلاقها ولا أحد يعرف بوجـودها في العـالم العربـي سـوى العاملين فيها، أما القناة الفضائية التي أنفقت عليها أمـريكا بـسخاء وحشدت لإنجاحها أفضل خبرات "صوت أمريكا" إضافة إلى تطعيمها بعـدد من الوجوه المليحة والأبواق الفصيحة ومنحها حرية المناورة والحركة. فإنها تلاقي نجاحـاً ومتابعة فقط عندما تنتقد السياسات الأمريكية. أما إذا طرقت موضوعاً غير ذلك فـإن أحـداً لا يلـتفت إلى ما تقول ويعود إلى تلك المحطات المدونة على القائمة الأمريكية السوداء.

وأخـيراً وبعـد عـام ونـصف اقتنع البنتاجون الذي يعشش في أوكاره "عتاة المحافظين الجـدد" مـن صـانعي الـسياسات الدفاعـية والاسـتراتيجية أن قـناتهم فـشلت في تحقيق الأهـداف الـتي أسـست مـن أجلـها وخاصـة هـدف تحويل المشاعر العربية العدائية ضد الـولايات المـتحدة إلى مشاعر متفهمة لما يجري أو مؤيدة لأهداف السياسات الأمريكية أو حتـى متقـبلة لفكرة إعطاء المشروع الأمريكي فرصة التجربة وانتظار ما سيتمخض عنه. ومـا يـزال ٩٠٪ مـن مـواطني الـشرق الأوسـط الكـبير ولـيس العربي فقط، يعارضون الـسياسات الأمـريكية تجـاه منطقتهم. وحدد الأمريكيون الفشل الأكبر لآلتهم الإعلامية

التلفـزيونية والإذاعـية بأنـه الإخفـاق في الحـد مـن كـراهية العـراقيين للـولايات المتحدة وجـنودها وإقـناع الـشعب العراقي بالتعامل بإخلاص مع الحكومة العراقية أو حتى على الأقـل رفـض المقاومة والتعاون مع الحكومة المؤقتة في عمليات التصدي لها ومحاصرتها، وعزا تقرير "البنتاجون" أسباب الفشل إلى الصور الدموية التي تبثها التلفزيونات العربية والأوروبية وتنشرها الصحف.

لكـن الأمـر الـشديد الغرابة هو أن التوصيات التي وردت في التقرير تؤكد على فشل المشروع الإعلامـي الحالي لكنها تدعو إلى زيادة الاعتمادات المالية لتطويره وتكثيفه، بل إلى إنشاء مركز للمعلومات يتولى جمع الأخبار وتوزيعها على وسائل الإعلام العربية دون حاجـة مـن تلـك الوسـائل إلى إرسـال مراسـلين إلى مواقع الأحداث حتى تنفرد أمريكا بتأليف الأخبار وتزوير الحقائق وتضليل الشعوب.

في اعـتقادي أن علـى الـولايات المـتحدة أن تدرك أن شعوب هذه المنطقة التي عاشت أكثـر مـن ٥٧ عامـاً من الصراع السياسي الذي تخللته سبع حروب كبرى (بمعدل حرب كـبرى كـل عشر سنوات تقريباً) أصبحت شديدة الذكاء في التعامل مع معطيات الإعلام ووسـائله، وأصـبح لـديها حـصانات تمـنعها مـن الانـسياق الساذج إلى تصديق حملات التجمـيل والـتهدئة الإعلامـية. وأن جوهـر الكـراهية العـربية والإسـلامية للـسياسات الأمـريكية هـو موقف الولايات المتحدة من الصراع العربي الإسرائيلي وإصرارها الدائم علـى تأييد الصلف والعنجهية الإسرائيلية، وفرض إرادة إسرائيل على العرب بقوة المال والسلاح والدعم السياسي الأمريكي. وما لم تدرك أمريكا ذلك فإنها تنفق أموال دافعي الضرائب على مشاريع إعلامية محكوم عليها بالفشل مسبقاً ولا طائل من وراء الاستمرار فـيها. ذلـك أن شـعوب المنطقة أصبحت بالغة الحساسية وسوء الظن بكل ما يصدر من أمـريكا تجـاه هـذه المـنطقة ولا تـرى فـيه إلا مزيداً من ترسيخ النفوذ الصهيوني والهيمنة الإسرائيلية. . والأمريكية أيضا.

مصادر الدراسة

١. تـدويل الإعلام العربي الوعاء ووعي الهوية، جمال الزرن، صفحات للدراسات والنشر، ١٢/ ٠٩/ ٢٠٠٧

٢. حـرب همجـية : الإعـلام والـسياسة في العـالم العربـي، د. مأمـون فـندي، Praeger Security International، ٢٠٠٧

٣. الخطـاب الإعلامـي والـشرق الأوسـط، جمال الأسعد، مختارات للنشر، الطبعة الاولى، ١٩٩٧

٤. أخبرنـي اكاذيـب : الدعايـة والتـضليل الإعلامي في الحرب على العراق، دايفد ميلر، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧

٥. الأمـن الإعلامـي العربـي إشكالية الدور والهوية، رفيق نصرالله، رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٧

٦. لمـاذا فشل الإعلام العربي في حرب حرية العراق؟عبد الحميد الأنصاري، جريدة الشرق الأوسط، الخميـس ١٥ صفـر ١٤٢٤ هـ ١٧ ابريل ٢٠٠٣ العدد ٨٩٠٦

٧. الإرهـاب والإعـلام والـنظام العربـي الرسمي، يحيى اليحياوي، جريدة العلم، ٢٢ مايو ٢٠٠٢

٨. حـرب المصطلحات في حرب العراق. . رؤية صحفية، العربية (CNN)، ٢ / ٤ / ٢٠٠٧

٩. الإعـلام العربـي: (أداة صـراع). . أم (أداة تفـاهم)؟، زين العابدين الركابي، جـريدة الـشرق الأوسط، السبـت ٢٦ جمـادى الاولـى ١٤٢٩ هـ ٣١ مايو ٢٠٠٨ العدد ١٠٧٧٧

١٠. الإعـلام العربـي. . . الـدور ومعـيار الاسـتقلالية، خليل على حيدر ، الإتحاد الإماراتية-١٠-٦-٢٠٠٧

١١. الـصحافة العـربية هـل تجاهلـت قضية الهوية في تناولها للحرب على العراق؟، جـريدة الشرق الأوسط، الجمعـة ٠٨ جمـادى الاولـى ١٤٢٥ هـ ٢٥ يونيو ٢٠٠٤ العدد ٩٣٤١

١٢. التـضليل الإعلامـي الأمريكي مستمر بوجوه عربية، أبو طه المقداد، مجلة قضايا جهادية العدد الأول، ٢٠٠٧، الصفحة ٣٥

الفصل السادس

تحريض الإعلام الإسرائيلي للحرب على العراق

الحرب الأمريكية على العراق في الصحف الإسرائيلية

مصطلح "محور الشر" أو "معسكر الشر" مصطلح مسيحي صهيوني، جاء على لسان الرئيس الأمريكي "جورج بوش الابن"، في معرض حديثه عن الحرب ضد الإرهاب، وذلك بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر فأطلقه، تحديداً، على "العراق، وإيران، وكوريا الشمالية"، وقد تردد هذا المصطلح كثيراً في الشهور الأخيرة التي سبقت الغزو الأنجلو – أمريكي للعراق.

اليمين الصهيوني روجَّ لغزو العراق، على المستويين الديني والدنيوي، فعلى المستوى الديني هي حرب "النور والظلام"، أو "الخير والشر"، وما ستنزله الحرب بالعراق من خراب، ودمار، وحرائق، وإذلال، وعذاب، وجوع، وحزن، هو الجزاء الذي تستحقه بابل على ما ارتكبت من آثام في حق اليهود أثناء السبي البابلي؛ وعند انتصار "الخير" أو "النور" سيكون الخلاص، أي سيأتي في حينها المسيح المخلص، فهدف الحرب استعجال "الخلاص"، أي عودة المسيح والملك الألفي، الذي توقعوا أن يحدث مع بداية الألفية الثالثة، أي سنة ٢٠٠٠ ميلادية، وإن لم يأتي "الخلاص الديني"، ففي النفط العراقي والإيراني، إن تيسر، "الخلاص الدنيوي" من الكساد والركود في الاقتصاد الأمريكي والإسرائيلي.

أضحى العراق هدفاً مباشراً لإسرائيل، منذ أن بدأ السعي للحصول على قدرات نووية، في أواخر السبعينات من القرن الماضي، ولذلك ربطت إسرائيل بين السياسات العراقية المناهضة لها، والتي اتسمت بطابع أيديولوجي، وبين القدرات النووية العراقية، رغم أن إسرائيل تعلم جيداً أن القدرات النووية العراقية لن تستخدم ضدها، وإنما قد يستفيد العراق منها في دعم سياسته، والبحث عن موقع قيادي له في النظام العربي، وحتى مع تهديد العراق لإسرائيل بضربها بالصواريخ قبل غزوه للكويت، عام ١٩٩٠، كانت إسرائيل تعلم جيداً أن تهديدات العراق لا يُقصد بها سوى حصر المكاسب السياسية في العالم العربي، على أساس أنه شاع في العالم العربي أن الدولة الأعلى صوتاً في التصدي لإسرائيل هي الأعلى مكانة في النظام العربي.

عـندما قررت إسرائيل إجهاض المشروع النووي العراقي، المعروف بمفاعل "تموز"، اختارت الأسبوع الأول من يونيو/ حزيران ١٩٨١ موعداً لتنفيذ العملية التي أطلق عليها "عملـية بابـل"، كـنوع من الانتقام الرمزي لأكبر عملية ترحيل قسري في حياة الشعب اليهودي.

ما قبل الحرب:

ومـنذ انـتهاء العمليـات العـسكرية الدولـية ضـد العراق، في إبريل/ نيسان ١٩٩١، بـدأت صـفحة جديـدة في العلاقـات الإسرائيلية العراقية، تباهى معها بنيامين نتانياهو، رئـيس الـوزراء الإسـرائيلي الأسبق، بأنه كان له ولعدد من قادة اليمين الإسرائيلي دوراً بارزاً في إقناع أركان الإدارة الأمريكية بتبني الخط المتشدد تجاه العراق.

قـبل اقـتراب مـوعد الحـرب الأمريكية على العراق، كشفت الحكومة الإسرائيلية من اتـصالاتها مـع الـرئيس بـوش، بهـدف التعجيل بالحرب، وعدم التردد، حيث أشارت وسائل الإعلام الإسرائيلية إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي آريئيل شارون وقادة أجهزته الأمنية يركزون، بشكل خاص، في اتصالاتهم بإدارة بوش، على مسؤولين يهود بارزين في وزارة الـدفاع الأمـريكية، يتولـيان رسم السياسية الأمريكية تجاه العراق، وهما "بول وولفوفيتـز"، نائـب وزيـر الـدفاع، آنذاك، و"ريتشارد بيرل"، رئيس مجلس السياسة الدفاعية، وهي هيئة استشارية لوزارة الدفاع الأمريكية.

كان الشغل الشاغل للمراقبين الإسرائيليين، قبل إندلاع الحرب على العراق، وحتى الأيـام الـثلاثة الأولى مـنها، هـو اليوم التالي للحرب، برؤية يسودها التفاؤل والترحيب بالصديق الأمريكي، الذي سيحل جاراً قريباً للدولة العبرية، بوصفه محتلاً لدولة عربية، كانت تشكل مصدر قلق كبير للدولة الصهيونية مع أمل بحل مشاكل إسرائيل، وانتعاش الاقتـصاد، والـتخلص مـن ياسر عرفات، وإجبار الفلسطينيين على القبول بسلسلة من "الأكشاك" المتفرقة، يتم تسميتها، مجازاً، بمسمى "الدولة الفلسطينية"!.

إلا أن هـذا الـتفاؤل "المـستهتر" بالحـرب، ظـل يتناقص، تدريجياً في مختلف وسائل الإعـلام الإسـرائيلية، شـأنه في ذلـك شأن وسائل الإعلام الأمريكية، حتى تحول المشهد العـام إلى حالـة مـن القلـق والترقـب، وصـلت إلى حد الغضب من الحليف الأمريكي، وانتقاده على سوء إدارته للعدوان الجاري تنفيذ ضد العراق.

إن رؤية التحرك ضد العراق، في ٢٠٠٢، تختلف تماماً عن ١٩٩١، فمن ناحية توسعت القوة العسكرية الأمريكية في الخليج، بشكل كبير، مقابل ضعف الجيش العراقي، الذي مازال قادراً على القتال، ومن ناحية أخرى، فإن هناك صعوبات بالغة في تأمين الدعم الإقليمي اللازم للتحرك ضد العراق، الذي كان موجوداً في ١٩٩١، حيث كانت أغلبية البلدان العربية ترى في نظام صدام حسين مصدراً للأزمات، وضغط بعضهم من أجل التحرك ضده، عقب تخطيه الخط الأحمر بغزوه الكويت، مما مثل تهديداً بالغاً للأقطار الخليجية الأخرى، أما اليوم، فغالبية البلدان العربية، رغم استمرار كراهيتها لصدام حسين، فإنها ترى أن الأزمة الحالية أزمة أمريكية، وليست عربية، كما يرى العالم العربي أن استمرار دولة محورية مثل العراق تحت الحصار، ومنبوذة لا يمكن أن يستمر طويلاً، بالإضافة إلى تعاطفه مع معاناة "الشعب العراقي"، وهو ما أكده الكاتب الإسرائيلي "إفرايم كام".

التحريض ضد العراق:

بينما يركز المسؤولون الرسميون في إسرائيل حديثهم عن الجوانب اللوجوستية للحرب، يركز الصحفيون والخبراء الإسرائيليون الحديث عن مصلحة الشعب العراقي، التي يرونها مع زوال نظام الرئيس العراقي صدام حسين، يقول صحفي إسرائيلي يميني في حديث خاص بـ"المشهد الإسرائيلي"، إن الحرب ضد العراق من مصلحة الشعب العراقي، وهذا الهجوم الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، سيطيح حتماً، بالرئيس العراقي صدام حسين، وستنتهي هذه الحرب بالنتائج التي حددت لها، فمن الضروري، اليوم، الإطاحة، بهذا النظام، من أجل تحرير الشعب العراقي الذي يعاني معاناة كبيرة، وإذا تمت الأهداف كما يجب، فإن هذا سيمكن الشعب العراقي من أن ينال حقوقه الكاملة التي تترجم عن طريق إقامة برلمان يتمتع بالديمقراطية، وصلاحيات دستورية تمكنه من العيش بسلام.

فيما أعتبر "عوزي لنداو" وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي، أن إزالة نظام الرئيس العراقي صدام سيكون أهم إنجاز إستراتيجي لإسرائيل، في العقود الأخيرة، وصرح قائلاً: إننا نبتهل، ونصلي ألا يسمح صدام للمفتشين الدوليين بالعودة للتفتيش في العراق، نريد أن يقدم النظام العراقي المسوغات لإدارة بوش كي تنفذ مخططاتها تجاه العراق، هذا ليس سراً، نحن لا نريد العراق بصبغته الحالية.

وكشفت الصحافة الإسرائيلية تحريضها ضد العراق، ونظام صدام حسين، فقد نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت"، بتاريخ ١٠/ ٢/ ٢٠٠٣ وقبل الحرب بشهر تقريباً، أكثر من خمس صفحات عن تاريخ صدام حسين، بداية من تاريخ ومحل ميلاده، وطفولته، وشبابه، في مدينة تكريت العراقية، مروراً بسجنه، وهروبه إلى سوريا، ثم إلى مصر، وعودته إلى العراق، وكيفية اعتلائه لعرش العراق، وانتهاء بحروبه مع إيران، والكويت، وركزت على جرائمه، التي اقترفها بحق الشعب العراقي، بدءاً من زجهم في حرب لا طائل لها، وهي إيران (على حد تعبير الصحيفة)، وقتل مئات الآلاف من الجيش العراقي، وبعدها قتل عشرات الآلاف منهم في مذبحة حلبجة.

ويرى كاتب إسرائيلي يميني متشدد حول أهمية احتلال العراق للاقتصاد الأمريكي، أن الهدف الرئيسي هو نفط بحر قزوين، ويقول: "إنه مخزون هائل، يعد الأكبر في العالم، ولم يبدأ استغلاله، بعد، وتضمن السيطرة عليه للولايات المتحدة وقوداً رخيصاً لعشرات السنين، ويرى بوش، وهو رجل نفط بارز يسخر من مصادر الطاقة البديلة (المحافظة على البيئة)، في ذلك هدفاً رئيسياً، وفي طريقه إلى السوق، لابد وأن يصل النفط إلى البحر المفتوح. . وهناك بضعة طرق ممكنة: الشرقية، عبر أفغانستان، وباكستان، والغربية، عبر تركيا، والعراق، مجاور لجميع هذه الأقطار، ومن ثم القوات الجوية والبرية، التي سترابط هناك، ستضمن لأمريكا السيطرة على كل المنطقة؛ كما أن وجود قاعدة أمريكية صلبة في قلب العالم العربي سيمكن واشنطن أيضا من فرض سيطرتها على كل الأنظمة العربية التي تجرؤ على الانحراف، بأي شكل عن الصراط المستقيم.

يقول المحلل العسكري لصحيفة "هارتس" الإسرائيلية: "إن بوش لم يكتف بالإشارة إلى جرائم صدام حسين، حتى الآن، وبتعداد المخاطر النابعة منه، الآن، على سلام المنطقة والعالم، بل أكد، أيضاً، على المخاطر المرتقبة، إذا لم يتم وقف أعماله، وتطويره لأسلحة الدمار الشامل، محذراً من أنه إذا تم تمكين صدام حسين من تطوير هذه الأسلحة، فإن حرية حركة الأمم المتحدة والولايات المتحدة في القيام بعمل عسكري ضده ستقل، في المستقبل، عندما يصبح بحوزته مثل هذه الأسلحة، وحينذاك، سيزداد خطر تزويد العراق للمنظمات الإرهابية بمثل هذه الأسلحة، التي ستحاول، مرة أخرى، تنفيذ عمليات إرهابية كبيرة، كتلك التي حدثت في الحادي عشر من سبتمبر.

من جانبه، يعتبر مستشرق إسرائيلي أن النظام العراقي (السابق) كان ديكتاتورياً، بشكل خاص، فيقول: "لأسباب ديموغرافية، يصعب القول بأن هناك هوية قومية عراقية، ورغم ذلك، يمكن لأمريكا القيام بتجربة خاصة، عبر إقامة نظام ديمقراطي في العراق، ينهي معها عهد النظام الرئاسي القيصري.

الكاتب الإسرائيلي "نمرعون ليفي" يقول: "لعل الموقف الوحيد الذي يحظى بتعاطف وتأييد علني هو موقف المؤسسة الرسمية (الإسرائيلية)، ومتحدثيها الذين يساندون الحرب، بل إن قسماً من الإسرائيليين لا يخفون بأنهم ينتظرون وقوعها بفارغ الصبر، ويجهد المحللون في استعراض عديد الفرص الذهبية، التي ستكون متاحة أمام الدولة الإسرائيلية بعد الحرب، وعلى رأي هؤلاء فسوف تجد الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها إسرائيل حلاً شافياً وسريعاً لها، وسيختفي ياسر عرفات من الساحة، ويغدو السلام قاب قوسين أو أدنى، وستعم الديمقراطية الليبرالية في الدول العربية، وسيعود السياح للتدفق، مجدداً، كما ستتخلص إسرائيل أخيراً، من التدخل الأوروبي المزعج في منطقتنا، المعلق إيهود يعاري استعرض، في القناة الثانية من التليفزيون الإسرائيلي، الاستعدادات الجارية للحرب الوشيكة بمصطلحات رياضية تبهج الصدور حيث قال، موضحاً "منتخب كرة الطائرة"، أصبح على أتم الجاهزية و"منتخب كرة القدم"، لا يزال يشق طريقه، في إشارة إلى سلاح الجو والقوات البرية التابعين للجيش الأمريكي.

معارضة للحرب:

تشعبت اهتمامات وتحليلات وسائل الإعلام الإسرائيلية أثناء الحرب، فالأصوات التي نعتقد أن الحرب الأمريكية على العراق بمثابة "نزهة قصيرة"، تكاد تكون معدومة، فغالبية التحليلات تتركز في صعوبة هذه الحرب، وحتى المتأكدين من انتصار قوات التحالف العدواني، لا ينكرون هذه الصعوبة، على الإطلاق، ويظهر ذلك جلياً على شاشات التليفزيون، التي تشاهدها يومياً، من تحليلات وتعليقات العديد من قيادات الجهازين السياسي والعسكري الإسرائيليين.

يقول المعلق العسكري لصحيفة "هآرتس": "التفوق التكنولوجي الأمريكي يفتح إمكانية تقصير الحرب، ولكنه ليس المفتاح النهائي للانتصار الكامل، من جانب العراق الانتصار ليس تكتيكياً، عسكرياً، بل تحركه عوامل كثيرة أخرى، ابتداءً من المدة الزمنية للحرب، والتعقيدات الممكنة المحتملة، والخسائر الأمريكية في صفوف المواطنين

العـراقيين، وإصـابة قـوية لآبار النفط، والضرر البيئي الذي من الممكن أن تسببه في كل هـذه المجـالات، الـتفوق التكنولوجـي لـيس كافـياً، ويجـب أن تكون هناك استراتيجية ناجحة، وعقل جيد، وخط أيضاً".

في هـذا الـصدد، تقـول "أوريـا شـفيت" الكاتـبة الإسرائيلية: "عندما يتظاهر فتية الـورود الأمـريكيون ضد الحرب المقتربة ضد العراق، فإنهم يستندون إلى صدمة فيتنام، فالـتفوق الاقتـصادي والتقني للولايات المتحدة لا يمكنهما أن يلحقا الهزيمة بنظام عنيد، يتمـتع بعطـف شعبي واسع، أمريكا هُزمت والدرس المرير بقى ندباً عميقاً في جسدها، عـندما يكـتب مـثقفون أمـريكيون ضـد الحـرب، فـإنهم يـستندون إلى نظـرية "صـدام الحـضارات" لـصموئيل هتنغـتون، النظرية التي نالت زخماً في بداية التسعينات، ويخشى المـستندون إلى هتنغتون، بأن تنتهي محاولة إسقاط الرئيس العراقي بصراع مضرج بالدماء من العالم الإسلامي ضد الولايات المتحدة".

يـضيف "يوئـيل ماركـوس"، الكاتـب الإسـرائيلي، حـول خشية الإسرائيليين من الحـرب، بقـوله: "مـا أن نـشاهد العـناوين الكـبيرة باللـون الأحمر، حتى يجلل السواد عيونـنا، الحـرب ضـد العـراق لم تـبدأ بعـد، إلا أن مستوى جزع الجمهور يفيض على الجانـبين، وكـيف يمكـن أن يكـون الأمـر غـير ذلـك مـع عناوين صحف على شاكلة: (إسـرائيليون كـثيرون سـيغادرون للخارج خلال الهجوم)، و(الولايات المتحدة ستلمح بمـوعد الهجـوم، لإفساح المجال أمام تأجيل موعد الانتخابات). (وفي الخامس عشر من ينايـر سـتدخل إسـرائيل في حالـة تأهب قصوى)، و(يتدارسون تطعيم كل السكان ضد الجمرة الخبيثة)، و(سفارة الولايات المتحدة تنتقل إلى إيلات)، و(خطر الموت الأسود)، و(أمريكا ستهاجم والرئيس العراقي قد يصب جام غضبه على إسرائيل)".

"لمـاذا لـم يـسمع في جميع برامج الحوار، المذاعة عبر الراديو والتليفزيون في إسرائيل، صـوت مخـتلف، صـوت يعـارض الحـرب (علـى العـراق)، ويؤمن بأنها لن تقدم شيئاً للـسلام، والاسـتقرار أو الحـرية، صـوت يـرى أن دوافـع هـذه الحـرب تتسم بالرياء، والنفاق، وإنها ليست مشروعة على الإطلاق؟ وهو ما ذكره الكاتب "جدعون ليفي" في مقالـه، رغـم ذكـره لتعلـيقات أخـرى مؤيدة للحرب، وهو ما يدل على تناقض واضح خاصـة حيـنما يـضيف قائلاً: "ما ذكر آنفاً يبدو غريباً ومثيراً للتساؤل، لاسيما في ضوء نـتائج استـطلاع "ديالـوج" الـذي نـشر في صحيفة "هارتس"، وأظهر أن قرابة نصف

الإسـرائيليين يعارضون شن حرب فورية (على العراق)، وأن حوالي ٣٠٪ يعتقدون أن علـى الـولايات المتحدة الامتناع كلياً، عن شن الحرب، في حين أيد ٢٣٪ شن الحرب، فقط إذا فشلت جميع محاولات ومساعي التنسيق والوساطة!" .

ثمة رأي آخر حول حتمية استخدام كافة مساعي الوساطة، وتضافر المجتمع الدولي؛ أو موافقة غالبية الدول على الحرب، وهو ما طرحه كاتب وأديب إسرائيلي بارز، حينما قـال: "صـحيح أن "العـصا الغلـيظة" ضـرورية بالفعـل، لكنها ترمي إلى ردع أو صد العـدوان، ولـيس الـذهاب إلى "فرض الخير" وحتى إذا جرى التلويح بالعصا الغليظة، مـن أجـل صـد أو دحـر العـدوان أثناء وقوعه، فإن ثمة حاجة، بل ضرورة بأن يتم ذلك بأيـدي المجـتمع الدولـي، أو علـى الأقـل بموافقة غالبية الدول وإلا فإن استخدام العصا يمكـن لـه أن يـضاعف الكـراهية، واليأس ونزعة الانتقام، التي أطلقت الحرب لدحرها وهـزيمتها"، يـضيف الكاتـب، قائلاً: "تخطئ أمريكا إذا قامت بشن حرب، فالإسلام المتطـرف لا يـوقفه إلا الإسـلام المعـتدل، والقومية العربية المتطرفة لا يكيدها إلا القومية المعتدلة، كذلك فإن نظام صدام البغيض يجب أن تطيح به من الداخل قوى عراقية، على وجـه الـتحديد، يـتعين علـى أمـريكا وأوروبـا والـدول العـربية المعتدلة تقديم العون، والمساعدة لها" .

ظاهرة التسريب:

مـن الظواهـر اللافتة للنظر، قبيل اندلاع الحرب الأمريكية على العراق، ثرثرة القادة الإسـرائيليون بشأن الحرب، وهو ما اشتكت منه الإدارة الأمريكية وسفراء إسرائيليين في دول أجنبـية أخـرى، أيـضاً، حيث نقلت أوساط رسمية أمريكية رسائل شديدة اللهجة إلى إسـرائيل، وهـو مـا أكدتـه صحيفة "معاريف"، في ١٠/ مارس/ آذار ٢٠٠٣، وقد حـاول وقـتها شـارون أن يسيطر على هذه الظاهرة (ظاهرة التسريب)، إذ أصدر أوامره بمـنع أي مـسؤول إسـرائيلي رسمـي مـن الـتحدث بشأن الحرب، باستثنائه، شخصياً، ووزير الدفاع، شاؤول موفاز، ووزير الخارجية بنيامين نتانياهو .

ويقـول حول هذا الصدد، أيضا المحلل السياسي لصحيفة "معاريف"، قبيل نشوب الحرب: "في إسرائيل يفهمون أن فترة التحذير لن تكون أطول كثيراً، أي ٢٤ ساعة، أو علـى أقـصى تقدير ٤٨ ساعة، ولكن، حتى الآن، مازال الأمريكيون يتكتمون الحديث

عـن هذه الفترة، حتى بدا أن إسرائيل تتحسس طريقها في الظلام، ففي واشنطن يشكون فيـنا، ويـرون أنـا دولـة شـهيرة بتسريب المعلومات والبيانات، ولذلك، فإنهم يحافظون على المعلومات في حالة من السرية التامة.

السيناريوهات الأمريكية للحرب:

أوضـح "إفـرايم كـام"، الكاتب الإسرائيلي، في دورية التقييم الإستراتيجي، لعدد أغـسطس/ آب ٢٠٠٢، والـتي جـاءت تحـت عـنوان (الهـدف: العـراق)، أن ثمـة سيناريوهات أمريكية للحرب، الأول: إسقاط نظام صدام حسين، بتعبئة قوى المعارضة العـراقية، ودفعهـا للقـيام بانقلاب عسكري، أو ثورة شعبية، وهو تغيير سريع، إلا أن الـسيناريو الثانـي قد حظى بإجماع كبير، وتمثل في حملة عسكرية واسعة النطاق، تتضمن ضربات جوية موجعة، وعمل عسكري بري، يتضمن اشتراك قوات أمريكية برية كبيرة الحجـم، في حـين لـم يحـظ السيناريو الثالث بنسبة ما، وهو ما يتمثل في إقناع عناصر من الجـيش العراقي معادية لصدام حسين بالتحرك ضده، وإسقاط حكمه بمساعدة الولايات المتحدة.

الاستعدادات الإسرائيلية الفعلية للحرب:

بـدأت إسـرائيل اسـتعداداتها لمـواجهة احـتمالات ضرب العراق، منذ فترة مبكرة، عقـب وقـوع هجمـات سـبتمبر، ففـي أكتوبـر ٢٠٠١ أعلـن وزير الدفاع الإسرائيلي، وقـتذاك، بنـيامين بـن اليعيـزر، أن إسـرائيل مـستعدة للمـواجهة، في حال قيام أمريكا بتوسـيع حربها ضد الإرهاب، لتشمل العراق، وأشار إلى أن إسرائيل لا تريد المجازفة، وقـد أخـذت في الحـسبان احتمال ضرب العراق، وأنها مستعدة جيداً، هذه المرة، لأنها استخلـصت العـبر مـن الماضـي، وتنوعت الاستعدادات العسكرية للحرب على النحو التالي:

تعزيـز الـتعاون الإسـتراتيجي الأمريكـي ـ الإسرائيلي، واشتمل هذا التعاون على ما يلي:

أ) مـشاركة إسرائيلية في صياغة الخطط العسكرية الأمريكية، وبدا ذلك واضحاً أثناء زيـارة الأدمـيرال الأمريكـي، جيمس ميتزجر، لإسرائيل في أول نوفمبر/ تشرين الثاني

٢٠٠٢، فضلاً عن لقاءات متعددة للسفير الأمريكي في إسرائيل "دان كيرتز"، مع رئيس الوزراء الإسرائيلي.

ب) مشاركة قوات إسرائيلية في عمليات التسلل داخل الأراضي العراقية، وهو ما أكدته مجلة "نيويوركر" الأمريكية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠يونيو/ حزيران٢٠٠٤، من أن أفراداً من الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) قد تسللوا إلى داخل العراق.

ج) تزويد الولايات المتحدة إسرائيل بالمزيد من صواريخ باتريوت.

د) توفير إسرائيل التسهيلات للقوات الأمريكية للتدريب على حرب الشوارع في العراق، وهي الخبرة المستقاة، أساساً من عمليات الجيش الإسرائيلي في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية، حيث قام الإسرائيليون ببناء مدينتين صوريتين، على نحو مشابه لما هو قائم في المدن العراقية، وقد أشار المسؤولون العسكريون الأمريكيون، إلى أن هذا التدريب كان مفيداً للغاية بصورة تتجاوز ما هو متوفر لدى القوات الأمريكية.

قيام الجيش الإسرائيلي بنشر نظام الدفاع الصاروخي (آرو – حتيس) حول المدن والتجمعات السكانية الإسرائيلية.

القيام بحملة تلقيح واسعة في إسرائيل، تحسباً لأي هجوم بيولوجي عراقي، حيث تم تلقيح ١٥ ألف من الأطباء، ورجال الإنقاذ، والشرطة ضد مرض الجدري، الذي ينجم عن التعرض لإشعاعات كيماوية، أو أسلحة بيولوجية، في سياق هجوم محتمل بصواريخ عراقية.

من بين النصائح التي أسداها الكاتب الإسرائيلي "يؤيل ماركوس"، في صحيفة "يديعوت أحرونوت"، ضرورة التوجه إلى محطة تجديد الأقنعة الواقية، والتأكد من أن كل الأقنعة سليمة، وإعداد غرفة داخلية مغلقة بمساحة ٥م٢، على الأقل، تكون بعدد أقل ما يمكن من النوافذ والجدران الخارجية، وإعداد أجهزة الإغلاق المحكم بالبيت، مثل الأشرطة اللاصقة، والبلاستيك، ومادة لإغلاق النوافذ، والتأكد من أنه يوجد في البيت احتياطي غذائي لمدة أسبوعين على الأقل، وإعداد حقيبة إسعاف أولي، وفانوس، وأرقام هواتف مراكز الإسعاف، ومتابعة تعليمات التطعيم بوسائل الإعلام.

وقال د. مائير أورن رئيس لجنة التأهب في المستشفيات، في الاجتماع بشأن حالة الإصابة البيولوجية، أنه لا يوجد رد على كل الأسئلة، والسيناريوهات المتعلقة بسلاح الدمار الشامل، يجب منح الأولوية في تقديم علاج للمصابين، الذين يمكن إنقاذهم،

وتقليل فرص العجز، وكان رئيس بلدية رمات جان (أكثر المناطق التي تعرضت لضربات الصواريخ العراقية، سنة ١٩٩١) قد أعد سيناريوهات مختلفة، في حالة الهجوم الصاروخي، في وقت شجع فيه رئيس بلدية تل أبيب "شلومو لاهط" سكان مدينته بالفرار في حالة الهجوم قائلاً: "لا أرى بطولة وشجاعة في البقاء في البيت، والغُرف مُحصنة بالنايلون، منتظرين الصواريخ، التي قد تسقط على المنزل".

أثظاء الحرب:

ثمة أسئلة طرحها الكاتب الإسرائيلي "يوئيل ماركوس"، في مقالته التي تصدرت صحيفة "هآرتس"، بتاريخ ٢٩/٣/٢٠٠٣، قائلاً: "في إحدى دوائر النقاش، التي جرت في الغرفة البنفسجية للرئيس الأمريكي بالبيت الأبيض، اتجه بوش، مباشرة إلى رئيس الأركان، ريتشارد مايرز، وسأله: كم من الوقت ستستغرق الحرب في العراق، حتى يتم تحقيق حسم عسكري؟ ولكن قبل إن يتمكن من فتح فمه ليُرد، وضع وزير الدفاع رامسفيلد يده على كتف مايرز، وقال له: أعتقد أنك لا تود الإجابة على السؤال، والواقع أن إغلاق فم رئيس الأركان لم يكن عفوياً، لأن وزير الدفاع يعي جيداً، أنه في اللحظة التي يتم فيها تحديد موعد، فإن عدم الوفاء به سيُعد فشلاً. فضلاً عن أن العراقيين لم يستقبلوا الأمريكيين بماء الورد.

انتقد المحلل السياسي لصحيفة "يديعوت أحرونوت"، السلوك الأمريكي، قائلاً: "تصرفت الإدارة الأمريكية، السياسية والعسكرية، ولبالغ الدهشة، كما أن قنبلة نووية قد سقطت على رؤوس القوات المقاتلة في العراق، لقد طلب وزير الدفاع رامسفيلد، من شبكات التليفزيون العالمية، عدم بث الشريط المحرج (شريط يبث سقوط قتلى وأسرى من قوات التحالف الأنجلو – أمريكي)، وتجاوبت شبكات البث الأمريكية والبريطانية، فوراً، فيما حظيت قناة "الجزيرة"، التي قامت ببث مقاطع من الشريط بتوبيخ مدو من نائب قائد قوات التحالف، وفي لحظة تحولت عملية "تحرير العراق" إلى عملية "إعدام" الحرية الأمريكية.

ذهب المحلل العسكري لصحيفة "هآرتس"، إلى إلقاء مسؤولية الورطة الأمريكية الحالية على عاتق اثنين من قادة الإدارة الأمريكية شاركا في قرار إنهاء الحرب على العراق، عام ١٩٩١، دون التخلص من صدام حسين، وهما نائب الرئيس، ريتشارد تشيني، الذي كان وزير الدفاع، ووزير الخارجية كولين باول، الذي كان، حينها، رئيساً للقيادات الموحدة، حيث علقت كتائب الحرس الجمهوري في منطقة البصرة، بين

النهـرين العظيمين، سنة ١٩٩١، وكان من السهل حشرها بالمنطقة، وقصفها من الجو، ولم يكـن من الضروري اجتياح العراق، بشكل واسع، أو الوصول إلى بغداد، فالحرس الجمهـوري كان ومازال أساس قوة نظام صدام حسين، إلا أن باول رفض هذه الفرصة، ودارت الأيـام وعاقـبت بـاول علـى قـراره الخاطـئ، فما لم يوافق عليه، سنة ١٩٩١، اضطر للموافقة على فعله، اليوم، بثمن أغلى!.

سـارع "عوفـر شـيلح"، في صحيفة "يديعوت آحرونوت"، إلى انتقاد الضجة التي صـاحبت ظهـور صـور القتلـى والأسـرى الأمريكيين الذين نجح العراق في النيل منهم؛ مـستدلاً بذلك على أن المشاعر الإنسانية تعتبر، أيضاً، مسألة جغرافية، لأن ذات وسائل الإعـلام الـتي مـلأت الدنـيا ضجيجاً على هذه الصور، وهـم يكيلون إلى العراقيين أسوأ الـصفات الوحـشية والهمجية، لـم تكرس ولو نصف دقيقة لعشرات المدنيين الذين قتلوا جـراء قـصف البـصرة؛ ويقول شيلح: "لـم يفكر أي شخص، بصوت عال، قبل نشر صـور الأسـرى، وبعـد نـشرها، مـا الـذي يقـصده الأمـريكيون، عندما يتحدثون عن (الـصدمة والـرعب)، مـن يتبع التاريخ الأمريكي، يعرف أن المقصود ثوباً جديداً لسيدة قديمـة جـداً؛ إنها نفس السياسة، التي كانت تعني، خلال الحرب العالمية الثانية (اقصف ولا تبالـي)، وهـي تلـك الـسياسة الـتي لخـصها أحـد الجنرالات الأمريكيين في فيتنام، بقوله: "(كان علينا هدم القرية كي ننقذها).

يـتهم الكاتب الإسرائيلي "نير برعام"، في صحيفة "معاريف"، العراقيين بالخيانة، وأنهـم لا يـستحون، فـيقول: "اتضح، فجأة، أن العراقيون الأغبياء غارقون، إلى حد كـبير في كـونهم عـرباً، لدرجة أنهم غير معنيين بهذه الحرية المطلقة الخلابة التي يعرضها علـيهم أولاد العـم الجمهوريون من أمريكا، وبالمجان، أليست هذه خيانة عربية قبيحة، ومـثيرة للـصدمة؟!، ويتـساءل مـضيفاً: أبعد كل هذه الجهود المبذولة من أجل تخليص العـراق مـن صـدام حـسين، ونقلـها إلى أعـتاب الديمقراطية، والعولمة، والحرية، يظهر هـؤلاء العـراقيون الملاعـين ويتجـرأون علـى محاربة المُخلص الأجنبي...؟! صحيح، هؤلاء العرب لا يستحون.

كمـا أرجـع المعلـق العـسكري بـصحيفة "يديعـوت أحرونوت"، مسؤولية الفشل الأمريكي في العراق إلى العجرفة والاستهتار الأمريكي بالعدو، وراح يعيد أسباب الفشل الأخرى، في عدوانية تحريضية تقطر سماً، كما عبر عن حالة القلق التي تعيشها إسرائيل

في ظل استمرار الحرب، فكافة أجهزة الأمن والمخابرات الإسرائيلية في حالة تأهب لوقوع عمليات مسلحة ضد أهداف إسرائيلية، زاعماً أن هناك معلومات متراكمة حول الخلايا الإسلامية المزودة بالصواريخ المضادة للطائرات، والتي تهدد طائرات الركاب الإسرائيلية في كينيا والهند، وعمليات هبوط الطائرات الإسرائيلية في بعض المطارات، خاصة في أفريقيا وآسيا، تبدو كما لو كانت عمليات عسكرية.

ويشبه أوري أفنيري، المحلل السياسي الإسرائيلي، في موقع "غوش شالوم"، الجنرالات الأمريكيين بالببغاوات، ويقول: إن الحقيقة هي أول ضحية في أي حرب كانت، ولكن يظهر بأن هذه الحرب تفوق غيرها من الحروب، الكذب، والنفاق، وحجب المعلومات، وغسل الأدمغة، كل هذه الأمور تتعاظم، ويعلو شأنها، كالببغاوات يردد الجنرالات، الذين يحملون على أكتافهم أربعة نجوم، شعارات دعائية رجعية، تبث نفاقها، يجترها ألمع الصحفيين في العالم بجشع ونهم، وتبثها محطات التلفزة في العالم، بلا كلل، وتبتلع وسائل الإعلام الإسرائيلية كل هذه الطبخة هنيئاً مريئاً.

تأثر الفلسطينيين بالحرب:

علق كاتب ليبرالي إسرائيلي حول رفض الفلسطينيين للحرب قائلاً: إن الفلسطينيين يعارضون الحرب ضد العراق، فالجمهور الفلسطيني موحد، من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، في دعمه للعراق، الذي يواجه هجمة أمريكية شرسة، ففي كل يوم تنشر في وسائل الإعلام الفلسطينية عشرات المقالات والتحليلات التي تبرز لهجة الغضب والانتقادات الموجهة للولايات المتحدة، والرسوم الكاريكاتورية، وتقوم برسم أطفال العراق وفلسطين، واحداً بجانب الآخر، ودماؤهم تنزف، من دون جرم اقترفوه، والسيناريو الشائع عند الفلسطينيين قد يُقسم، وقد توضع فيه قوات أمريكية، والأنظمة العربية قد تصبح أكثر ضعفاً، وتبعية لواشنطن، وقتها سينسى الجميع أمر الفلسطينيين.

كما حظيت القضية الفلسطينية، قبل الحرب على العراق، وأثناءها، وبعدها، فيما ركزت وسائل الإعلام الإسرائيلية عليها، أثناء الحرب، فيرى "بن كسبيت"، أنه لولا الحرب الدائرة في العراق، لكان يمكن لعرفات أن يجد نفسه معصوب العينين على متن طائرة متجهة به إلى أي مكان، قائلاً: (وربما كان هناك رد فعل أكثر قسوة من ناحيتنا)، إلا أن هذا بات مستحيلاً، الآن، حيث إن الحرب تمنح عرفات أياماً أخرى وربما أسابيع من الحصانة المصطنعة.

وبنظرة تشاؤمية يقول المحلل السياسي لصحيفة "يديعوت آحرونوت"، حول عرفات: "يؤكد لنا زعماؤنا أن كل شيء، تقريباً، سوف يتغير هنا بعد الحرب، ووضع عرفات سوف ينحدر إلى أسفل الدرج، وسوف يضطر لأن يغادر المسرح، بل ربما حتى البلاد كلها؛ وضعنا الاقتصادي سوف يتحسن، إلى أبعد الحدود، بسبب المنحة الأمريكية الضخمة، إن مثل هذه التنبؤات الوردية قد ترفع، حقاً، من معنويات الإسرائيليين، في ظل احتدام الانتفاضة الثانية، والأزمة الاقتصادية الصعبة التي نمر بها، وبعد أكثر من عامين بدون أي أفق سياسي يظهر للعين. . فرغم الوعود الأمريكية بالاهتمام بالمشكلة الفلسطينية، في نهاية الفصل العراقي، إلا أنه لا تبدو في الأفق، القريب ولا البعيد، أية فرصة لحل سياسي، ولكن إلى أن يتفرغ الأمريكيون لذلك، يجب أن نُذكرهم، ونُذكر زعماء إسرائيل بما قاله "آحاف"، ملك إسرائيل لـ"بن هود"، ملك آرام، الذي هدد بأن يبيد مملكته: بعد البلاء يكون الثناء!.

ويُذكر "يوسف حريف"، الكاتب في صحيفة "معاريف" الإسرائيلية الرئيس الفلسطيني عرفات بأنه بعد الحرب سيتبين أن لواشنطن أذناً صاغية أكثر لشارون، فيما يتساءل "داني روبنشتاين"، في صحيفة "هآرتس": ماذا سيحدث للفلسطينيين، بعد الحرب في العراق؟! فعرفات ورفاقه يدركون أن نتائج الحرب هامة جداً بالنسبة لمستقبلهم، بينما أكد "أورى أفنيري"، في موقع "غوش شالوم" ـ بأن شارون سيستطيع التركيز بكل ما أُوتي من قوة على الحرب ضد الشعب الفلسطيني، وتخلي كل من مصر والأردن عن الجبهة، منذ وقت طويل.

يشير "رون مغراج: الكاتب الإسرائيلي، إلى أن الجنود الأمريكيين هم من يصيغون المفاوضات مع الطرف الفلسطيني، حيث يقول: إن الموافقة الغربية من إسرائيل لمرابطة الجنود الأمريكيين بين ظهرانينا، واستعداد الحكومة للسير على وتيرة طبول الحرب الأمريكية، تشير إلى الظاهرة المهددة الأكثر خطراً، التي تسجل في منطقتنا، منذ عشرات السنين، ذات الجنود الذين يفترض بهم أن يحموا سماءنا، هم الذين في المستقبل غير البعيد سيقررون عنا صيغة ونتائج المفاوضات مع الفلسطينيين، ليس هذا ما قصده بن غوريون، عندما أعلن عن إقامة وطن للشعب اليهودي في بلاده.

وفي نظرة مغايرة، أيضاً. يقول "جدعون ليفي"، لصحيفة "هآرتس": فلو سبَّب حقاً الانتصار الأمريكي السريع تغيراً عميقاً في سياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل، وتجرأت الإدارة على المخاطرة، لأول مرة في تاريخها، باستخدام الضغط الشديد،

والمتواصل على حكومة إسرائيل، حتى تنسحب من المناطق المحتلة، وإذا تحقق السلام، عندئذ سيمكن الحديث عن شرق أوسط جديد.

وسط الحرب.. حملة إسرائيلية على سوريا:

بدا واضحاً أن الآلة العسكرية الأمريكية لم تكتف بالانقضاض على أفغانستان فحسب، بل إنقضت، أيضاً، على العراق، وتتطلع هذه الآلة إلى المزيد، خاصة إلى سوريا، ويرى الكاتب الإسرائيلي "أوري أفنيري" أن التحركات الأمريكية، بتحريض إسرائيلي، في طريقها إلى دمشق، فيقول: "إن مجموعة المتطرفين"، التي تسيطر الآن على واشنطن، لن تستطيع أن توقف الآلة العسكرية، كما لم يستطيع نابليون وهتلر التوقف، إن منطقها الذاتي سوف يحثها على الهجوم، مرة تلو المرة، وقلنا، عشية الحرب على العراق: سيأتي دور سوريا، وإيران، بعد العراق، فما أن توقف إطلاق النار في بغداد، حتى بدأت التحركات التحضيرية للهجوم على سوريا، وستتردد تلك الأقاويل ذاتها (في سوريا سلاح كيماوي، هناك دكتاتور طاغية يؤيد الإرهاب! يجب تحرير الشعب السوري المسكين من بين أنياب الأسد، لابد من تغيير النظام)، وعندما تأتي اللحظة الحاسمة، ستصبح الحرب "لا مناص منها".

لحبك القصة جيداً، نشرت شبكة "ديبكا" الإسرائيلية مقالاً، فور نشوب الحرب حول الدور السوري المساند للعراق، وكيفية مساعدتها لرجال صدام حسين، وجيشه، عن طريق فتح الحدود المشتركة بينهما، وهروبهم إلى مدينتي اللاذقية وطرطوس على البحر المتوسط، وبعدها الهروب إلى الخارج، الذين جاءوا من بغداد بالسيارات، أو عن طريق الطيران لمطار المزة، حيث أعدت لهم سيارات ليموزين، لتكون في استقبالهم.

تساءلت الشبكة الإسرائيلية، لماذا لم ترسل أمريكا طائراتها لإبادة منطقة القائم العراقية، المتاخمة للحدود السورية، والتي تحتضن السلاح الكيماوي العراقي، فضلاً عن وجود قوات خاصة من الحرس الجمهوري العراقي، لحمايتها، وهو ما دعا وسائل الإعلام الإسرائيلية إلى تسميتها "تورا بورا العراقية": وهي المدينة التي تلقي دعماً لوجيستياً من سوريا، لأن مدينة بوكمال السورية، المتاخمة للحدود العراقية، هي مسقط رأس عبد الحليم خدام، نائب الرئيس السوري (السابق). والموالي للعراق، وهو السيناريو الذي ذكرته الشبكة الإسرائيلية، في أكثر من موضع.

وحينما ألقت القوات الأمريكية القبض على خبير نووي عراقي، ادعت أنه اعترف بأن العراق دمر جزءاً من أسلحة الدمار الشامل، قبل الغزو الأمريكي على العراق، والجزء الآخر هُرِّب إلى سوريا.

ثمة سيناريوهات أخرى لزج سوريا في الحرب، وتضليلها للأمريكيين، فمن بين هذه السيناريوهات أن مسؤولين أمريكيين، من بينهم الحاكم الأمريكي في العراق "بول بريمر"، قد زاروا دمشق، أكثر من مرة، من أجل استرداد أموال عراقية كان قد أودعها صدام حسين لدى رجل أعمال سوري، إلا أن الرد الطبيعي من رجل الأعمال كان صريحاً ومفاده أن صاحب المال هو الوحيد الذي يستطيع استرداد هذه الأموال، وحينما أرادت البعثة الأمريكية من حكومة سوريا التدخل، رفضت الأخيرة قائلة بأنها لا تعلم شيئاً، ويشار إلى هذه الأموال تصل إلى ١٠١ بليون دولار (على حد ادعاء الشبكة الإسرائيلية).

من جهته، أشار الموقع الإلكتروني (NFC) إلى أن أعضاء من تنظيم القاعدة السوريين ومن حزب الله اللبناني، قد انضموا إلى المقاومة العراقية، حيث يقدر عددهم بأكثر من ٥٠٠ عضو.

الصحافة الإسرائيلية.. وملامح ما بعد الحرب:

سرقة الآثار العراقية:

يروي: "أوري أفنيري" كيف شاهد العالم ما يجري في بغداد، قائلاً: "نهبت بغداد، كما حدث إبان الاحتلال المغولي، لم تسلب العامة المباني الحكومية فحسب، والتي لا يمكن قيام مجتمع حضاري من دونها، ولكن سلبوا، أيضاً، المتاحف، وتم تحطيم كنوز حضارية، تابعة لعرش الحضارة الإنسانية، أو تمت سرقتها، وتقع هذه البشاعة على كاهل المحتل ولم يكترث لهذا الأمر، ولم يهتم به، على الإطلاق.

اعترفت السلطات الأمريكية نفسها بأن ثمة حوادث فردية لسرقة الآثار، خاصة من مراسلي الصحافة الإسرائيلية، حيث يرجح أن مجموعة مكونة من ثلاثة صحفيين هم (رون بن يشي)، مراسل القناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلي، (وبجال صور)، مراسل كل من القناة العاشرة، وصحيفة معاريف، و(كارولين غليك)، مراسلة جيروزاليم بوست، قد باعوا تحفاً في تل أبيب كانوا جلبوها من قصر صدام حيث قال أحدهم: "حصلت على أحد تحف صدام، قبل إن يتم تفجير القصر الرئاسي على يدي: "ويشار إلى أن هذا الحادث ليس الأول من نوعه، بل يسبقه حادث آخر ولكن لمراسل قناة (فوكس) الأمريكية.

تـنقل الجنود الإسرائيليون والأمريكيون داخل قصور صدام، خاصة قصر "الحب"، كمـا أطلقـوا علـيه، نتـيجة لوجـود العديد من صور النساء، فضلاً عن أعداد كبيرة من زجاجات الويسكي، البراندي، وغيرها من أنواع الخمور.

زيارات أمريكية رسمية للعراق:

تناولت الصحف الإسرائيلية زيارة الريس الأمريكي جورج دبيلو بوش لبغداد في ٢٦ / ١١/ ٢٠٠٣ بكـثافة، وأفـردت لهـا مساحات كبيرة على صدر صفحاتها، خاصة وأن بـوش قـد تناول الطعام مع جنوده، بمناسبة "عيد الشكر"، فضلاً عن أنها الزيارة الأولى لـه للعـراق، حـيث كتـبت صحيفة "يديعوت أحرونوت" قائلة: حطَّت طائرة الرئيس بـوش في المطار الدولي في بغداد، في سرية تامة، بعد أن حلقت في الجو لفترة طويلة، من أجل تأمينها، وتأمين المكان، خشية علم الإرهابيين العراقيين، ومكث بوش لمدة ساعتين ونصف، أحضر الطعام بنفسه خلالها لجنوده، وتناول معهم الفطور، وقبل إن يتركهم، بـث فيهم الشجاعة، والتحلي بالصبر، وحثهم على بذل المزيد من الجهد، من أجل بلد ديمقراطـي، وقـال "أمـريكا كلـها خلفكـم، أنـتم تقومون بعمل جليل، من أجل صد الإرهاب، سننجح، لأن هدفنا صادق".

ورغم سماع دونالد رامسفيلدن وزير الدفاع الأمريكي، لجنوده ومطالبتهم بالمزيد من الجـنود، فإنـه واصـل زياراته للعراق، فصحيفة "يديعوت أحرونوت" أكدت أن زيارة رامـسفيلد لـبغداد هـي الثانية، خلال أربعة أشهر فقط، جاء خلالها ليحث الجنود على تحقـيق الهـدف المنـشود بنـشر الحـرية والديمقراطية، وبذل المزيد من الجهد للقضاء على جيوب المقاومة العراقية.

القبض على صدام حسين:

هللـت الـصحافة الإسـرائيلية وكافـة وسـائل الإعلام الإسرائيلية لإلقاء القبض على صـدام حـسين، ونـشرت، لأيام عديدة، صور المكان الذي كان يختبئ فيه، قبل القبض علـيه وبعـده، فـبعد أن وصـف بول بريمر، الحاكم العسكري الأمريكي في العراق، يوم القـبض علـى صـدام، بأنـه يوم عظيم، هنأ القادة الإسرائيليون بعضهم البعض، حيث اتـصل شـارون، فـور سماعـه الخبر، بالرئيس بوش، وبارك خطوته، وقال: "أنه يوم تاريخـي للـشعب الـيهودي، مـع سـقوط رمز الديكتاتورية في العالم"، كما هنأ الشعب العراقي، ووصف هذا اليوم بأنه "يوم كبير في تاريخ الشعب العراقي".

مع نشر صورة صدام حسين، وهو عاري الجسد، ويقوم بغسل ملابسه بنفسه، هللت وسائل الإعلام الإسرائيلية أكثر، خاصة وأن صحيفة "المن" اللندنية، هي من بادرت بنشر الصورة على صدر صفحاتها، ونقلت عن بوش قوله إنه يخشى رد فعل الجماعات العراقية والمقاومة، بعد نشر هذه الصور، فيما كتب موقع (WALLA) الإلكتروني، قائلاً: "إن صدام ليس سوبر مان، أو الله!".

وادعى الموقع الإلكتروني (NFC) بأن ثمة أدلة جديدة على تورط صدام حسين في أحداث الحادي عشر من سبتمبر / أيلول، حيث أشار إلى أن محمد عطا، المسؤول الأول عن التفجيرات، قد التقى مع ضابط عراقي بارز، يدعي سمير إبراهيم، في مدينة براغ التشيكية في ابريل/ نيسان ٢٠٠١، فيما ادعت المخابرات التشيكية، بدورها، أن الضابط العراقي قد جند عملاء من الطلبة العرب، الذين يدرسون في أوروبا الشرقية.

العلاقات العراقية ـ الإسرائيلية:

نشطت العلاقات العراقية ـ الإسرائيلية، فور اندلاع الحرب، وسقوط نظام صدام حسين، خاصة مع توالي الزيارات من مسؤولين عراقيين ومعارضين عراقيين لتل أبيب، خاصة إياد علاوي، رئيس الوزراء العراقي (السابق)، وأحمد الجلبي، زعيم المؤتمر الوطني العراقي، فقد أشارت صحيفة (يديعون أحرونوت) إلى أهمية زيارة الجلبي السرية التي قام بها بعد الغزو الأمريكي، حيث صرح خلالها بأن العراق، بعد صدام حسين، سيعمل على إقامة علاقات سلام طبيعية مع جيرانه بما في ذلك إسرائيل فيما نقلت الصحيفة عن مصادر وصفتها بالمطلعة على شئون المعارضة أن ورش عمل وحلقات دراسية تعطي لهؤلاء العراقيين (١٦ شخصية عراقية معارضة) في كيفية تحول النظام الديكتاتوري إلى نظام ديمقراطي.

لم يبد الأمريكيون معارضة على اقتحام الشركات الإسرائيلية للسوق العراقية، في ظل وساطة أردنية، حيث لعب الوسطاء الأردنيون دورا رئيسيا في انعاش رجال الأعمال الإسرائيليين دخلت أكثر من ٧٠ شركة إسرائيلية أرض العراق، تحت غطاء وزارة الخارجية الإسرائيلية هذا ما يوضحه، الكاتب الإسرائيلي بوعز غاؤون في صحيفة معاريف بتاريخ (٢/ ٤/ ٢٠٠٤) الذي أضاف قائلا: دانى كتريس نائب مدير عام التجارة الخارجية في وزارة المالية، وهو الذي أطلق الطلقة الأولي معلناً بداية السباق نحو أرض العراق عن بداية عهد جديد للتجارة الإسرائيلية مع عراق بول بريمر.

وفي الخامس من أغسطس / آب لعام ٢٠٠٣ ، طار عشرات المقاولين الإسرائيليين إلى العراق من أجل التعرف على السبل المناسبة التي تتيح لهم المشاركة في مشاريع إعمار العراق والتي يقدر حجمها بمليارات الدولارات وأضاف موقع araby net الذي أذاع الخبر ، أن المشاريع التي ينوي الإسرائيليون الاندماج فيها تتمثل في ترميم الشوارع والمطارات وشبكات الكهرباء ، والهواتف وإنشاء مبان عامة ، ومبان سكنية .

وروي الكاتب الإسرائيلي بوعز غاؤون أن مجموعة من التجار الإسرائيليين أرسلوا قبل ستة أشهر يناير / كانون الثاني ٢٠٠٤ ١٥٠٠ جهاز تكييف إلى مدينة الزرقاء الواقعة في قلب المنطقة الحرة مع الأردن لنقلها إلى العراق ولم ينتبهوا إلى إزالة العبارات المكتوبة بالعبرية عليها وعلم بذلك التجار الأردنيون المنافسون ، فأذاعوا خبر الفضيحة وهددوا التجار العراقيين الذين وصلوا إلى الزرقاء لشراء المكيفات بأن كل من يقترب منه سيجري تصويره لتنشر صورته في بغداد كمتعاون مع إسرائيل وكانت النتيجة أن العراقيين امتنعوا عن حمل الأجهزة التي تركت في المخازن الأردنية حتى علاها الغبار ، تعلم الإسرائيليون الدرس فأوقفوا صفقة لتسويق مشروبات إسرائيلية معلبة في العراق وأعادوا تصميم العلبة بإسلوب عراقي وإمعانا في التمويه كتبوا على العلب آية من القرآن تحدثت عن سقاية العطشي .

نظرة إسرائيل لأمريكا بعد الحرب :

يري المستشرق الإسرائيلي غاي باخور في صحيفة يديعوت أحرونوت أن الضعف الأمريكي ينعكس سلبا على الشرق الأوسط ، فيقول على الولايات المتحدة أن تفهم بأن إنجازاتها في السنوات الأربع الماضية تحققت أساسا بفضل موقفها المتصلب وغير المساوم والذي ردع أنظمة طاغية أما الوهن الأمريكي بسبب فقدان الاهتمام ، أو بسبب تغيير النهج فمن شأنه أن يؤدى بالشرق الأوسط إلى نتائج أكثر هدماً من تلك التى وجدت فيه ذلك أنه في مثل هذه الحالة قد تنتصر المحافل الراديكالية والعنيفة .

زئيف شيف المحلل العسكري لصحيفة هارتس يقول لا يوجد أحد في البنتاغون يدعي بأنه طرأ تحول في العراق في صالح الأمريكيين وهذا هو السبب الذي يميل فيه الرأي العام الأمريكي إلى النقد الأكبر للحرب فضلا عن ذلك فأن مجموعة المحافظين الجدد في الإدارة والتي قادت نحو الحرب ضد صدام حسين انحلت عمليا وهجرت مواقفها وتنطلق في واشنطن أصوات عن الحاجة للتخطيط أيضا لاستراتيجية خروج من العراق وعلي

ذلـك يـرد بـوش بأنه ليس في نيته عمل ذلك قبل إن يحقق في العراق نصرا على الإرهاب وسيفـسر أي انـسحاب أمريكـي عاجـل كهزيمة وسيؤثر على دول النفط في المنطقة إيران ستكون بالتأكيد القوة العظمي النووية الرائدة وستتعزز التهديدات على الدولة اليهودية .

تحـت عـنوان حـنين لـصدام كتب المحلل السياسي لصحيفة معاريف بني درور يميني قـائلا أكثـر من ٢١٢ مليار دولار كلفة الحرب الأمريكية على العراق حتى الآن النفقات تتواصـل بـوتيرة ٥,٥ ملـيار دولا شـهريا المداخـيل من النفط العراقي تبلغ ٥,١ مليون دولار في الـشهر أمـريكا لا تـشاهد سـنتاً واحـدا من هذا المال وحتى لو تجدد إنتاج النفط بمـستوي مضاعف عما كان عليه قبل حرب الخليج الأولي وإن قامت واشنطن بنهب كل عائـدات الـنفط إلى جـيوبها فأن هناك أمرين لا توجد أي احتمالية لحدوثهما في المستقبل المنظور وهي أن تنجح في تغطية النفقات المتزايدة نتيجة الغرق في الوحل العراقي عسكرياً الوضع أسوأ من ذلك بكثير صدام أزيح ولكن الزرقاوي حل محله اليوم الولايات المتحدة أطاحت بغول أحادي الرأس فحصلت على غول متعدد الرؤوس الإرهاب الإسلامي مع الغول الجديد غير القابل للتصفية لأنه متعدد الرؤوس أيضا وعليه تبدو الحرب في العراق كأكبر حماقة ارتكبت في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين .

مـع شـدة ضـربات المقاومـة العراقية وفي إعادة مستحقة لكلمات الكاتب الإسرائيلي أروي أفـنيري حـول عـدم الافتخار بالقوة نصح بوش وبلير بالعودة إلى الكتاب المقدس حـيث قـال لهمـا بـوش كمـا يقولـون لـنا رجل متدين جدا وكذلك الأمر معاونه بلير، خـسارة أنهمـا لم يطالعـا الكـتاب المقدس قبل خروجهما إلى المعركة أحدي أكثر الجمل جمـالا في الكـتاب المقـدس موجـودة في سفر الملوك الأول في الإصحاح ٢٠ فعندما خرج ملـك سـوريا لمحاربـة بـني إسـرائيل تفاخر بقوة جيشه وبأسه فأجابه الملك أخاب بأربع كلمـات خالـدة لا يفتخـرن من يشد كمن يحل فيما يضيف أفنيري حول قيام الأمريكيين بعمـل ديكـور حربـي للتوجـيه الصحفي فحسب فيقول قرأت بأن مصممة مهنية قامت بتـصميم غرفة التوجيه الصحفي التابعة للجنرال تومس فرانكس لقاء أجر وصل إلى ربع ملـيون دولار الجـيش الأمريكـي يرصد أموالا طائلة لديكور هذه الحرب أعتقد بأن هناك مـبالغ أضـخم يـتم رصـدها ودفعهـا للمخـرجين المهـنيين الذين يقومون بإخراج ظهور الـرئيس بـوش علـى الشاشة يجب الاهتمام بالديكور فهو أكثر أهمية من كلامه منذ عدة أشـهر يظهـر بوش، دائما تقريبا على خلفية جنود عسكريين وقد اهتم المصمم بأن يحيط الجنود الرئيس من كل جهة بحيث يمكن رؤية وجوههم المعجبة بالرئيس من كل زاوية .

في محاولـة إستـشرافية للمستقبل يرى الكاتب الإسرائيلي أفيعاد كلاينبرغ أن الأمر بدأ يكلـف أمـوالا طائلـة الـدعم الأمريكـي سـيقل الأزمـة الاقتصادية ستتعمق الديمقراطية الإسـرائيلية سـتتأكل بـسهولة فائقـة يمكـن أن تتحول إسرائيل إلى دولة أخرى من العالم الثالث لتدق أبواب المتصدقين.

ويـرى أن العبرة التي ينبغي أن تتعلمها إسرائيل من الحرب الأمريكية على العراق هي الإسـراع إلى التوصـل بقـوانا الذاتـية إلى تـسوية جـيدة تتيح ترميم الاقتصاد والشروع في تـرميم المجـتمع، والديمقـراطية الكنـز الأساسـي الأهم الذي يمكن أن تمتلكه إسرائيل في العالم الجديد ليس القوة العسكرية، وإنما الانتماء الحقيقي لنادي الدول المتقدمة.

مصادر الدراسة

١ . د. ليلـي أبـو المجد، محور الشر من المنظور الديني الصهيوني، مختارات إسرائيلية (القاهرة)، العدد ١٠٢ ، يونيو/ جزيران، ٢٠٠٣ ص١٤١

٢ . محمـد جمعـه إسـرائيل وضـرب العراق، مختارات إسرائيلية (القاهرة) العدد ٩٤ ، أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٢، ص١٣٣

٣ . محمـد البحيري، عملية العراق تحولت إلى عملية إعدام الحرية الأمريكية، القاهرة العدد ١٥٥ , ١ إبريل / نيسان ٢٠٠٣

٤ . إفـرايم كـام، الهـدف العـراق دورية التقييم الإستراتيجي أغسطس / آب ٢٠٠٢ مركـز جافي وردت ترجمتها العربية في مختارات إسرائيلية القاهرة، العدد ٩٤، اكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٢ ص٢٢

٥ . أوري أفبيري، الحرب ضد العراق المشهد الإسرائيلي ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٣

٦ . يديعوت أحرونوت ١٠/ ٢/ ٢٠٠٣

٧ . أوري أفـنيري، حـرب الـنفط معاريـف، وردت تـرجمتها العـربية في مخـتارات إسرائيلية العدد ٩٤ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٢ ص٧٧

٨ . زئـيف شـيف، إسـرائيل والحـرب ضـد العراق هآرتس وردت ترجمتها العربية في مختارات إسرائيلية القاهرة العدد ٩٤ أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٢ ص٧٩

٩ . غـاي يـا خـوز، المظهـر المحـتمل والمعقـول للعراق الجديد، يديعوت أحرونوت وردت ترجمتها العربية في مختارات إسرائيلية القاهرة العدد ٩٤ أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٢ ص٨٤

١٠ . غدعون ليفي لماذا هذا الصمت؟ هآرتس المشهد الإسرائيلي ١٦/ ٢/ ٢٠٠٣

١١ . زئـيف شـيف، الحرب على العراق لن تجلب خيراً لإسرائيل ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٣ عن المشهد الإسرائيلي

١٢ . أوريا شفيت الإسرائيليون يتحمسون لنهاية سريعة للحرب المحتملة معاريف، ٢٨ / ١٢/ ٢٠٠٣ عن المشهد الإسرائيلي

١٣ . يوئـيل ماركـوس حملـة تخويـف مـتعمدة يـشنها القـادة الإسـرائيليون يديعـوت أحرونوت ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٣ عن المشهد الإسرائيلي

١٤ . احـتلال العـراق في "الإيمان" المسيحي — الصهيوني لـ "المحافظين الجدد"، الحياة (لندن)، ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٣ .

١٥ . شفيق الأسدي، الكبيسي لـ "الحياة" إسرائيل في العراق بكل قواها وجيشه بتشكيلته "الأمريكية" سيكون رديفاً لها، الحياة (لندن)، ٢٢/٦/٢٠٠٣ .
١٦ . العاصمة العراقية تعيش على وقع إشاعة "عودة اليهود"، الحياة (لندن)، ٢٣/٦/ ٢٠٠٣.
١٧ . أسعد تلحمي، الإعلام الإسرائيلي يشيد بـ "النصر" ويتحدث عن "شرق أوسط جديد" تحت المبضع الأمريكي، الحياة (لندن)، ١١/ ٤/ ٢٠٠٣ .
١٨ . هارتس، ٢/ ١/ ٢٠٠٥ .
١٩ . محمد عبود، صحيفة صهيونية : كتيبة إسرائيلية في بغداد، الموقف العربي (القاهرة)، العدد ١٤١، ٤/ ١/ ٢٠٠٥ .
٢٠ . أسعد تلحمي، شارون يدعو إلى تشديد الضغوط على سورية، ونتانياهو متفائل بـ "قطف ثمار الحرب على العراق، الحياة (لندن)، ١٦/ ٤/ ٢٠٠٣ .
٢١ . الحياة (لندن)، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٢ .
٢٢ . القدس – أ ف ب، إسرائيل تسمح لشركاتها بالتجارة مع العراق، الحياة (لندن)، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٣ .
٢٣ . د . رفعت سيد أحمد، أسرار الدور الإسرائيلي في العراق الجديد، القاهرة/ ٧/ ٢/ ٢٠٠٤.
٢٤ . بغداد – أ ف ب، رويترز، متحف بغداد بين ضحايا "غزوة" اللصوص : ١٧٠ ألف قطعة أثرية دمرت ونهبت الحياة (لندن)، ١٣/ ٤/ ٢٠٠٣ .
٢٥ . قلق عالمي على تراث العراق المنهوب والمحروق، الحياة (لندن)، ١٦/ ٤/ ٢٠٠٣
٢٦ . د . رفعت سيد أحمد، أسرار الدور . . . مصدر سبق ذكره .
٢٧ . داود الشريان، الرسالة المزدوة، الحياة (لندن)، ١٣/ ٤/ ٢٠٠٣ .
٢٨ . عبد الله محاجنة، إذاعة صوت إسرائيل – ١٩/ ٣/ ٢٠٠٤، في ذكرى الحرب في العراق: من فاز ومن خسر . . . ؟ مختارات إسرائيلية (القاهرة)، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام، العدد ١١٢، السنة العاشرة، نيسان/ إبريل ٢٠٠٤، ص٩٧ـ٩٨ .

الخاتمة

حدثان عندما وقعا كانت لهما دلالاتهما فيما يتعلق بالأزمة العراقية الأمريكية حاليًا. الأول تمثل في تلك الأنباء التي تواترت حول انشغال مجموعة من كبار نشطاء اليمين في واشنطن بإعداد حملة جديدة لحشد الرأي العام الأمريكي وراء قرار بغزو العراق، أما الثاني فكان وقوف شيوخ ونساء وأطفال كويتيين حاملين إعلام الولايات المتحدة والدول الحليفة أثناء اقتحام قوات الأخيرة للمدن الكويتية الرئيسية في عام ١٩٩١.

وعلى الرغم من المسافة الزمنية الكبيرة التي تفصل بين الحدثين. فإنهما يشيران بوضوح إلى حقيقة الأثر الهام للجهود الدعائية المبذولة في تلك الأزمة على وجه الخصوص.

ويقود الحديث عن الجهود الدعائية إلى إبراز أهمية استخدام «الدعاية» في الحروب، ويرى الخبراء أن «الدعاية» في الحروب هي خطط لإقناع وتشجيع الشعوب والمقاتلين على خوض الحروب بينما «الحرب النفسية» ما هي إلا «دعاية» أيضا ولكنها موجهة لإقناع أحد الأطراف بالتوقف عن القتال وإلقاء السلاح.

وكان الثلث الأخير من شهر نوفمبر الماضي قد تواترت فيه أنباء عن قيام مجموعة من كبار الساسة الأمريكيين ممن عرف عنهم انتماؤهم اليميني المتشدد وبعلاقاتهم الوثيقة بقيادات البنتاجون وبديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي، بالتجهيز لحملة دعائية ضخمة ومؤثرة بهدف حشد الرأي العام لغزو العراق. وفي سبيلهم لإنجاح الجهود الدعائية المبذولة أطلقت تلك المجموعة من الساسة على نفسها اسم «لجنة تحرير العراق» وهي برئاسة بروس جاكسون الذي يعد أحد كبار الخبراء في مجال الأمن القومي كما كان نائبًا سابقًا لشركة لوكهيد مارتن ذات الشهرة العالمية في مجال «صناعة السلاح أو المكونات المرتبطة به».

وقد لوحظ أن أحد أبرز أعضاء اللجنة هو راندي شوينمان قد شارك مع جاكسون في التوقيع على رسائل مفتوحة موجهة إلى الرئيس بوش الابن وكانت أبرزها تلك التي بعثا بها بعد ٨ أيام فقط من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حيث طالبا الرئيس بشن حملة «ضد الإرهاب» تتعدى القاعدة إلى دول مثل سوريا وإيران ومنظمات مثل حزب الله في لبنان والسلطة الوطنية الفلسطينية بالإضافة إلى العراق.

وقد أعلنت اللجنة الجديدة أهدافها في شكل يتلاءم مع جهودها الدعائية مثل: «العمل على الارتقاء بالسلام الإقليمي وبالحرية السياسية وبالأمن الدولي» ولكن تلك

الأهـداف الـسامية في ظاهرها لكي تتحقق ظلت مرتبطة بالهدف الرئيسي للجنة والمتمثل في الإطاحـة بـنظام صـدام حـسين واسـتبداله بحكومة «ديمقراطية» تحترم حقوق العراقيين وتـتوقف عـن تهديـد المجـتمع الدولـي انطلاقًا من إيمان تلك اللجنة بأن «النظام العراقي الحالـي الموجـود في بغـداد يمـثل تهديداً واضحًا لجيرانه وللولايات المتحدة بل وللشعوب الحرة في أنحاء العالم».

وانطلاقًـا مـن هذه الرؤية تعتزم اللجنة أن تنخرط في جهود تعليمية ودعائية من خلال وسـائل الإعـلام المخـتلفة داخل الولايات المتحدة وأوروبا لحشد الرأي العام محليًا وعالميًا وراء الـسياسات التي من شأنها أن تسقط النظام الحاكم في العراق. وفي محاولة للتخفيف من «وطأة» الرؤى الخاصة باللجنة تمت الإشارة إلى أن دورها سيتعدى إسقاط نظام صدام إلى إعـادة بناء الاقتصاد العراقي وإرساء التعددية السياسية وإقامة المؤسسات الديمقراطية وحكم القانون!

وكـان قـد أعلـن في وقـت سـابق عـن تعاقد البنتاجون مع «مجموعة رندون» الخاصة العاملـة في مجـال العلاقـات العامـة والدعايـة في إطار المساعي لكسب الرأي العام العالمي بـوجه عـام والإسـلامي والعربي على وجه الخصوص وتشير التقديرات إلى أن قيمة هذا العقد تقدر بـ ٤٠٠ ألف دولار مقابل ٤ أشهر من العمل.

وقـد لـوحظ أن اختـيار البنـتاجون لـشركة ريـندون جاء ليعكس حجم أعمال تلك الـشركة والـتي تمـتد إلى القـيام بعملـيات خـارج الولايات المتحدة حيث تخصصت تلك الـشركة في تقـديم العـون الدعائـي للـشركات والمـنظمات بـل وللحكـومات وكان من عملائها: وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية وإحدى الحكـومات العربية وشركة من شركات الكيماويات بالإضافة لوكالات التجارة الرسمية في دول مثل بلغاريا وروسيا وأوزبكستان.

ويقـدر اتـساع شبكة أعمال الشركة بـ٧٨ دولة حيث تقوم بتوفير خدمات لاتصالات والعلاقـات لعملائها في تلك الدول وتتصل بالجهات الحكومية وبصناع القرار وبالإعلام في أنحـاء العـالم مـن أجـل تحقـيق أهـدافهم، ومن المقرر أن تقوم ريندون بموجب العقد الجديـد بمـراقبة وسـائل الإعلام الإخبارية الدولية وتوجيه جماعات المصالح وعمل مواقع للإنترنـت بالإضـافة إلى تقـديم الوسـائل الـتي تجـنب الجـيش الأمريكـي أي محـاولات معلوماتية دعائية مضادة وتحسن من اتصالاته الجماهيرية. ولم تكن المهمة الجديدة لشركة

ريندون بمنأى عن ما قامت به من قبل أثناء حرب الخليج الثانية حينما تلقت الشركة ١٠٠ ألف دولار شهريًا من البنتاجون بالإضافة لعدة ملايين من الدولارات من حكومة دولة عربية بهدف دعم الجهود الدعائية أثناء الحرب في عام ١٩٩٠ و١٩٩١ .

وقد تحدث جون ريندون الابن رئيس الشركة عن دورها في حرب الخليج الثانية ضد العراق بقوله : «أنا مقاتل معلوماتي ومدير لعمليات الإدراك» مشيراً بفخر إلى ما قامت به شركته من جهود لتوصيل إعلام ورسائل دعاية أمريكا والدول الحليفة وراء الخطوط العراقية .

ويبدو أن ريندون قد حصل على خبرة أعمق في الميدان العراقي فقد سبق وأن عمل مع وكالة المخابرات المركزية لتوفير ظروف مواتية للإطاحة بالرئيس العراقي من خلال تأليب الجيش والشعب العراقي ضده في ظل حملة دعاية مضادة لصدام وهو ما تضمن إنتاج شرائط فيديو وبرامج راديو للسخرية من الرئيس العراقي وإقامة معارض صور وتوجيه نداءات عبر الراديو تشجع على فرار الضباط العراقيين من الخدمة ، وفي إحدى التقارير التي نشرتها أجهزة الإعلام تمت الإشارة إلى حصول ريندون على ٢٣ مليون دولار في العام الأول فقط من تعاونها مع الوكالة الذي استمر من عام ١٩٩٢ وحتى ١٩٩٦ .

وقد تم التوسع في هذا التعاون ليشمل تعاون الشركة مع المعارضة العراقية وبعض المنظمات الكردية داخل العراق بهدف جمع المعلومات والقيام بأنشطة دعاية مضادة وتجنيد المنشقين عن النظام العراقي ، كما تولت الشركة بأمر تصميم والإشراف على شركة الإذاعة العراقية وراديو الحرية الذي تولى أمر نشر الدعاية المعارضة للنظام العراقي بدءاً من عام ١٩٩٢ إلا أن تلك الإذاعة والشركة تعرضتا لضربة قاسمة عندما داهم الجيش العراقي مدينة أربيل وقتل عدداً من المتعاونين معها .

وتعمل حاليًا شركة ريندون كإحدى العناصر الهامة في منظومة الحملة الدعائية الأمريكية والتي تضمنت إقامة مكاتب اتصال في واشنطن ولندن وإسلام آباد بالإضافة للدفع بعدد من كبار المسئولين للتحدث إلى وسائل الإعلام التي تبث باللغة العربية .

وهكذا وفي خضم المعارك الدعائية بين الولايات المتحدة والعراق يبقي الأمل متعلقًا بالضمير الإنساني العالمي الذي أصبح هدفًا يتنازعه أصحاب المصالح والأهواء وقد

تكـون لهـم الغلـبة إلى حـين ولكـن الحكمة لا بد وأن تكون لها الغلبة في النهاية . هذا ما يخبرنا به التاريخ وكتب الأولين .

محتويات الكتاب